



# ليبيا بدايات العصر الوسيط القرون 5-9م

**2023**

أطروحة دكتوراه

قسم التاريخ

**Ossama Abdulhameed Mustafa OWRAYETH**

المشرف

**Prof. Dr. Murat AĞARI**

# ليبيا بدايات العصر الوسيط القرون 5-9م

Ossama Abdulhameed Mustafa OWRAYETH

المشرف

Prof. Dr. Murat AĖARI

بمأ أؤء لنبل ءرءة الءكءوراه فف قسم الأارفء بمءهء الءراساء العلفا بمءامعة  
كارابوك فف ءركفا

كارابوك

كانون الأول/2023

## المحتويات

1	المحتويات
4	صفحة الحكم على الأطروحة (باللغة التركية)
5	صفحة الحكم على الأطروحة
6	DOĞRULUK BEYANI
7	تعهد المصدقية
8	المقدمة
10	الملخص
12	ÖZET
13	ABSTRACT
14	ARŞIV KAYIT BİLGİLERİ
15	معلومات سجل الأرشيف
16	ARCHIVE RECORD INFORMATION
17	الاختصارات
18	موضوع البحث
18	الغرض من البحث وأهميته
19	طريقة البحث
19	مشكلة البحث
20	النطاق والقيود / الصعوبات
22	الفصل الأول: أحوال ليبيا خلال القرنين 3-4م
22	1.1 مدخل
27	2.1 اضطرابات ليبيا بداية العصر الوسيط
48	3.1 الأوبئة والمجاعات والزلازل
61	4.1 دلالات الاسم، ومعطيات المدلول والكيان والمجال
76	نتائج الفصل الأول
78	الفصل الثاني: الوضع السياسي والعسكري في ليبيا/البربر الوندال الروم والعرب
78	1.2 غزو الفاندال Vandalicae الضغط الردود والتبعات
78	1.1.2 الفاندالوس Vandalus من أوروبا إلى أفريقيا

81	2.1.2. السلوك الوندالي في البلاد الليبية
82	3.1.2. ثورة كاباون Cabaon ضد الوندال عام 523م
87	4.1.2. الفاندالز Vandals والبيزنطيين Byzantium
92	2.2. ليبيا تحت الهيمنة البيزنطية
92	1.2.2. الحرب الماورية - البيزنطية Maorice-Byzantina
99	2.2.2. الإدارة والقوانين ونظام الحكم البيزنطي في ليبيا
103	3.2.2. الطبوغرافيا والإعمار
106	4.2.2. الأباطرة وعلاقتهم بليبيا أواخر العهد البيزنطي
110	3.2. ليبيا تحت الحكم العربي
110	1.3.2. الفتوحات الإسلامية في أنطابلس وأطرابلس وفزان
116	2.3.2. العرب الفاتحين والرومان البيزنطيين العائدين / ملحمة برقه 76هـ 695م
123	3.3.2. التبعات وردود الأفعال
130	نتائج الفصل الثاني
132	الفصل الثالث: التركيبة الإثنولوجية والسوسولوجية قبل وبعد الإسلام
132	1.3. الأفارق Afros في المدن الطرابلسية Tripolitania
140	2.3. قبائل الريف والجبل Maurorum gentes والصحراء
145	3.3. الفزانبيون phasantes والإيموهاق Imuhagh التوارق
150	4.3. العناصر اليونانية في المدن الخمس Pentapolis
154	5.3. عنصر الفاندالوس Vandalus
160	6.3. الرومان البيزنطيون Romanus Byzantiis
167	7.3. الحارطة البشرية للعنصر البربري/الأمازيغي في بداية الفترة الإسلامية
169	1.7.3. هواره
172	2.7.3. نفوسة
173	3.7.3. زناتة
175	4.7.3. مزاتة
177	5.7.3. لواته وبقية العناصر البشرية في برقه
178	8.3. العناصر العربية والمشرقية
183	نتائج الفصل الثالث

186	الفصل الرابع: الميثولوجيا، الأديان، العقائد، الأفكار، والمعتقدات
186	1.4. المعتقدات الوثنية في ليبيا
192	2.4. اليهودية
197	3.4. المسيحية
210	4.4. اعتناق الإسلام
226	5.4. تسرب الميثولوجيات الوثنية، واستمرارها بعد الإسلام
235	نتائج الفصل الرابع
236	الفصل الخامس: الأطر اللغوية والاتجاهات الفكرية والثقافية
236	1.5. اللغة البونيقية الحديثة Punicis
247	2.5. Libyssae الكتابة الليبية
257	3.5. Latinus الكتابة اللاتينية
264	4.5. الكتابة البربرية المستعملة بعد الإسلام
273	5.5. اللغة العربية كتابةً ومؤسّسات
273	1.5.5. المؤسسات وجدلية التلقن والتعليم
278	2.5.5. خلفيات الكتابة العربية
281	3.5.5. الفاتحين والمعلّمين العرب في المنطقة/ المجال والدور والزمان
286	6.5. الكتّاب والمؤلفين الوطنيين في الفترات الإسلامية المبكرة
299	نتائج الفصل الخامس
301	خاتمة الأطروحة ونتائجها
306	المصادر والمراجع
344	الملاحق والصور والأشكال والخرائط
363	السيرة الذاتية

صفحة الحكم على الأطروحة (باللغة التركية)

Ossama Abdulhameed Mustafa OWRAYETH tarafından hazırlanan “ORTA ÇAĞ'IN BAŞLARINDA LİBYA TARİHİ (M. S. 5.-7. YÜZYIL)” başlıklı bu tezin Doktora Tezi olarak uygun olduğunu onaylarım.

Prof. Dr. Murat AĞARI

.....

Tez Danışmanı, Tarih Bölümü

Bu çalışma, jürimiz tarafından Oy Birliği ile Tarih Bölümünde Doktora tezi olarak kabul edilmiştir. 25/12/2023.

**Ünvanı, Adı SOYADI (Kurumu)**

**İmzası**

Başkan: Prof. Dr. Murat AĞARI (KBÜ)

.....

Üye: Prof. Dr. Barış SARIKÖSE (KBÜ)

.....

Üye: Doç. Dr. Şerife AĞARI (KBÜ)

.....

Üye: Prof. Dr. Mustafa HİZMETLİ (BARÜ)

.....

Üye: Prof. Dr. Seyfullah KARA (BEÜ)

.....

KBÜ Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Yönetim Kurulu, bu tez ile, Doktora Tezi derecesini onamıştır.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN

.....

Lisansüstü Eğitim Enstitüsü Müdür

صفحة الحكم على الأطروحة

أصادق على أن هذه الأطروحة التي أعدت من قبل الطالب أسامة عبد الحميد مصطفى وريث بعنوان "ليبيا بدايات العصر الوسيط القرون 5-9م" في برنامج الدراسات العليا هي مناسبة كأطروحة دكتوراه.

Prof. Dr. Murat AĞARI .....

المشرف على الاطروحة، قسم التاريخ

قبول

تم الحكم على أطروحة الدكتوراه هذه بالقبول من قبل لجنة المناقشة بالإجماع، بتاريخ

2023/12/25

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

رئيس اللجنة : Prof. Dr. Murat AĞARI (KBÜ) .....

عضواً : Prof. Dr. Barış SARIKÖSE (KBÜ) .....

عضواً : Doç. Dr. Şerife AĞARI (KBÜ) .....

عضواً : Prof. Dr. Mustafa HİZMETLİ (BARÜ) .....

عضواً : Prof. Dr. Seyfullah KARA (BEÜ) .....

تم منح الطالب بهذه الأطروحة درجة الدكتوراه في قسم التاريخ من قبل مجلس إدارة معهد الدراسات العليا في جامعة كارابوك.

Doç. Dr. Zeynep ÖZCAN .....

مدير معهد الدراسات العليا

## **DOĞRULUK BEYANI**

Doktora tezi olarak sunduđum bu alıřmayı bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı herhangi bir yola tevessül etmeden yazdıđımı, arařtırmamı yaparken hangi tür alıntıların intihal kusuru sayılacađını bildiđimi, intihal kusuru sayılabilecek herhangi bir bölüme arařtırmamda yer vermediđimi, yararlandıđım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluřtuđunu ve bu eserlere metin ierisinde uygun řekilde atıf yapıldıđını beyan ederim.

Enstitü tarafından belli bir zamana bađlı olmaksızın, tezimle ilgili yaptıđım bu beyana aykırı bir durumun saptanması durumunda, ortaya ıkacak ahlaki ve hukuki tüm sonuçlara katlanmayı kabul ederim.

**Adi Soyadi:** Ossama Abdulhameed Mustafa OWRAYETH

**İmza:**

## تعهد المصادقية

أقر بأني التزمت بقوانين جامعة كارابوك، وأنظمتها، وتعليماتها، وقراراتها السارية المفعول المتعلقة

بإعداد أبحاث الماجستير والدكتوراه أثناء كتابتي هذه الأطروحة التي بعنوان:

"لبيبا بدايات العصر الوسيط القرون 5-9م"

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الأبحاث العلمية، كما أنني أعلن بأن

أطروحتي هذه غير منقولة، أو مستلة من أطروحات أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم

نشرها أو تخزينها في أية وسيلة إعلامية باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد.

اسم الطالب: أسامة عبد الحميد مصطفى وريث

التوقيع: .....

## المقدمة

ليبيا بدايات العصر الوسيط؛ هي دراسة أكاديمية للتحويلات الهيستوغرافية والطبوغرافية والسوسولوجية والدينية واللسانية والثقافية في ليبيا بدايات العصر الوسيط ق4-9م. أي تلك التحويلات السياسية والتقلبات المجتمعية والتغيرات اللغوية والتبدلات العقديّة في مجال ذهنية إنسان البلاد الليبية. وعلى حد ملاحظاتي لم أجد دراسة علمية معينة، ومحددة، درست بشكل محدد وعميق، مباشر ودقيق؛ شيئاً مستفيضاً وبصيغ مقارنة حول تاريخ ليبيا بدايات العصر الوسيط، وفق دراسة جادة ومقارنة في التحويلات اللغوية واللسانية والعقائدية والفكرية بين السكان. أي الربط ما بين فترة العهدين الوثني والمسيحي في ليبيا مع بداية العهد الإسلامي؛ بكل ما فيها من تحولات جذرية ومقارنات هيستوغرافية لم تلفت انتباه الباحثين السابقين، أو ممن لم يتمكنوا من تقديم دراسات شافية ووافية عن هذا المجال. وسد هذه الثغرة كان الدافع الأبرز بالنسبة لي لخوض غمار هذا العمل.

عليه؛ أسعى عبر هذه الأطروحة إلى تقديم مادة جديدة تختص بدراسة الحلقة المفقودة، وغير المطروقة بعد في تاريخ ليبيا، بالفترة فيما بين نهاية العصر القديم، ومطلع العصر الوسيط. أي أن الدراسة لا تُعنى بطرق بقية مراحل العصر الوسيط. وإنما فقط ببداياته؛ وهي التي تمكنا بدورها من وضع أيدينا على التحويلات الفكرية والانقلابات الدينية والتقلبات الاجتماعية والسياسية والطبوغرافية التي طرأت على البلد.

وأرى أن بدوية ونمط معيشة المجتمعات القبلية، كظاهرة مجتمعية قائمة على ثلوث القبيلة والغارة والغنيمة، كانت قد دفعتها بالنتيجة إلى إطلاق عمليات هجومية لغزو سكان المدن الساحلية/البحرية منذ غياب/مغادرة آخر جندي بالحاميات الرومانية، وذلك منذ أواخر القرن 3 وطوال القرن 4م، ثم القرن 5 للميلاد من الفترة الوندالية، وما أعقبها من صدمات بالحقبة البيزنطية بالقرن 6م. وأخيراً الانقلاب

الجدري فكريا ودينيا ولغويا وثقافيا مع دخول العرب بالقرن 7م وانتشار الإسلام بين الأهالي. وفق افتراض بأنه انقلاب جذري وحاسم، غيّر بالكامل من شكل الحياة في البلاد خصوصا من النواحي العقديّة واللغوية، مع ارتباطات صارت تتعلق بالمشرق الإسلامي أكثر من غيره، بعد أن كانت البلد قبل ذلك مرتبطة روحيا وفكريا وسياسيا - خصوصا بساحلها على صعيد المدن البحرية - بالواجهة المتوسطية.

## الملخص

ليبيا بدايات العصر الوسيط: موضوع دراسة أطروحية وفق مقاربات هيستوغرافية تحليلية وصفية مقارنة في التحولات السياسية والعسكرية، والطبوغرافية / العمرانية والمادية، والأنثروبولوجية / الإنسانية، والسوسيولوجية/المجتمعية، والعقائدية والميثولوجية واللسانية، خلال القرون المبكرة من العصر الوسيط، بالفترات الوندالية والماوروية والبيزنطية والإسلامية المبكرة خلال الفترة من القرن 5 – 9م. وفق دراسة جادة ومقاربة في التحولات اللغوية واللسانية والعقائدية والفكرية بين السكان. أي الربط ما بين فترة العهدين الوثني والمسيحي في ليبيا مع بداية العهد الإسلامي؛ بكل ما فيهما من تحولات جذرية ومقارنات هيستوغرافية لم تلفت انتباه الباحثين السابقين، أو ممن لم يتمكنوا من تقديم دراسات شافية ووافية عن هذا المجال. وسد هذه الثغرة كان الدافع الأبرز بالنسبة لي لخوض غمار هذا العمل.

تتم الدراسة برصد حركة الشعوب والقبائل الموروية Maurusia المحلية في ليبيا منذ القرن 4م، وقيام المملكة الفانداليكية Vandalorum Regnum بالقرن 5م، وعودة ليبيا إلى دائرة الإمبراطورية الرومانية وإن في شكلها البيزنطي الجديد بالقرن 6م، فضلا عن تبدل الثقافات والأفكار والمؤسسات، التي برزت ثم انقلبت بشكل جذري بعد انتشار الإسلام بالقرن 7م. وسنقف عند الظواهر الفاصلة والحاسمة ما بين ثقافات ونشاطات ومعتقدات مجتمعات وممالك ليبيا في العصور الوسيطة قبل وبعد الإسلام، وسابقتها أو نظيرتها من المجتمعات التي عاشت داخل أفكار وعقائد وسلوكيات وحضارات العصور القديمة.

من خلال هذا العمل يمكننا فهم التحولات الفكرية والانقلابات الدينية والتقلبات الاجتماعية والسياسية والطبوغرافية التي طرأت على البلد. ومن هنا تأتي أهمية الموضوع وفق دراسة مقارنة ومقاربة للتحولات السياسية والاجتماعية والدينية، والمادية واللغوية والفكرية. حيث ثمة نحو أكثر من أربعة قرون

كاملة تمتد خلال الفترة الواقعة ما بين القرن 4م إلى القرن 9 ميلادي، وهي مرحلة مفصلية حاسمة، ومليئة بالأحداث والتحوّلات والتقلبات والتطورات والتغيرات الشاملة التي غيرت من وجه الحياة في ليبيا.

**الكلمات المفتاحية:** ليبيا، العصور الوسطى، العرب، المسلمين، الرومان، الأفارقة، البيزنطيين.

## ÖZET

Libya: Orta Çağ'ın Başlangıcı: Erken yüzyıllardaki siyasi ve askeri dönüşümler, kentsel ve maddi topografya, insan antropolojisi, toplumsal sosyoloji, doktrinsel, mitolojik ve dilsel konularda karşılaştırmalı analitik ve tanımlayıcı histografik yaklaşımlara göre bir tez çalışmasının konusu Orta Çağ'ın Vandal, Maori, Bizans ve Erken İslam dönemler yani 5. ve 7. yy. arasındaki dönemi, nüfustaki dilsel, dilsel, ideolojik ve entelektüel dönüşümlere ilişkin ciddi ve ulaşılabilir bir çalışmaya göre. Yani Libya'daki pagan ve Hıristiyan dönemlerini İslam döneminin başlangıcına bağlamak. Tüm radikal dönüşümleri ve histografik karşılaştırmalarıyla, önceki araştırmacıların veya bu alanda kapsamlı ve kapsamlı çalışmalar sunamayanların dikkatini çekmediler. Bu boşluğu doldurmak benim bu işe girişmemdeki en önemli motivasyondur .

Çalışma, MS 4. yüzyıldan itibaren yerel Maurusian halklarının ve kabilelerinin Libya'daki hareketlerinin izlenmesi, MS 5. yüzyılda Vandalarum regnum krallığının kuruluşu, Libya'nın 19. yüzyılda da olsa Roma İmparatorluğu topraklarına geri dönüşü konularını kapsamaktadır. MS 6. yüzyıldaki yeni Bizans biçimi ve MS 7. yüzyılda İslam'ın yayılmasından sonra ortaya çıkan ve daha sonra kökten değişen kültür, fikir ve kurumlardaki değişim, Orta Çağ'da İslamiyet'ten önceki ve sonraki Libya toplumları ve krallıklarının kültürleri, faaliyetleri ve inançları ile onların fikir, inanç, davranış ve medeniyetleri içinde yaşayan selefleri veya muadil toplumları arasındaki belirleyici ve belirleyici olgular üzerinde duracağız .

Bu eser sayesinde ülkede meydana gelen fikri dönüşümleri, dini çalkantıları, sosyal, siyasi ve topografik dalgalanmaları anlayabiliyoruz. Konunun karşılaştırmalı bir çalışma ve siyasi, sosyal, dini, maddi, dilsel ve entelektüel dönüşümlere yaklaşımı açısından önemi buradan kaynaklanmaktadır. Libya'da yaşamın çehresini değiştiren olaylarla, dönüşümlerle, dalgalanmalarla, gelişmelerle ve kapsamlı değişikliklerle dolu, çok önemli bir dönüm noktası olan MS 4. yüzyıldan MS 9. yüzyıla kadar uzanan dört yüzyıldan fazla tam yüzyıl vardır.

**Anahtar Kelimeler:** Libya, Orta Çağ, Araplar, Müslümanlar, Romalılar, Afrikalılar, Bizanslılar.

## ABSTRACT

Libya: The Beginning of the Middle Ages: Political and military transformations in the early centuries, urban and material topography, human anthropology, social sociology, doctrinal, mythological and linguistic issues, according to comparative analytical and descriptive hypsographical approaches, is the subject of a thesis according to a serious and accessible study of the Middle Ages between the Vandal, Maori, Byzantine and Early Islamic periods, i.e. between the 5th and 7th centuries, and of the linguistic, linguistic, ideological and intellectual transformations in the population. That is, linking the pagan and Christian periods in Libya to the beginning of the Islamic period. With all their radical transformations and histographic comparisons, they have not attracted the attention of previous researchers or those who have not been able to offer comprehensive and exhaustive studies in this field. Filling this gap was the most important motivation for me to undertake this work.

The study traces the movement of local Maurusian peoples and tribes in Libya from the 4th century, the establishment of the kingdom of Vandalarum regnum in the 5th century, the return of Libya to the Roman Empire, albeit in the 19th century. The new Byzantine form in the 6th century and the change in culture, ideas and institutions that emerged after the spread of Islam in the 7th century and then changed radically, we will focus on the decisive and decisive phenomena between the cultures, activities and beliefs of the Libyan societies and kingdoms before and after Islam in the Middle Ages and their predecessors or counterpart societies living within their ideas, beliefs, behaviors, and civilization.

Thanks to this work, we can understand the intellectual transformations, religious upheavals, social, political, and topographical fluctuations that took place in the country. Hence its importance as a comparative study and approach to political, social, religious, material, linguistic and intellectual transformations. There are more than four full centuries from the 4th century to the 9th century, a very important turning point, full of events, transformations, fluctuations, developments and sweeping changes that changed the face of life in Libya.

**Keywords:** Libya, Middle Ages, Arabs, Muslims, Romans, Africans, Byzantines.

## ARŞİV KAYIT BİLGİLERİ

<b>Tezin Adı</b>	Orta Çağ'ın Başlarında Libya Tarihi (M. S. 5.-7. Yüzyıl)
<b>Tezin Yazarı</b>	Ossama Abdulhameed Mustafa OWRAYETH
<b>Tezin Danışmanı</b>	Prof. Dr. Murat AĞARI
<b>Tezin Derecesi</b>	Doktora
<b>Tezin Tarihi</b>	25.12.2023
<b>Tezin Alanı</b>	Tarih
<b>Tezin Yeri</b>	KBU/LEE
<b>Tezin Sayfa Sayısı</b>	363
<b>Anahtar Kelimeler</b>	Libya, Orta Çağ, Araplar, Müslümanlar, Romalılar, Afrikalılar, Bizanslılar.

### معلومات سجل الأرشيف

اسم الرسالة	ليبيا بدايات العصر الوسيط القرون 5-9م
مؤلف الأطروحة	أسامة عبد الحميد مصطفى وريث
المشرف	الأستاذ الدكتور مراد اغرى
درجة الأطروحة	دكتوراه
تاريخ الرسالة	25.12.2023
مجال الرسالة	قسم التاريخ
مكان الرسالة	جامعة كارابوك - معهد الدراسات العليا
صفحات الأطروحة	363
كلمات مفتاحية	ليبيا، العصور الوسطى، العرب، المسلمين، الرومان، الأفارقة، البيزنطيين.

## ARCHIVE RECORD INFORMATION

<b>Title of the Thesis</b>	History of Libya at the Beginning of the Middle Ages (A.D 5-7)
<b>Author of the Thesis</b>	Ossama Abdulhameed Mustafa OWRAYETH
<b>Supervisor of the Thesis</b>	Prof. Dr. Murat AĞARI
<b>Status of the Thesis</b>	Ph.D.
<b>Date of the Thesis</b>	25.12.2023
<b>Field of the Thesis</b>	Department of History
<b>Place of the Thesis</b>	UNIKA/IGP
<b>Total Page Number</b>	363
<b>Keywords</b>	Libya, the Middle Ages, Arabs, Muslims, Romans, Africans, Byzantines.

## الاختصارات

الاختصار	المعنى
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
ت	تاريخ الوفاة
ص	رقم الصفحة
ط	الطبعة

## موضوع البحث

ليبيا بدايات العصر الوسيط: موضوع دراسة أطروحية وفق مقاربات هيستوغرافية تحليلية وصفية مقارنة في التحولات السياسية والطبوغرافية والعقائدية والميثولوجية واللسانية والمادية والأنثروبولوجية، خلال القرون المبكرة من العصر الوسيط، بالفترات الوندالية والماوروية والبيزنطية والإسلامية المبكرة خلال الفترة من القرن 5 - 9م. ومن الصعب دراسة التاريخ الطبوغرافي والفكري واللغوي والسوسولوجي والإثنولوجي والسياسي في ليبيا بداية العصور الوسطى؛ من دون دراسة/استطلاع/الوقوف على أوضاع البلد نفسه خلال نهاية العصور القديمة!. ويمكن التمييز ما بين نهاية العصور القديمة وبداية الوسطى بوضع علامات، أحدهما ظاهرة انتشار المسيحية بين شعوب وأمم وقبائل كانت دهورا وثنية، ودخول التاريخ الميلادي/المسيحي، بعد أن كانت معظم الشعوب باستثناء اليهود وبعض المؤمنين بوحداية الله، وثنيون في حقب ما قبل الميلاد.

## الغرض من البحث وأهميته

أسعى عبر هذا العمل إلى تقديم مادة جديدة تختص بدراسة الحلقة المفقودة، وغير المطروقة بعد في تاريخ ليبيا، بالفترة فيما بين نهاية العصر القديم، ومطلع العصر الوسيط. أي أن الدراسة لا تُعنى بطرق بقية مراحل العصر الوسيط. وإنما فقط ببداياته؛ وهي التي تمكننا بدورها من وضع أيدينا على التحولات الفكرية والانقلابات الدينية والتقلبات الاجتماعية والسياسية والطبوغرافية التي طرأت على البلد. ومن هنا تأتي أهمية الموضوع وفق دراسة مقارنة ومقاربة للتحولات السياسية والاجتماعية والدينية واللغوية والفكرية. حيث ثمة نحو أربعة قرون كاملة تمتد خلال الفترة الواقعة ما بين القرن 4م إلى القرن 9 ميلادي، وهو الذي يقابل بدوره القرن 3 هجري. وهي مرحلة مفصلية حاسمة، وملئة بالأحداث والتحولات والتقلبات

والتطورات والتغيرات: السياسية والطبوغرافية/العمرانية والمادية، والعقدية واللغوية والثقافية، والسوسيولوجية/الاجتماعية، والأنثروبولوجية/الإنسانية. لدي ما يسدها ماديا ومصدريا، وهي مرحلة جديرة بالدراسة خاصة وأن مكتباتنا تفتقر إلى هكذا دراسات.

### طريقة البحث

المنهج المتبع خلال الأطروحة سيكون وفق طرق وصفية تحليلية يتخللها طرح تقاربي مقارنة. وستكون الشواهد والإسنادات المصدرية الأولية، هي مادتي المعروضة على طاولة النقاش. مع تقديم مواضيع مرتبطة بالدراسة والعرض والطرح والسرد والتفكير والنقاش، وهو مسعى يهدف بالدرجة الأولى إلى تغطية مرحلة تاريخية مهمة وفاصلة من تاريخ ليبيا.

### مشكلة البحث

تتمحور فرضية الدراسة حول المحطات/الظواهر الرئيسية التي دخلت من خلالها ليبيا منتقلة من مرحلة العصر القديم إلى العصر الوسيط! وهي محطات أفترض بأنها تتمثل في عدة ظواهر أهمها: انتشار المسيحية، بداية التدوين بالتاريخ الميلادي، انتهاء حقبة ما قبل الميلاد. اضمحلال الكيان الروماني، ظهور النظام البيزنطي. فضلا عن فرضية بدوية وقبلية معظم المجتمعات المحلية، والتي عاشت بصفة بدوية ورخالة حتى بعد الإسلام بمراحل. وأخيرا الانقلاب الجذري فكريا ودينيا ولغويا وثقافيا مع دخول العرب بالقرن 7م وانتشار الإسلام بين الأهالي. وفق افتراض بأنه انقلاب جذري وحاسم، غيّر بالكامل من شكل الحياة في البلاد خصوصا من النواحي العقدية واللغوية، مع ارتباطات صارت تتعلق بالمشرق الإسلامي أكثر من

غيره، بعد أن كانت البلد قبل ذلك مرتبطة روحيا وفكريا وسياسيا - خصوصا بساحلها على صعيد المدن البحرية - بالواجهة المتوسطية.

أما إشكالية الدراسة فثمة إشكالات كثيرة تتخللها، لكن أهمها تكمن في مشكلة تاريخنا الليبي العام؛ أنه يقفز على مرحلة دخول ليبيا حلقة العصر الوسيط! وينتقل بتاريخ البلد من ماضيه القديم! إلى تاريخه الإسلامي! دون الوقوف على الفترة المفصلية/الرابطة بين هذا وذاك! وهي الإشكالية الحقيقية لهذه الدراسة، والتي تلزمنا بالحرص على تتبع مزالقها وإشكالياتها بالبحث والتحري والتحصيص، مع وضع الحلول/المقترحات الصحيحة في ذات الوقت، للمحطات التي يفترض الوقوف عليها في دراسات من هذا النوع.

### النطاق والقيود / الصعوبات

الإطار الزمني يبدأ تمهيدا منذ أواخر القرن 3م ومطالع القرن 4م وهو التوقيت الذي تم فيه انسحاب آخر حامية عسكرية رومانية، على اعتبار أن التحولات التي شهدتها ليبيا مطلع العصر الوسيط، كانت مرتبطة باختيار السلطة والحضارة الرومانية منذ أواسط القرن 3م، وهو ما أدى بالنتيجة إلى تغير الخارطة الجيوسياسية في ليبيا التي تحركت فيها القبائل البربرية منذ القرن 4م واجتاحها الوندال خلال القرن 5م ثم عاد إليها البيزنطيون في القرن 6م ثم أعقبهم العرب منذ القرن 7م. وتستمر الدراسة إلى القرن 9 ميلادي والذي يقابل القرن 3 هجري، بصفة أن أول أهم المصادر الإسلامية المكتوبة بالعربية عن بلادنا، قد ظهرت خلال القرن 3 هجري.

أما الإطار المكاني للأطروحة فيقع في داخل حدود أقاليم البلاد الليبية: منطقة Tripolitanae وهي المقاطعة التي صارت تحمل اسم أطرابلس بعد الإسلام. ثم مقاطعة Pentapolis أو المدن الخمس، وهي

التي صارت تسمى بعد الإسلام باسم بنطابلس وفي قراءة أخرى أنطابلس. ثم منطقة Phazaniorum أو

Phazania وهي منطقة فزانيا/فزان التي حافظت على خصوصيتها اللفظية دون تحريف كبير.

## الفصل الأول: أحوال ليبيا خلال القرنين 3-4م

### 1.1. مدخل

لم يقم أحد من الأباطرة الرومان/البيزنطيين بزيارة إلى أي شبر من أفريقيا بعد ماكسميان، الذي زارها سنة 298م. والذي سيكون آخر من يعلم بأن الوضع الروماني في ليبيا سيتزح، وأن القبائل بالداخل القريب والبعيد، قد أضافت لها مناطق نفوذ أخرى باتجاه الساحل. وهذا يعطينا انطباع عن آخر توقيت للسلطة الرومانية في ليبيا. (من المصادر اللاتينية الجيدة والمباشرة في سرد سير الأباطرة الرومان Suetonius, 1913, P 10.) وهو أواخر القرن 3م. وفي هذا التوقيت 298-305م أصبحت Leptis Magna العاصمة الجديدة لمقاطعة Tripolis. غير أن الحاميات العسكرية الرومانية وأهما فيلق Augustae Tertium Corps كانت قد غادرت مواقعها بالمعسكرات والحصون الواقعة في الدواخل، مثل قلعة Gholiaia وهي المسماة Bonjem (LYON, 1821, p 67). اليوم، والواقعة غربي سرت، والتي شوهدت منذ قرون خلت وهي نصف مطمورة بالكثبان الرملية. (ليون، 1993، ص 58). والمواقع الأخرى المسماة اليوم: قصر القريات وقصر البنات وقصر العيساوي قرب بن وليد، وحصن النقازة قرب نسمة وغيرها، وهي حصون عسكرية أنشئت بأمر سيفيروس شخصيا. فقد افتتح سيفيروس عهده بقمع إضرابات وغارات قبائل البربر، وإرساء ما أسماه Aelius Spartianus بالسلام الكامل في تريبوليتانيا. تُظهر إحدى اللوحات الإفريقية بقوس سفيروس في Leptis Magna موكب نصر للإمبراطور Septimius مع ولديه Caracalla و Geta (Platnauer, N.D, p 210) في عربة حربية تجرها أربعة جياد، يسوقون أمامهم أسرى من البربر المحليين، وتتبعهم قوات لبدّة. وفي سنة 201 م يقوم الفيلق العسكري التابع لبلدية لبدّة الكبرى/فيلق أوغسطا الثالث؛ بتشيد وبأمر سيفيروس قلاع: القريات الغربية - بونجيم - غدامس. فضلا عن منشآت دفاعية أخرى أنيقة الإنشاء في ما يعرف بعصرنا الحالي بالقرية الشرقية، وقصر العيساوي

وقصر الدويب وما شابه ذلك، أنشئت في السنوات اللاحقة. وخلال سنتي 202 - 203 يقوم سيبتيموس سيفيروس بزيارة لمدينته الأم لبتيس، ويدشن مجموعة مشاريع عمرانية فخمة على نفقة روما؛ من بينها قوس سيفيروس وميدان سيفيروس. الفترة نفسها شهدت أقصى توسع لإمبراطورية روما في أفريقيا. ثم جرى سقوط السلالة السيفورية الحاكمة للإمبراطورية الرومانية من أصل لبادوي/ من لبدنة سنة 235م.

ومع ذلك، كانت الحاميات قد غادرت منذ عام 253م. لكن الكارثة لم تكن قد بدأت بعد! ولم يأتي مطلع القرن 4م حتى أصبحت الحاميات قليلة ولا تتواجد سوى بأهم المدن الساحلية، وكانت تلك هي نقطة الضعف المميتة. علاوة على هذا، باتت سنوات أعقاب القرن الثالث هي سنوات الصراع على السلطة داخل السدة الإمبراطورية، مما ألق بظلاله سلبا على الوضع الأمني والنظامي داخل الأقاليم التي شهدت أيضا تفتت مؤسساتها الداخلية والتي غدت ظاهرة التماسك. وقد بدت هذه الخطوات بمثابة ثلاث مشاكل مميتة وغير قابلة للحل. وفي اطار ميكنة الأحداث/تطويعها/واستغلالها، سنجد بأن هذا الفراغ قد منح قبائل الدواخل البدوية حرية الحركة، بحيث صارت تقوم بتنقلات موسمية غير مقيدة، تُغير من خلالها على المواقع الجيدة. وكانت مدينة قرزة Ghirza أولى مدن منطقة ما قبل الصحراء، ممن تعرضت لغزوات القبائل. الأمر الذي أدى إلى خرابها وخلائها، واختفاء ذكرها من المصادر منذ أواخر القرن 4م. وبحسب أبحاث دليل السراي، فإن المستوطنة أنشئت في عهد سيبتيموس سيفيروس (193-211م) كإقطاع للجند الليبيين والرومانيين المسرحين من خدمة الفيالق الرومانية. وخاصة فيلق أوغسطا الثالث/على حدود أراضي بلدية لبدنة الكبرى، وولاية تريبولتيانيا لاحقا. وعُرف هؤلاء باسم ليميثاني Limitani أي سكان الحدود (النمس وأبو حامد، 1977، ص 114). وبالتالي فإن المدينة قد شيدها من الناحية Ethnologically الإثنية؛ مجموعة من الجند الليبيين والرومان المسرحين من خدمة حدود بلدية لبتيس مانيا Leptis Magna لبدنة الكبرى. ومن هناك تم توجيههم خلال القرن 2م إلى الجنوب الشرقي

لتشييد مدينة حدودية حملت اسم Ghirza بين الحصنين الرومانيين: حصن أبونجيم وحصن القريات الغربية. لتشكل بذلك مركزا حدوديا حيويا للاتصال بساحل منطقة تريبوليتانيا. فظهرت بمثابة إقطاعية عسكرية للجنود المسرحين من الخدمة العسكرية. وسط هذا المناخ السياسي، فُرى كتاب الحضارة من أوله، ثم أُغلق معلنا عن انطلاق حالات الاضطرابات الواسعة والتي شهدتها المنطقة منذ بدايات القرن الرابع، وصولا إلى ثلاثينيات القرن السادس للميلاد. أي منذ غزوات القبائل المحلية ضد المدن منذ القرن 4م، وحتى حملات بيزنطة (Procopii, XX III, p 26) التي شهدت الاستقرار في عهد جوستينيان بالقرن 6م. وانطباعنا حول هذه القضية لن يكون مجرد تخمينات. بل إننا نحس والحس التاريخي يقودنا إلى النصف الآخر من الفرضية، والذي يدعو إلى التفكير في أن حيوية وازدهار المدن الخمس بالساحل الشرقي، والمدن الثلاث الكبرى في الساحل الغربي، كان مرتبطا بوجود الوافد على الأرض!. متى رحل هذا الوافد، خلت الحضارة على عروشها من بعده، وتحولت المدن البحرية الكلاسيكية العتيقة إلى مجرد أطلال وأثار. وكانت هذه الأحداث التي منحتها شكلها التاريخي والنهائي.

إننا نصادف هنا المدخل المباشر لأحداث بدايات العصر الوسيط. وبمحاولة البحث عن أفضل من شحّص طبوغرافية ليبيا خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، فإننا سنقف عند ما أمدنا به المؤرخ اللاهوتي Paulus Orosius الذي ولد بالقرن الرابع في مدينة Braga شمالي البرتغال، وتوفي بعد سنة 418م، وكان قد زار شخصا منطقة شمال أفريقيا حيث نزل بمدينة Hippo تحديدا (عبدالله، 2015، ص 268). ويهمنا ما عرضه Orosius حيال تقسيمات البلاد الليبية. وجاء في هذا الاطار ما يلي:

" المقاطعة التالية Next Province في إفريقيا Africa والتي سأصفها هي ليبيا Libya حيث توجد سيريناياكا Cyrenaica وبينطابوليس Pentapolis. تبدأ هذه المنطقة من مدينة Paraetionum بارايتونيوم وجبال Catabathmon كاتباثمون، والتي تمتد من خلالها إلى ما وراء البحر حتى تصل إلى مذابح فيلاني

The Altars Of The Philaeni في حين فإن المنطقة التي تقع خلفها، والتي تصل إلى المحيط الجنوبي، فهي مأهولة من قبل الشعب الليبي الإثيوبي القرمطي The Libyo-Ethiopian And Garamantian Peoples بينما تقع مصر من الشرق، والبحر الليبي The Libyan Sea من الشمال، وسيرتس الكبرى The Greater Syrtis وبلد Troglodytes التروغلوداي في الغرب " (Orosius, N.D, P 6). ولو قمنا بشرح هذا التقرير، فإن Cyrenaica وفي قراءات أخرى Κυρηναϊκής Cyrenaicus Cyrénaïque هي نفسها مقاطعة Pentapolis والتي ترد أيضا وفق هذه الصيغ Petapoleos Pentapoli Gyrénaique Cyrenis Cyrene Κυρήνη Kyrēnē أخذت الأولى اسمها من اسم Pentapolis Pentapolcos وأخذت الثانية اسمها من كلمة المدائن الخمس Πεντάπολις اليونانية . أما مدينة Paraetionium وجبال Catabathmon فهي كما يظهر لي مرارا مجرد أسماء أجنبية كغيرها من المسميات والتي يحمل بعضها معنى والأخر لا معنى له. وثمة بعض الشكوك في ظني حيال جبل Catabathmon والتي أظن بأنها هي نفسها الجبل الأخضر. أما The Altars Of The Philaeni هي الواقعة ما بين العقيلة وراس لانوف اليوم. أما المنطقة الواقعة إلى الخلف والمأهولة The Libyo-Ethiopian And Garamantian Peoples فهي بلاد فزان حيث تؤمها عناصر مختلفة مستقرة وبدوية رخالة من البربر والجرمنت والتوارق والتبو. The Libyan Sea من الشمال، هو المياه الإقليمية للسواحل الليبية والمتصلة بالمياه الإقليمية الإيطالية واليونانية. و The Greater Syrtis هي منطقة خليج سرت الكبير. أما بلد Troglodytes فهم سكان الكهوف في الجبل الغربي.

ويتابع المؤرخ اللاهوتي بولوس أروسيوس Paulus Orosius حديثه عن الجانب الآخر من البلاد الليبية، حيث مقاطعة طرابلس. فيقول: " يُطلق على The Province Of Tripolis مقاطعة تريبوليس أيضا اسم Subventana أو بلد Arzuges أرزوغيس. حيث يُطلق على هؤلاء الناس عموما اسمهم على

طول وعرض إفريقيا. في هذه المقاطعة تقع مدينة Leptis Magna لبتييس العظمى. مقاطعة تريبوليس  
Tripolis يحدها من الشرق مذابح Philaeni فيلايني التي تقع بين خليج سرتيس الكبير The Greater  
Syrtris وبلاد Troglodytes التروغلوداي. من الشمال يحد مقاطعة المدن الثلاث Tripolis البحر  
الصقلي Sicilian Sea أو بالأحرى عن طريق البحر الأدرياتيكي The Adriatic وسيرتس الصغرى  
Lesser Syrtris الواقعة من الغرب بجانب Byzacium بيزاكيوم حتى بحيرة ساليناى Salinae . وفي  
الجنوب تقع أراضي Barbaric Gaetuli غايتولي البربرية، و Nathabres ناثابريس، وقرمنت  
Garamantes التي تمتد أراضيهم حتى the Ethiopian Ocean المحيط الإثيوبي. " ( Orosius, N.D, p )  
6). يبدو حديث أروسيوس شبه واضح. إذا ما استثنينا اسم Subventana أو بلد Arzuges أرزوغيس!  
وهي أسماء لا يتردد صداها في بقية المصادر. مدينة Leptis Magna أو لبتييس العظمى، معروفة كأكبر  
مدينة ليبية وقتذاك. مذابح Philaeni فيلايني وخليج سرتيس الكبير The Greater Syrtris وبلاد  
Troglodytes التروغلوداي؛ مواضع سبق وأن شرحتها بالنص السابق. أما البحر الصقلي Sicilian Sea  
والبحر الأدرياتيكي The Adriatic فالأول بجنوب إيطاليا والثاني بشرقيها. وسيرتس الصغرى Lesser  
Syrtris هي خليج قابس اليوم. أما Byzacium بيزاكيوم فهي محافظة لاتينية اللفظ تقع بجنوب المقاطعة  
القرطاجية. وبالمثل فإن بحيرة ساليناى Salinae هي تسمية أجنبية ولعلها منطقة شط الجريد. أما أراضي  
Barbaric Gaetuli غايتولي البربرية، فهي التي تتصل بجبل نفوسة من جنوب القطر التونسي والشرق  
الجزائري. Nathabres ناثابريس: اسم مجهول ولا ذكر له في بقية المصادر. أما القرمنت Garamantes أو  
الجرميون أو الجرمنت، فهم العنصر الحيوي بمنطقة فزان. وكان نفوذهم واسعا لدرجة أن أعتبر أروسيوس  
بأن أراضيهم تصل حتى The Ethiopian Ocean المحيط الإثيوبي. أي سواحل الصومال والسودان  
وجنوبي البحر الأحمر حاليا.

## 2.1. اضطرابات ليبيا بداية العصر الوسيط

كانت ليبيا إذاً طيلة بدايات العصر الوسيط، تنقسم إلى مقاطعتين/إقليمين هما Pentapolis, Tripolis (Brubaker, 2011, P 19) بنطابُلوس أي منطقة المدن الخمس بشرقي ليبيا، وتريبوليس منطقة المدن الثلاث بغربها. وفعليا بدأت المحن تجاه سكان المدن الساحلية، منذ أواسط القرن 4م، وعلى يد القبائل التي سماها سكان المدن باسم Ausuri أوزوري و Avsturiani أسترياني، والتي بدأت في التحرك ضمن منطلقات قبلية ودينية وثنية ساهمت في تعزيز حدة الغارات على مجتمعات المدن البحرية. وهي غارات فتحت كمعركة الطريق لبقية التطورات. ولن نكون مضطرين للغوص في سلسلة من العلاقات المعقدة للربط بين هاتين الفئتين وبصورة لا يمكن الاعتماد عليها. غير أنه ثمة عشر سنوات كاملة من غارات قبائل الأوسترياني Austoriani البدوية، والتي كانت أول فكرة قد طرأت في ذهن رجالها هي المبادرة باستهداف المدن الساحلية ونهب مزارعها، وفي هذا الاتجاه، سيقع ارتباط الجميع بالنموذج الأوسترياني، القائم على نهب المدن الثرية. عند ذاك تكون الكارثة قد وقعت تماما على رؤوس سكان المدن البحرية؛ وسيكون عليهم أن يجربوا حظهم في تحمل أعباء الصراع المسلح وبمفردهم. فالأوسترياني Austoriani هذه القبيلة البدوية الكبرى في محيط مقاطعة Tripolitanae تريبوليتاني، تتهمها المصادر بارتكاب أكبر فضائع المنطقة. ودعونا نجرب أن نفحص المشكلة بعين مجردة، واستنادا إلى شهادات النصوص المصدرية. بداية يشير المؤرخ الأنطاكي المعاصر Ammianus Marcellinus أميانوس ماركيلينيوس [330-395م] فإن " الأوسترياني Austoriani وغيرها من قبائل المور Moorish tribes كانت قد هاجمت إفريقية بعنف أكثر مما هو معتاد " (Marcellinus, 1894, P 413). وقد أشار إلى الخراب الذي لحق بمحافظة طرابلس ونهاية سكان Leptis و Oea على يد قبائل Asturians (Marcellinus, 1894, P 467). وخلال سنوات 363 – 373م. باتت Leptis Magna وسكانها مع

Saprat ؛ ضمن أبرز المتضررين من الغارات القبلية. وخلال نفس الفترة، فإن Moorish Tribes قد تمردوا في عهد الإمبراطور Valens 364-378م وأعلنوا الثورة، فاندلعت بالتالي عدة معارك (Orosius,1981, P 338). وعلى الرغم من أن المعلومات شحيحة حول الظروف التي توقفت فيها العمليات العسكرية. إلا أن النتيجة هي دمار ونهب مدينة صبراته وجزء كبير من لبدة الكبرى. وهو أمر يثير التساؤل، ويبحث على الاعتقاد بمدى قوة انتشار القبائل المحلية وتقدمها من الدواخل باتجاه المراكز الساحلية، في طاقة متجددة وبجهود مضنية وحركة دؤوبة، تحت وطأة رموزها الوثنية التي حركت مشاعر الناس الأغلبية، وأهبت حماسهم خلال هذه الغارات والحروب الفتوية. داخل هذا الزقاق المسدود، وبذاك التوقيت الحرج، كانت الإمبراطورية الشرقية قد زودت المدن البحرية بكميات من العملة لدعم العمليات العسكرية الشاقة حول الأسوار. ولعل مصراته أو ( ثوباكتيس Thubactis ) والتي ترقى إلى درجة بلدية في أواخر العصر الروماني، تمتاز باحتوائها على أهم الكنوز التي أكتشفت في ليبيا على الإطلاق، ويمثل أكبر كنز من العملات الرومانية/البيزنطية، وهو الكنز الذي عثر عليه في منطقة الدافنية بغربي مصراته المدينة، بتاريخ 1981/2/17م، قيمته 100.000 قطعة عملة نقدية برونزية، عُثر عليها مخزنة في جرار كبيرة وصغيرة، ويعد الكشف أكبر كنز من العملة القديمة يُعثر عليه في العالم أجمع، إذ يبلغ وزنه ستة أطنان، ويؤرخ ما بين 294-333م، وأعتقد أنه كان مُرسل إلى قوات الإمبراطورية في إقليم المدن الثلاث، فمن المتوقع أن القيمة الضخمة قد تم إخفاءها خلال إحدى الأزمات، بعد أن كانت مرسله كإرسالية رواتب ومكافآت للجند، وصلت من روما أو نيقوميديا العاصمة الجديدة لشرق الإمبراطورية عبر مرفأ كيفالاي/مصراته البحرية. وذلك بالنظر إلى تاريخها العائد فيما بين سنوات 294 – 333م وهي عهد غاليريوس وماكسينتيوس وقسطنطين الكبير؛ مؤسس القسطنطينية كعاصمة أخيرة للدولة الإمبراطورية التي صارت بيزنطية الثقافة بشكل متزايد (ومع ذلك ظل السكان يشيرون إلى أنفسهم بأنهم رومان

Rohomaioi هالدون، 2011، ص 7؛ Kaldellis, N.D, P 201). يبق أن أشير إلى أن معروضات الكنز النقدي معروضة بمتحف مدينة مصراته/قوز التيك، وتُعرض أيضا جزء من مخزوناته في متحف السراي الحمراء بطرابلس، ولبدة الكبرى بالخمس.

ليس هناك ما يدعو إلى التركيز في هذا المقام على سياسات الأباطرة الرومان الشرقيين، السلبية تجاه ليبيا، والتي وصلت في ذلك الوقت إلى مرحلة حرجة من الفوضى والتوتر. غير أن ما يهمنا هو الاطلاع على شكل هذه الظروف الحرجة من الداخل، رغم أن الوثائق المتعلقة بهذا الشأن تعتبر هزيلة، ولا تسمح لي بإثبات المزيد من الحقائق/الشواهد في هذا الصدد. ومع ذلك فإن الفترة ما بين 390-410م قد شهدت حدوث غزوات جديدة ومدمرة قامت بها مجددا كل من: قبائل الأوسترياني Austuriani من دواخل القطر الطرابلسي حتى خليج سرتيس الكبرى Syrtes Magna مع قبيلة المازيس Mazices من ضواحي ولاية إفريقية. حيث تحركت مجموعات منهم لنهب المدن الساحلية والتي باتت جميع ضواحيها على نحو خاص، تحت تصرفهم. في ضوء هذا الواقع، أضحى سكان لبتيس الكبرى مع صبراته من جديد؛ فضلا عن قورينا والمدن الخمس؛ هم أبرز المتضررين، وأكثرهم قتلى ومفقودين من غارات قبلية حلت بساكنة المدينة والتي خلت مؤسساتها كما يظهر من وجود أي حاميات دفاعية، الأمر الذي يمكن اعتباره مؤشرا على نظام مؤسساتي هش. وتحت هذه الظروف أدار مسؤولو المقاطعة ظهرهم للواقع، لكي يسجلوا واقعا سواه، وهو واقع كان بوسعهم فيه أن يشاهدوا وعن كتب انهيار أسوار مدتهم ومؤسساتهم. ويعاد فتح الباب مرة أخرى أمام كل سبب ممكن لأعمال العنف وسفك الدم. ويمكننا التماس هذه المحن في أكثر من وثيقة؛ أحداها رسالة موثقة بالديوان البيزنطي/الروماني. وكان العثور على الرسالة قد وضع حدا لكل جدال. فخلال غزو القبيلة التي سماها سكان المدن بأسترياني، والتي صقلت التجارب من شخصيتهم، يقول المؤرخ العسكري الأنطاكي Ammianus Marcellinus أميانوس ماركيلينيوس [330-

395م]: " دعونا ننتقل الآن إلى ربع آخر من العالم، والمضي قدما في ربط محن طرابلس The Distresses Of Tripoli بمقاطعة إفريقية؛ حيث يؤمني - في رأيي - حتى العدالة نفسها يجب أن ترثي لها ولحالتها! تلك المحنة والتي استعرت بسرعة مثل النيران في الهشيم!. سأقدم الآن التقرير وفقا للدواعي والأسباب. فالأوسترياني Asturians هم البرابرة Barbarians المتصفون بالكذب على حدود هذه المقاطعة (تريبولي)، وهؤلاء الناس هم دائما في حالة استعداد للغزو السريع، وقد اعتادوا أن يعيشوا على النهب وسفك الدماء Bloodshed محادعين ومتآمرين، وهم كثر كالوحوش البرية المجنونة Mad Wild Beasts التي انطلقت في عهد الإمبراطور جوفيان. " (Marcellinus, 1894, P 496). وهؤلاء يقول Corippi بأنهم " قبائل أوستور Austur الواثقة في قوتها وشجاعتها في خوض غمار الحرب Fidens Et Fortis In Armis وهم ممن يقومون بتجميع إبلهم Camelis ليتخذوا منها أسوارا وحصونا وجدران Muros كما يحفرون الخنادق Fossasque. يجمعون ماشيتهم على أمل الإيقاع بخصومهم في شركهم ليسحقوهم في خضم الاضطراب الذي يصاب به الخصم. كما أن لديهم الكبش Aries وهو آلة حربية هائلة Infandi Machina Belli (Corippi, 1820, P 25).

في ضوء هذا الواقع، أضحي سكان لبتيس الكبرى مع صبراته من جديد؛ فضلا عن قورينا والمدن الخمس؛ هم أبرز المتضررين، وأكثرهم قتلى ومفقودين من غارات قبلية حلت بساكنة المدينة والتي حلت مؤسساتها كما يظهر من وجود أي حاميات دفاعية، الأمر الذي يمكن اعتباره مؤشرا على نظام مؤسساتي هش. وتحت هذه الظروف أدار مسؤولو المقاطعة ظهرهم للواقع، لكي يسجلوا واقعا سواه، وهو واقع كان يوسعهم فيه أن يشاهدوا وعن كتب انخيار أسوار مدتهم ومؤسساتهم. ويعاد فتح الباب مرة أخرى أمام كل سبب ممكن لأعمال العنف وسفك الدم. وبالاستناد على أقوال Johanna Malalas (هو مؤرخ إخباري أنطاكي سرياني، أنجز حولية سريانية كتبها بلكنة يونانية شعبية Treadgold, N.D, P 709) مؤرخ القرن

السادس [490-570م] فإن الوضع في القطر الطرابلسي قد بات مضطربا بعد انطلاق حرب المور/وهم البربر، ضد السكان الأفارق بالمدن البحرية/الساحلية، فيما سقطت أجزاء كبيرة من ضواحي وحقول المدن الكبرى الثلاث. وجاء في الحولية ما يلي: " شن Moors الحرب على Africans. فلقد استولوا على جزء كبير من أراضيهم، بما في ذلك المدينة المعروفة محليا باسم Tripolis و Leptoma و Sabatha و Byzakin ونقلوا الأسرى إلى الدواخل في مساحة كبيرة على مسيرة عشرة أيام. " ( Malalas, 1986, P ) .(269).

المؤرخ الأنطاكي العسكري Ammianus Marcellinus [330-395م] والذي يشار إلى أنه يتميز بالدقة والأمانة والموضوعية، قد شخّص الوضع أيضا حول مدينة لبتييس الكبرى، والتي يختفي السكان بداخلها وراء أسوارها التي لا يمكن اختراقها، أمام تقدم محاربي الأسترياني، ممن لا زالوا يعكسون رغبتهم في التقدم أكثر باتجاه المدينة العظمى. غير أن هذا الجنرال الذي يقود جيش نصف محترف، كانت لديه تطلعات مغايرة وشروط تعجيزية شكلت بدورها منعطفا حاسما أمام مصير شعب طرابلس بأكمله. وكان فيما يبدو لا يزال ينظر إلى مدينة لبدّة، من المنظار الذي كانت تنظر منه روما القديمة، والتي تراها سوقا إفريقية لا ينضب، ويذر سيلا لا ينقطع من حمولات الزيت والشعير والعبيد. وكانت مسألة استعانة Leptitanorum أو مواطنو لبتييس، بهذا الجنرال في عرض شعبي صاخب، قد ظهرت بمثابة حل مسموم أصاب جماعتهم في الموضوع المميت. يقول Marcellinus: " نظرا لخوف The Asturians من الاقتراب من مدينة Leptis التي كانت مدينة كبيرة السكان، ومحصنة بجدران قوية، فإنهم احتلوا ولمدة ثلاثة أيام الحي المجاور لها، وهو خصب للغاية، وتم ذبح السكان المزارعين هناك. لقد دفعت حالات الفرع والرهبنة السكان الريفيين للجوء إلى الكهوف، بينما حرق المهاجمون كمية كبيرة من الأثاث الذي لم يتمكنوا من حمله، وعادوا ديارهم محملين بنهب واسع. وقد أخذو معهم كسجين/أسير، رجل يدعى Silva وهو سيد

نبيل Principal Noble وجدوه مع عائلته في منزله الريفي . شعب لبتيس The People Of Leptis بات مرعوبا من هذه الكارثة المفاجئة التي حلت بهم، وسكان المدينة لا يرغبون في تحمل المزيد من المصائب والتهديدات التي أطلقها متغطرسو البرابرة فناشدوا حماية Count Eomanus الذي كان قد تمت ترقيته مؤخرا إلى سدة حكومة إفريقيا Government Of Africa ولكنه عندما جاء على رأس جيش، واستقبل طلبهم على أن يأتي إلى مساعدتهم الفورية، أعلن بأنه لن يتحرك خطوة واحدة، ما لم يوفر له سكان لبتيس Leptis جميع طلباته الوفيرة من الإمدادات! وأربعة آلاف من الإبل تُقدم لقواته. كان المواطنون البائسون أغبياء، وأعلنوا له أنه بعد الخراب والحرائق التي تعرضوا لها، ليس من الممكن لهم القيام بمثل هذا المجهود! وبعد انتظار أربعين يوما هناك، عادت الحملة أدراجها. وأصيب شعب طرابلس بخيبة أمل (Marcellinus, 1894, P 497). وكانت هذه الخيبة أشبه بإعلان من الطرابلسيين جميعهم بأن عصرهم قد انتهى. وأنهم يقفون مع نساءهم وأطفالهم على مفترق طرق.

بالنتيجة، ضرب الأسترياني حصارا ناجحا على لبدّة سنة 363م، وخرّبوا مزارعها وقنواتها المائية وآبارها. وخلال سنة 395م عاد الأسترياني لحصار لبدّة مجددا. وقبل أن يفريق أحد من دهشته فيما يفعله الأسترياني في نطاق بلدية لبتيس الكبرى، تتقدم بقية القبائل البدوية في مناطق الدواخل، لكي تفاجئ سكان المدن جميعهم في معركة استنزاف طويلة انتهت بتخريب أسوار جرمة نفسها سنة 395م. وبعد أربع سنوات كان الأستورياني قد فرغوا من لبدّة، واتجهوا نحو مدينة طرابلس سنة 399م، في ما بدا بمثابة محاولة لتنفيذ خطة ترمي إلى تدميرها قبل نهاية آخر عام من القرن الرابع (النيهوم وآخرون، 1977، ص 205).

على الجانب الآخر من شرقي البلاد، أعتمد هنا في دراسة ظروف منطقة البيضا بوليس، خلال بدايات العصر الوسيط/القرن الرابع للميلاد، على ما كتبه الفيلسوف الليبي يوناني الأصل: Synesius Of Cyrene وهو واحد من مثقفي أواخر القرن الرابع، ومطلع القرن الخامس، ممن أثروا البلاغة والأدب، وهو

بلاغي وفيلسوف ينتمي إلى A Neoplatonic وتحديدًا School Of Hypatia (Munarini, 2019, P 76). المصرية. وقد أنجز أكثر من 150 رسالة، خلال الفترة من 365-413م، حوت على بعض من الخطب التي ألقاها في مدن وريف المدن الخمس/البيزنطابوليس *Οι Πέντε Πόλεις* بشرقى ليبيا. وبالإضافة إلى ذلك، أَلَّف Synesius بعض القصائد والأعمال الفلسفية، من بينها *De Providentia* عن العناية الإلهية، وعن الملوكية *Deregno*، وعن الأحلام، (حزاوي، 2014، ص 5). وعن الفيلسوف الروماني Dio Cocceianus (Cocceianus, 1965, P 7). وأيضا رواية *The Hellene* (Synesius, 1901, P 1). وبالعودة إلى رسائله، يجربنا في الرسالة 74 تلك الموجهة إلى شقيقه *Pjiycus* يقول Synesius: " أنا فأمططي منذ الفجر صهوة جوادي، واستكشف السهل بحثا عن هؤلاء اللصوص/قطاع الطرق والعتور على أثر الماشية التي نهبوها، ولأني لا أستطيع أن أطلق صفة الأعداء والخصوم على هؤلاء النهابين اللصوص . لأنهم لا يواجهون خصومهم المسلحين! بل يفرون من الأقوياء، ولا يهاجمون سوى الضعفاء. وعلينا أن نحارب لأجل أن نغلب أو نموت! " (Synesios, 1870, P 20.21) وفي ذلك الموضع يقول الفيلسوف سينييسيوس: " عندما وصل Marcellinus إلى هنا، وجد مدنا محتلة من قبل *Barbares* بسبب كثرتهم، وبسبب قلة القوات المدربة لدينا، وشعور قياداتها بالهزيمة. " (Synesios, 1870, P 218) وبالعودة إلى رسائله، يجربنا في الرسالة 74 تلك الموجهة إلى شقيقه *Pjiycus* الذي يرى بأنه قد ارتكب بعض حماقات، يقول سينييسيوس: " نسمح للنساء بالصراخ والعيول، والاصطدام ببعضهن، ولطم صدورهن، ونزع شعورهن، عندما يصلهن نبأ وصول العدو! ... وقد يُغفر لهن هذا الذنب، مع أن أفلاطون *Platon* لا يجيزه، بقوله (افتقار النساء للشجاعة، يوهم الآخرين بالجبن، لأنهن كالدجاجات لا يعرفن كيف يواجهن الأخطار/ويدافعن عن صغارهن!) أما أن تكون جبانًا مثل النساء وتحاف الليل! تففز من سريرك خائفا من وصول الأعداء، لتصرخ بأن البرابرة على الأبواب!! وهذا

ما رواه الآخرون عنك. فهذا أمر مخجل عن شقيق جبان!؟. أما أنا فأمتطي منذ الفجر صهوة جوادي، واستكشف السهل بحثا عن هؤلاء اللصوص/قطاع الطرق والعتور على أثر الماشية التي نهبوها، ولأني لا أستطيع أن أطلق صفة الأعداء والخصوم على هؤلاء النهابين اللصوص . لأنهم لا يواجهون خصومهم المسلحين! بل يفرون من الأقوياء، ولا يهاجمون سوى الضعفاء. يهاجمون فقط المدنيين العزل، ليذبحوهم كالخراف، ويسرقون حاجياتهم. لذلك أنا أقوم خلال الليل مع بعض الفتيان بدورية ليلية حول الجبل، لكي نعطي فرصة للنساء لينمن في هدوء وراحة ودون خوف، وهن يعرفن أننا نسهر لأجل راحتهن. أنا أقوم بهذا العمل مع بعض الفتيان من بلغراي Balagrites وهم يملكون الأقواس ويركبون الخيول، غير أن ريالوس Réalius الذي تولى أمور المنطقة، كان قد جردهم من خيولهم، وابتوا مشاة، ولكنهم لازالوا يقدمون خدمات جلييلة حتى وهم مشاة، وسهامهم مفيدة جدا. وعلينا أن نحارب لأجل أن نغلب/نتصير أو نموت! " (Synesios, 1870, P 20.21).

الغزوات العنيفة والمدمرة كانت قد انطلقت من الداخل، مثل غزوات قبائل Austuriani و Mazice من ضواحي ولاية إفريقية، في شكل من أشكال الاتحادات القبلية The Tribal Confederations لقبائل البربر (Pickett, N.D, P 114). والذين تحركت مجموعات مهاجمة منهم، كما وثق سيرتهم الأسقف الفيلسوف القوريني Synésios في أواخر القرن الرابع الميلادي؛ بعد أن أظهر نشاطا في دفاعه عن مدينته القورينية (Bates, 1914, P 237) قائلا: " لا شيء يستحق التشريف والتقدير في Pentapole أكثر من جنود Unnigardes أنهم رجال شجعان وأفضل من غيرهم من العسكريين. وخلال اثنين أو ثلاث من المعارك استطاع 40 جنديا من Unnigardes هزيمة ودحر عدد كبير من البربر، الذين نادرا ما يقاتلون وجها لوجه .. بلّغ الإمبراطور طليبي الآخر، من خلال رسالتي، وباسمي أن يضيف مائة وستون جنديا لقوة Unnigardes المكونة من 40 جنديا، وبعون الله يكون العدد كافيا، لنهاية حرب قبائل Austuriani.. "

(Synesios, 1870, P 188). وكانت القبائل البربرية المستقلة كما يرى Timothy تقطن الجبال - بالإضافة إلى الصحراء - ولكن مع بداية العصر الوسيط وفي ظل تراجع السلطة الرومانية، بدأت في التحرك شمال إلى داخل السهل الساحلي الخصب (Gregory, 2010, P 121) وبحسب ما يفيد به Ermatinger فقد هاجم Desert Marauders المدن الرومانية الساحلية في ليبيا، خاصة بعد ستينيات القرن الرابع، وحتى القرن الخامس للميلاد (Ermatinger, 2004, P 42).

في سياق متصل، ولطرح علاقة تثير التساؤل؛ أرى أن مشكلة محافظة تريبوليس Tripolis ومقاطعة بينتابوليس Pentapolis تكمن في عدم وجود قوة من الجيش النظامي لحمايتها، مع عجز سكانها/أبنائها عن حمايتها، بات هذه الحواضر لقمة سائغة أمام حتى أقوام بدوية لا تمتلك أية معدات قتالية سوى سيوف صدئة مربوطة بجمال، فكيف نتصور الوضع إذا ما تعرضت المقاطعتان إلى غزو رسمي/نظامي، من دول كبرى؟! لا شك أنها كانت ستتهار منذ أول ضربة منجنيق!. لقد كانت الظروف مربية إلى حد لا يبعث على الاطمئنان. ففي إحدى رسائله عن غزو قبائل البربر لقورينا، وسبيهم النساء وخطفهم الأطفال بعد مقتل الرجال الذين غالبا ما يقول سينييسيوس بأنهم مدنيين عزل أو فلاحين. يقول سينييسيوس القوريني: " أكتب ببالغ الحزن هذه الأخبار السيئة لتعلموها. لقد نهب العدو Battia وهدد

Aprosyliis لقد أحرق المحصول ودمر الريف، أخذ النساء سبايا، وربع الرجال. وكان هناك وقت لم يخطف فيه البرابر سوى الأطفال الصغار؛ لم يفعلوا ذلك بعد الآن. إنه تقاعسنا. لا أحد منا يتحرك. دعنا ننتظر جنودنا؟! دعهم يدافعون عنا من بلاء البرابرة؟! اركضوا إلى العدو: أنقذوا أطفالنا نساءنا بلدنا جنودنا أنفسهم! .. أنا أركب جوادي. هنا شعبي، جيشي: القادة والجنود، كل شيء مرتجل والجميع يحتشد. سيتم تشكيل هيئة كبيرة في ولدي اجتماع مجموعة Soestes في Cléopatra ضجيج قواتنا القادمة ينتشر، والعديد من المتطوعين ينضمون؛ سوف يركضون من كل الجهات. " (Synesios, 1870, P 30).

يقول الفيلسوف الليبي يوناني الأصل، Synesius Of Cyrene (Nicol, 1887, P 5) في رد أرسله ضمن الخطاب التاسع عشر، موجهها إلى شقيقه في Piigyus مشيرا إلى أن " الاستعدادات النهائية تجري على قدم وساق، أراك غدا لشن المعركة، لديّ بالفعل ثلاثمائة رمح والعديد من السيوف، أما السيوف ذو الحدين، فليس لدي أكثر من عشرة سيوف: لأن هذا النوع من السيوف ذات النصلين لا يُصنع في ديارنا!. وهذه الأسلحة المستطيلة الرائعة. سوف نستخدمها إذا لزم الأمر، سنُبقى جماهيرنا في حالة جيدة. لأن هناك الكثير من أشجار الزيتون البرية هنا، وأكثر من ذلك هي جميلة، ويمكن استعمالها كعصي غليظة/قوية لسحق جماجم الأعداء. الكثير منا يحمل فأس وهذه الفؤوس تصلح لكسر كل دروع العدو. كنا في السابق من دون أسلحة، أما الآن فاللعبة تجري على قدم المساواة. والبرابر باتو يرفضون الاشتباك بنا. وقد فوجئت فرق استطلاعنا بعصاية منهم، ولكنهم لزموا أماكنهم، ولم ينسحبوا إلى الصحراء، وهذا في صالحنا، ليوفر علينا مطاردتهم بعيدا عن بلدنا، وفي أماكن مفتوحة مثل الصحراء الهائلة التي هي ملاذهم الذي يخبئون فيه. نحن رجال لم نتردد في ترك بيوتنا لأجل محاربة هذه القبائل البدوية الرحالة والمعتادة على العيش في كل مكان. أوصيك بأولادي، فأنت عمهم، كن والدهم وأحسن إليهم بعطفك. " (Synesios, 1870, P 30).

في الإطار ذاته، سنلاحظ أيضا بأن قبائل الأيزوري Isaurians المثيرة للضجة قد قامت بشن غزوات وغارات نهب عنيفة، معركة تسبق معركة، وجبهة تفتح جبهة، أدت بالنتيجة إلى زوال كثير من معالم ازدهار قورينا Kyrēnē (فرانسوا شامو، إقليم قورينا خلال العهد الملكي الباطني، 1990) بسكانها ومبانيها وأسواقها ومسرحها وحماتها، مع افتعال أي كارثة أخرى تخطر بالبال. لقد غدت غزوات Isaurians هي الضربات الأخيرة في نعش قورينا. تحت ظروف مواتية من هذا النوع، لم يكن يملك المواطن ثمة ما يفعله سوى أن يفر بعياله ويقودهم كالخراف من باب إلى آخر، أو يتحصن معهم وراء ما تبقى من المتاريس

والجدران. ومع ذلك، لا يبدو بأن المدن الأخرى قد تعرضت إلى الدمار أو الفناء البشري. غير أن مدينة قورينا بالذات، قد وصفت في سياق القرن 4م بأنها مدينة مهجورة إلى حد لا يطاق، وذلك قياسا بما يرد في حولية Ammianus Marcellinus أميانوس ماركيلينيوس [330-395م] والتي جاء فيها ما يلي: " في ليبيا، تقع بينطابوليس Pentapolis حيث مدينة Gyrene وهي مدينة ذات تاريخ عتيق Antiquity من العصور القديمة وعظيم، ولكنها مهجورة الآن، وقد أسسها باتوس الأسبرطي Battus The Spartan ثم تأتي مدينة Ptolemais و Arsinoe المعروفة أيضا باسم Teuohira و Darnis و Berenice والتي تسمى أيضا Hesperides (Marcellinus, 1894, P 312) والمقصد من اسم مدينة Gyrene هي Cyrene وهي قسبة المدن اليونانية في الشرق الليبي. أما Ptolemais فهي طلميثة الآن، و Arsinoe أو Teuohira هي توكره الآن. Darnis هي درنة. و Berenice أو Hesperides فهي في موضع بنغازي الحالية.

وبحسب ما يفيد به Ermatinger فقد هاجم لصوص الصحراء Desert Marauders المدن الرومانية Roman Cities الساحلية في ليبيا، خاصة بعد ستينيات القرن الرابع، وحتى القرن الخامس للميلاد. (Ermatinger, 2004, P 42) لكن سينييسيوس القوريني، هو أحد شهود العيان على الكوارث التي وقعت في هذا الإقليم، وهو شخصا مجرد شاهد صاحب على غياب الأمن والاستقرار والنظام، يقول سنة 366م وفي محاولة قاسية لتبرير واقع أكثر قسوة، بأن " عصابات من قبيلة أزوري Ausuri قد انتشرت في ذلك الإقليم في نفس القرن، كان عدد هؤلاء كبيرا جدا .. وقد أصبح كل شيء فريسة لغزواتهم، فقاموا بنهب وسلب المدن والمعابد، ولم يذخر جشعهم حتى قبور الأموات، كانت النسوة المولولة الناحبة يركضن ليلا خارج البيوت، ويلذن بالغابات ... الأرياف وقعت هي الأخرى فريسة سهلة لألسنة اللهب، أما قطعان الغنم، فمنها ما نفق .. ومنها ما تم اقتياده مع السكان من الجنسين؛ كعبيد وسبايا إلى أعماق الصحراء. " (باشو، 1999، ص 289).

وخلال سنة 366م، كان ثمة مجموعات كبيرة من قبيلة يسميها سكان المدائن الخمس باسم: أزوري Ausuri قد انتشرت في الإقليم، عدد هؤلاء كبيرا جدا، وكانوا يمارسون السبي والنهب والغارات قادمين من أعماق الصحراء. (باشو، 1999، ص 289). وكانت الصحراء بحر مجهول من الرمل، لا يجرؤ أحد على عبوره ناهيك عن الإقامة فيه. وسط هذا الجو غير المبهج، أشار المؤرخ الأنطاكي العسكري Ammianus Marcellinus [330-395م] والتميز بالدقة والأمانة والموضوعية، إلى قبيلة الإزوري Isaurians الماورية، ووصف بأن تصدع الإمبراطورية الرومانية يجري بسبب تمرد القبائل والشعوب ضد المدن الرومانية، الأمر الذي جعل السلطة غير قادرة على التحرك في عالم أصبح مضطربا، خصوصا وأنها كانت متورطة في حروب مضنية على هذه الجبهات النشطة. قائلا: " قبائل ماورية Moorish Tribes تخرب أفريقية، ويقوم الإمبراطور فالنيز Valens بفحص توغلات قبيلة الإزوري Isaurians من دون تحقيق شيء! فضياع الكثير من الأقاليم في بريطانيا بعد اجتياح أقوام البكتس والتاكوت والسكوتش Picts, Attacotti, And Scots للجزيرة البريطانية ومقتل الدوق الروماني هناك. فضلا عن أن الحرب ضد القبائل الجرمانية على حوض الراين، والصراع مع الفرس على أرمينيا؛ يزيد من حدة التوتر. " ( Marcellinus, ) 453 P, 1894).

غير أن هذه المدائن والإقليم بأسره كان قد عانى كثيرا من إهمال الأباطرة الرومان، فالثابت أن ازدهار المدن الخمس بالساحل الشرقي، والمدن الثلاث الكبرى في الساحل الغربي، كان مرتبطا بوجود الوافد على الأرض!. فهو في الواقع كان مصدر الحضارة الفياضة في تلك العصور الغابرة، وأعني بهم الفينيقيون والإغريق ثم الرومان. وقد عرفت المنطقة فضلا عن الغزوات الداخلية، موجات من الزلازل والطاعون والحرائق في الفترة العصبية من القرن الرابع والخامس. ثمة أيضا اضمحلالا سياسيا ونيويا، عرفته المنطقة تمثل بوضوح منذ القرن الخامس، على عصر الإمبراطور أركاديوس، الذي كان منشغلا بتنمية الكيان

البيزنطي في الشرق، مع تباعد روما المنهارة، والانقسامات الدينية التي عرفتها أرجاء الإمبراطورية في بداية العصور الوسطى. إهمال الرومان لسيريناياكا، حدا بالحضارة إلى أن تنطوي على ذاتها، فتحيط نفسها بالقلع والحصون والسراديب والأنفاق والملاجئ، التي لا يزال بعضها موجودا إلى اليوم (باشو، 1999، ص 289). إن المحن المتتالية صوب قورينا، أفضت بها وبسكانها ومعمارها إلى التشتت والفناء في نهاية المطاف، حتى دَوّن ديلا تشيلا (Della Cella, 1819, P 89) ملاحظته عن بقايا الأعمدة والأسوار والأطلال! أما البشر الذين توفوا بها في عصور أسبق، فقد ظلت مراقدهم تمثل " مجموعة كبيرة من المقابر التي تسكنها أسراب لا حصر لها من الحمام البري " (Della Cella, 1968, P 64).

وعلى الرغم من أن فهمنا لا يزال قاصرا لسير الأحداث الداخلية، غير أنه وفيما يظهر، لم يكن لدى سلطات المدن أية بُنية للجيش، ولم يكن لديهم أية جنود محترفين من المشاة، أو مهاجمين مدرعين، أو فرسان من ذوي مؤهلات خاصة، وكل ما يرتبط بالمواهب العسكرية، والتقاليد الفروسية، ومعايير البنية البدنية والنباهة والاستجابة والنبوغ العسكري والكفاءة الميدانية، وغيرها من الخصائص والمؤهلات، ولعل هذه المزايا قد تضاءلت منذ انسحاب آخر الفيالق الرومية المنظمة، وأهما فيلق أوغسطا الثالث Augustae Tertium Corps منذ عام 253م. وكان الفيلسوف القوريني سينيوسوس، قد بادر - كما رأينا - بالتنبيه إلى هذه المشكلة الملحة، غير أنه لم تكن لديه فكرة محددة في هذا الشأن. وبالمثل كان محاربي القبائل يفتقرون إلى هذه الخصائص. وسنلاحظ أن كليهما كان أكثر حساسية تجاه هذه المسألة.

في السياق ذاته، لم يكن ثمة تطوير لتكنولوجيات/تقنيات، جديدة مثل العجلات والعربات وآلات الدك وغيرها. غير أن قبائل الأسترياني وبعد مائة سنة من التجربة والخطأ، قد صارت تمتلك حسب الشواهد التاريخية عربية مجرورة لدك الأسوار. وهي أداة حربية لا تختلف في شيء، ولا تقل في شيء عن تلك العربات المدرعة التي تقودها روما الجديدة أو بيزنطة لصدم أسوار المدن المحصنة. الأسترياني

Avsturiani والتي يدعوها كوريبو في القرن 6م باسم قبائل أوستور Austur ينوّه خلال القرن المذكور؛ بأنها تمتلك العربة الحربية المعروفة باسم الكبش، أو كما يذكرها باللاتينية الإفريقية باسم Aries وهي التي تقوم بافتعال ثغرات داخل جدران المدن المحصنة. يقول كوريبو: " قبائل أوستور Austur الواثقة في قوتها وشجاعتها في خوض غمار الحرب Fidens Et Fortis In Armis وهم ممن يقومون بتجميع إبلهم Camelis ليتخذوا منها أسوارا وحصونا وجدران Muros كما يحفرون الخنادق Fossasque يجمعون ماشيتهم على أمل الإيقاع بخصومهم في شركهم ليسحقوهم في خضم الاضطراب الذي يصاب به الخصم. كما أن لديهم الكبش Aries وهو آلة حربية هائلة Infandi Machina Belli ( Corippi, ) (1820, P 25).

ما تجهله السلطات ومصادرنا أن طربي النزاع في ليبيا لم يكن لدى أي منهما أية فصائل من ذوي مؤهلات عسكرية خاصة، أو معدات عسكرية ناجعة وفعالة، الأمر الذي اضطرهم في بعض الظروف إلى التراجع نصف طائعين. وفي الوقت الذي لم يكن يملك فيه شعب إقليم طرابلس، أية موارد دفاعية، الأمر الذي اضطرهم - كما تفيد الإشارات السابقة - إلى طلب الدعم من الإمبراطورية الرومانية خلال القرن 4م، والتي ستظهر خلال القرن 6م في المصادر بمثابة حرب عادلة وضرورية لنشر الحضارة وفرض القانون؛ فإن شعب بينطابوليس - والذين كانوا يطرحون موقفهم كمشكلة خاصة في برقه - لم يكن لديهم سوى بضعة جنود من اليونيقارد Unnigardes وهؤلاء يقول وسنلحظ بأن سينييسيوس قد انتبه إلى هذه المسألة في سياق إشارته إلى هؤلاء العناصر الخاصة، قائلا بأنهم: " رجال شجعان وأفضل من غيرهم من العسكريين. غير أن القيمة البشرية/الزيادة العددية في نهاية المطاف، كانت في صالح القبائل. مع الأخذ في الاعتبار بأن التفوق العددي من دون عزيمة وقناعة وإمكانات عسكرية يفقد معناه.

علاوة على ذلك، كانت القبائل المحلية تمتلك قطعانا من الإبل، تتحرك بها خلال مواسمها السلمية والحربية. ولعله من المدهش حقا وفق هذا الطرح، أن ندعو القبائل المحلية باسم القبائل الجمّالة، وهي ليست مجرد صفة عابرة من وحي الظروف، بل في الواقع؛ هي وصف صريح لطبيعة نمط المعيشة البربري المحافظ غير المختلط بغيره، والذي يغلب عليه الطابع الريفي أو البدوي الجمّال، والذي يستعمل معظم أفراد الإبل - كما سنرى لاحقا - حتى خلال عمليات الحماية والتحصين. ومن المؤكد أن الوعي بضرورة الحرب الطبقيّة ذات الاختلاف النمطي، وفي جو حماسي يلهب المشاعر، كان يولد تقاربا بين مختلف الأطراف القبليّة.

وعلى هذا الأساس من المحتمل أن القبائل المسماة Ausuri أوزوري؛ أو من سماهم سينييسيوس بالNomades أي البدو الرحل، قد كانوا يستعملون الإبل في تنقلاتهم وغزواتهم باعتبارهم من سكان الصحراء، شأنهم في ذلك شأن قبائل أسترياني Austurians وليوثاي/لواتة Leuathae وبقية القبائل بالريف والجبل والصحراء ممن كانت تعتمد على تربية الإبل. وكان هذا الأسلوب أيضا من تكتيكات القائد الجبلي كاباون Cabaun الذي قاد التكتل اللواتي Languantan في القرن 5م، وهؤلاء سيتحولون خلال القرن اللاحق إلى مصدر دائم للتمرد. والتصورات التي تتوفر لدي حول التكتيك الجمّال، تشير لي بأن الأمراء البربر، كانوا قد انتهجوا النمط ذاته في تأسيس نظامهم الاجتماعي، فتنبوا هذه التكتيكات، وورثوها، كنماذج لإدارة وتوجيه التحالفات القبليّة خلال أوقات السلم والحرب معا.

وأود لفت النظر هنا إلى أن النمط البدوي الجمّال الذي اكتسب ديناميكية حياة السكان المحليين منذ العصور القديمة إلى عصور لاحقة، قد عرض البلد إلى صدمات اجتماعية غير مأمونة النتائج. وفي الاطار ذاته، أعتقد أن اعتبار غزوات القبائل البدوية تجاه سكان المدن الساحلية: إقليم المدن الخمس Pentapolis في شرق البلد، والمدن الثلاث Tripolis في الغرب. بمثابة حربٍ وطنية لأجل طرد المحتلين

الأجانب، قول قد يكون صحيح نسبيا ولكنه يخلو من الدقة وسعة الأفق!. فالوفادين الأجانب في الواقع، لم يحتلوا المدن الليبية Libycas Urbes حيث كانوا يقيمون هم بأنفسهم! بل هم أساسا من أقامها وشيدها! وأظهرها إلى الوجود. كما إن الحدود والهويات والأوطان الثابتة لم تكن موجودة بين كثير من الشعوب وتلك العصور التي تشهد سيول مستمرة من الهجرات. الوطن وحدوده في ليبيا إذا مسألة لا وجود لها في الوعي القبلي، خصوصا في مجتمعات قبلية، معظمها يعيش نمطا بدويا لم يترك فيه سوى اسمه. بحيث لم تترك القبائل المحلية والتي عاشت نمطا بدويا أو بدائيا أية مدائن تخصصها أو فنون وعلوم، أو مدارس ومسارح وحمامات، أو أسوار وحصون، أو رايات وأعلام، أو دواوين ومؤلفات، ولا حتى عملة نقدية واحدة، ولا حتى مقبرة واحدة، باستثناء مقابر الجرمنت Garamantes وهم شعب مختلف بصفته عنصرا نشطا حضريا ومستقرا. تلك المزايم والأفكار/الافتراضات والتي تضع حروب قبائل الدواخل تجاه المدن البحرية في ليبيا، في خانة حروب التحرير، تتجاهل في الحقيقة طبيعة الصراع الطبقي والثقافي الدائم على جبهة البلاد الليبية، ما بين البدو في الدواخل، والحضر على السواحل. وكلاهما يناقض الآخر تناقضا صارخا. إننا بالمناسبة قد نتعرض هنا إلى نقاش جدلي حاد، فدعونا نجرب حظنا في اختيار طاولة أفضل للنقاش، ولنبدأ بتفهم أن القبائل البدوية تحيا على مفهوم ثلوث الغارة والغنيمة والقبيلة، وأنها لا تعيش مستقرة في موضع واحد، ولا تجيد سوى صناعة الأساسيات البسيطة كبعض الأغذية والسلال، فلقد كان المواطن البربري البدوي، يركض حافيا في عباءة ممزقة تحت حكم القبائل الجمالة، التي ليس في حوزتها معمل نسيج واحد!. ولهذا يلجأ قطاع الطرق بمختلف القبائل إلى سد نقص حاجتهم بإطلاق عنان المغازي والغارات القبلية، تماما كما يفعل القراصنة على البحر. ومن الجيد أن نستوعب أيضا بأن الصراع الثقافي بين مكونات البلاد الليبية؛ هو نزاع طبقي أزمي يمنحه على الرض إطارا تقليديا لا يحتمل التعديل، بحيث سنلاحظ بأنه لا زال مستمرا حتى عصرنا هذا، متسببب أصحابه وبوعي منهم أو دون وعي؛ في

تعكير صفو المزاج العام، وكانت تلك المسألة تقف كحجر عثرة في طريق السلام. فقد أسهم هذا الصراع في أوقات مختلفة وبشكل فعال في زعزعة الاستقرار، وإحداث عمليات واسعة من النهب والسلب وتدمير المنشآت والمؤسسات.

ومن خلال عديد الشهادات المصدرية تظهر تأكيدات على أن غارات محاربي القبائل على المدن الوحيدة في ليبيا كانت بهدف سلب الممتلكات ونهب الذخائر، وسي النساء والأطفال. فالفيلسوف الليبي اليوناني سينييسيوس القوريني، وبعد أن يغالب الخيبة بالرجاء، يصفهم: باللصوص النهابون. ولست أدري بالضبط عما إذا كان هذا المؤرخ الليبي اليوناني، سليط اللسان، قد التزم سلفا بأن يكتب تاريخا تسجيليا منحازا، لا يرى الأحداث فيه من واقع الناس، بل من واقع الفلسفة والحضارة، وهي زاوية قد تكون شديدة الانحراف. لكن الشاعر البونيقي/الإفريقي: فلافيوس كوريبوس Flavius Corippus وهو من بقايا نسل فينيقيو قرطاج، والذين يسميهم بالآباء والأجداد، يطرح شهادة لا تختلف عن سابقه. حيث يبدو المشهد لكليهما ماثلا تقريبا، فحتم تجربته الرهيبة مع مغامري القبائل بأشعار من اليوحانية، يقول فيها وبوضوح: " لقد جاء الغرباء لنهب إرث طويل من تراث الأسلاف Diuitias Longa ونهب ثروة الآباء Opum Parentum وسلب الفاكهة Fructus والمال والفضة Argentum والمعادن Metallum والصناديق Arca والملابس Uestesque ومقتنيات العائلات من موارد ومخلفات الأجداد Opum Parentum القيّمة!". (Corippi, 1820, P 49). وفي موضع آخر أشار فلافيوس كوريبوس Flavius Corippus إلى أن حرب القبائل المحلية ضد المدن الساحلية قد كانت لأجل حب الغنائم والمكاسب، والتعطش لخوض الحرب وسفك الدم والسلب والنهب. كل ذلك نتاج محبات/رغبات وحشية وقبيحة Amore Feri Turpisque وجشعة لأجل الربح Cupidine Lucri. (Corippi, 1820, P 27).

لكن كوريبوس في الواقع لم يحل شيء من أصل المشكلة. وذلك أمر لم يكن بوسع ناقد نحوي مثله أن يراه. ومع كل ذلك، فإن جميع هذه الأسباب المذكورة، والتي دفعت محاربي القبائل لشن حروبهم وغاراتهم المتواصلة تجاه المدن البحرية منذ أوائل العصر الوسيط، كانت تصيب خصومهم في أكثر من موقع مميت. وأدت بالتالي وتحت ظروف حرجة ومخجلة إلى حدوث سلسلة من النكبات التي غالباً ما طالت كلا الطرفين؛ فقد كانت ولازالت لدى الكثير من الباحثين غامضة جداً. غير أنه من اللافت للانتباه حقاً أن بعض البحاث لدينا، ليس في وسعهم رؤية هذه الحقائق المصدرية، في مقابل الكتابة تحت مظلة عاطفية، تخلو من الدقة والموضوعية، مما ينزع عنها صفة الأمانة في الطرح. ولكن هذه عادة تقليدية مألوفة بيننا، وقد تجاوزها العالم. ولا يزال باحثنا يواصل السير وحيداً، فلا تتركوه يذهب بعيداً جداً على أية حال! وليكن الله معنا جميعاً.

في اطار آخر، كانت الحياة المزدهرة فقط في المدن الساحلية، أما بقية البلد فقد كانت جافة محاطة بالقفار والرمل، لعله من الجيد فهم هذه الحقيقة، وهي حقيقة جوهرية لها دلالاتها، ولعل ذلك يمكننا من فهم قضية أن غزو المدن الوحيدة في ليبيا؛ كان بهدف سلب خيراتها ومقدراتها من طرف القبائل البدوية التي لا تملك قوت يومها، ولا تجيد صنع شيء، أو ابتكار شيء، ولا تزرع ولا تحصد شيء، ولا تمارس التجارة، ولا تتغذى بالفطرة والطبيعة سوى على ما تنهبه من الآخرين، وهي ظاهرة معروفة بين كثير من القبائل البدوية عبر التاريخ. ولن يكون هذا مجرد افتراض رديء. حتى وإن وجدنا في هذا الاطار مشقة في توعية بعض الباحثين والمتقنين والقراء بفكرة الوجود الطارئ لبعض القبائل الجواله المتنقلة، والتي لا تعرف معنى للمواطنة والاستقرار. فالإنسان البدوي إذا ما سأله عن كلمة وطن؟ سيحييك بأنه ذاك المكان الذي ينصب فيه خيامه، ويرعى فيه قطعان ماعزه وأغنامه، ثم يلهث من جديد وراء أول غيمة ماطرة. وهذا أحد أسرار ضعف التركيبة البشرية في ليبيا وتضاؤلها ديموغرافياً. لم يكن للقبائل المحلية التي عاشت

حياة بدوية بدائية، أي نمط حضري مستقر، عاشت من خلاله في نظام الدولة والحكومة والمدينة، ولم تكن بالتالي تعرف معنى المواطنة والدولة والاستقرار المدني، فعن أي وطن سنتحدث! وأي وطن هو ذلك الذي ستناضل القبائل البدوية بطرد الأجانب من أجله؟ وهي تعيش حياة مترحلة لا تعرف من خلالها أي معنى للمواطنة والاستقرار. ذلك تفسير باهت وغير دقيق. وهو مجرد صورة مقلوبة لشعار مغلوط. خصوصا وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن اليونانيون موجودون كمعمرين لمدن الشرق الليبي منذ أواسط الألف الأولى قبل الميلاد، هم مؤسسو ومصممو تلك المدن التي نراها اليوم آثار. وكانوا خلال بدايات العصور الوسطى قد بلغوا الألف سنة من الوجود في ليبيا. 1000 سنة هي رقم هائل، ولا معنى فيها للمحلي والوافد! خصوصا وأن الجميع وافدين وإن على مراحل. كما إنه ليس ثمة شعب قد سقط من عنان السماء بحسبه ونسبه، ومحاملا بعباداته وتقاليده المقدسة، ونحن في ليبيا بالذات، منغمسون حتى من أخصص قدمنا إلى أعلى رأسنا في خلطة هذه الفسيفساء الاجتماعية، وداخل اطار الثقافات التعددية والتقاليد الشعبية المستوردة؛ من سوريثنا اليونانية وطرحة جردنا الرومانية، وقميصنا وعمامتنا العربية، وشخصيرنا العثماني وفرملتنا البلقانية إلى طاقتنا الحمراء المصنوعة في تونس العثمانية أيضا. والمرء يستطيع أن يرى نتائج هذه اللعبة تدب مثل خنفساء عرجاء على طول مسيرة تراثنا السوسولوجي!. إن المؤرخ القرطاجي فلافيوس كوريبوس؛ وهو شاهد عيان، يطمح بالوقوف خلف قائد مقتدر، يتقد حماسه دينية وإرادة سياسية مثل إرادة جوستينيان؛ يعطينا وصفا دقيقا لمجريات الأمور، مختلطا ببعض الاصطلاحات المدهشة، ينعت فيها لواته وبقية القبائل المحلية المتحالفة معهم؛ بالقبائل المتوحشة، التي أصبح المسرح خلال القرن 6م معدا أمامهم إعدادا كافيا لإطلاق شرورهم كما يقول، وفتكهم بالرجال، ونفيهم للعائلات، واغتصابهم للنساء، وسلبهم المدائن الساحلية - لبددة وسكانها كانوا أكثر الهالكين - وإفنائهم لإفريقية وسط اللهب والدخان: " أصبح الجزء الثالث Tertia Pars من العالم، وهي أفريقيا تموت تحت

السنة الذهب Perit Africa Flammis وفي الوقت الذي كان فيه وميض إفريقية يجت، كان الأمير التقى المتدين Pius Princeps (جوستينيان) عازما في قرارة صدره، على إرسال زعيم Ductorem وقائد عسكري Ducum خبير حكيم ومحنك، إلى منطقتنا وشواطئنا. وكان القائد الأعلى Magistrum Militiae يوحنا Iohannes الذي كان بارعا في حروب بلاد فارس، متلهفا لضرب الخصوم والأعداء، وكانت لديه خطة مقبولة قوية وحكيمة. ويعتقد أنه قادر على التعامل مع الحيوانات من تلك الأمم البرية Feris Gentibus الوثنية ". (Corippi, 1820, P 27) بصرف النظر عن عبارات الشتم والذم والاحتقار الذي كان يديه الناقد النحوي grammatici الشاعر الإفريقي Poeta Africanus فلافيوس Flavius كريسكونيوس Cresconius كوريبوس Corippus والتي كانت نتاجا طبيعيا من الناحية النفسية لمواطن أديب يرى مُدنه ومدينته الأم على وجه الخصوص تُحاصر، ويرى العدو يهاجمه من كل جانب. إلا أنني مضطر من جانب آخر، للتعامل مع نصوصه بصفته نحوي إفريقي من سكان المدن الليبية، وينتمي إلى الثقافة القرطاجية التي يسميها بالصيداوية Sidoniis ويسمى قرطاجة نفسها بالمدينة الصيداوية Sidoniam Urbem أي نسبة إلى فينيقيو مدينة صيدا. نحن مضطرون إذا للتعامل مع كافة أساليب الناقد المحلي النحوي الشهير: كوريبوس، خصوصا في ظل وعدم وجود مصدر تاريخي أو أدبي أو سياسي واحد من إنتاج المحليين، الذين من اندمج منهم بالمدن البونيقية صار مدنيا ليبيا/إفريقيا، مسيحي العقيدة، لاتيني المسحة، ورومي/بيزنطي الثقافة. بينما من ظل على بدويته في الدواخل بالجمال والوديان والصحاري، ظل بدائيا على طريقة أسلافه بعيدا عن كتابة حتى نص ورقي واحد.

وفي سياق آخر، يقدم لنا كوريبوس Corippus بأسلوبه اللاتيني، وبصفته شاهدا على العصر، تفسيراً لظروف المدن الليبية، ودواعي اهتمام الإدارة البيزنطية بها منذ أن " أمر الإمبراطور Imperialis جنراله العام بالتوجه عبر البحر إلى ليبيا Libyam لمساعدة البلاد الليبية Auxilio Libyam وللدفاع عنها

Clefendere ورفع الظلم والقهر عن أهلها، وأخبره بأن من واجبه نصره أفريقية التي يتردد صدى صراخها إلى أذنيه. إفريقية التي ترزح تحت وطأة الوحشية والظلم. انطلق بسفنك وأعلامك مع أمراء الإمبراطورية Principis Imperiis وعندما تصل ارفع الظلم عن سكان إفريقية، واخضع بسلاحك أعناق Flectere Collum المتمردين Rebelles اللانغوانتانك Languantanque ضعهم تحت أقدامنا Nostris Pedibus والتزم بمبادئ أجدادك Prisca Parentum حرر المنكوبين ودمر المتمردين ولا تقتل الأسرى .. ورئنا سيكتفل بالباقي. " (Corippi, Iohannidos, P 7). إن البدو المحليين - في سياق السفن المشرعة الواردة بالنص - وعلى الرغم من أنهم لم يكتفوا من مسرح التاريخ، إلا مصيرهم كان قد تقرر منذ مطلع القرون الوسطى، منذ رفضهم تعلموا مهارة السباحة وصناعة السفن وركوب البحر، وبات عليهم أن يدفعوا ثمن فشلهم من خبزهم وخبز عيالهم، في عالم مادي متطور، لا يرحم الفاشلين!. وترد في هذا النص أيضا بضع عبارات تحتاج الوقوف، فكلمة ليبيا Libyam وتنطق باللاتينية أيضا ليبياس - مجرد اختلاف عابر في الألفاظ - كلمة يقصد بها ليبيا الحالية تارة، وسائد شمال أفريقيا، غالبا. إفريقية Africanis هي مقاطعة قرطاج Carthaginis مع بيزاكيوم Bysacium والمدن الطرابلسية الثلاث Tripolitanos. وسكانها هم الأفارق Afrorum وأحيانا يدعون باسم الليبيين Libycis. أما سكان القبائل فيسمون أحيانا باسمهم المحلي بربر Berbers وأحيانا بالاسم اليوناني Μαυρούσιοι ماورو Maurorum أو مور Moors ، ويدعون أيضا باسم اللانغوانتانك Languantanque وهي كلمة من اصطلاح سكان المدن البحرية في ليبيا، ويستعملونها في الإشارة إلى تكتل القبائل المحلية، والتي اشتهرت منها قبائل لواتة. الكلمة لاتينية طبعاً، وتصور أن لانغوانتانك Languantanque هي من لانغوانتان، والمحرفة بدورها من اسم لواتان/لواتا/لواته.

والخلاصة، أن كل هذه الفوضى وأعمال العنف والنهب وسفك الدم، والتي ظلت من خلالها جبهة الحرب مفتوحة ونشطة، مع العمليات العسكرية الشاقة حول الأسوار، قد كانت مجرد سلوكيات تائهة في فلك الفراغ، نجم عنها من الفوضى والاضطراب ما جعل الخطباء والفلاسفة والقساوسة المحليين، يلجؤون إلى طلب النجدة من الإمبراطورية (سافر سينييسيوس شخصيا إلى القسطنطينية، طالبا التدخل البيزنطي إلى طلب النجدة من الإمبراطورية (Barnes, 1986, P 8) آملين أن يكون ذلك خاتمة للمتاعب جميعها. ومجمل هذه الأمور كانت سببا في تفكير الرومان الشرقيين في استعادة نفوذهم على المدن الساحلية، وتأمينها من جديد. وكان ذلك الإجراء قد وُلد تقاربا، وصدافة وتحالفا ما بين الروم والأفارق، ظل قائما حتى القرن السابع الميلادي. وبالنظر إلى إحدى رسائل سينييسيوس (Synésios, 1870, P 188). والذي كان واحدا من الوجهاء الخطباء ممن توجه إلى القسطنطينية (مؤلف مشرقى مجهول، 2008. مؤلف قسطنطيني مجهول، 2008) لطلب دعم الإمبراطورية البيزنطية، نجد المطالب الرسمية واضحة من سكان المدن الخمس، بطلب نجدة السلطة الإمبراطورية الغارقة بدورها في مشاكلها الخاصة.

### 3.1. الأوبئة والمجاعات والزلازل

طبقا لكل الظواهر، ضرب وباء الطاعون مقاطعة Pentapole البينطابولس، والتي ظلت تعيش ظروفًا مخجلة منذ أواخر القرن 4م. ووسط بيئة من هذا النوع، تمت إشارة الفيلسوف Synesius Of Cyrene سينييسيوس القوريني، وبصفته Bishop Of Ptolemais أسقفا لمدينة طوليدا؛ إلى أن هلاك المدن الخمس Oi Πέντε Πόλεις يجري في عهده بسبب سوء إدارة الحكام، وحدوث الزلازل وغزو الجراد والطاعون وحريق الحرب البربرية. وبات سوء الإدارة المحلية عاملا مساعدا في ذلك، خصوصا بعد تولي أندرنيكوس البرنيقي Andronic De Bérénice مقاليد الحكم، وهو من يونانيو مدينة Berenike برنيق، غير أن تاريخ المنطقة نفسها، كان قد أسقطه من حسابه، فلقد أدار هذا الحاكم ظهره للحلول الصحيحة،

وسجل لنفسه واقعا خاطئا، وقد سببت سلبيته وإهماله للتنمية في تدهور أوضاع كافة المدن الخمس، والتي لم تكن تملك حتى حاميات عسكرية قوية، فيما كان عدد الفرسان ضئيلا، والأسلحة تصنف ضمن إمكانيات بسيطة. وكانت هذه العضلات والإشكالات هي آخر ما كان يتمنى خصومهم أن يروه. في ظروف هذا الفشل الإداري المزمن، وبعد أن بلغت الفوضى السياسية مداها، ظل السكان يعاشون سلاسل متصلة من المحن والمشاكل والاضطرابات. والواقع أن ما جعل مدن البينطابوليس Pentapolis الخمس Πεντάπολις تصمد أمام غزوات القبائل هو أسوارها وخنادقها وقلاعها وجدرانها فقط لا غير. يقول سينييسيوس القوريني: " أندريكوس البرنيقي Bérénice Andronic De لا تجعلوا أحدا يطلق عليه صفة مسيحي! Chrétien لأنه بطبعه وُلد وترعرع في العمل على إيذاء المدن الخمس Pentapole. لقد كان بقمعه وغروره وفساده وأنانيته وعدم إخلاصه لبلده سببا في هلاك المدن الخمس، بعد الزلزال وغزو الجراد والطاعون وحريق الحرب البربرية " (Synésios, 1870, P 174).

وقبل أن ينتهي القرن الخامس، كانت عددا من مدائن بنطابوليس قد باتت خربة فعلا، ومن المفترض أن السكان قد هلك جزء منهم خلال تلك المحن المتزامنة، فيما اضطر الجزء الباقي لإخلاء منازلهم وعلى عجل. وكما يؤكد جان باشو، فقد عرفت المنطقة فضلا عن الغزوات الداخلية؛ موجات من الزلازل والطاعون والحرائق في الفترة العصبية من القرن الخامس (باشو، 1999، ص 289). وبالنتيجة اهتزت المنطقة من جذورها، وكان من الواضح بأن سكان بينطابوليس خلال هذه الفترة، قد خسروا ضوء الحقيقة وبات عليهم أن يلتمسوا طريقهم وسط الظلمة، وبين أطلال حضارات قديمة مليئة بالفخاخ، الأمر الذي سبب في تراكم المحن حول وداخل المدن الخمس.

في سياق متصل بالمشاكل المجتمعية، أصبحت المدن الليبية مواقع مفلسة تزدهم بالشحاذين والجوعى وطلاب الصدقات. وكان ثمة موجة شديدة من المجاعة التي ضربت بأطنابها سنة 484م، وبحسب الأسقف

الإفريقي دي فيتا، فإن سببها هو غياب سقوط المطر، وقلت مصادر المياه، الأمر الذي حوّل مزارع الشعير إلى أراض جرداء، كما يبست أشجار الكروم وغيرها، ونفقت أعداد هائلة من الحيوانات، ونزحت جماعات مختلفة من سكان المدن والقرى والضواحي، وأصبحت الطرقات مقابر غصت بأفواج من الموتى (إسكندر، 2003، ص 41).

وقد نُقلت أنباء عن وقوع وباء؛ يبدو أن المقاطعة المصرية كانت نقطة انطلاقه، وذلك في خريف 541م ثم انتشر في حوض البحر الأبيض المتوسط، ليصل إلى إفريقيا في حدود سنة 542م. ويظهر أنه كان شديد التأثير على أوضاع المدن، حيث سبب في ارتفاع معدل الوفيات، وقُلص من الحركة العمرانية وسبب في تضائل عدد السكان، نتيجة لكثرة الوفيات، لا سيما بالمدن الساحلية والواقعة على الطرق الرئيسية. فقد اعتبره بروكوبيوس أهم أسباب الفقر بالمنطقة (عبيش، 2007، ص 132). بينما اعتبر الشاعر الإفريقي: كوريبوس Corippus أن الفقر وحالات الموت وهلاك الكثير من السكان في المدن الليبية، بسبب الحرب، هي السبب الرئيس وراء خواء الشوارع التي صارت خالية حتى من المارة! وهي الدافع وراء قيام قسم من الشبان والرجال وتحت وطأة الجوع والزحام؛ بطلب الزواج من الأرمال الثريات من دون العذارى! وقد نقل Corippus صورة لنا عن هذه الحالة في ظل المعارضة المتزايدة والمتصاعدة، قائلا: " إن القسم الجشع من الناس Satiatur Auaris لا يشبع جشعهم شيء!. وقد تكالبوا على عقد زيجات Coniugiis خارج اطار المؤلف، بحيث صاروا يرفضون الزواج من الفتيات العذارى Uirgo حور العين!. ويطلبون الزواج من السيدات الأرمال Defuncti Uxor طمعا في مال وممتلكات أزواجهن Ob Nummos وبالمقابل لم تكن الأرملة تريد أن تبقى دون زوج وفاء وحزنا حتى على روح زوجها!. وبالنتيجة ظل قسم كبير من الفتيات العذارى Virginibus دون زواج Nulla Maritales ولهذا تم إنشاء محاكم مختلفة لفض المشاجرات ولحلحلة الخلافات أو القضايا التي تشابكت .. (Corippi, 1820, P 49).

ولتوسيع النطاق؛ من المناسب أن أقول أيضا: بأن مطلع القرون الوسطى خلال القرنين الرابع والخامس هي التوقيت الذي حدثت فيه تغيرات مناخية جديدة طالت منطقة ليبيا على نحو خاص، وفي ظروف تبدو لنا مفاجئة تماما. بداية دعوني أضع بين أيديكم ما نلاحظه في عصرنا هذا عن ظاهرة تكون الكثبان الرملية على الساحل. وهو ما تؤكد الأدلة المصدرية والمادية العديدة حالات من زحف الرمال على المدن الساحلية، حتى طمرت كثير من المواقع تحت الرمل. وأدلة أخرى نقشية: تشرح حالة جودة التربة ووفرة المحصول الزراعي للزيت والزيتون والشعير والقمح وغيره في سهول لبدة الكبرى، وحتى في قرزة جنوب شرق بن وليد، والتي تقع في عصرنا هذا ضمن منطقة ما قبل الصحراء، وكانت قبل ذلك مزهرة مزدهرة، صارت أرضها جرداء مقفرة، كما شاهد وعلق Henri De Mathuisieulx بالقول: " في وقتنا الحالي مهما بحثت في مساحة تصل إلى عشرة كيلومترات حول مدينة قرزة؛ فلن تستطيع أن تجد عشبة واحدة خضراء، إنه الجفاف والوحشة المطبقة " (De Mathuisieulx, 2002, P 39). وكل هذه النقاط لا تبقى مجرد تخمين! بل تبقى ملامسات على أرض الواقع، رغم أن البعض لا يقنع بأن التربة في مناطق الداخل القريب، كمنطقة ورفلة مثلا، كانت أفضل مما هي عليه اليوم، وأنها كانت طينية فصارت جافة ما قبل صحراوية. وذلك على الرغم من كل ما تقوله السياقات الزراعية للنقوش والرسوم في مدينة قرزة. وقناعات من هذا النوع، لا تهدف في نهاية المطاف إلى تفسير الظواهر، بقدر ما تهدف إلى تغييبها وراء سحابة كثيفة من الغبار والدخان. وأجد مصادفة أن Henry Cowper قد أشار إلى هذه الجزئية، بالقول أن الأقاليم البربرية كانت قديما في مناخ مختلف عما هي عليه اليوم، كانت أرضها أخصب، وشجرها ومحصولها ينتج أكثر (Cowper, N.D, P 263). وقد اهتمت الإدارة البيزنطية بعودة النشاط الاقتصادي والزراعي في ليبيا، ونجح الجنرال البيزنطي Iohannes Troglita في وقف هجمات البربر على زراعات المدن وغاراتهم التي كانت مؤثرة ومدمرة. (صليب، د.ت، ص 102).

ومن المفيد في هذا الشأن أن أذكر، بأن المؤرخ البيزنطي المستشار بروكوبيوس القيصري Procopius Caesarensis وهو شاهد عيان من مؤرخي القرن السادس الميلاد؛ يوفر لنا مزيدا من التفاصيل حول مدينة لبدّة من الناحية الأثرية Archaeologically وديموغرافيتها البشرية في عصره، بعد أن يصفها بالقول: " مدينة لبيتس مانيا Leptis Magna التي كانت في العصور القديمة كبيرة Large And Populous ومكتظة بالسكان، على الرغم من أنها في وقت لاحق أصبحت مهجورة Deserted خصوصا بالنسبة للجزء الأكبر منها، وذلك من خلال الإهمال الذي أصاب الكثير من بناياتها التي صارت Buried In Sand مدفونة إلى حد كبير في الرمال!. بنى إمبراطورنا Our Emperor فيها جدارا دائريا Circuit-Wall ومن الأساسات، ولكن ليس على نطاق واسع كما كان في السابق، وإنما أصغر بكثير. " (Procopius,1971, P 373).

كانت لبيتس الكبرى أم المدائن الليبية من حيث الضخامة العمرانية والكثافة السكانية، ذات وجه حضاري غريب لم يعرفه تاريخ الحضارة في ليبيا من قبل. فالشعوب الأوربية اليونانية والرومانية والبيزنطية تعتبرها مجرد نواة لمستوطنة فينيقية بونيقية، ظهر منها حن بعل شخصيا. والقبائل المحلية تعتبرها في عصر روما خط الدفاع الأول عن أوروبا، وتراها في عصر بيزنطة معقل المسيحية وموقع نفوذ البيزنطيين وحلفائهم من سكان المدن الليبيين على تراب ليبيا. وبين هذه السيوف المتقاطعة؛ عاشت لبدّة العظمى حوالي 1000 سنة تقاتل بسيفين ضد البر والبحر معا!. منذ تأسيسها على يد الفينيقيين في القرن 7 قبل الميلاد، وحتى تاريخ اندلاع آخر الغارات القبلية تجاهها في القرنين 4-5م، ثم غزوات الفاندال بالقرن 5م، إلى تاريخ زوالها نهائيا بالقرن 7 بعد الميلاد.

في هذا الجو الطبوغرافي، لدي تصورات حول تغيرات جيولوجية قد شهدتها سواحل ليبيا خلال مطلع القرون الوسطى، لقد تقدم البحر في مدينة لبتى Lepti حتى غرقت بعض منشآت ميناء لبدّة في

البحر. كما طمر البحر معظم أجزاء ومنازل مدينة أويا/أويات Vai-At القديمة. وثمة زوايا يمكن من خلالها إجراء مقابلة ما بين هذه التصورات الشخصية. فملاحظة/وضعية/أرضية قوس ماركوس أورليوس/مخزن الرخام، وشهادة رواية الأخوين بيشي؛ تؤكد ما أفترضه/اقترحه/وأذهب إليه. وفي ذات السياق يؤكد لنا المؤرخ ليو أفريكانوس Leo Africanus أو الحسن الوزان، في القرن السادس عشر، وجود أبنية وبيوت غارقة تحت الماء! قبالة شاطئ طرابلس القديمة. ويقول: " حتى الوقت الحاضر، تظهر بيوت وأبنية محتجة تحت الماء " (Leo Africanus, N.D, P 471). ذلك بمطلع العصر الحديث، وهو يصادق الرواية الفظيعة التي نقلها الأخوين Frederick William Beechey عن سكان طرابلس سنة 1821م والتي تفيد بأن منازل وبنائات المدينة أويا؛ الأقدم، كانت لاتزال حتى وقت قريب تظهر غارقة تحت ماء البحر! وكان يمكن للسكان الطرابلسيين حتى بدايات القرن التاسع عشر؛ مشاهدتها وهي تقبع تحت الماء! (بيتشي، 1996، ص 34). عندما يكون الجو صافيا طبعاً، وتكون على سطح المنازل قبالة الشاطئ الشمالي للمدينة القديمة الحالية. وهو دليل إضافي على أن منازل أويا القديمة قد غمرتها مياه البحر. خصوصاً وأن طرابلسيو العصر الحديث، كانوا بدورهم يشاهدون حتى سنة 1821م؛ أسطح منازل أويا القديمة واضحة تحت الماء عندما يكون الجو صافياً!.

عندما يكون الجو صافياً طبعاً، وتكون على سطح المنازل قبالة الشاطئ الشمالي للمدينة القديمة الحالية. وهو دليل إضافي على أن منازل أويا القديمة قد غمرتها مياه البحر. خصوصاً وأن طرابلسيو العصر الحديث، كانوا بدورهم يشاهدون حتى سنة 1821م؛ أسطح منازل أويا القديمة واضحة تحت الماء عندما يكون الجو صافياً!. يبدو ذلك منطقياً إذا ما لاحظنا أن الأرضية القديمة لأويا/طرابلس، ليست هي التي نراها في المدينة القديمة اليوم! بل أعمق من ذلك بمستوى بمترين إلى ثلاثة أمتار. نجد ذلك واضحاً عند الانتباه إلى قاع الحديقة السفلية المحيطة بقوس ماركوس، والتي تقف قواعد القوس فيها عند مستوى

الرصيف الروماني نفسه. وعند رفع نظرنا إلى المباني المحيطة (جامع قرجي - فندق زميت - فندق بنت السيد - مشروع نادي باب البحر الاستثماري - مطعم الآثار بوسعاية مخزن الرخام) نجد أن أرضية هذه المباني ترتفع عن مستوى أرضية ورسيف قوس ماركوس القديم بمرحلة مترين إلى ثلاثة أمتار!. ما حصل هو أن الأركيولوجيين الإيطاليين عند قيامهم بإزالة الأتربة المحيطة بالقوس سنة 1914 وجدوا أن الوصول إلى مستوى الرصيف القديم، يتطلب إزالة ما نراه منخفضا حول القوس اليوم!. فضلا عن ذلك فإن اللقي المكتشفة بأطراف حومة باب بحر طرابلس خلال القرن الماضي، كانت قد استخرجت من عمق 1.5 متر. من جديد رواية سكان المدينة للأخوين بيتشي Frederick William Beechey صحيحة، خصوصا إذا ما افترضنا تقدم منسوب البحر ليظمر ما اختفى من منازل وبنائات أمامه.

إذا بالنتيجة (لمدينة أويا Oea القديمة قسمان): بحسب ملاحظاتي الشخصية؛ قسم مدفون تحت الماء وهو بالقرب من مكان الميناء اليوم. وقسم آخر مدفون تحت المنازل الحالية القائمة في الجهة المقابلة لها وهي باب البحر. والدليل يمكن التماسه من خلال النظر إلى أرضية قوس ماركوس مخزن الرخام التي تنخفض عن مستوى الأرضية الحالية لطرابلس المدينة بمسافة 3 أمتار. مما يعني أن الأرضية القديمة والبيوت لمسافة مترين قد غطتها رمال العصر الوسيط، وهلاك قسم من السكان، وهجرة الجزء الآخر منهم لمنازلهم بعد انتشار الغارات والغزوات الداخلية منذ القرن 4م. وبالتالي هجرة أو زوال مجتمعها الأسبق على مراحل ممن ظلوا يلهثون بلا انقطاع وراء وطن مستقر طوال مطلع العصر الوسيط، أي منذ زوال الحكم الروماني في أواخر القرن 3م وحتى وصول العرب المسلمين في 742م. فضلا عن تقدم منسوب البحر في توقيت مجهول، يبدو لي أغلب الظن خلال القرن 4م؛ أي بعد موجة الزلزال البحري الذي ضرب ساحل ليبيا سنة 365م.

فمع زحف الرمال الصحراوية خلال مطلع العصر الوسيط، تكونت الكثبان الرملية على الساحل، وغرقت معظم أساسات لبتي تحت الرمال، ولم تزال وترمم مع مسرح صبراته وكثير من المرافق الأخرى؛ إلا بالفترة الإيطالية. وفي مقابل هذه الظروف، وخلال ذاك التوقيت حدث تغير جيولوجي آخر، حصل بفعل موجة المد البحري التي حدثت خلال القرن 4م وضربت المدن الساحلية العتيقة وخلفت بعض الركام، وكان مركز ذاك التسونامي/الزلازل البحري في جزيرة قبرص، وهذا ما يؤكد أستاذ الأركيولوجيا بجامعة أكسفورد، البروفيسور Philip Kenrick فيليب كينريك. وقد حدثت ظاهرة الزلازل الأرضي، الذي ضرب السواحل الليبية خلال العقود الأولى من القرن الرابع للميلاد، فضرِب الزلزال العنيف مدينة طرابلس ومحيطها خلال سنوات 306-310م. وخلال الفترة 363-373م. حدث زلزال أرضي آخر، وبموجة بحرية هائلة ضربت سواحل شرق البحر الأبيض المتوسط، بما فيها ساحل ليبيا.

وبالنتيجة فإن ليبيا التي تكاد مطلع العصر الوسيط/القرن 4م؛ تغرق في عصر من الفوضى وسفك الدم، فإنها ستغرق أيضا في دوامة من ضربات الزلازل وموجات المد البحري. والمعلومات في الواقع شحيحة جدا حول حقائق النقطة الثانية المتعلقة بالزلازل والتسونامي البحري. وإذا ما صح ذلك فإنه ما من شك في أن هذه الزلازل المفترضة قد حطمت كثير من أساسات وأعمدة وبيوت وساحات وأسواق المدن الساحلية البحرية/العتيقة، وذلك على الرغم أيضا من أن مؤرخي بيزنطة ومن باب ولعهم بتسجيل الحوادث والقصاص، لم يشيروا إلى حدوث شيء من ذلك. فهذه الظاهرة الجيولوجية لا تذكر حدوثها المصادر الموكبة لبدايات العصور الوسطى، والتي بالكاد نجد فيها بعض التنف هنا وهناك؛ بقدر ما تقترح حدوثها منطلقات حديثة، وذلك بناء على دراسة افتراضية مختصة بهذا المجال. ولا يبدو بأن البحث في هذا المضمار سيكون مجرد جهد ضائع لا طائل من وراءه! خصوصا وأن سينييسيوس القوريني، هو المؤرخ الوحيد الذي وجدت بأنه قد أشار إلى حدوث زلزال مدمر في منطقة المدائن الخمس.

ومع ذلك فقد اقترح دي فيتا Di Vita حصول أربع هزات أرضية تأثرت بها لبتيمانيا Leptimagnae لبلدة الكبرى، وسبراتيونوم Sabratenum صبراته، خلال بداية العصر الوسيط. عموماً تبقى هذه المعلومات مجرد اقتراحات وتخمينات تطرح بنوع من العناية والحذر، وقد لا تصمد في الغالب حتى أمام الفحص التقليدي في أضيق نطاقه، لكونها لا تستند إلى شيء، سوى ما تعج به الأروقة من قطع رخامية متناثرة هنا وهناك، والتي تجسد حالات التفتت الطبوغرافي/العمراني للمدن البحرية، والتي كانت بشكل واضح غارات القبائل المدمرة هي السبب الأبرز لحدوثه بشهادات المصادر. ومع ذلك، في وسعنا القول أيضاً بأن ثمة افتراض بأن الفترة 306-310م قد شهدت انهيار مبان حول الضريح B في صبراته، وفي المقابل تظهر على الركام أدلة واضحة على حدوث حريق ما. مما قد يعني بأن الحطام ناتج عن غزوة/غارة، وليس زلزال. وقد عُثر على عدد من قطع نقدية بين الركام، صدر أحدثها سنة 306م. مما يشير إلى أن الدمار قد حصل في عام 306م أو بعد بقليل. بينما تم تجديد معبد ليدر باتير Liber Pater فيما بين عامي 340-350م بعد أن كان محسوبا على المنشآت الأركيولوجية العتيقة/الآثار القديمة.

وفي لبتيس الكبرى ثمة أدلة واضحة في موقع المعبد الفلاني Flavian تشير إلى حدوث زلزال مؤثر. ومن خلال النقوش الكتابية تم التعرف على عمليات ترميم حصلت خلال فترة ولاية والي لبتيس الكبرى Lenatius Romulus الذي كان وال البلدية خلال سنتي 324-326م. وكان يعمل بأكبر قدر ممكن من الكفاءة لإصلاح/وإعمار ما يمكن إصلاحه. وقد شملت عمليات الترميم: الأبنية والأروقة ومدرسة لبلدة، والمسرح المدرج ومعبد Serapis والإيوان القضائي/البازيليكا أو دار العدالة. ومن المرجح أن جدران المدينة قد تم تشييدها من جديد خلال القرن 4م ومن المواد المستخلصة من الركام نفسه. (كينريك، 2015، ص 11).

في سياق متصل بالكوارث الطبيعية؛ حدثت بتاريخ 21 تموز/يوليو 365م، موجة بحرية هائلة مركزها تحت البحر إلى الجنوب الغربي من جزيرة كريت، ضربت السواحل اليونانية والمصرية والليبية. وسواء في مدن شرقي المتوسط، أو بالمدن الليبية، فإنه تم العثور على قطع نقدية متناثرة تحت ركام الحطام، وتاريخها يشير إلى ما بعد 364م بفترة قليلة. والأمر ذاته تقريبا في صبراته، حيث تشير الكتابة النقشية إلى أن تشييد المحكمة العامة Curia قد تم فيما بين 364-367م والديوان الإداري تم إنشاؤه في نفس الوقت وتصميم جديد مستخلص من المعابد الكلاسيكية/الوثنية، التي طالها الدمار ولم يعاد بناؤها بعد ذلك. (كينريك، 2015، ص 11).

بالإضافة إلى تعرض عدد من منشآت مدينتنا صبراته ولبتيس للدمار، سواء كان بفعل زلزال أم بفعل موجة بحرية هائلة. ضمن هذا السيناريو، وفي ظل المزاج السيئ العام؛ تعرضت القصور الفارهة أيضا والواقعة على ساحل إقليم تريبوليس إلى دمار مماثل. ولكن في جميع الأحوال يجب علينا الحذر في التعامل مع هذه الإصابات. بحيث لا ننسى بأن هذه المواقع كانت مستهدفة من قبل القبائل المحلية البدوية، وعلى رأسها التي يدعوها سكان المدن الساحلية بـ أسترياني. والتي أطلقت يدها في أرياف وبساتين تريبوليس، فالمصادر التي تعرضت لتحركات القبائل تؤكد قيام هذه الفصائل بعمليات تدمير للمنشآت وحرق واسع النطاق للمحاصيل والمزروعات في ظروف مريبة. مما أدى إلى هلاك الكثير من سكان الأرياف المحيطة بالمدن الكبرى.

ويشد أنظارنا في هذا المشهد العمراني، أن السكان سواء في أهم مدينة ليبية وهي لبتيس الكبرى أم في غيرها من مدن الساحل، لم يكن من بينهم معماريون وبنائون ومهندسون وحرفيون وفنيون وعمال!. والغريب أن سكان المدن البحرية لم يتمكنوا قط من تقدير مدى فداحة الخطأ في غياب هذه العناصر البشرية المهمة لنشاط أية مدينة حيوية وكبرى مثل لبدة العظمى.. وقد ظل هذا الخطأ يلاحقهم في جميع

مشاريعهم البنيوية الهشة، بل وحتى خلال محنهم العسكرية. وسط هذا الضوء الساطع، ظلت المدن الساحلية العتيقة تعاني الإهمال عقب كل غزوة قبلية محلية تنطلق من الداخل، فضلا عن حالة الدمار الزلزالي المفترض بأن ضرب الساحل الليبي في هزات متلاحقة خلال القرن الرابع، وخصوصا الفترة 363-373م. ولا تلقى بالنتيجة جدران المدن البحرية/أسوارها/تحصيناتها، فضلا عن بقية مرافقها ومؤسساتها أية صيانة أو تحديث!. وأقترح/أفترض أيضا بأن العنصر الحيوي/المهم من السكان داخل المدن البحرية، قد هاجر باتجاه جزر البحر منذ اضمحلال وزوال السلطة والحضارة الرومانية في أواخر القرن 3م. (أعتقد أن Edward Gibbon هو أول من أنجز مؤلفا حول ذلك، ج 3.2.1، 1969) وفي ضوء هذا الواقع، عانت المدن من التخريب والإهمال طوال القرنين 4-5م، ولم تلقى مبانها أية عملية إعمار حقيقية، بصرف النظر عن محاولات إعادة رفع بعض الأسوار والبنائيات باستخلاصها مع قطع الأساسات المتساقطة نفسها. فما كان يجري هو إعادة ترميم فقط للأبنية المتساقطة، ولم يكن ثمة بناء حقيقي ينهض من الصفر!. ولكي نعكس وعيا غير متقطع، فإن الشاهد في كل ما سبق، أن المدن الساحلية كانت قد افتقرت طيلة الفترة المبكرة من العصر الوسيط، إلى نهضة عمرانية، وخلت من تشييد منشآت جديدة، وتدمرت محاجرها المستعملة في تقطيع الصخور، وتوقف جلب الرخام إليها من الخارج، بتوقف العمال والفنانين والنحاتين المهرة والمهندسين والعناصر البشرية النشطة، والتي إما هلكت خلال غارات القبائل، أو غادرت نافذة بجلدها نحو جزر البحر. وظل الأمر كذلك حتى وصل البيزنطيون في القرن 6م فجلبوا معهم المهندسين والحرفيين والفنيين وبقية العناصر والمواد اللازمة للتشييد. مما ساهم في ترميم بعض المدن الليبية بأمر من جوستينيان شخصيا. لكن تاريخنا أساء متعمدا قراءة التعليمات. كما إن أغلب مصادرنا كانت قد وقعت في أخطاء أزلية بإعطائها الأولوية لتاريخ الملوك والأباطرة والقادة والفاتحين؛ تلك الأولوية كانت

قد جرت في ظل تهميش الجوانب المؤسساتية والحياتية والبشرية والطبيعية، مما شكل عائقا أمام تقدم المعرفة التاريخية في كافة جوانبها/فروعها؛ وهي مشكلة يحس بها كل من يطرق الأبواب المؤسساتية في التاريخ.

منذ مطلع العصر الوسيط، كانت البلد قد انقادت إلى هاوية سحيقة من الفوضوية والهمجية واليأس. وتحت ظروف حافلة بتحديات من هذا النوع؛ تحدث بروكوبيوس عن محاولات الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور جوستينيان، لتحصين المدن الرئيسية خلال القرن 6م، لتقف حائلا كما يؤكد بروكوبيوس ضد غزوات قبائل المور المحلية. (Procopius,1971, P 365). والملاحظ أن بروكوبيوس قد كتب في عصر كان فيه التوثيق مثل منصة إعلامية مسخرة لخدمة هدفين رئيسيين: أولهما تمجيد إنجازات الحكومة! والثاني تجاهل أخطاءها!. وعلى الرغم من أن المدن الكبرى الثلاث Tripolis والمدائن الخمس Pentapolis كان خصومها قد وضعوها تحت ضغط هائل، أدى إلى إرغامها على الاختيار الصعب؛ فإنها لا تزال في أغلب أحقاب تاريخها الوسيط قادرة على النهوض، لكي تعيش عهدا مثيرة من الثراء والبذخ، وإن كان هذا الثراء متقطعا وغير مستقر، ولا يتصل سوى بما يأتي من إمدادات ومواد وتقنيات من وراء البحر. في ظل هذه الخطوات تم إعادة إعمار المدن الساحلية الثلاث Tripoli Provincia وهي (Lepcis و Oea و Sabrathan) والمدن الخمس Οι Πέντε Πόλεις بينطابوليس Pentapolis (Cyrenis و Teuchira و Ptolemaidis و Barcae و Apolloniam). وفي هذا المجال بادر جوستينيان إلى تشييد عدة بنايات وكنائس في لبدة وصبراتة والريف بالأصابعة والخضراء، ثمة أطر نوافذ ومساند وبعض التيجان والأعمدة العائدة إلى كنيسة الخضراء الواقعة إلى الشرق من ترهونة. وأطر أخرى تعود إلى كنيسة الأصابعة قرب غريان، كما تم تشييد أعمدة لكنيسة في وادي Soffegin ، وبعموم المناطق الريفية للمدن، وكانت جزء من الإصلاحات البيزنطية لاستعادة المنطقة وتعزيز المسيحية وفق العقيدة الأرثوذكسية. فضلا عن تحميل الكنيسة البيزنطية في أولبيا/قصر ليبيا بالجبل الأخضر. ولعل (الغرفة 13)

بالمتحف الوطني بالسراي الحمراء بطرابلس، مخصصة بشكل جيد للأعمال الفنية والطبوغرافية المقامة في ليبيا العصر المسيحي.

في سياق متصل بالكوارث الطبيعية؛ حدثت بتاريخ 21 تموز/يوليو 365م، موجة بحرية هائلة مركزها تحت البحر إلى الجنوب الغربي من جزيرة كريت، ضربت السواحل اليونانية والمصرية والليبية. وسواء في مدن شرقي المتوسط، أو بالمدن الليبية، فإنه تم العثور على قطع نقدية متناثرة تحت ركام الحطام، وتاريخها يشير إلى ما بعد 364م بفترة قليلة. والأمر ذاته تقريبا في صبراته، حيث تشير الكتابة النقشية إلى أن تشييد المحكمة العامة Curia قد تم فيما بين 364-367م والديوان الإداري تم إنشاؤه في نفس الوقت وتصميم جديد مستخلص من المعابد الكلاسيكية/الوثنية، التي طالها الدمار ولم يعاد بناؤها بعد ذلك. (كينريك، 2015، ص 11).

بالإضافة إلى تعرض عدد من منشآت مدينتنا صبراته ولبتيس للدمار، سواء كان بفعل زلزال أم بفعل موجة بحرية هائلة. ضمن هذا السيناريو، وفي ظل المزاج السيئ العام؛ تعرضت القصور الفارهة أيضا والواقعة على ساحل إقليم تريبوليس إلى دمار مماثل. ولكن في جميع الأحوال يجب علينا الحذر في التعامل مع هذه الإصابات. بحيث لا ننسى بأن هذه المواقع كانت مستهدفة من قبل القبائل المحلية البدوية، وعلى رأسها التي يدعوها سكان المدن الساحلية بـ أسترياني. والتي أطلقت يدها في أرياف وبساتين تريبوليس، فالمصادر التي تعرضت لتحركات القبائل تؤكد قيام هذه الفصائل بعمليات تدمير للمنشآت وحرق واسع النطاق للمحاصيل والمزروعات في ظروف مريبة. مما أدى إلى هلاك الكثير من سكان الأرياف المحيطة بالمدن الكبرى.

#### 4.1. دلالات الاسم، ومعطيات المدلول والكيان والمجال

يهمني في هذا المجال؛ استعراض الشواهد التي تصب في اتجاه صيرورة استعمال اسم ليبيا، أو بعبارة أخرى، انتقاله من مرحلة إلى أخرى، مع رصد تقلباته في الرقعة الجغرافية خلال القرون الأولى من العصور الوسطى، بما فيها الفترة الإسلامية. وذلك بصرف النظر عن أن هذا الاسم ضارب في القدم، ودار حوله بعض الجدل.

وإنني أرغب في البداية بلفت النظر إلى ملاحظة أن المصادر التي استعملها شخصيا في هذا الصدد Etymology أي المتعلق بأصول الكلمات، هي أجنبية: سريانية ولاتينية ويونانية بيزنطية. لأن الاسم Λιβύη Livýi Libyae ليبيا هو استعمال أجنبي، ولا علاقة للمحليين أو سكان القبائل والدواخل به! لذلك لم يكن ثمة ترددات عربية أو بربرية له. بل فقط عشرات العشرات من المصطلحات الأجنبية المشيرة له كاسم وهوية. وأجده وفق صيغ مصدرية مختلفة هي كالتالي:

Libycis Libyus Lybix Libycas Libycus Libycos Libycum Libyaque Libycasque

Libya Lybia Libyca Libyae

Libyan Libiam Libyam Lybiam Lybiat

اسم ليبيا إذن، اسم أجنبي ولا وعي للمحليين له. وللوصول إلى أفكار دقيقة في هذا الشأن، سأضع بين أيديكم بضع ملاحظات. فعندما كتب فقهاء وأعلام القبائل بعد الإسلام، ووضعوا أول مؤلفات لهم باللغة البربرية ذات الحرف العربي، لم يستعملوا اسم ليبيا نهائيا! ولم يشيروا إلى أي هوية ليبية!. لأن الهوية الليبية صناعة معاصرة، ولأن الاسم ودلالاته من استعمال الأوروبيون في العصر الكلاسيكي والوسيط، ولا وجود له في وعي السكان المحليين بالداخل. أما على الساحل حيث المدن البحرية، فقد كان السكان ولا شك - وهم خليط من أجناس المتوسط بما فيهم القسم المتمدن من المحليين - على وعي بهذا التسمية ودلالاتها. غير أنهم هلكوا في ظروف مختلفة، ونزح آخر جيل منهم في فترة المغازي العربية بالقرن 7م، أما

سكان الدواخل فلم يكونوا على وعي بهذه التسمية، ولهذا لم يذكروا شيئا عن اسم ليبيا، منذ كتابة أول مؤلف محلي بعد الإسلام، ولم تكن بالطبيعة كلمة لبيبين مفهومة بينهم، لأنهم لم يكونوا على وعي سوى بتسميات أنسابهم وبطونهم وقبائلهم، وتلك حدود الهوية بينهم.

وسيمر الكثير من الوقت ونحن نفتش في الخزانة، ثم لا يظهر في حوزتنا سوى فتيل زيت بدوي مسكين، حبسه الفينيقيون والإغريق والروم والبيزنطيون وراء الحدود الإدارية، وعاش حافيا في زمن آخر، فلم يعرف ما حدث بالضبط، ولم يسمع بأنه يعيش في بلد سماها الأوربيون ليبيا! وأنها تدخل ضمن ثلاث قارات معروفة. وبخلاف ذلك لن يمر وقت طويل ونحن نفتش عن اسم ليبيا في المصادر الأوربية حتى نجد طافيا وبمنتهى اليسر. فلقد استمرت تسمية ليبيا حتى أواخر العصر الروماني/مطلع العصر البيزنطي، ورغم أن بليني الأكبر، ذكر في القرن الأول للميلاد فقط لفظ: " ليبيا Mareotis Libya وهي منطقة تحد بمصر Aegpto .. ". (Plinius Secundus, 1961, P 246) أي أنها الجزء الشرقي من البلد الجزئى وقتذاك، إلا أن هناك اعتقاد بأن هذا التوزيع قد استمر حتى عصر الإمبراطور Constantine the Great [306-337م] حيث تقسمت تسمية ليبيا فعليا بالقرن 4م، وظهرت تسمية Superius Libya وهي منطقة Cyrenaicus ثم Minus Libyae وهي Marmarica (Arnaouti, 1997, P 121). وكما يبدو هناك تعارض في التصورات، فخلال القرن نفسه، الرابع الميلادي، يقول الإمبراطور البيزنطي المشهور بجولييان المرتد: Julian Julius Constantius [331-363م] في أعماله (عبدالله، 2015، ص 13) بأنه " بعد تدمير قرطاجة، أصبحت جميع أرجاء ليبيا خاضعة لروما. " (Julian, 1913, P 225) وهذا يشير إلى أن ليبيا في المفهوم الروماني الشرقي/البيزنطي، حتى القرن 4 للميلاد؛ هي كامل شمال أفريقيا.

ستكون بعض مصادرنا جغرافية بطبيعة الحال، ذلك أن الجغرافيا قد أصبحت علما في واقع الأمر، خصوصا مع توسع الحدود، أو خلال مزامنتها للحملات التجارية والعسكرية. (Ağari, 2002, P 258)

وفي هذا السياق، أجد لدى العالم الغاليكي/الأسباني، بولس أوريوس؛ مصطلحي (ليبيا) و(لوبيا) في نصوصه من القرن الرابع للميلاد (Orosius, N.D, P 68.336). وذلك في الإشارة إلى شمال القارة تارة، وأفريقيا هي القارة تارة أخرى، كما نلاحظ أن أوريوس يذكر خلال وصفه لكامل ساحل وداخل المنطقة: مصطلح إفريقية؛ في الإشارة إلى الشاطئ الجنوبي للمتوسط، أو إلى قارة إفريقية بأسرها (Orosius, N.D, P 68.336). وفي الفترة ذاتها، أي خلال القرن 4 وبدايات القرن 5م، أجد أن الخطيب الليبي اليوناني سينييسيوس القوريني، يورد لفظ " البلاد الليبية " مرتين (Synésios, 1870, P 77.128). كما ذكر اسم Libye في رسائله عديد المرات (Synésios, 1870, P 105. 106. 108. 128. 129. 159). وعموما سنلاحظ بأن التسمية أخذت تتجاوزها تحولات مختلفة، تارة ضيقة وأخرى واسعة لتشمل كامل شمال أفريقيا، فعلى سبيل المثال، لا يستعمل المستشار الفلسطيني بروكوبيوس؛ في تاريخه السري بالقرن السادس للميلاد؛ سوى اسم ليبيا في استدلاله على شمال أفريقيا، ومن بين ذلك خلال حديثه عن توجه القائد البيزنطي بيلزاريوس، في " عشية رحلته إلى ليبيا " (Procopius, 2001, P 52).

وخلال القرن الخامس الميلادي؛ تظهر ليبيا بالنسبة للشاعر المصري Nonnus Of Panopolis شاعر القرن 5م، في مؤلفه Διονυσιακά, Dionysiaká ديونيسياكا The Dionysiaca - وهي قصيدة ملحمية عن Dionysos Διόνυσος - بمثابة القارة بكاملها، بل وشمال أفريقيا على وجه الخصوص. وقد ذكر نونو الأخميمي ليبيا عديد المرات في أشعاره باللغة اليونانية، والمترجمة إلى الإنجليزية، وقد أشار في إحداها إلى جبال الأطلس الليبية (Nonnos, N.D, P 431) ونجد أيضا خلال نفس القرن/5م، أن المؤرخ اللاهوتي الأيبيري Paulus Orosius يستعمل لفظ ليبيا كقارة في جنوب غربي البحر الذي يصفه ببحرنا، أي البحر الروماني، أو الرومي كما درج بعض الجغرافيون المسلمون على استعماله، يقول Orosius: " من

الجنوب Our Sea وهنا يقف جبل Olympus ثم مصر السفلى وسوريا وفلسطين من الشرق، وليبيا تأتي في الغرب " (Orosius, N.D, P 10).

ومن المفيد في هذا الصدد أن أذكر أن بعض المؤرخين الجغرافيين قد أبدى اهتماما بمصطلح البحر الليبي؛ فلقد استعمل الجغرافي الإسكندري اليوناني بتوليموس؛ هذا المصطلح عندما أشار إلى: " طول الخط الممتد جنوبا من مذابح فيلينيوس (مذبح فيليني وتقع آثاره حاليا ما بين العقيلة وراس لانوف الحالية) شمالا، حيث يحده البحر الليبي Libyco Pelage وذلك على امتداد الساحل " ( Ptolemaei, N.D, P 128). وقد أشار أيضا المؤرخ العسكري الأنطاكي Ammianus Marcellinus خلال القرن الرابع [395-330م] إلى " The Libyan Sea " (Marcellinus, 1894, P 313). وأضاف بأن الصحراء الواقعة ما بين الإسكندرية والنيل شرقا (نزل أميانوس بمصر، كامل، د.ت، ص 23) وبين مدن Pentapolis غربا، تعرف باسم " dry Libya " (Marcellinus, 1894, P 316). والتي تعني الصحراء الليبية. في حين تحدث المؤرخ اللاهوتي Paulus Orosius عن وجود ما سماه الرومان " The Libyan Sea من الشمال، ثم منطقة خليج سيرتس الكبرى. " (Orosius, N.D, P 6) أي أنه يقع إلى الشمال من خليج سرتيس الكبير. وكذلك فعل بروكوبي الغزاوي، والذي ذكر خلال القرن 6م اسم الشاطئ الليبي وفق الصيغة اللاتينية التالية: Lybix Littus (Procopius, 1537, P 147). ويقصد به جنوب البحر المتوسط. وكان أروسيوس قد عرض تقسيمات البلاد الليبية، وجاء في هذا الاطار ما يلي: " المقاطعة التالية في إفريقيا والتي سأصفها هي ليبيا، حيث توجد Cyrenaica و Pentapolis ... بينما تقع مصر من الشرق، والبحر الليبي من الشمال، و The Greater Syrtis و بلد Troglodytes في الغرب " (Orosius, N.D, P 6) وهناك The Libyan Sea من الشمال، هو المياه الإقليمية للسواحل

الليبية والمتصلة بالمياه الإقليمية الإيطالية واليونانية. و The Greater Syrtis هي منطقة خليج سرت الكبير. أما بلد Troglodytes فهم سكان الكهوف في الجبل الغربي.

وعلى النقيض من بقية المؤرخين الجغرافيين، أجد أن المحامي الأناضولي Socrates Scolasticus [380 – 440م] Σωκράτης ὁ Σχολαστικός مؤلف التاريخ الكنسي، بالقرن 5م، الذي اشتغل بالمحاماة، ومُنح لقب المدرسي. قد ذكر أفريقيا كقارة، لا ليبيا. والقارات الثلاث بحسب سوكراتيس هي: " Europe, Africa, And Asia " (Socrates, 1892, P 17). ويطرح أوريوس التقسيم نفسه، معتبرا في موضع آخر، بأن أفريقيا هي القارة، وأن ليبيا ليست سوى جزء منها، قائلا: " أوضح أجدادنا/أسلافنا أن إفريقيا يجب أن تكون مقبولة كجزء ثالث من العالم ... أما ليبيا حيث Cyrenaica ومنطقة Pentapolis فهي في الجزء الأول من أفريقيا، وتحديدًا بجانب مصر. " (Orosius, N.D, P 6).

أما في حوليات Johanna Malalas مؤرخ القرن السادس [490-570م] وهو المولود في أنطاكية حيث أخذ هناك بالسريانية لقب Malala والتي تعني المعلم، في حويلته باليونانية الدارجة والمعدة أولى الحوليات البيزنطية الجامعة ما بين التوراتية والعلمانية. فإن ليبيا تظهر كقارة خلال القرن 6م، وقد ذكر المعلم السرياني اسم ليبيا خلال شرحه لتقسيم العالم قائلا: " وكل من ليبيا ونهر النيل يُعرفان بتدفق الذهب من إفريقيا، ثم توجد موريتانيا و The Pillars Of Herakles أعمدة هرقل، وبحر الأدرياتيكى العظيم. " (Malalas, 1986, P 5). وهذا النص ثمة إجماعات به؛ تفيد بأن عبارة " كل ليبيا " هي المنطقة التي تضم شمال أفريقيا فيما بين غربي مصر شرقا حتى أعمدة هيرقل غربا. ثم تأتي موريتانيا بعد ذلك.

أما Evagrius 535-594م المؤرخ الكنسي السوري الأنطاكي التدريس، البيزنطي العمل، والذي نشط بالقرن السادس للميلاد؛ ذكر ليبيا مرة واحدة وبصفة منفصلة عن Pentapolis ، ويبدو بأنه يقصد بليبيا: المنطقة الممتدة من خليج سرت Syrtim الكبير، حتى أقصى إقليم Tripolitania طرابلس.

بينما تكون بينطابوليس هي منطقة المدن الخمس في برقه. كما ذكر الإسكندرية منفصلة عن مصر. قائلا  
في صدد The Emperor Caesar Zeno بأنه التقى المنتصر وأنه يحظى بالتبجيل من قبل كل من  
الأساقفة والرهبان والعلمانيين على السواء؛ Throughout Alexandria, Egypt, Libya, And  
Pentapolis (Evagrius, 1846, P 136).

لازلنا في القرن السادس للميلاد؛ حيث لا يزال أمر العثور على اسم ليبيا غاية في اليسر، وهنا نجد  
بأن الناقد النحوي القرطاجي الإفريقي: Flavius Cresconius Corippus أديب شمال أفريقيا بالقرن 6م  
يستخدم لفظ ليبيا بعدة صيغ: Libyam Libycasque (Corippi, 1820, P 11.41.120) كما  
استعمل مصطلح Libycos (Corippi, 1820, P 91). أي البلاد الليبية. وقد استخدم المؤرخ الإيطالي  
سيلوس؛ أيضا مصطلح مشابه وهو Libycus (Italicus, 1961, P 35). وبالعودة إلى فلافيوس نجد بأنه  
قد استخدم كذلك اسم Libyam بمعنى ليبيا (Corippi, 1820, P 11) ثم عبارة Salus Libyae  
(Corippi, 1820, P 139) أي سلامة الأرض الليبية. وأيضا عبارة Gentes Libyae (Corippi, 1820, P 23)  
والتي تعني شعوب ليبيا. وفي موضع آخر gentes Libycum (Corippi, 1820, P 50) وهي  
تعني: الشعب الليبي، ولم يكن يقصد بالليبيين: سكان القبائل الذين يسميهم بالاسم المعتاد لهم وهو  
Maurorum أو Barbaric ويصفهم بأنهم من سكان الجبال والصحاري والوديان، أو بعبارة  
Populosque Malignos الشعوب الضارة التي هبطت من البرية ودمرت بيوتنا وأضرمت النار في منازلنا.  
(Corippi, 1820, P 50) بل يقصد بالليبيين: سكان المدن الساحلية/البحرية. والأدلة المصدرية المختلفة  
في هذا السياق هي أكثر من أن تعد، ولا أرغب في أن أمضي ورائها أكثر مما يجب، خصوصا وأنها لا  
تدخل في نطاق دراستنا الآن، وإن كانت تعد بالقطع إثباتا لعبارات مؤرخي العصر الوسيط.

بعد ذكره لأوروبا وآسيا يذكر المستشار الفلستيني/البيزنطي بروكوبيوس القيساري؛ اسم ليبيا  
Αἰβυρν (Procopius, 1537, P 317) كقارة كاملة. وفي نسخة لاتينية من كتاب Aedificiis المباني  
لبروكوبيو Procopii السيزاري من غزة، أجد بعد ذكره لأوروبا Europa وآسيا Afiam يذكر اسم ليبيا  
Lybia باللاتينية كقارة كاملة باسم Lybiam (Procopius, 1537, P 136) لليبام وتنطق باللاتينية أيضا  
ليباس. مما يعني بأن ليبيا بالنسبة للبيزنطيين هي قارة برمتها كما هي عليه أوروبا وآسية. والأمر غاية في  
اليسر. أتحدث هنا عن فترة العصر الوسيط، فحتى خلال القرن 6م أجد وصف شمال أفريقيا بما فيه  
القارة، باسم ليبيا؛ واضحا من جديد لدى المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس القيصري، إذ يدرج لنا التقسيم  
السائد للعالم القديم آنذاك وفق النحو التالي: " أما المنطقة التي على يمين النهر فتسمى آسيا حتى تبلغ  
جبال الأورال التي تفصل آسيا عن قارة أوروبا.. وأما الأرض الواقعة على يسار النيل فهي تحمل اسم ليبيا،  
حتى تبلغ الأقيانوس (Procopius,1971, P 365). ويضيف بروكوبيوس بالقول: " ليبيا إلى حد المحيط،  
والذي يمثل في الغرب الحدود ما بين القارتين وذلك عن طريق ذراع يفتح في بحرنا وقد تلقت/حملت جميع  
أنحاء ليبيا عدة أسماء مختلفة، ويُفترض أن كل منطقة يتم ترسيم اسمها باسم الناس الذين يعيشون فيها!.  
ومع ذلك، فإن الأراضي التي تمتد من حدود الإسكندرية إلى حدود مدينة Cyrene والتي تضم المدن  
الخمس Pentapolis هي الآن المنطقة الوحيدة التي يطلق عليها اسم ليبيا! ... " (Procopius,1971, P 365).

وفي كتابه المنسوخ باللاتينية يقول Procopii في القرن 6م: " الأرض الواقعة على يسار Nili النيل؛  
تحمل اسم Lybia والتي تمتد إلى حد المحيط وهو الذي يمثل في الغرب الحدود ما بين القارتين أوروبا وليبيا  
(Lybia - Europa) عن طريق ذراع يفتح في بحر بلدنا. لقد استقبلت جميع أنحاء ليبيا عدة أسماء مختلفة،  
و يُفترض أن كل منطقة يتم ترسيم اسمها/لقبها باسم البشر الذين يعيشون فيها!. وعموما، فإن الأراضي

التي تمتد من حدود الإسكندرية Alexandrinorum إلى حدود مدينة قورينا Cyrenem والتي تضم Pentapoli المدن الخمس؛ هي الآن المنطقة الوحيدة التي يطلق عليها Nomine Lybia اسم ليبيا! ... ".  
(Procopius,1537, P 136).

في مجال آخر يشير بروكوبيوس إلى أن ليبيا لا تزال هي شمال أفريقيا، بما فيها المناطق الواقعة في ما بعد الحاضرة قرطاجنة غربا، إذ يقول: " بعد Tripolis و Syrtes دعونا نذهب إلى بقية ليبيا، حيث يجب أن نبدأ من مدينة قرطاجنة والتي من المحتمل أن تكون هي أكبر المدن في هذه المنطقة، بل وأكثرها جدارة بالملاحظة " (Procopius,1971, P 379). وفي النص اللاتيني: " بعد Tripolim و Syrtes خليج سرت. دعونا نستأنف بقية الرحلة في ليبيا Libiam ويجب أن نبدأ من Carthagine وهي التي تعد من بين أكبر المدن الليبية Maxima Eft Inter Vrbes Lybiat " (Procopius, 1537, P 142). وهذا يعني بحسب بروكوبيوس أن ليبيا هي القارة بكاملها بما فيها شمالها. وبقية ليبيا التي تبدأ من قرطاجنة؛ تشير إلى أن شمال أفريقيا في مفهوم بروكوبيوس هي ليبيا. وعموما يذكر بروكوبي اسم ليبيا وفق الصيغ اللاتينية التالية: Lybiae Lybiam Lybia (Procopius, 1537, P 136). وأيضاً Lybiam ، وثقراً أيضاً ليبيا (Procopius, 1537, P 141).

ويعتبر المؤرخ القوطي Jordanes وهو من مؤرخي نفس الحقبة بالقرن 6م؛ أن أفريقيا هي الجزء الثالث من العالم، وليست ليبيا كما جاء في سجلات بروكوبيوس ومعظم مؤرخي العهد البيزنطي. يقول جوردانوس: " أفريقيا التي تعتبر بحسب تقسيم سطح الأرض، هي الجزء الثالث فيها من العالم .. " (Jordanes, 1915, P 99). وعلى نفس السياق وبنفس الفترة، أجد أن القارة الثالثة هي أفريقيا وليست ليبيا في جغرافية الجغرافي Cosmas Indicopleustes ذاك التاجر الإسكندري اليوناني، المتوفي بالإسكندرية سنة 550م، والذي كتب طوبوغرافيته في القرن السادس للميلاد؛ والمعروفة باسم The Christian

Topography باللغة اليونانية Χριστιανική Τοπογραφία وأشار فيها بأن: Pentapolis تسمى بذلك لأنها خمس مدائن. وجاء في الشرح بأن مدنها الرئيسية الخمس هي كالتالي: " Cyrene و Berenice و Arsinoe و Ptolemais و Apollonia وتدل جميعها على مقاطعة Cyrenaica. بينما تعني Africa الأرض التي بينها وبين Mauretania " (Cosmas, 1909, P 364). وبذلك نفهم بأن اسم ليبيا لا وجود له في طبوغرافية Cosmas ، وإنما أفريقيا فحسب.

وفي جميع الأحوال؛ كانت ليبيا عموماً طيلة بدايات العصر الوسيط، تنقسم إلى مقاطعتين/إقليمين هما Pentapolis, Tripolis (Brubaker, 2011, P 19). أي منطقة المدن الخمس بشرقي ليبيا، ومنطقة المدن الثلاث بغربها. فيما برزت تسمية إقليم برقه في مطلع العصر الإسلامي، وأجد هذه الكلمة بدت مستساغة ومستعملة تماماً لدى رواة كتاب حركة الفتح الإسلامي بإفريقية والمغرب - خلال القرن السابع والثامن والتاسع للميلاد - ومن أهمهم وأقدمهم، المؤرخ المصري: عبد الرحمن بن عبد الحكم [187-257هـ/803-870م]، الذي استخدم تسمية برقه عندما هيمن العرب على مدن أنطابلس (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 229) وكذلك فعل القيرواني (القيرواني، 1994، ص 45) كما استعمل ابن عبد الحكم وفي موضع آخر مصطلح " أرض أنطابلس، وهي برقه " (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 229) وهي تسمية ذات رنين متميز لكنها ليست دقيقة تماماً، لأن أرض أنطابلس في واقع الأمر هي محرفة عن الكلمة اليونانية Πεντάπολις بينطابوليس والتي تأتي في صيغ مختلفة: Petapoleos Pentapoli Pentapolis Pentapolcos ثم صارت تدريجياً تعرف في الوعي العربي باسم منطقة برقة. وبالمثل فإن كلمة أطرابلس التي استعملها العرب على لسان الأهالي، هي محرفة عن الاسم Tripolis والتي تأتي وفق الصيغ التالية: Tripoli Tripli Tripoleos Trtpolim Tripolim

من جهة أخرى، إنني أرغب في لفت النظر إلى أن الحدود التقريبية للمقاطعات الليبية في أوائل القرن السادس، يظهر فيها أن الجزء الممتد ما بين قوس فيليني مرورا بإقليم تريبوليس/طرابلس، ووصولاً إلى مقاطعة إفريقية القرطاجية، يشكل وحدة واحدة باسم بلاد أفريقية Africa. بينما تقع Libya Superior في المنطقة ما بين قوس فيليني، وصولاً إلى منطقة درنة الحالية. في حين تبدأ مقاطعة Libya Inferor فيما بين دارنيس/درنة إلى الحدود الغربية الطبيعية لوادي النيل. حيث تبدأ بعد ذلك الإسكندرية ومصر بأقسامها، وفلسطين بقسميها، ثم بلاد عربية، وفينيقيا وسوريا بقسميها، وبعد ذلك آسية الصغرى بجميع أقسامها وأطرافها. (Malalas, 1986, P 312). وهذه التقسيمات الإدارية ظلت خلال القرن اللاحق وهو السابع للميلاد، مستعملة أيضاً بين العرب والمشاركة عند دخولهم ليبيا، حيث صارت لوبية كورة من كور مصر الغربية.

ذكر Theophylact Simocatta (أي ثيوفلاكت القط، أو الشبيه بالقط، هو رجل القانون المصري بالقرن السابع الميلادي. Simocatta, 1997, P 5) اسم ليبيا مرتين: Libia-Libiei كمدلول على شمال أفريقيا في كتابه (Simocatta, 1985, P 141). وخلال القرن التاسع ظهرت مؤلفات القديس البيزنطي Photius [891/820م] بطريك العاصمة القسطنطينية، كواحد من المؤلفين اللاهوتيين البيزنطيين؛ يطلعنا بأن ليبيا تعني بالنسبة للرومان/البيزنطيين؛ كافة شمال أفريقيا. وأجد أيضاً أن البطريرك Photius يخبرنا في مكتبته the Library Of Photius بأن للرومان القدامى وفي إطار علاقاتهم مع دولة Carthage ومملكة نوميديا Numidia قبل الميلاد؛ لجنة معنية بالتواصل مع هذه الدول والبلدان، تسمى لجنة الشؤون الليبية (Photius, 1920, P 52) وإذا ما نظرنا إلى حولية الراهب البيزنطي Theophanes المعترف، 760-818م، والذي يرى الدكتور Debié بأن حوليته تعد فريدة (Debié, 2015, P 365) لدراسة أوضاع القرنين السابع والثامن، 668-716م (Forrest, 2015, P 415). فإننا نجد بأنه لا يزال حتى القرن 9م، يستعمل

لفظ ليبيا في الإشارة إلى شمال أفريقيا، فخلال أحداث سنة 748م يذكر مثلاً: " البحر الذي يفصل ليبيا عن أوروبا " (Theophanes, 1997, P 588). ويقصد به طبعاً البحر المتوسط، الذي كان يسمى في المصادر اللاتينية بالبحر الروماني وفي المصادر الإسلامية: البحر الرومي (في أوقات لاحقة كانت أرض الروم بالنسبة للمسلمين هي بلاد الروملي، أو أرضروم/أرزروم Erzurum (النويري، 2004، ص 211). وأجد في القرن نفسه، التاسع الميلادي، بأن السكرتير الملكي بالقسطنطينية؛ George Synkellos لا يزال يشير إلى Libya (SynceIII, 1652, P 48) في تقسيماته الجغرافية للعالم ضمن حوليته المعروفة باسمه Chronicle Of George Synkellos وإن كان لم يكتب حوليته كشاهد عيان على ظروف العصر، بل استناداً إلى كتب جغرافية يونانية قديمة قدم العصور الكلاسيكية. (Synkellos, 2002, P 1) وعلى النقيض من ما سبق، لا أرى بأن Nikephoros بطريرك القسطنطينية وهو واحد من مؤرخي القرن 9م، قد ذكر شيء عن ليبيا! والتي ربما يعود السبب إلى كونها قد انقطعت صلتها بالعالم المسيحي، وصارت بلداً إسلامية. بينما كانت اهتمامات الكتاب الآخرين بالمنطقة؛ جغرافية الطابع، أكثر من كونها دينية الصبغة.

منذ ما بعد الفتوحات العربية في القرن 7م سقطت ليبيا - كما تقول كاميرون- عن الأنظار (Cameron, 2006, P 164). حيث بدأ اسم ليبيا في التضاؤل والاندثار؛ وانحسر رسمياً خلال مطلع العصر الإسلامي؛ باسم لوبيا/لوبية، وهو المصطلح الذي استخدمه المؤرخون المسلمون، وكان الاسم يستعمل في نطاق ضيق من شرقي ليبيا على الحدود مع مصر، أي في منطقتي السلوم ومرسى مطروح حالياً. وما قبلهما غرباً، تكون المنطقة التي نسميها اليوم: البطانان، وهي مراقبة لدى المؤرخين المسلمين، و Marmarican لدى اليونانيون واللاتينز، وكانت تسمية Marmarica قد أخذت عنوانها من اسم القبيلة المحلية البدوية التي سماها الإغريق: Marmadae مارمايداي. وبصفة أن التسمية كمعظم أسماء

القبائل هي أجنبية، ولا أجد لها ذكرا في مصادر المحليين بعد الإسلام، فإنه من المحتمل أن الاسم الصحيح لها هو لواتة، وهو الاسم الذي ذكره نسابة البربر أنفسهم. وأشار العرب إلى وجوده في برقة خلال الفتح الإسلامي.

غير أنه وجب التنبيه إلى أن انحسار اسم ليبيا في منطقة محددة واقعة فيما بين غربي الإسكندرية شرقا إلى حد إقليم برقة غربا - وهو النطاق الذي ذكره/استعمله الجغرافيون المسلمون، الجغرافي البغدادي: اليعقوبي مثلا (اليعقوبي، 1988، ص 99) وبصفته شاهد عيان، زار وعاش بمصر Misir وشمال أفريقيا Kuzey Afrika (Ağari, 2003, P 187) هو انحسار لا يعود إلى تحولات القرن 7 للميلاد!. بل منذ القرن 6م، أرى بأن بروكوبيوس القيصري والذي يسمى أيضا ب: Procopii Gazæi (Procopii, 1620, P 5). يطلعنا على أن ليبيا بعد أن كانت قارة بأكملها، قد أصبحت في زمنه منطقة محددة ما بين المدن الخمس/بينطابوليس في ليبيا غربا، إلى حدود الإسكندرية شرقا. يقول المؤرخ المستشار البيزنطي بروكوبيوس: " ومع ذلك، فإن الأراضي التي تمتد من حدود الإسكندرية إلى حدود مدينة Cyrene والتي تضم المدن الخمس Pentapolis هي الآن المنطقة الوحيدة التي يطلق عليها اسم ليبيا! ... "(Procopius, 1971, P 365).

لدينا حقائق تاريخية حاسمة حول مستقبل اسم ليبيا إبان الفترة الإسلامية، أكثر هذه الحقائق وضوحا تفيد بأن الاسم قد انقطع نهائيا - عقب دخول العرب وهلاك أو فرار بقايا الأفارق واليونانيين والروم بعيد الإسلام - بصفته اسما أجنبيا من اطلاق الإغريق واستعمال بقية الأوربيين والمتوسطين في العصر الوسيط. وبالتالي فإنه رحل مع رحيلهم من المدن البحرية التي تحولت بعد ذلك إلى خرائب وآثار وأطلال. لقد جاء في كتابات المؤرخ المصري الشهير: عبد الرحمن بن عبد الحكم [ت257هـ/870م] ذكر لاسم ليبيا وفق صيغة « لوبية » لكن ليس على طول وعرض المنطقة، وإنما في جزء صغير من شرق

البلاد، وعلى الحدود مع مصر. يقول ابن عبد الحكم: " لوبية ومراقية، وهما كورتان من كور مصر الغربية " (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 229) لوبية هي ليبيا الشرقية، ومراقية هي مرماريكا، الوارد ذكرهما في الفقرات السابقة، ويذكر الجيوغرافي البغدادي: أحمد يعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] وتوفي سنة [284هـ/897م] أيضا اسم لوبية، كأقصى حد من شرقي ليبيا الحالية، ويعتبره " عمل لوبية Lûbiya وهي كورة من كور الإسكندرية " (Ya`Kûbî, 2021, P 159). ابن عذاري المراكشي، لزال يذكر ليبيا بلكتتها المشرقية أيضا وهي لوبية، ويشير إلى أنها بعد مصر، وتليها إفريقية (ابن عذاري، 1828، ص 2) أي أن ليبيا تأتي في نطاق مقاطعة برقة، وعلى الأرجح في منطقة البطنان الحالية، وما يليها غربا يتبع ولاية إفريقية وهي تونس الحالية.

أما الجغرافي الفارسي: أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة [205-280 هـ/820-893م] والذي اعتبره بدوره واحد من أقدم الجغرافيين المسلمين، فإنه يذكر اسم " لوبية ومراقية " (ابن خرداذبة، 1889، ص 92) Lübiya Ile Merakiyye'ye (İbn Hurdazbih, 2008, P 81). ولكن من دون أية تفاصيل. كذلك أجد بأن الجغرافي السبتي، عبد المنعم الحميري [900هـ/1495م] يعتبر أن منطقة لوبية، هي منطقة " متصلة بالإسكندرية " (الحميري، 1984، ص 514) وفي قراءة أخرى: " لوبية كورة من كور مصر الغربية، وهي متصلة بالإسكندرية " (الحميري، 1984، ص 786) بينما يقول الجغرافي الأناطولي ياقوت الرومي [574هـ-626هـ/1178-1229م] بأن لوبية في عصره/القرن 13م هي مدينة بين برقه والإسكندرية، وإليها يُنسب اللوبي! (الرومي، 1977، ص 25) ولعل الوحيد الذي كتبها " لوبيا " هو المالكي (المالكي، 1994، ص 46) وكان أستاذ التاريخ في الخمسينات الأستاذ بعيو، وعميد الجامعة الليبية في نهاية الستينات، قد عنون كتابا كاملا باسم لوبيا. في إشارة منه إلى الاسم الإسلامي للبلاد هو لوبيا، وليس ليبيا. (بعيو، 1953، ص 10)

منذ ما بعد الإسلام مباشرة، أجد بأن الساكنة المحليين لم يقولو بأنهم لبييون! بل بربر .. وهذا بمراجعة نصوص المؤرخين المحليين البربر أنفسهم: المزاتيين والنفوسيين وغيرهم من أعلام البلاد في العصر الإسلامي، أمثال: لوأب بن سلام، صاحب تاريخ ابن سلام. ومقرين البغطوري صاحب مرويات الأشياخ. والدرجيني والشماخي، وغيرهم. الكل كان يستخدم لفظ بربر عند الحديث عن نفسه وأهله وناسه. ولا أحد منهم استعمل كلمة لبيي أو لبييا أو لبييين. لأن الاسم أجنبي، ولم يكن سكان القبائل على وعي به.

في سياق آخر، استعمل وفد من لواته اسم: بني مازيغ، عندما سافر إلى المدينة المنورة لمقابلة الخليفة عمر بن الخطاب، فتم مساءلة الوفد من أنتم؟ فأجابوا وعلى لسان الترجمان: " نحن قوم من لواته، من بني مازيغ " (الناصرى، 1997، ص 35) وهذا الاستعمال لنسب مازيغ، يعد ضئيلا ويكاد لا يذكر، أمام استعمال أعلام البربر أنفسهم لنسبهم البربر، وكلاهما بربر ومازيغ نسبا صحيحا، وسنجد بأن العلامة الحضرمي اليمني ابن خلدون، [808هـ/1406م] قد استعرض آراء كثير من المؤرخين المسلمين، بما فيهم آراء البربر أنفسهم، حول أصل البربر؛ وخلص إلى أنها غير مقبولة، وأن ما يراه هو أنهم ينحدرون من: « بربر بن تملأ، بن مازيغ » وقد ذكر ابن خلدون مستندا على روايات محلية متواترة تفيد بأن: " إن البربر من ولد حام، بن نوح بن بربر بن تملأ، بن مازيغ بن كنعان بن حام " (ابن خلدون، 2002، ص 123).

وفي مقابل استعمال السكان وأعلامهم لاسم بربر أكثر من اسم مازيغ، فإن لا أحد منهم كان يستعمل اسم لبييا أو لبيية أو لبيي أو لبييين، لأنها وكما أشدد أسماء أجنبية، لم تكن سوى من استعمال اليونانيين والرومان والبيزنطيين، ومن ارتبط بهم من سكان المدن البحرية، من أجيال الليبوفينيق والمتوسطين الأفارق، والذين هلك بعضهم وغادر بعضهم الآخر مدتهم الساحلية، تحت ظروف مختلفة من الغارات والمحن والغزوات التي انطلقت خلال القرون الأولى من العصر الوسيط.

في بقية فترات العصر الإسلامي، تلاشى اسم لوبيا نهائيا، وظلت البلاد تُعرف بأقاليمها الرئيسية برقة وطرابلس وفزان. في حين احتفظ الكتاب المسلمون في العصر الإسلامي، باسم إفريقية، التي تُطابق من الناحية الإدارية ولاية أفريقيا الرومانية، واستعملوها - في مقابل قلة استعمالهم لمصطلح ليبيا - في تحديد المنطقة التي تمتد من قسنطينة حتى إقليم أطرابلس (روسي، 2009، ص 25) وما يلي قسنطينة هو المغرب بأقسامه الثلاث: الأدنى والأوسط والأقصى. والأمر مماثل تقريبا أجده عند الأديب ابن العمري، والذي يفيد في سياق حدود إفريقية، قائلا: " وإفريقية اسم الإقليم، وقاعدة الملك بها مدينة تونس .. وطولها من تدلس إلى حدود برقة، ومملكة طرابلس أول مدنها مما يلي برقة. " (العمري، 2010، ص 63).

## نتائج الفصل الأول

ألفت ظاهرة اضمحلال السلطة والحضارة الرومانية، بظلالها على الأوضاع العامة لليبيا، خصوصا مع انسحاب آخر الحاميات العسكرية الرومانية، وأهما فيلق أوغسطا الثالث Augustae Tertium Corps منذ عام 253م. فانتشرت الإضرابات وغارات القبائل تجاه سكان المدن البحرية. تعطل النمو الطبوغرافي/العمراني خصوصا مع حدوث زلزال كريت البحري والذي ضرب السواحل الليبية خلال القرن 4 للميلاد، والذي أدى إلى تقدم البحر في اتجاه مدن لبتي Lepti وأويا Oea وغيرها.

وقد تعمدت الانتقائية مع الرسائل الطويلة، بهدف عدم الدخول في تفاصيل مملة للخطابات الرسمية. وفي نهاية المطاف، حسبنا أن نذكر بإيجاز وجود فوارق ثقافية حركت مشاعر الناس. وأن ألف من الفلسفة والحضارة، لم تحل مشكلة المجتمعات المدنية بالحوضر البحرية مع نظرائها من القبائل المحلية بالدواخل، فظلت القبائل تجر عيالها ونسائها ورائها باتجاه المدن البحرية ومواردها من عام إلى آخر، فيما ظل سكان المدن يبحثون عن شمعة الخلاص من جيل إلى آخر، مكتفين أيضا بالمشاهدة صمما من على الأسوار.

وترد في هذا الفصل أيضا بضع عبارات تحتاج الوقوف، فكلمة ليبيا Libyam وتنطق باللاتينية أيضا ليبياس - مجرد اختلاف عابر في الألفاظ - كلمة يقصد بها ليبيا الحالية تارة، وسائد شمال أفريقيا، غالبا. إفريقية Africanis هي مقاطعة قرطاج Carthaginis مع بيزاكيوم Bysacium والمدن الطرابلسية الثلاث Tripolitanos. وسكانها هم الأفارق Afrorum وأحيانا يدعون باسم الليبيين Libycis. أما سكان القبائل فيسمون أحيانا باسمهم المحلي بربر Berbers وأحيانا بالاسم اليوناني Μαυρούσιοι ماورو Maurorum أو مور Moors ، ويدعون أيضا باسم اللانغوانتانك Languantanque وهي كلمة من اصطلاح سكان المدن البحرية في ليبيا، ويستعملونها في الإشارة إلى تكتل القبائل المحلية، والتي اشتهرت

منها قبائل لواتة. الكلمة لاتينية طبعا، وأتصور أن لانغوانتانك Languantanque هي من لانغوانتان،

والمحرفة بدورها من اسم لواتان/لواتا/لواته.

## الفصل الثاني: الوضع السياسي والعسكري في ليبيا/البربر الوندال الروم والعرب

### 1.2. غزو الفاندال Vandalicae الضغط الردود والتبعات

#### 1.1.2 الفاندالوس Vandalus من أوروبا إلى أفريقيا

الفاندال Vandalus أو Uuandalis أو Vandalic أو Wandali كما دعاهم المؤرخ الإشبيلي (إيزيدور، 1995، ص 21) الذي عاصرهم في إسبانيا (Isidori, 1655, P 734). سيطروا على سواحل شمال إفريقيا، قادمين من غربي أوروبا عبر أيبيريا، حيث أطلقوا اسمهم فاندالوسيا/الأندلس على ذلك المكان. ويذكر كورتوا Ch. Courtois واعتمادا على أسماء المواقع La Toponymie أن اسم الوندال مشتق من اسم قرية سويدية في أوبلاند تدعى Wendes - Vendel وأنها قد تكون هي موطنهم الأصلي (الصالح، 2010، ص 39) ويرى الباحث طويل؛ بأن إسكندنافيا هي موطنهم ولا شك (طويل، 2018، ص 171). وبالنظر في حوليات أول مؤرخ لاتيني كتب عن الشعوب الجرمانية، وهو Publius Cornelius Tacitus [55-120م] فقد حدد في تعريفه لموطن الشعوب الجرمانية بأنه في الوطن الألماني نفسه، وشدد على أن الجرمان عنصر وطني أصيل، لم يختلط بغيره من الشعوب أو الأجناس (تاكيتوس، 1959، ص 47). وقد ذكر Publius Tacitus رئيس القضاة بالدولة الرومانية، مطلع القرن 2م وجود الفاندال في زمنه تحت اسم Vandalios معتبرا أنهم يشكلون أمة أصلية وأصيلة في جنسها (Tacitus, 1861, P 19). ثم اندفعوا غربا باتجاه المناطق الجرمانية.

ومن الواضح أن الفاندال قد ظهوروا على مسرح الأحداث، خلال مطلع العصر الوسيط، كشعب يبحث بلا انقطاع عن موطن جديد. ففي أواخر القرن الرابع 392م وُجد Vandalifque (Procopius, 1537, P 141) بإقليم Pannoniarum ودخلوا Gallia أي فرنسا حاليا، وفي مطلع القرن الخامس للميلاد، وعقب هزيمتهم أمام الفرنجة سنة 409م تسللوا إلى إسبانيا، وأمام عجز الإمبراطور Honorius في

الدفاع عن إمبراطورتيه الغربية، انتشر الوندال في شتى أرجاء إسبانيا، وبعد صراع طويل مع الرومان في المنطقة دام إلى غاية 422م؛ هاجموا جزر البليار سنة 425م، ثم غزوا سواحل بلاد الماوري/المغرب سنة 428م.

والواقع أن بقاء Wandali في إسبانيا هو من أعطى للبلد اسم فاندالوسيا أو Vandalus! والذي استعمله المغاربة والعرب والمشاركة المسلمون تحت اسم أندلس. وأجد بأن ابن عذاري يشير إلى أن ما يتواتره العارفون هو " أن أول من نزل الأندلس بعد الطوفان قومٌ يُعرفون بالأندلش، فسميت بهم الأندلس. " (ابن عذاري، د.ت، ص 1) والأندلش هو اللفظ المحرف عن اسم الفاندال/الفاندالوس. وأعتقد شخصيا أن المغاربة هم من نقلوا هذا الاسم إلى العرب!. وأرى الشاعر/الإفريقي: Corippus قد استعمل خلال القرن السادس مصطلح Vandalus (Corippi, 1820, P 45). وذلك قبل الإسلام بقرن واحد فقط. وخلال العهد ذاته استعمل بروكوبيوس باللاتينية اسم Vandalos (Procopii, 1655, P 32). وذكر بروكوبي أيضا اسمهم في كتابه الحروب الفانداليكية وبالمكتوب باللاتينية على هذا النحو: Vandilos (Procopii, 1576, P 236) في الدلالة على الشعب الفاندالي، خلال بقاء الفاندال في إسبانيا/أو بلد الفاندالوس/الأندلس. وقد استعمل يورنانديس، اسم Wandalos ، في كتابه: أصل القوط (Lornandes,1655, P 613). بينما ذكر Marcellinus [460-534م] مرتين لفظ فاندالوس (Marcollihus, 1995, P 25.43) Vandalos والخلاصة أن جميع هذه الألفاظ هي اللفظ الحقيقي الذي ظهر منه اسم أندلس بالنسبة للمغاربة والمشاركة المسلمين خلال الفتح الإسلامي.

على التراب المغاربي، يعتبر الجنرال الروماني Boniface حاكم مقاطعة إفريقية، المسؤول الرئيسي عن إدخال Wandali إلى عموم ليبيا. وقد تولى هذا الرجل الإدارة عام 422م بتفويض من الإمبراطور الغربي Honorius. وعلى الجمل يقول أغوستينوس بأن Bonifatio يحكم وعائلته أفريقية Bonifatio

(Augustinus, N.D, P 426) Domesticorum Et Africae). وقد تم اتهامه بالخيانة، نظير تعامله مع الفاندال. (Mcneal, 2012, P 122) فكما يؤكد بروكوبيوس (Procopius, 1916, P 31): " بونيفاس ووفقا لأرائه، أرسل إلى إسبانيا يطلب التحالف مع أبناء Godigisclus على أساس المساواة الكاملة، ولكن إذا ما نزل عدو يقصد أي طرف منهم! فإن البقية لزاما عليهم النهوض للحرب ودرء المعتدين. على أساس هذا الاتفاق عبر الفاندال المضيق في Gadira ، ودخلوا Libya بينما استقر Visigoths في أوقات لاحقة داخل إسبانيا " (Aretini, 1576, P 639).

فيما يفيدنا Victoris Vitensis بقيام: " أفراد من Vandal Race المتوحش، بوضع أقدامهم على أرض إفريقية البائسة، بعد أن وصلوا مررا سهلا عبر المضيق، والذي يصبح البحر العريض فيه ضيقا بين إسبانيا وإفريقيا، مفصولا بين اثني عشر ميلا فقط! واعتزم Geiseric أن يجعل سمعة شعبه مصدرا للرهبة! فأمر بأن يحشد شعبه بأكمله حتى أولئك المواليد ممن خرجوا من الرحم إلى النور في ذلك اليوم بالذات. بما في ذلك كبار السن من الرجال والشباب والأطفال والعبيد والسادة. وهناك تم عبور ما مجموعه 80000 من العابرين الونداليين. " (Vitensis, 1881, P 2).

إننا نقابلهم متجهين إلى الطرف الآخر من القارة، يجرون وراءهم آلاف النساء والأطفال ممن حملوا متاعهم وأعطيتهم آملين في وطن آخر على أرض أفريقية. وفي هذا الصدد يقول دي فيتا: " لقد انتشرت أخبار هذا العبور على نطاق واسع، وأولئك الذين يجهلون الأمر، كانوا يعتقدون أن هذا هو عدد الرجال المسلحين فيهم! على الرغم من أن عددهم الآن ضئيل وضعيف، جاؤوا يبحثون عن مقاطعة تعيش في سلام وتتمتع بالهدوء، إلا أنهم جلبوا معهم قواهم الشريرة، وألقوا بنفائهم عبر الدمار. فصار كل شيء يدمر بسفك الدم والنار. " (De Vita, 2006, P 3). وبعد سنوات من القتال، تلقوا ملكية الأرض من الرومان في عام 435م، واستولوا على طول ساحل نوميديا. ثم قام المخربون/ الفاندال بغزو إفريقيا

Proconsularis في عام 439م وتم الاستيلاء على العاصمة قرطاجة في 19 أكتوبر من ذلك العام. (Theophanes, 1997, P 307). وتم تأسيس مملكة فاندالية داخل شمال أفريقيا تولى حكمها جنسريك Genseric مدة 49 سنة كاملة (Bigelow, 1918, P 80). وقد كتب المؤرخون اسم ملك الوندال جيسريكو، في صيغ مختلفة. تمكنت من حصرها في التالي:

Zirzeric Geiséric Genseric Gizeric Geiserico Gizerich Gaisericus Rex Geiseriei  
Ginsiricus Genlericus.

### 2.1.2. السلوك الوندالي في البلاد الليبية

يمكن أن نسمي غزو وهجرة الفاندالز بمثابة مجرد حلقة أخرى من حلقات الضغط الأزلي الشمالي والشرقي، على ليبيا منذ فجر التاريخ. تمثلت هذه المرة في غزو الفاندال لساحل شمال أفريقيا في أواسط القرن الخامس للميلاد. وهم عنصر قبلي جرمانى، تتهمه المصادر بالهمجية والفساد والتدمير الواسع النطاق، حصلت حالات نزوح وهجرة وقتل وتقتيل، أدت إلى إبادة عدد من سكان المدن الساحلية، ف" اضطر السكان المتحضرون لمغادرة السواحل والانتقال إلى الدواخل " (الأرنأووطي، 1995، ص 41) وفي هذا السياق ارتبط مفهوم التخريب Vandalism وفي جميع اللغات الغربية الحديثة، بممارسات الشعب الفاندالي (Merrills, 2009, P 156).

ورغم أن الوندال قدموا في هجرة عائلية قبلية متكاملة، غادرت وطنها ونست مسقط رأسها، استقرت بساحل شمال أفريقيا قرابة التسعين عاما، إلا أن أفرادها كانوا قد مارسوا كل أنواع التخريب والتدمير، واضطهدوا السكان المسيحيين من البونيقيين والرومان والمتوسطين (Merrills, 2004, P 225). ويشار إلى أن السكان المحليون قد تعاونوا مع الوندال في مهاجمة الحاميات الرومانية (اللبار، د.ت، ص 127) ومجتمعات المدن البونيقية والمتوسطية داخل المدن المحصنة والتي كانوا ينشطون بها. وتحت هذا الظرف، احتل الوندال قرطاجة في 19 أكتوبر من عام 439م واتخذوها مركزا لانطلاق حملاتهم (De Vita, )

3 P, 2006). وكما يطلعنا بروكوبيوس القيصري: " عندما استحوذ Gizeric و Vandals على ليبيا، ..

قاموا على الفور بهدم جميع جدران المدن وتسويتها بالأرض. " (Procopius, 1971, P 379).

منذ أن أصبحت ليبيا/شمال إفريقيا ما عدا مدن سيرتا وقرطاجة تحت قبضة الوندال في نهاية 431م،

شعر البيزنطيون، بالخطر الذي سوف يهددهم. فحظيت قرطاجة، التي تعد الرمز الفعلي للوجود

الإمبراطوري في شمال إفريقيا، بكل العناية الدفاعية (دريسي، 2007، ص 40). وعلق بروكوبي بالقول:

أصبح Genlericus Ac Vandali حائزا على ليبيا (Procopius, 1537, P 142).

خلال وقت قصير، يجتاح الفاندال بقيادة Geiserico الساحل الغربي لإقليم Tripolis فظفروا

بالمنطقة منذ سنة 455م. وهدم Geiserico أسوار جميع المدن والحصون المنتشرة على ساحل خليج

سيرت مرورا ببلدية لبتييس الكبرى وأويا وصبراته، ووصولاً إلى المدن الكائنة في ولاية قرطاج، عدا قرطاج

نفسها التي اتخذها الوندال بعد سقوطها عاصمة لهم.

والملاحظ أن الوندال لم ينجبوا مؤرخاً من بني جنسهم، فظل تاريخهم كغيرهم من الشعوب القبلية،

مكتوباً على يد الآخرين! خصوصاً من طرف بعض المنفيين الأفارقة والذين من الطبيعي أن يكونوا قد

كتبوا عنهم بتحامل شديد، وهو أمر يجعلنا غير قادرين على دراسة مختلف وجهات النظر، واستجلاء

الحقائق من كلا الطرفين (إسكندر، 2007، ص 143).

### 3.1.2. ثورة كاباون Cabaon ضد الوندال عام 523م

ثورة كاباون هي ثورة القبائل البدوية ضد الحكم الوندالي في ليبيا، والتي اندلعت بزعامة كاباون،

الزعيم البربري الذي يدعوه المؤرخ بروكوبي، ب: Maurisdux Cabao (Procopii, 1655, P 25). أي

كاباو ملك المور. وأجد اسمه بالمصادر وفق قراءات مختلفة، منها كالتالي: (Procopii, 1655, P 25)

Cabaone Cabaone (Procopii, 1594, P 262) Cabaoni (Procopii, 1655, P 90) Cabaon و

Cabaonis (Procopii, 1576, P 191). Cabao (Procopii, 1655, P 25) وأيضاً Cabaones و

Cabaun

وهو الزعيم البربري الذي قاد القبائل الجبلية المتحدرة من جبال نفوسة في عهد الملك الفاندالي Trassamondo. وبحسب Evagrius 535-594م " Cabaones هو شيخ قبيلة أو زعيم للمور في محافظة Tripolis (Evagrius, 1846, P 136). ويعتبر Cabaon شخصية محلية قوية، وقد علق عليه بروكوبيوس وفق السياق التالي: " كانت هناك سلطة/حكم Cabaon على الماوري القاطنين قرب Tripolis وهو رجل ذو خبرة، خاض العديد من الحروب، وهو داهية للغاية. " (Procopius, 1916, P 77) وفي نص لاتيني، يقول بروكوب: " Maurisdux Cabao ملك المور كاباو. .. هو رجل ماهر/خبير في شؤون الحرب والأولاد وأشياء أخرى. " (Procopii, 1655, P 25).

حتى عام 533م كانت السلطة الوندالية لا تتجاوز الشريط الساحلي لولاية تريبوليتانيا، ولم تمتد إلى أبعد من ساحل خليج Syrtim. في حين ظلت الدواخل في يد القبائل المحلية. إن اختراق الوندال للدواخل الليبية ولو بشكل طارئ/مؤقت، أمر وضعهم وجها لوجه أمام مجتمعات أخرى، ويبدو لي بأن ثورة القبائل المحلية ضد الوندال، قد جرت بسبب امتهان الوندال لهم تحت أي ظرف كان. (Treadgold, ) (2007, P 569) حيث " شعر الماوري بازدياء الوندال لهم، أعلنوا الحرب في وجوههم " (Theophanes, ) (1997, P 286). ويخبرنا بروكوبيوس قبائل الدواخل، قد ثاروا ضد الوندال فيما بين سنوات 496 - 522م بزعامة القائد الجبالي/اللواتاني: Cabaun وتمكنوا مؤقتاً من دحر الحامية الفندالية بقيادة Trassamondo والتي لم تلبث إلا وأن استرجعت نفوذها في المنطقة من جديد. وكانت ثورة أخرى قد اشتعلت في عهد الملك الفندالي Ulderico حددها بروكوبيوس بأنها تمت خلال سنوات 527 - 533م وكانت قبيلة سميّت Laguatan ؛ هي العنصر الفاعل فيها، وكما يظهر لي، فإن تسمية Laguatan قد كانت متحدرة

من لفظ لواتان، وهو نفسه الذي يعني لواتة أو لُوا باللسان البربري. وكانت هذه القبيلة الكبيرة آنذاك هي التي هاجمت مدينة Leptis Magna ، وهدمت جزء من أسوارها ونُهبت دورها وفتكت بسكان ضواحيها، وأشعلت النيران في محيطها (بازامه، د.ت، ص 23).

والظاهر أن عدم تمكن الوندال من القضاء على ثورة الأوراس التي تجاوزت حدود Numidia واستولى المور بعدها على موريطانيا ونهبوها، ثم قتلوا الكثير من كاثوليكها ووندالها، قد فتحت الطريق أمام بقية التطورات التي تحركت في ظروفها بقية القبائل الماورية. فهي الشرارة الأولى بالنسبة للثورات المحلية التي وصلت إلى صحراء وجبال طرابلس. وقد كانت خطوة مشجعة تماما لباقي القبائل ومحفزة على الثورة ضد الحكم الوندالي، ووفقا لهذه الإجراءات، اندلعت ثورة قبائل التي انحدرت من أطراف جبال نفوسة بقيادة Cabaon وذلك في عهد الملك الوندالي Thrasamund. حيث بدأ الصدام في أواخر حكمه، بعد أن تقدمت القبائل الجبلية باتجاه الساحل نحو مراكز المقاطعة الطرابلسية، وسيطرت عليها بالكامل كما يخبرنا المؤرخ Evagrius 535-594م بأن " Cabaones شيخ قبيلة وثني، لا يعرف الله، لقد استولى على تريبوليتانيا، وقام باضطهاد المسيحيين وهاجم كنائسهم. حيث بعث بالكشافة إلى قرطاجنة. " (Evagrius, 1846, P 205). فيما تعرضت الحامية الفاندالية الصغيرة بمدينة أويا إلى الهزيمة. وقد سمع الملك الوندالي Trassamondo بهذه التطورات في إقليم تريبوليوس مما دعاه إلى رفع حملة تحذيرية حول هذا الحدث الطارئ، واتخذ بضع تدابير وتحريات حول ديانة الجبالين في ليبيا، ثم قام بإجراءات عسكرية تهدف إلى الاشتباك بقوات كاباون، واستعادة المقاطعة الطرابلسية. كابوون من جهته لم يكن قد غاب عنه أن الحاكم الوندالي يعد له بدوره قبرا في الخفاء. لذا وعند سماعه بخطوات التحري الأخيرة، أدرك نوايا الشعب الوندالي تجاه جماعته، فأمرهم وكما يطلعنا بروكوبيوس، بما يلي: " هذا Cabaon عندما علم بأن الوندال يخططون للتحشيد ضده، وأنهم يتقصون ديانة أتباعه من المور، إلى أي طائفة أو ديانة ينتمون؟".

أصدر Cabaon أوامره لرعاياه بالامتناع عن جميع المظالم، والتكشف بالكف عن تناول جميع الأطعمة التي تميل نحو الترف، والأهم من ذلك كله عدم معاشره النساء؛ وأقام سياجين مطوقين، الأول أقام بداخله هو شخصيا مع جميع الرجال، وفي السياج الآخر جمع جميع النساء، وأغلق عليهن، وهدد بأن الموت سيكون عقوبة كل من يحاول الذهاب أو الاقتراب من سياج النساء. " (Procopius, 1916, P 79).

أما على صعيد المقاتلين، فقد جرت المعركة الأولى في الطريق الواصل بين الولايات القرطاجية ومقاطعة طرابلس، حيث اصطدمت جيوش تراسموند بالخطة الحربية الجديدة التي طبقتها قبائل بدوية، والتي تعتمد في تنقلها على الجمال، معتمدة في ذلك أيضا على أسلوب الكر والفر واللجوء إلى الدواخل والصحراء، لاستجماع القوة عند الضرورة (الصالح، 2010، ص 86) وتم الاستعداد الكامل للحرب كما يقول بروكوبيوس: " عند اقتراب الوندال؛ رتب Cabaon اللقاء للمعركة على النحو التالي: وضع علامة خارج قطر دائري كبير في سهل مفتوح، وكان ينوي صنع حاجز له، ووضعت جماله على حواف الدائرة، باعتبارها حماية للمخيم، وجعل خطة المواجهة للقاء العدو برص اثني عشر جملا. ومن ثم وضع الأطفال والنساء وجميع أولئك الذين كانوا غير صالحين للقتال جنبا إلى جنب مع ممتلكاتهم في الوسط " (Procopius, 1916, P 83). في مركز الدائرة إذا وضع كباون الأطفال والنساء ثم الشيوخ وأموال القبيلة، وكما يطلعنا Evagrius: " يقوم Cabaones على وضع الرجال في صف واحد، ويضع النساء داخل مرفق آخر، ويهدد بالموت كل من يقترب من النساء. " (Evagrius, 1846, P 205). بينما تموضع الرجال القادرون على حمل السلاح تحت بطون الجمال ليتخذوها كدروع لحماية أنفسهم من الرماح أو النشاب أو وسيلة هجومية محتملة، ولم يتمكن فرسان الوندال الذين تعودوا القتال بالرماح والسيوف من دفع خيولهم إلى الأمام. ذلك أنها كانت تتراجع في خوف واشتمزاز من رائحة ورغاء وهدير الجمال!

(Procopius, 1916, P 83).

وأمام عجز الوندال عن استخدام النبال والأقواس التي لم تكن من أسلحتهم، وترنح الخيول أمام منظر الجمال المتراصة، ارتبك الخيالة الوندال الذين لم يكن في وسعهم استيعاب الكيفية التي يمكن لهم من خلالها؛ أن يتعاملوا مع هذا الموقف الجديد بالنسبة لهم! " لأنهم لم يكونوا جيدين في رمي الرمح ولا مع النشاب بالقوس! وأصبحوا عاجزين تماما، ولا يعرفون الكيفية التي تخولهم خوض هذه المعركة!". (Procopius, 1916, P 81). ففي تلك اللحظات، ينتهز رجال كاباون والمتحصنون وراء جملهم؛ هذه الفرصة، ليتولوا زمام الأمر برمي العدو بالرمح الطويلة والقصيرة وربما حتى بالحجارة. مما أفضى إلى مقتل وجرح عدد كبير من أفراد الجيش الوندالي، الذي خسر اللقاء تماما، وأصيب ملكهم من جراء ذلك بنكسة كبيرة. وقد ذكر الإمبراطور الكاتب Maurice 582-602م أن Mauris يتصفون بالقتال بواسطة Short Moorish Javelins (Maurice, 1984, P 152). وكان هذا هو الحظ العاثر الذي عانى منه Trasamundus على يد المور. فتوفي في وقت لاحق، بعد أن حكم 27 سنة. (Procopius, 1916, P 83).

وخلاصة القول أن المقاطعة الطرابلسية قد احتوت على أحداث دامية، هُزم فيها الجيش الوندالي إثر ضربات محاربي المور بقيادة الملك كاباوون (التازي، 1963، ص 161) وهذا بفضل استراتيجية حربية محكمة استعملت فيها الجمال كسلاح ردعي فكك من نجاعة الهجوم الوندالي. وتؤرخ هذه الأحداث بنهاية عهدة الملك Trasamundus في 523م وقد عان خليفته Ilderich من نفس الانشغالات، فاستهدفت هذه المقاطعة من طرف قبائل Laguatan والتي شنت غزوات على المدن حيث كان الضغط مركزا باتجاه المراكز الساحلية، ويتأكد ذلك بالسيطرة والنهب الذي حصل لمدينة لبدة. وكان ذلك في فترة 527-530م (دريسي، 2007، ص 57). حيث يخبرنا بروكوبيوس القيصري/البيزنطي، مؤرخ القرن السادس، بأن انتصار القبائل على الوندال، أدى بهم إلى التقدم نحو مدينة لبدة لاستباحتها ونهبها وإخلاءها من

سكانها، ف" بعد تغلب المور الذين يُدعون لواته، على الوندال الذين يسودون ليبيا آنذاك، أخلوا لبدّة العظمى كلية من السكان. " (بروكوبيوس، 1975، ص 183) مؤكّد أنه بانتصار القبائل على الوندال في معارك (527-533م) حدث أن تقدم الرجال المنتصرون نحو مدينة لبدّة، لاستباحة سكانها، فنهبوا وتركوها خاوية على عروشها (النمس وأبو حامد، 1977، ص 24). وعندما وصل الرومان/البيزنطيون لإسقاط مملكة الفاندال، كان الشعب Vandalicisque الفاندالي؛ حينها تحت حكم الملك الأخير: Gelimero وكانت المقاطعة الطرابلسية بكاملها تحت حكم الوندال. مما يعني عودتهم إلى حكم الإقليم الطرابلسي في وقت لاحق من الهزيمة التي تعرضوا لها في عهد كاباون. بينما لم تسقط مملكة الوندال وبالقوة أيضا، وتنفكك نهائيا ورسميا إلا على يد البيزنطيين عهد دولة جوستينيان بقيادة القائد البيزنطي الشهير Belisarius سنة 533م. (Haynei, 1946, P 52).

#### 4.1.2 الفاندالز Vandals والبيزنطيين Byzantium

انطلقت ردود الفعل الإمبراطورية ضد التوسع الفانداليكوي Vandalicumque مبكرا من روما وبيزنطة، رغم أن Procopius Caesarensis وبصفته واحد من أشهر مؤرخي القرن السادس، ممن تم تعيينه ضمن فريق السكرتارية الرسمية منذ سنة 527م (James, N.D, P 34). ثم حضر بصفة مستشار مع قائده العسكري Belisarius إلى ليبيا سنة 533م، لا يذكر التاريخ بشكل مباشر، إلا أنني من سياق النص أعتقد بأنه قد حدث سنة 430م أي مباشرة بعد سقوط مدينة Hippo-Regius حاضرة شمالي نوميديا سنة 429م، حيث " وبعد ذلك بقليل، قرر Boniface وكافة الرومان في ليبيا، تجديد الكفاح، وخرجوا لاستقبال الجيش الذي جاء من كل أنحاء روما وبيزنطة تحت قيادة Aspar وهو القائد العام، وخاضوا معركة شرسة تعرضوا فيها للهزيمة الفادحة. " (Procopius, 1916, P 33) ويؤكد Theophanes

بأن " الحرب ضد Gizerich انتهت بهزيمة الجيش الروماني. وجاء Boniface إلى روما مع Aspar " (Theophanes, 1997, P 147).

اضطرت الإمبراطورية الرومانية البيزنطية لإبرام معاهدة عام 442م على غرار معاهدة عنابة سنة 435م. حيث تم بموجبها تقسيم إفريقيا من جديد بين القوتين، وكانت المعاهدة أكثر فائدة بكثير للفاندال. حيث احتفظت الإمبراطورية بمقاطعات Tripolitana و Mauretania Caesariensis وجزء من Numidia في حين تم الاعتراف بالفاندال على أنهم أسياد بقية دواخل نوميديا، فضلا عن مقاطعة Byzacena ومقاطعة Proconsular أو Zeugitana (Bury, N.D, P 94). وبالنتيجة وكما يخبرنا بروكوبيوس: " بعد وفاة Valentian حصل Gizeric على الدعم اللازم من Moors وفي كل عام من بداية الربيع، يقوم Vandals بشن غزوات في اتجاه صقلية وإيطاليا ويقومون باستعباد أهالي بعض المدن، وتخريف/سحب الآخرين إلى الخارج، ونهب كل شيء يقع في حوزتهم؛ حتى أصبحت الأرض معدمة من الرجال والمال، لقد نهبوا أيضا Illyricum وأكثر أنحاء Peloponnesus وبقية أرجاء اليونان وجميع الجزر التي تقع بالقرب منها. " (Procopius, 1916, P 53) ويذكر Victor De Vita أن الدافع الرئيس من غزو روما هو الاستحواذ على الثروات والمكاسب والغنائم والنقود والأحجار الثمينة (De Vita, 2006, P 12).

في العام التالي 456م نجح القائد الروماني/البيزنطي Ricimer ، في إغراق 60 مركبا ونداليا، مع إجبار البقية على الفرار نحو كورسيكا. وفي سنة 457م جهز الإمبراطور ماركيانوس 300 سفينة شراعية حربية لمهاجمة الأسطول الوندالي في ما بين ليبيا وإيطاليا، غير أن خيانة بعض القادة قد أدت إلى فشل الحملة، وكان مقتل الإمبراطور عام 461م قد أدى مؤقتا إلى إيقاف بيزنطة لجميع محاولاتها لاسترجاع إيطاليا، ولمهاجمة الوندال في المتوسط.

خلال سنة 468م حاول الإمبراطور الروماني الشرقي: ليو Leo ، دحر الوندال واستعادة ما يعتبرونه إرث/الممتلكات الإمبراطورية بالمدن والسواحل الليبية (Malalas, 1986, P 206). ويفيدنا Theophanes بالقول: " تم مدهامة Vandals على حين غرة، وتمت استعادة مدينة Tripolis والعديد من المدن الليبية الأخرى، وتم مضايقة Gizerich عدة مرات بواسطة أسطول Basiliskos حتى أنه بات مستعدا لإرسال سفارة إلى الإمبراطور Emperor Leo يعرب فيه عن أمله في إحلال السلام. وقد وافق ليو على ذلك " (Theophanes, 1997, P 182). وبحسب كانديدوس، فقد تم الاطلاع على أن غرض التحشيد لهذه الحملة العسكرية الكبرى؛ هو إخراج الوندال من إقليم Tripolis ، و Carthagine (Candidus, N.D, P 7) حيث بعث الإمبراطور Leon بقائدين من كبار قواده، هما: Basiliscus الذي تولى قيادة الأسطول المتألف من 1100 قطعة حربية، مهمته مهاجمة الفاندال في قرطاج. مع مساندة القائد Eraclio والذي تم توليته قيادة الجيش البري، وتكليفه بمهمة طرد الوندال من إقليم Tripolitania (روسي، 2009، ص 47) حدث ذلك خلال سنة 470م وبعد اشتباك عنيف، تمكن Heraclius من هزيمة الوندال وطردهم من Oea وما إلى الشرق منها حتى Leptis Magna. وأخذ يستعد للزحف برا نحو قرطاج. غير أن بازيليسكوس كان قد أجّل المعركة البحرية أمام الوندال حول قرطاج. وبهذا تجمد موقف الجيش والأسطول البيزنطي سنة 468م. فكانت بذلك هي آخر محاولة قبل عصر جوستينيان. (بازامه، د.ت، ص 23). رغم أن Basiliscus كان قريبا من قرطاج، حيث رسي بالأسطول عند معبد هرمز الذي لا يبعد عن المدينة سوى 570 مترا. (عمران، 1985، ص 53) إلا أن الاتصالات مع الملك الفاندالي، كانت قد أفضت به إلى قبول الرشاوى. أو كما قال بروكوبيوس: " كانت الخيانة والجبن إلى جانب الرشاوى التي قدمها Gizeric إلى Basiliscus هي من أدت بالحملة إلى الفشل! " (Procopius, 1916, P 59).

بعد أربع سنوات، أبرمت سنة 474م معاهدة أبدية بين الإمبراطور زينو Zeno وبين الوندال؛ وأُعترف للطرف الأخير بحق الملكية في معظم أنحاء ليبيا/شمال إفريقيا وبعض جزر البحر المتوسط.

مع اعتلاء الإمبراطور Justinianus سدة العرش، " بعد موت خاله يوستنتينوس؛ سنة ستة آلاف وواحد وعشرون لآدم، الموافق خمسمائة وسبع وعشرون لتجسد المسيح " (قسطينطيني مجهول، 2008، ص 125) تغيرت الظروف لغير صالح الفاندال. وكان جوستنتيان متحمسا منذ البداية لنشر المسيحية، وقد كانت من بين أولياته سنة 542م نشر المسيحية. (Zuqnin, 1996, P 26). كما رسخت في ذهنه إعادة تشكيل حدود الإمبراطورية الرومانية واسترجاع ممتلكاتها. فضلا عن نداءات اللاجئين من المدن الساحلية الليبية إلى بيزنطة، عارضين على جوستنتيان، مشاكلهم وظروف بلادهم، ومحرضين إياه على استعادة الأمن فيها (Zachariah, 1899, P 262). وقد استغل جوستنتيان حادثة الانقلاب على السلطة داخل البيت المالكي الفاندالي. " عندما اغتصب Gelimer العرش من Ilderich ، وأرسل يطلب من بيزنطة الاعتراف به ودعمه، وأنه اضطر إلى خلع إلدريخ نظرا لافتقاره للقوة!. رفض جوستنتيان ذلك، ورد بأنه لن يعترف بانقلابي على السلطة. وخطط لشن الحملة ضد ليبيا. " (Theophanes, 1997, P 287). فتم العمل على اطلاق الحملة البيزنطية تحت قيادة Belisarius و Martin والرئيس Archelaus صحبة العديد من السفن الحاملة للأسلحة والتجهيزات الخاصة بالجيش (Zachariah, 1899, P 262). وكان Belisarius بالذات قد تحنك في المهام العسكرية من خلال خبرته وتجاربه في الحروب الفارسية البيزنطية (Procopius, 1911, P V). وكان أول تعيين له في الخارج قد تم سنة 526م عبر قيادة الحملة البيزنطية التي غزت الجزء الشرقي من أرمينيا. (حسن، 2010، ص 147) وبعد أن احتشدت قوات جيشه المحترف على اليابسة، استعدادا لخوض المعركة ضد الوندال، حدث التمرد ضد الحكم Vandali في جزيرة سردينيا (Procopius, 1916, P 203). وعلى الجانب الآخر من المتوسط، قام Pudentius بدعوة سكان الولاية الطرابلسية إلى الثورة

ضد الحكم الوندالي (Procopius, 1916, P 99). وقد وعد Pudentius بالمحافظة على Province Of Tripoli وعودتها إلى طاعة الرومان (Gibbon, 1788, P 126). وهذا الرجل الذي وصفه المستشار بروكوبيوس بأنه Pudentio Perfuafus Viro Tripolitano أي الرجل الطرابلسي المتواضع. (Procopii, 1594, P 262) وفي نسخة لاتينية غيرها: Pudentii Tripolitani (Procopii, 1655, P 120). أي بوينيقي الطرابلسي، وقد كان الرومان البيزنطيون يعولون عليه بصفته وجيها في مدينة أويا/Vai-At (Evagrius, 1846, P 207).

ظهر Belisarius فجأة أمام أسوار قرطاج سنة 533م بقوات رسمية للإمبراطورية البيزنطية والتي تمكنت من القضاء نهائيا على الوجود الوندالي في أفريقيا. بعناصر (هم من عناصر سكان آسية الصغرى، أبو الجدايل، 1995، ص 437) من الجنود الآيسوريين والتراكيين (بروكوبيوس، د.ت، ص 200) علاوة على مشاركة جنود من Goths وعناصر من Elours ومعهم بعض المنشقين كما يبدو من Vandals ومحاربين من القبائل المحلية Maurorum (Theophanes, 1997, P 320) رغم أن Diehl يرى حسب رأيه بأن لا ينبغي أن نبالغ نهائيا في حجم هذا الجيش (Diehl, 1957, P 43).

حسم Belisarius الوضع بانتصاره على Geilamir وجيشه في معركة Decimum في 13 سبتمبر من عام 533م، وفر Geilamir مع فلوله إلى نوميديا، ثم وقع في الأسر. وفي 15 سبتمبر من نفس العام 533م دخل الأسطول المدينة الكبرى قرطاجة من جهة الميناء بمساعدة السكان القرطاجيين، ودخل Belisarius إلى قرطاجة وإلى قصر Geilamir جالسا على العرش باسم إمبراطوره جوستينيانوس (دريسي، 2007، ص 64). الذي حيكت القصص والإخباريات حوله (Gillett, N.D, P 163).

واختتم جوستينيانوس المرحلة بإصداره خطابا كانت مقدمته أن لييبا أصبحت الآن متحدة مع الإمبراطورية (Diehl, 1896, P 34) بعد أن أسر كما يفيد المؤرخ البيزنطي بالقرن السادس للميلاد؛

ميناندر الحارس؛ كل من " Gelimer الفاندالي، و Vittigis القوطي (Menander, 1985, P 49). ومع سقوط Gelimero Rex سقطت مملكة الشعب الوندالي Vandalicumque Genus رسمياً، وباد أصلهم وجنسهم كما يقول المؤرخ الأيبيري المعاصر للحدث، Isidore Of Isidorus Hispalensis، Seville وكان حكمهم قد امتد إلى نحو 124 سنة، من سنة 409م حتى عام 533م. (إيزيدور، 1995، ص 21).

## 2.2 ليبيا تحت الهيمنة البيزنطية

### 1.2.2 الحرب الماورية - البيزنطية Maorice-Byzantina

لقد اعتبر procopius Caesarensis أن حملات Belisarius في جميع أنحاء ليبيا، هي تبشير بتحرير السكان، وتحقيق العدالة للرومان ورعاياهم (Kaldeilis, 2004, P 35) غير أن الجنرال Flavius Belisarius لم يكفد ينفذ يديه من غبار معارك الوندال، ويُنهى حروبه نهائياً في ليبيا، ويعود إلى القسطنطينية محملاً بانتصاراته وكنوزه وغنائمه من الحرب الوندالية (Elsner, N.D, P 41) حتى ثارت القبائل المورية في صائفة 534م في كل من Bysacium و Numidia. وكان الجنرال Belisarii قد خلف وراءه في إفريقية القائد البيزنطي Solomon والذي أجد اسمه في المصادر اللاتينية واليونانية وفق هذه الصيغ التالية: Salomonem Salamono Solomoni Solomon Solomoniacos (Procopii, 1594, P 236) أو Soimonema (Procopii, 1655, P 524). ويشير أحد الباحثين إلى أنه عراقي الأصل (مناصر، د.ت، ص 17) وهو الحاكم العام الذي حكم خلال الولاية الأولى سنوات [534-537م]. ثم ومع بداية عام 543م قام جوستينيان بتقسيم السلطات في ليبيا بين حفيدي Solomoniacos (Procopius, 2004, P 31) وهما Sergius و Cyrus وفي قراءات أخرى: Curtius & Sergius (Procopii, 1576, P 236) وعلى وجه العموم غدت المقاطعة الغنية: مقاطعة Pentapolis من

نصيب Cyrus وهو الأكبر سنا. بينما تولى Sergius زمام السلطة كدوق في Province Of Tripoli وكان ذلك بمثابة محاولة بيزنطية يائسة لإغلاق الباب في وجه العاصفة الماورية قبل أن تهب! خصوصا وأن سليمان - وكما يقول يرى الباحثة Vasiliev - كان قد هُزم تماما، ومن ثم قُتل ( Vasiliev, 1980, P 136) والواقع أن قيام جستينيان سنة 543 بتعيين سرجيوس Sergius دوقا للمقاطعة الطرابلسية؛ قد أثار جملة من ردود الأفعال، فلقد كانت سمعة هذا الولد/الشاب؛ سيئة في أوساط الجيش، بل حتى مع قبائل المور أنفسهم، وإذ يبدو بأنه قد أمر جنده بالتوغل في مشارف الجبل، للتصرف في المزارع الرومانية القديمة المحصنة (حول موضوع المزارع الرومانية المحصنة: كورو، 2015 ، ص 10) وهذا ما رفضته قبائل Languantique. والتي حشدت سنة 544م سائر القبائل الجبلية والصحراوية البدوية تحت لوائها، قاصدة Leptis Magna للاحتجاج أمام الدوق.

غير أن الأزمة لم تلبث إلا وأن اشتدت سنة 544م عندما فشلت المفاوضات أثناء مأدبة عشاء داخل قصر الحكومة بلبتيس الكبرى، بين سفراء قبائل Languantique وبين مسؤولي لبتيس الكبرى، والتي انتهت باغتيال الحرس لـ 80 وجيها من وجهاء القبائل المحلية، (Theophanes, 1997, P 301). أو كما قال بروكوبيوس: ثمانين سفيرا من Levathae Ambassadors " (Procopius, 2004, P 30) وقبل أن ينتهي ذاك النهار، كانت لبدة قد شهدت هجوما شاملا على مواقعها.

ويرى أحد الباحثين أن ثورة القبائل المحلية ضد البيزنطيين وحلفائهم الليبيين كانت داخل مدينة لبدة، وقد عتّون بجمته على هذا النحو (اعبليكة، 2012، ص 183) والواقع وكما يؤكد بروكوبيوس، أن المعركة قد نشبت خارج الأسوار، وبل وفي الفيافي المحيطة بالمدينة. وبالنتيجة فإن محاربي تحالف Leuathae كانوا قد اصطفوا " وقرروا حمل السلاح ضد الرومان. " (Procopius, 1916, P 397).

على الضفة المقابلة خرجت القبائل المحلية تباعا، فعلاوة على التوتر الذي شهدته المقاطعة الطرابلسية، حدث الاضطراب في دواخل الشرق الليبي أيضا، وخرجت القبائل البدوية من هناك. ومن أهمها قبيلة Barcaei (Corippi, 1820, P 26). كما خرجت للحرب عشائر Marmaridas Gentes التي نكبت بإفريقية (Corippi, 1820, P 26). وهي تستخدم الابل في حروبها ضد الرومان البيزنطيين. وكان أفرادها يحتمون بظهور الابل Camelos من الرماح والسهام التي يطلقها الشباب الرومان (Corippi, 1820, P 106). كما زحفت قبيلة Macumiana وقد خرجت من صحراء طرابلس (Corippi, 1820, P 25). كما انضمت قبائل الجبل النفوسية أيضا، فخرجت " تلك القبائل التي تسكن Montana Nauusi جبل نفوسة بالجبال المهجورة والأماكن الصحراوية الجافة في منطقة نفوسي الكثبية " (Corippi, 1820, P 26). وانضمت قبيلة Mazax للحرب (Corippi, 1820, P 75) ومحاربي Syrtica (Corippi, 1820, P 81) كما تحالفت قبائل Austur وقبائل منطقة Syrtica مع الزعيم الماوري Antalas في بلاد إفريقية (Corippi, 1820, P 124).

على الجانب الآخر، كان الزعيم البربري: Guenfeius Antalas (Corippi, 1820, P 17) وهو زعيم قبيلة بربرية في جنوب مقاطعة Byzacio تسمى قبيلة Frexes (Corippi, 1820, P 23) قد تحالف مع القبائل المحلية التي تقودها لواته في ليبيا. وفي ضوء هذا التحالف القبلي خلال سنوات 544 - 548م يظهر أن أغلب القبائل المحلية قد انصهرت ضمن تسمية واحدة هي لواتة (عبيش، 2007، ص 246) فقد أصبح Guenfeius Antalas هو قائد الأمة اللانغوانتانية (Corippi, 1820, P 17). وتحت وطأة الانتصارات التي حققتها القبائل، أصبح موقف القادة المور قويا، لدرجة أنهم ردوا بالسخرية على طلب قادة طرابلس وبينطابوليس في ليبيا، الواقفين إلى جانب قادة قرطاجة، والرامين إلى إعادة السلم الأهلي (Theophanes, 1997, P 301).

من جانبه، قام جوستينيان سنة 544م بوضع حاكمين إقليميين على طول ليبيا، تم تعيين أريوبيندوس Areobindos كشريك للقائد العسكري سرجيوس Sergius في إدارة القيادة العامة للجيش. " لم يطلب الإمبراطور عودة Sergius لكنه أمره بالانضمام إلى قوات Areobindos وبقية جنرالات ليبيا. (Theophanes, 1997, P 302) ولم يكد يمضي 36 يوما على انفراد Gontharis بالحكم العام في قرطاجة، حتى تمكن Artabanes وهو أحد ضباط الجيش في قرطاجة من اغتياله. رفض Artabanes الاستمرار في مهمته، وغادر إلى القسطنطينية. (التاجوري، 2009، ص 159) أو تم استدعاؤه كما قال بروكوبيوس القيصري (Procopius, 1916, P 457) أو استقال كما قال الراهب البيزنطي Theophanes " استقال بعد عام، ورجع إلى بيزنطة. في حين عين الإمبراطور الجنرال جون John شقيق بابوس Pappos قائدا عاما General Of Libya على ليبيا " (Theophanes, 1997, P 306).

في بداية الخريف من عام 546م وصل Ioannes Troglita واسمه يتردد وفق الصيغ التالية:

John Troglita, Ioannes Troglita, Ἰωάννης Τρωγλίτης, Jean Troglita, Iohannes, Iohannis, Johannes, Iohannem

وهو رجل مُطالب من قبل الإمبراطور بإعادة النظام والاستقرار والسلام في كامل Libyaque لليبياكوي/البلاد الليبية؛ لكن ليس قبل عرض الاقتراحات التي تم تقديمها إلى قادة قوات التحالف الموري، وقبول مشاورات السلام العاجلة والتي تتضمن وعودا بالعفو والسلام مع إطلاق سراح كافة الأسرى والمساجين. على أن تعود القبائل الجبلية والصحراوية إلى مواطنها (Corippi, 1820, P 33).

مع فشل المفاوضات، هدد تروجليتا زعماء البربر، باستئناف الحرب معتبرة بأنها " ستكون حربا عادلة لهؤلاء الأفارقة التعساء " (Corippi, 1820, P 34). وفي نهاية عام سنة 546م، استفاد Ioannes Troglita من علاقات بيزنطة بحلفاء الإمبراطورية من بعض زعماء المور في كامل ليبيا. وبعد سلسلة من

المواجهات أنهزم محاربو القبائل " وفر الباقون إلى المناطق النائية من ليبيا. وبهذه الطريقة اكتسبت ليبيا شؤون السلام الكامل " (Theophanes, 1997, P 306).

ازداد تدخل البيزنطيون في ليبيا في وقت كانت فيه الصراعات الفظيعة تعصف بالمنطقة وسكانها (Braun, 1914, P 261). ثمة سنوات جديدة من الفوضى والاضطراب، ظهر إيرنا Ierna ملك

المارماريدي Marmaridum Rex " (Corippi, 1820, P 89) فقاد سنة 547م قبائل Marmaridas

Gentes وتقدم بهم إلى جبهة الصدام حول مدينة Hadrumetum وفق الاستراتيجية المعروفة لدى هذه

القبائل الصحراوية البدوية، والمتمثلة بتشكيلها لصفوف كاملة من الجمال في هيئة دائرة كبيرة، تهدف إلى

تكسير هجمات الفرسان الخيالة البيزنطيين. ولعله من الجيد شرح تكتيك القبائل البربرية البدوية ، أي

تلك التي تعيش حياة بدوية متنقلة بماشيتهم مع نساءها وأطفالها. وقد وصف لنا الشاعر القرطاجي Fl.

Corippus بأن رجال Maure يرتدون عباءة من صوف، ويربطون سيوفهم بحبال، وهم لا يستعملون

الدروع، وليست لديهم أعمادا يضعون فيها سيوفهم. بل كانوا يربطون سيوفهم بحبال خفيفة " (Corippi,

1820, P 26). بينما يقول Dahn بأن Mauros خلال القرن الخامس للميلاد، يسيرون وأرجلهم حافية

مثل الجمال (Dahn, 1891, P 17). وكبافي القبائل الرحالة كان بدو البربر يصحبون نساءهم وأطفالهم

وشيوخهم وماشيتهم معهم في حروبهم ضد سكان المدن الساحلية وحلفائهم الرومان/البيزنطيين، بحيث

كانوا يضعون نساءهم وأطفالهم وكبار السن وممتلكاتهم في حلقة/دائرة، مطوقة بسياج من الإبل والثيران،

مربوطة تلك الماشية من رقابها بإحكام، بحيث تبقى ثابتة لا تتحرك كجدار في حال السكون،

ومتراصة/مترابطة كسد دائري واحد في حال التقدم ببطء!. بحسب ما يطلعنا فلافيوس (Corippi, 1820,

P 72). وقد قام Troglita باتباع نهج تقتيل الإبل الراقدة بالسيوف والنشاب!. وبالتالي فتح ممر بين

سياج الإبل المحصنة (Corippi, 1820, P 86). فانهزم زعيم القبائل Ierna وهرب راکضا إلى البرية، وفقد هو وأتباعه كل شيء! حتى نساءهم وأطفالهم! (Corippi, 1820, 88).

بعد ذلك، ظهر شعب Nasamons تحت قيادة رئيسهم Carcasan. وهم أمة وصفها هيردوتس قبل 1000 سنة سابقة، بأنها The Powerful Nation Of The Nasamones (Hēródots, 1806, ) (226). في صائفة 547م، قاد الزعيم كركاسان شعبه من محاربي قبائل Nasamon و Marmaridae وبقية قبائل Syrtica و Garamantes و Levathai وأمة Ilasguas وقبيلة Frexes وغيرهم من الوثنيين كما يصفهم شاهد العيان كوريبو (Corippi, 1820, P 152). وهاجموا منطقة Tripoleos وأضرموا النيران في الحقول (Corippi, 1820, P 97). ثم توجهوا نحو سهول مقاطعة Bysacia. وارتبكوا الجرائم وأسأؤوا إلى الشعب الليبي (Corippi, 1820, P 107). غير أن تروجليتا كان قد نجح في إيقافهم واضطروهم للتراجع نحو شط الجريد. ثم خرج في إثر محاربي القبائل الذين فاجأوه بمجوم صباحي مبكر في مكان يبعد 40 ميل جنوب شرقي قابس. وشتتوا قواته على أبواب الشتاء. (النيهوم وآخرون، 1977، ص 228) ففي سهل Gallicam قامت القبائل المحلية بمهاجمة مؤخرة الجيش البيزنطي، وافتتح كركاسان أبواب المعركة برمادة المقاليع وراشقي الحجارة. أول حجر جاء من نصيب القائد Ariarith شخصيا! علاوة على سقوط القائد Ziper جريحا مع أكثر من مائة جريح. (Corippi, 1820, P 111). رغم أن تروجليتا منع عناصره من التراجع، وحثهم على القتال بشرف، ومواجهة مشيئة الله بشجاعة. (Corippi, 1820, P 111) وبالنتيجة، فإن الهجوم الكركاساني الأخير، كان قد فتك بهيكل الجيش البيزنطي؛ مما اضطر تروجليتا إلى الانسحاب تماما نحو حصن Yonga. (التاجوري، 2009، ص 165) أصبح كركاسان بطلا لأم المعارك؛ وبات مسموع الكلمة من مختلف القبائل البربرية. وكان المور ينادونه بعبارة أنت مجد أمتنا!. وكانوا يهتفون جميعا باسمه Carcasan .. Carcasanque (Corippi, 1820, P 94).

غير أن كركاسان، مجد الأمة البربرية في ليبيا، وبعد سلسلة من المواجهات السجال، لم يلبث إلا وأن تلقى الهزيمة الحاسمة مع 17 زعيما بربريا بموقعة *Castra Catonis*، لقد هلك الكثير من رجاله، وذهبت نسائهم وأطفالهم المصحوبين معهم إلى المعارك أسرى في يد البيزنطيين. وها هو الزعيم كركاسان قد خاطب فلول شعبه بكلمات والدموع الحزينة تملأ عينيه: أيتها الشعوب غير العادية! والتي لا تُهزم! لقد فقدنا الآن كل شيء.!. (Corippi, 1820, P 93).

مجمّل الثورات والحروب البيزنطية-المورية في ليبيا، استمرت طيلة سنوات 538-539-544-546-548م (فرحان، د.ت، ص 1207) وقد علّق زوفين *Zuqnin* السوري/السرياني على هذه الملاحم قائلا: " اهتز الغرب كله! .. أعداد لا تُعد ولا تحصى من *Mighty Nations* التي عارضت هذه الإمبراطورية، كانت قد تلقت في نهاية المطاف الهزيمة على الأرض وفي الملك معا! وذلك بعون الله .." ( *Zuqnin*, 1999, P 101). أما *John The Lydian* المؤرخ الأناضولي من ليديا، والمعاصر لعهد جوستنيان، وقد كان مسؤولا حكوميا ومنتقفا لاتينيا داخل القسطنطينية بالقرن السادس للميلاد ( *Dmitriev*, 2018, P 55) فقد قال بعد انتهاء المعارك في البلاد، بأن " ليبيا عادت إلينا! " ( *Lydus*, 2005, P 79) وكان ليدوس يزواج تماما ما بين أهمية عودة كل من إيطاليا وليبيا إلى دفة القيادة الرومانية الشرقية. ( *Cameron*, 2009, P 19). أما الناقد النحوي فلافيوس كوريبوس؛ فلم ينسى أن يطلعنا أيضا على أنه سعى إلى إعداد كتابه اليوحانية؛ تحليدا لانتصارات يوحنا تروجليتيا، ونجاحه في إرساء السلام في ليبيا بعد دحر تحالفات القبائل الماورية. ليبق عملا خالدا تقرأه الأجيال القادمة ( *Corippus*, 1998, P 63).

## 2.2.2. الإدارة والقوانين ونظام الحكم البيزنطي في ليبيا

من الملاحظ أن المدن الساحلية/البحرية، ورغم سلسلة التحولات التي عرفتھا، خصوصا تحت ضوء الخراب والدمار الذي لحق بھا، وبأطرافھا جراء الغارات الداخلية؛ إلا أنها لم تنتكص/تراجع، بشكل كامل. فالجالس البلدية حافظت على نشاطھا في الفترة البيزنطية بالقدر الذي كانت عليه في العهد الروماني. وبالتالي فإن الإدارة المحلية في أغلب المناطق، كانت قد استمرت بارتكازھا من جهة على الملاكين الكبار الذين دعموا نفوذهم المادي والعقاري بارتباطهم بالسلطة الإدارية. ومن جهة أخرى ارتكزت الإدارة المحلية على ما يمارسه القساوسة ورجال الكنيسة الذين ما لبث نفوذهم إلا وأن صار يزداد في ظل دعم السلطات البيزنطية لهم. (عبيش، 2007، ص 46).

منذ مطلع القرون الوسطى، وتحديدًا منذ إصلاحات الإمبراطور Diocletianus (284 – 305م) فإن مقاطعتي Tripolis و Pentapolis ظلتا تشكلان ارتباطًا إداريًا وجغرافيًا واحدًا، منذ عام 284م وحتى عام 442م (إبراهيم، 1996، ص 4) حيث ظهرت بعد ذلك تسميات ليبيا العليا وهي Cyrenaica وليبيا السفلى وهي Marmarica في الجزء الشرقي من ليبيا، بينما استمرت تسمية Tripolis في الجزء الغربي. إن المعلّم السرياني: Johanna Malalas [490-570م]، يخبرنا في حويلته المعدة واحدة من أفضل الحوليات في أوائل العصر الوسيط، بأن الحدود التقريبية للمقاطعات الليبية في أوائل القرن السادس، يظهر من خلالها أن الجزء الممتد ما بين مذبج Dei Fileni مرورًا بإقليم Tripolis/أطرابلس، ووصولًا إلى مقاطعة إفريقية القرطاجية، يشكل وحدة واحدة باسم بلاد Africa. بينما تقع Libya Superior في المنطقة ما بين مذبج Philaeni، ووصولًا إلى منطقة درنة الحالية. في حين تبدأ مقاطعة Libya Inferor فيما بين Dárnis، إلى الحدود الغربية الطبيعية لوادي النيل. (Malalas, 1986, P 312).

ويمكن التمييز بين مرحلتين فيما يخص تسيير شؤون ليبيا: فالمرحلة الأولى تتمثل في إعادة تنظيمها من طرف الإمبراطور جوستينيانوس. فيما تضمنت المرحلة الثانية النظام الجديد الذي أعاد هيكلة تسييرها وفق نظام الأرخونية، المعمول به من طرف الإمبراطور ماوريس. (دريسي، 2007، ص 103) وقد استنبطت المؤسسات البيزنطية بشمال إفريقيا أحكامها وتصوراتها ضمن فلسفة نظام الحكم؛ من النظام الروماني نفسه، السابق لها، فتم العمل بالقوانين اللاتينية نفسها المعمول بها خلال الفترة الرومانية. ومع ذلك استحدثت إدارة جوستينيانوس قوانين جديدة. (رنسيان، 2002، ص 88).

ويبدو أنه من الصعب الاعتقاد بأن الإمبراطور جوستينيان، لم يكن إداريا لامعا في الشؤون القانونية! فقد كان يراجع ما ينجزه القضاة والقانونيون بنفسه! (عبد الحفيظ، 2018، ص 71) وكما يرد في حولية المعلم الأنطاكي Johanna Malalas [490-570م] قام " الإمبراطور بتجديد القوانين التي أصدرها الأباطرة السابقون، واتخذ من قوانين الأباطرة صيغة جديدة أرسلها إلى كل مدينة تحت اسم: Justinian's Laws " (Malalas, 1986, P 245). وقد أصدر جوستينيان a Constitution الدستور الجديد (Sarris, 2006, P 209) وذلك في يناير من عام 535م، وقد سمي أيضا Corpus Iuris Civilis أي مدونة القوانين المدنية، والتي تتألف من Codex Justiniani واشتملت على العدالة والحقوق والقوانين الشخصية وغيرها (جستينيان، 2005، 10) وكانت البنود تشتمل على النقاط التالية (Justinian, N.D, 7).

I. Justice and Law

Iii. The Law of Persons

Iv. De Ingenuis

V. Freedmen

Viii. Those Not Independent

Ix. The Power of Parents

X. Marriage

على الصعيد المالي، كان السكان يؤدون الجباية إلى القسطنطينية، وأيضاً إلى حاكم قرطاجنة وصاحب الإسكندرية ومصر. فضلاً عن الضرائب التي كانوا يدفعون بها إلى الكنيسة وأعمال الاستحكامات العسكرية. وكما يفيدنا بروكوبيوس: فقد " أرسل جوستينيان مفوضين لتقييم المقاطعة وفرض ضرائب كبيرة عليها، لم تكن هناك قائمة في الأصل من قبل. أيا كانت الأراضي الأكثر قيمة، كان قد استولى عليها باسم الدولة " (Procopius, 2004, P 78). لقد فرض جوستينيان ضرائب باهظة جداً على السكان (Cameron, 2005, P 172). على النقيض من مجتمع بيزنطة الذي استمتع بالترف على حساب شعوب المستوطنات، وكما يفيدنا الراهب البيزنطي Theophanes " بعد انتصار Belisarius وُزِع السخاء والعطاء القنصلي وتمتع شعب بيزنطة بقدر كبير من المال جراء انتصاراته " (Theophanes, 1997, P 296). وقال Sebeos مؤرخ القرن 7م، أن أفريقيا/ليبيا؛ هي منفى لبعض الشخصيات أو الفئات المغضوب عليها! (Sebeos, 1985, P 32).

على صعيد المقاطعات. تظهر الولاية الطرابلسية، وهي تضم Leptis Magna Oea Sabratha والأخيرة كانت أكبر البلديات حدوداً، وأهمها خلال القرن الوسطى المبكرة، سيما وأنها صارت ونتيجة لعظمتها؛ عاصمة المقاطعة الطرابلسية. وتمتد Tripolitania في غربي ليبيا، ومن زاوية طبوغرافية، يبدو أن العمران لم يتجاوز الشريط الساحلي حتى مدينة لبتيس الكبرى، فخلال العهد البيزنطي لا توجد أي إشارات لمدينة Thubactis التي ارتقت إلى درجة بلدية في العهد الروماني. (الميار، 2001، ص 148) وكما يقول Orosius من: " Tripolis ويجدها من الشرق The Altars Of The Philaeni ، التي تقع بين The Greater Syrtis وبلاد Troglodytes. (Orosius, N.D, P 6). ومن الواضح أن المصطلح اللاتيني Tripolis قد ظل مستعملاً طوال الفترة البيزنطية بالقرنين 6-7م. وقد استعمله بروكوبي، وفق صيغة:

محافظة Tripolis (Procopius, 1537, P 140) ثم تغير في أعقاب القرن 7م وعلى يد العرب إلى اسم أطرابلس.

يأمر مرسوم جوستينيانوس بأن يكون على رأس المقاطعة الطرابلسية حاكم برتبة قنصل (عبيش، 2007، ص 45) وبحسب المؤرخ جورج القبرصي، فإن ولاية Tripolitania كان قد تم ضمها إلى أسقفية مصر منذ بدايات القرن السابع للميلاد. (Cyprii, 1870, P 10). مما يعني أن استقلال الولاية الطرابلسية إداريا لم يستمر لأكثر من نحو 80 سنة.

لم يطرأ تغيير كبير على حدود ولاية تريبوليتانيا الجنوبية، طوال العصر البيزنطي وحتى قدوم العرب مطلع التاريخ الإسلامي. وبقيت هذه الحدود على الاطار الفينيقي-اليوناني-الجرماني، ذاته. ومما لا شك فيه أن الحد الفاصل بين المقاطعة الطرابلسية Tripolitania وبين مقاطعة سرينايا Cyrénaïque يأخذ مصدره من الموقع الساحلي Arae Prilaenorum وقد تم العثور على كتابة من عصر ديوكليسيانوس يتضمن نصها على هذا الخط الحدودي (دريسي، 2007، ص 130).

من جانب آخر، اعتبر Procopi أن الصنف الأرستقراطي، الذي مثل نخبة الساكنة في المدن الليبية الساحلية، والمتمثل في الأفارق الليبيين، قد ارتقى في سلك الدولة إلى مناصب عليا، ليس في لبتيس الكبرى أو قورينا أو قرطاجة فحسب، وإنما بالقسطنطينية نفسها، ولعل قائمة النصوص الجنازية لهذه الشخصيات التي لم تبخل علينا في التذكير بمناصبها، هي دليل على ذلك (عبيش، د.ت، ص 159) وقد تحدث بروكوب في تاريخه السري سنة 529م عن: " تعيين Junilus, A Libyan في هذا المنصب، وهو رجل لم يسمع القانون أصلا! ولأنه لم يكن بليغا لم يكن بإمكانه حتى الحديث بفصاحة (الرهاوي، 2012، ص 66) كان يعرف الحروف اللاتينية، ولكن فيما يتعلق باليونانية فهو لم يذهب إلى المدرسة لتعلمها أبدا! لذلك لم يكن قادرا على التحدث بهذه اللغة البليغة. " (Procopius, 2004, P 85).

أما فيما يتعلق ( بالطبقة العسكرية ) خلال فترة الحروب البيزنطية في ليبيا، كانت النصور المنتصرة؛ هي شعار الجنود والضباط على ملابسهم (Corippi, 1820, P 122) غير أن الوجود البيروقراطي للطبقة العسكرية كان طارئا بشكل لافت! ومرتبطة بسلطة الإمبراطور جوستينيانوس شخصا، وكان إفلاسها يتمحور في عدة نقاط، أهمها أن جوستينيانوس، كان قد أهمل المؤسسة العسكرية في ليبيا، منذ تحقيق السلام الشامل طيلة سنوات 548 وحتى عام 643م أي منذ القضاء على آخر زعماء المقاومة بقيادة Carcasan وبالنتيجة تفرغ الإمبراطور للمشاريع العمرانية والدينية والفنية الفسيفسائية، وأهمل بشكل واضح ما يتعلق بالمؤسسة العسكرية التي نمت بصورة مطردة في ليبيا خلال سنوات الحرب Wandalicae أولا، ثم الحرب Maurosque ثانيا، ورفضت القيادة البيزنطية تزويدها بعد انتهاء الحرب وقرار السلام حتى بالإمدادات، وكانت هذه السياسة كما يطلعنا بروكوب؛ سببا في حدوث تمرد عسكري قاده بعض الضباط المنشقين في البلاد، الأمر الذي أدى إلى وفاة الكثير من العسكريين. وبقي اللبس والاضطراب مستمرا. (Procopius, 2004, P 78).

### 3.2.2. الطبوغرافيا والإعمار

Leptimagne هي عاصمة Tripolitanae ، ويديرها حاكم عسكري برتبة Dux (التاجوري)، (2007، ص 194) وقد تم تحصين المدينة العظمى هذه، بصفتها مقر الدوق، كما تم أيضا تحصين مدينة Sabathram ، و Tripolim وقابس التونسية التي كانت تتبع ولاية Tripoleos. فضلا عن التحصينات التي أقيمت في المدن الخمس. فعلى صعيد ( العمارة الدفاعية ) خضعت الإنجازات العسكرية الرسمية، إلى إجراءات قانونية تُلزم ممثلي المقاطعات البيزنطية وعلى رأسها الحكام الإداريين والعسكريين للعمل بها. وكان مصدر هذه الإجراءات قانون الإمبراطور Theodosius II ، الصادر في القرن الرابع، وفي ضوءه أنبثق قانون جوستينيانوس وجميع الإنجازات الخاصة بالعمارة العسكرية، وخاصة تلك التي تمس الأسوار

والأبواب، تخضع إلى معاينة الإمبراطور شخصيا. وعليه يُمنع بأن ينقش في مقدمة كتابات هذه العمائر؛ أسماء غير التي تخص الإمبراطور وعائلته، ونظرا لوجود مساحة من الحرية، فقد سمح قانون جوستينيانوس بأن تُضاف أسماء الموظفين والمهندسين الذين ساهموا في رفع مثل هذه الإنجازات. (دريسي، 2007، ص 124).

أسس البيزنطيون فيلق ليبي، سموه بـ Libyus Justinianus وكانت مهمة هذا الجناح العسكري، هو توفير الأمن والسلام في حدود إقليم المدن الخمس الليبية (اعبيلية، 2011، ص 117). وكما يبدو فإن هذه الفرقة قد حلت محل Legio Iii Cyrenaica أما في مقاطعة Tripolitaine فقد استلم الفيالق الثالث مهمته في هذا المكان، للاحتفاظ بطول ساحل مقاطعة طرابلس من برقة إلى قابس ( Diehl, 1896, P 226).

أما على صعيد ( العمارة المدنية ) فلقد أراد جوستينيانوس العمل وبشكل جدي؛ على إعادة انبعاث السلطة الإمبريالية، وكان يريد أن يشاهد ارتقاء السلطة البيزنطية في ليبيا، مع تدشين نهضة عمرانية ومؤسسية.

ومن المؤكد أن المهندسين والمعماريين والعمال البيزنطيين عندما وصلوا ليبيا بالقرن 6م؛ قد وجدوا مدينة لبتيس العظمى « Leptis Magna » نصف مطورة برمال العصر الوسيط. وسنستقي معلومتنا من Procopius Caesarensis فيصف لنا المدينة الكبرى في ليبيا على النحو التالي: " مدينة Leptis Magna التي كانت في العصور القديمة، كبيرة ومكتظة بالسكان، على الرغم من أنها في وقت لاحق أصبحت مهجورة خصوصا بالنسبة للجزء الأكبر منها، وذلك من خلال الإهمال الذي أصاب الكثير من بناياتها التي صارت مدفونة إلى حد كبير في الرمال!. بنى إمبراطورنا فيها جدارا دائريا، ومن الأساسات، ولكن ليس على نطاق واسع كما كان في السابق، وإنما أصغر بكثير (Procopius, 1971, P 373).

أما في « مدينة Sabratha » أعيد بناء أسوار المدينة وتوسيعها، والبازيليك القضاية فيها تحولت إلى كنيسة، وعدد كبير من الكنائس الأخرى تم تجديدها أو بناؤها من جديد ( Merrills & Miles, 2010, P 236). لقد أمر جوستنيان بتشديد عدة بنايات تركت أطلال رائعة (Evans, 2005, P 55). وكما يفيدنا بروكوبي: " لقد قام جوستنيان أيضا بتحسين مدينة Sabathram وجعل منها مدينة محصنة، حيث بنى بها أيضا معبدا " (Procopius, 1537, P 141). أو كنيسة جديدة بالملاحظة. " (Procopius, 1971, P 377). حاول البيزنطيون إعادة تأهيل مدينة صبراته منذ سنة 534م ( Apolius, N.D, P 211) وتم فيها تشييد بازيلكا جوستنيان، وبقايا أعمدة كنيسة كما تُرى اليوم من الساحة الأمامية، والتي لا تزال قائمة مع جرن المعمودية المسيحية (دي فيتري، 2005، ص 60) وفسيفساء الطاووس من البازيليك، والتي لا تزال محفوظة في متحف مدينة صبراته كما نرى، مع شواهد بيزنطية مختلفة من الأعمدة والرموز الدينية والنقوش والمقاعد واللوحات الجدارية.

تم تشييد عدة بنايات وكنائس في لبة وصبراته والريف بالأصابع والخضراء، ثمة أطر نوافذ ومساند وبعض التيجان والأعمدة العائدة إلى كنيسة الخضراء الواقعة إلى الشرق من ترهونة. وأطر أخرى تعود إلى كنيسة الأصابع قرب غريان، كما تم تشييد أعمدة لكنيسة في Soffegin وادي سوف الجين، وبعموم المناطق الريفية للمدن، وكانت جزء من الإصلاحات البيزنطية لاستعادة المنطقة وتعزيز المسيحية وفق العقيدة الأرثوذكسية. فضلا عن تجميل الكنيسة البيزنطية في أولبيا/قصر ليبيا بالجبل الأخضر. ولعل (الغرفة 13) بالمتحف الوطني بالسراري الحمراء بطرابلس، مخصصة بشكل جيد للأعمال الفنية والطبوغرافية المقامة في ليبيا العصر المسيحي.

أما في إقليم بينتابوليس، فقام البيزنطيون بتأسيس عدة منشآت كالأسوار والحصون والقلاع والخنادق والمزارع المحصنة والطرق والكنائس المحصنة. (اعبيلية، 2011، ص 115). فتم بناء أسوار

مدينة Berenike وتم فيها تشييد حمام عام، وأعيد بناء أسوار مدينة Te Uchira وتم إعادة جزء من الحياة المدنية لمدينة Ptolemaidis وجرى تشييد أو إصلاح الحمام في مدينة Apollonia (عبد ربه، 2014، ص 4).

وتعد الأرضيات الفسيفسائية البيزنطية (عكاشة، 2013، ص 5) أهم الزخارف التي كانت تزين بعض أجزاء الكنائس، وبعض المباني الأخرى في إقليم المدن الخمس الليبية، وقد كُشف عن مجموعة من الأرضيات الفسيفسائية في بعض كنائس الإقليم التي تُوخ ما بين القرنين الخامس والسادس للميلاد، ولعل أهمها فسيفساء أولبيا/قصر ليبيا الآن، وفسيفساء كنائس رأس الهلال وسوسة وشحات وتوكرة وبانديس وغيرها، وأغلبها تعود إلى عصر الإمبراطور جوستينيان (527-567م) الذي شهد عصره تزيين مجموعة كبيرة من الكنائس، ولم يقتصر استعمال الفسيفساء كأرضيات على الكنائس فحسب، بل أن هناك مباني أخرى استعملت فيها الفسيفساء أيضا، مثل القصور والمباني الخدمية والسكنية بالمنطقة (الهدار، د.ت، 382).

#### 4.2.2. الأباطرة وعلاقتهم بليبيا أواخر العهد البيزنطي

ما بين عهد Iustinianus إلى عهد Heraclius ثمة أربع أباطرة هم: Justin II 565-578م و Tiberius 578-582م و Mauricius 582-602م و Phocas 602-610م. وهو الذي اشتهر بنظام حكمه بالقسوة والانحيار، وافتعال التصفية والمذابح ضد الأسر المعارضة لحكمه. (العريبي، د.ت، ص 112) وتميزت سياسة هؤلاء باتجاههم السياسي والخدمي الواضح في الجهات الشرقية من الإمبراطورية أكثر من غيرها، حيث أهملت الأجزاء الغربية بما فيها أوروبا وشمال أفريقيا. (الشيخ، 1994، ص 66) بل وشمل الإهمال حتى معظم أجزاء إيطاليا (Diehl, 1957, P 9). التي أصبحت في عهد الإمبراطور Justin II 565-578م مملكة لومباردية (Warnefridi, 1655, P 5).

Flavius Mauricius 582-602م قام بإحداث إصلاحات طالت كافة أجهزة النظام البيزنطي، فأعاد تقسيم مقاطعات ليبيا وسائر شمال إفريقيا، ومنحها بعدا آخر، أهم ملامحها هو التخلي عن المقاطعة الطرابلسية وضمها إلى مصر. فيما امتازت نخبة الجيش، بضم عناصر من أهل البلد، والاستغناء إن أمكن عن المرتزقة ممن كان تجنيدهم غير ضروريا في هذه الفترة. (دريسي، 2007، ص 353). ويعتبر الإمبراطور Maurice 582-602 إمبراطور عسكري ومدني في ذات الوقت، وهو صاحب كتاب Maurice's Strategikon (Maurice, 1984, P V) وبعد مقتل الإمبراطور Maurice سنة 602م أعلن الآرخون جرجيس استقلال ولاية إفريقية التي ضمت طرابلس سنة 646م، منفصلا بها عن السلطة البيزنطية، حتى لحظة مقتله على يد العرب المسلمين سنة 647م. (دريسي، 2007، ص 354).

فخلال القرن السابع تم تعيين البطريك Gregorius حاكما عاما على إفريقية، وهو المعروف في مصادرنا الإسلامية باسم جرجير. (الطبري، د.ت، ص 2223) وفي قراءة يعقوبية: جرجيس (اليعقوبي، 2010، ص 52) وعُرف في المراجع الإنجليزية باسم Gregory بينما شغل منصب القائد العسكري العام، الجنرال Heraclius. وهو المعروف في الأدبيات العربية باسم هرقل. والواقع أن العرب أطلقت تسمية الهراقلة على جميع الأباطرة الرومان. وقد أشار البلخي [322هـ/933م] إلى ذلك بالقول: " وأما ملوك الروم: قال العرب: نسميهم القياصرة والهراقل. " (البلخي، 1997، ص 315).

من جانب آخر؛ يظهر لدى البطريك Gregorius والجنرال Heraclius مجموعة أنصار ومؤيدين في ليبيا وفي القسطنطينية على السواء. وكان كلاهما منافسا للآخر. وعلى هذا الأساس، لم يلبث Phokas أن استولى على العرش، حتى انتفض عليه هرقل بسنة 608م فقطع عنه قمح ليبيا، وناصبه العدااء. وفي الوقت الذي لم يستطع فيه Priscus أن يشاهد المزيد من المظالم وجرائم القتل وغيرها من الشرور التي ارتكبتها الإمبراطور Phokas بادر إلى مراسلة الأرستقراطي Herakleios الذي كان Strategos في أفريقيا، بحيث

يتعين عليه أن يرسل ابنه Herakleios و Niketas ابن الأرسطراطي Gregoras الرجل الثاني في منصب القيادة العسكرية، بهدف مهاجمة المعتصب Phokas ولأن الأخير سمع بأن التمرد صار يجري التخطيط له ضد أتباعه في أفريقيا. على هذا الأساس توقفت السفن الأفريقية عن العمل، ولم تبحر خلال هذا العام. (Theophanes, 1997, P 424). وتحت ضغط Senatui Populoque Romano (Grotit, 1655, P 34). جهز القائد العسكري Herakleios في أفريقيا، ابنه هيراكليوس الثاني، ليرسله في حملة ضد Phokas. وبالمثل، أرسل Gregoras الرجل الثاني في القيادة (في بينتابوليس/شرقي ليبيا)، ابنه Niketas عن طريق البر، واتفقوا على أن الشخص الذي سيصل أولا! ويهزم المعتصب فوكاس؛ سيصبح هو إمبراطورا. (Theophanes, 1997, P 424).

كان هرقل الأب في شيخوخته لا يطيق أعباء الإمبراطورية في جو بيزنطة العاصف، لذا ظل في برقه. وأرسل إليهم ابنه الشاب وكان يسمى أيضا هرقل (دبوز، 2010، ص 379) حيث كان قائدا عسكريا في إقليم المدن الخمس الليبية، وكان يسمى بهرقل الليبي، لأنه بدأ حياته المهنية في ليبيا. (Kaldellis, 2008, P 97) وقد قام بجمع جيش قوامه ثلاثة آلاف جندي، من بربر تريبوليتاين وبينتابوليس (النقيوسي، د.ت، ص 189) ولا شك أنه يقصد بهم أفراد القبائل في شرقي ليبيا (بازامه، د.ت، ص 33) وقد تمكنوا من صد وهزيمة جند فوكاس، في معركة وحيدة وفاصلة، مكنت هرقل من السيطرة تماما على بينتابوليس. (بازامه، د.ت، ص 34).

قام الأفارق أيضا من سكان المدن الطرابلسية الثلاث، بوضع أيديهم في أيدي رجال القبائل المحلية، وصمموا على تصفية مناصري فوكاس في ليبيا، وانضموا تحت لواء هرقل الأكبر. (النقيوسي، د.ت، ص 200) وبدوره أفلح هرقل الشاب سنة 609م في الأسطول الحربي ومعه جيشه من الروم والليبيين والمور في أعداد كبيرة من أفريقيا وموريتانيا (Sirotenko, N.D, P 227) فسار بحرا حتى وصل القسطنطينية في 3

أكتوبر 610م، فانتصر على فوكاس، ودخل القصر الإمبراطوري، وجلس على العرش كإمبراطور جديد. وأرسل الإمبراطور هرقل، سنة 628-629م أسطولا أعاد حكم مصر وبينطابوليس وفلسطين إلى الإمبراطورية البيزنطية. (بازامه، د.ت، ص 37).

منذ أن عادت ليبيا تحت حكم الإمبراطورية الهرقلية، حتى اتخذت الأحداث نقطة تحول! مصدر هذا التحول: أن في عهد Outhman زعيم العرب، أثار Gregory البطريك في إفريقيا؛ تمردا مع الأفارقة " (Theophanes, 1997, P 477). Gregorius هو الحاكم المدني العام على كامل إفريقيا، بإلغاء اسم Heraclius وصك العملة القرطاجية باسمه شخصيا، وقطع صلة المنطقة ببيزنطة. وبادر إلى تأسيس مملكة رومية إفريقية في ولاية إفريقية " من طرابلس إلى طنجة " (النائب، 2015، ص 21) و" كان مستقر سلطان أفريقيا يومئذ مدينة يقال لها قرطاجنة، وكان عليها ملك يقال له جرجير، كان هرقل قد استخلفه، فخلع هرقل، وضرب الدنانير على وجهه، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة " (ابن عبد الحكم، 1964، ص 35) " فأعلن نفسه إمبراطورا على الممتلكات الرومية في إفريقية. وقد انتعشت ولايته بسبب الهدوء القصير الذي تمتعت به في ظل حكمه المتزن، وركون البربر بالدواخل في ذات الوقت إلى السلام، نتيجة لحسن سياسة أسرته الحاكمة. (شعبان، 2015، ص 14) وقد انتهت مملكته بمقتل ابنه جرجير الثاني، من طرف الجيش العربي بقيادة عبد الله بن أبي السرح، في العام 647م، ومن ثم تبدأ عملية الزوال الفعلي للهيمنة البيزنطية بالمنطقة، لتسقط راياتها وترفع راية المسلمين بعد الفتح النهائي أيام موسى بن نصير، والي إفريقية، وتأسيس كيان إسلامي شامل، شمل سنة 705م كافة الأقطار المغاربية (دريسي، 2007، ص 366).

## 3.2. ليبيا تحت الحكم العربي

### 1.3.2. الفتوحات الإسلامية في أنطابلس وأطرابلس وقران

منذ ما بعد الفتوحات العربية في القرن 7م، سقط اسم ليبيا عن الأنظار ( Cameron, 2006, P 164). حيث بدأ الاسم في التضاؤل والاندثار؛ وانحسر رسمياً في مسمى لوبية (بازامة، د.ت، ص 29 . بعيو، 1953، ص 10) وكما يقول ابن عبد الحكم: " لوبية ومراقية، وهما كورتان من كور مصر الغربية " (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 229) وقد بدأت أولى المحاولات العربية لفتح ليبيا بسنة 22 هـ/642م. وكان بطريك أنطاكية السرياني: ديونسيوس التلمحري، لا يزال يشير إلى الهزيمة التي ألحقها العرب بالرومان (التلمحري، 2008، ص 138) وكان دخول المسلمين مصر، سبباً في توجيه أنظارهم نحو المنطقة التي تليها وهي منطقتا أنطابلس وأطرابلس، بصفتها البلد المجاور، ناهيك وأن حاكم الإسكندرية كان قد طلب دعم حاكم بينطابوليس الليبية (شعبان، 2015، ص 21) ويؤكد المؤرخ المصري يوحنا النيقوسوسي، دخول أعداد كبيرة من المصريين المسيحيين في سلك الإسلام، منذ بداية عهد عمرو بن العاص (النيقوسوسي، 2003، ص 222).

أنطابلس هي Pentapolis تسمى بذلك لأنها خمس مدائن. هي Cyrene و Berenice و Arsinoe و Ptolemais و Apollonia وتدل جميعها على مقاطعة Cyrenaica (Cosmas, 1909, P 346) أو كما صارت تعرف باسم برقة (الهمداني، 1996، ص 132) فيما يقول الجغرافي المراكشي: أنطابلس المدعوة ببرقه هي أول حدود بلاد إفريقية والمغرب (المراكشي، د.ت، ص 282) بينما يشير البكري إلى أن " أنطابلس هي مدينة من بلاد برقة بين مصر وإفريقية " (البكري، 1945، ص 241) وهناك من يعتقد أن تفهم البربر اللواتيين في برقه لقوة الجيش العربي من خلال سقوط مصر، قد أدت إلى خضوع البربر أمام العرب في برقه (الفقيه، 2015، ص 72).

كما يشير المراكشي فإن عمرو بن العاص، هو صاحب الفتوح في برقة وطرابلس: " وكان استفتح مصر سنة 20 من الهجرة، ووجه منها عقبة بن نافع الفهري إلى لوبية وأفريقية فافتتحهما، ثم توجه عمرو بنفسه إلى برقة فصالح أهلها إلى الجزية: دينار على كل حامل " (المراكشي، 1828، ص 2) وذكر الذهبي أن عمرو بن العاص، قد سار " إلى برقة فأفتتحها، وصالحهم على ثلاثة عشر ألف دينار. " (الذهبي، 1927، ص 129) وقد " كتب عمر بن العاص على لواته من البربر في شرطه عليهم؛ أن عليكم أن تبيعوا أبنائكم وبناتكم فيما عليكم من جزية. " (ابن عبد الحكم، 1964، ص 29) فيما يقول البكري: " وسمع عمرو يقول على المنبر لأهل أنطابلس عهد يوفى لهم به. ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة، وصار ما بين برقه وزويلة للمسلمين. " (البكري، 2002، ص 176) وبحسب البلاذري، ثمة حصار وقتال ضربه عمر بن العاص على سكان أنطابلس (البلاذري، 1987، ص 314) وفي موضع آخر يشير البلاذري إلى أن الجزية كانت: " ثلاثة عشر ألف دينار، يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه " (البلاذري، 1987، ص 314).

بعد أن خضعت برقة للعرب، (عام 22هـ/ 642م) واصل عمرو بن العاص طريقه حتى أجدابية، حيث افتتحت صلحا على خمسة آلاف دينار. " (الرومي، 1977، ص 100) ثم واصلوا طريقهم باتجاه القطر الطرابلسي.

على ذلك الجانب، جاء اسم أطرابلس من اسم Tripolis (Malalas, 1986, P 269) وقال المراكشي: " قيل إن تفسير أطرابلس 3 مدن. " (مراكشي مجهول، د.ت، ص 110) تحول اسم « أطرابلس » إلى « طرابلس المغرب » كما ورد لدى الكتبي (الكتبي، 1974، ص 227) ثم « طرابلس الغرب » وقد ذكر الجغرافي الأصبخري " طرابلس المغرب فهي من عمل أفريقية .. " (الأصبخري، المسالك والممالك، د.ت، ص 19) بينما أورد المؤرخ المغربي المراكشي عبارة: " طرابلس الغرب "

(المراكشي، د.ت، ص 282) فيما أشار الأديب الأصفهاني إلى اسم " طرابلس الغرب " (الأصبهاني، د.ت، ص 98).

وينفرد ابن خياط، وحيدا بذكر فتح لبلده، دون أية تفاصيل قائلا: " عمرو بن العاص افتتح الإسكندرية، ثم أتى لبلدة من أرض طرابلس فافتتحها، ثم رجع في سنة أربع وعشرين " (ابن خياط، د.ت، ص 57) ويبدو أن فتح لبلده بهذا النص الوحيد، هو مجرد فتح رمزي لمدينة غائبة مهجورة السكان.

اجتاح عمرو المنطقة في حملة خاطفة. وتوجه إلى مدينة أطرابلس، وضرب حولها حصارا شديدا دام حوالي شهر. وتذكر الروايات أن سكان اطرابلس من الأفارق والروم، قد استنجدوا بالنصارى من قبيلة نفوسه (ابن عذاري، 1828، ص 2) ويظهر جليا بالتالي أن سبب طلب سكان اطرابلس النجدة من قبيلة نفوسة، هو الرباط الديني المسيحي الذي كان موجودا بين الطرفين. وقد دخلت نفوسة الدين المسيحي في العهد البيزنطي بالقرن 6م (Procopius,1971, P 373).

وبحسب ابن عبد الحكم، وغيره من مؤرخي الفتح؛ فإن حصار ابن العاص، دام شهرا، حتى دخل بضعة رجال الى سور المدينة من ناحية البحر، فهرب الروم في مراكبهم، واستولى المسلمون على طرابلس " (ابن عبد الحكم، 1930، ص 171) وكما يقول اليعقوبي، فُتحت طرابلس في عهد " عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب. " (اليعقوبي، 2002، ص 184) أو فُتحت " طرابلس المغرب " (اليافعي، د.ت، ص 35) رغم أن الواقع هو أن جند عمرو بن العاص، قد بادروا إلى دك أسوار طرابلس حتى نجحوا في ذلك، ولعل كلمة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع 905-959م بورفروجينيتوس أو البنفسجي (Codoñer, 2015, P 161) تبدو متطابقة، عندما أشار إلى أن: " فتح أفريقية تم عن طريق الحرب، وفرض الجزية على الإفريقيين " (قسطنطين السابع، 1980، ص 78) وهذا يعني أن المدينة كانت مسورة بشكل ممتاز، وأن تحصينها - مع مدينة صبراته التي سقطت في غفلة من

سكانها - تختلف منعته/قوته عن بقية تحصينات المدن البحرية. ولعل هذا ما يتوافق أيضا مع رواية البلاذري، والذي يقول وبوضوح: " سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرين. فقوتل ثم افتتحها عنوة .. وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنا قد بلغنا أطرابلس وبينها وبين إفريقية تسعة أيام. " (البلاذري، 1987، ص 316) ويقول ابن عذاري المراكشي: " سنة احدى وعشرين للهجرة، وفيها افتتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية، وفي سنة 22 بعدها افتتح بلاد طرابلس وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يخبره بما أفاءه الله عليه من النصر والفتح، وأن ليس أمامه إلا بلاد أفريقية " (ابن عذاري، 1828، ص 3) وكانت حملة العرب على إفريقية خلال سنة 27هـ/647م. وقد وافتهم المراكب كما يفيدنا المالكي عند اطرابلس، فحملوا فيها معدات جيشهم (المالكي، 1995، ص 27) وبذلك ظفر العرب بميناء طرابلس، وجرى اتخاذه كقاعدة لاستمرار الفتوحات (القرطوبي، 2010، ص 212).

قام عمرو بإرسال عقبة بن نافع إلى مدينتا ودان، وزويلة؛ فافتتجهما. فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب، يعلمه بأنه قد قام تكليف عقبة بن نافع، بصفة والي برقه، وأنه بلغ مع جيشه مدينة زويلة، وأن كل المنطقة الممتدة ما بين برقة وزويلة يسودها السلم، أهلها محسنون وعلى الطاعة (البلاذري، د.ت، ص 225) وهذه الإفادة نجدتها أيضا لدى ابن عبد الحكم، والذي يقول: بعث عمرو بن العاص، عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة، فصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين (ابن عبد الحكم، 1964، ص 30) ويختصر البكري الموضوع نفسه، بالقول: " ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة، و صار ما بين برقه وزويلة للمسلمين. " (البكري، 2002، ص 176) ويصف القزويني مدينة زويلة بالقول: " زويلة: مدينة بإفريقية غير مسورة في أول حدود السودان .. " (القزويني، د.ت، ص 86) وسألاحظ بأن الجغرافي القزويني وإن ذكر فزان (القزويني، د.ت، ص 57) خلال ذكره لبلدة Kevâr جنوبي فزان

(Kazvinî, 2019, P 94, 95, 590) إلا أنه لم يخصص موضوعاً حولها!. وهي الولاية الواسعة ما بين

الفيوم وطرابلس الغرب، كما يقول الجيوغرافي البغدادي (البغدادي، 1955م، ص 1035).

لم يكتمل بعد عام 23 هجرية 644 ميلادية حتى نلاحظ بأن عمرو بن العاص لم يترك وراءه من ينوب عنه في حكم مقاطعة أطرابلس، وعلى العكس من أنطابلس/بينطابولس، حيث قام عمرو بتكليف عقبة بن نافع، كوالٍ عليها. (الورفلي، د.ت، ص 25) ومع ذلك، قام عمرو بن العاص بتسيير حملة نحو ودان وفزان (اليعقوبي، 2010، ص 49) حدث هذا خلال عملية الفتح الأولى، ومن طرف بسر بن أبي أرطأة، وبحسب المؤرخ ابن عبد الحكم، فقد كان عقبة بن نافع، هو قائدها، وقد بلغ خلالها مدينة زويلة (ابن عبد الحكم، 1964، ص 30) كما أن هناك حملة ثانية نفذت على يد عقبة بن نافع، بعد ارتداد أهل ودان عن دفع الجزية (البكري، 2002، ص 186) وكما يفيد الزاوي في أواخر الستينيات؛ فقد كانت ودان في الماضي مدينة مسورة، غير أنه لم يبق من سورها الآن إلا آثاره (الزاوي، 2018، ص 278).

وفقاً لسير الأحداث؛ أسرع عمرو في إرسال كتيبة من الجيش إلى صبراته، التي يسميها المؤرخون المشاركة سبرت وصبرة وسبرة، ومن الواضح أن تسميات سبرت وصبرة وغيرها، هي تخریجات عربية ومشاركة، ولا أستبعد أن تكون منقولة عن الأهالي البربر. وقد ذكرها ابن خرداذبة باسم سبرة (ابن خرداذبة، د.ت، ص 334). بينما ذكر ابن عبد البر في موضوع مختلف اسم صبرة كنسب عربي ينتهي إلى إلياس بن مضر. (ابن عبد البر، د.ت، ص 1373). جرى الإسراع في إرسال فرقة من الجيش بهدف استغلال الوقت لمباغطة الصبرانيين قبل أن يصلهم نبأ وصول الجيش العربي إلى طرابلس. وهذا ما يبدو في الواقع، إذ نجد بأن سكان صبراته كانوا غافلين عن وصول كوكبة من الفرسان العرب إليهم، لذلك فتحوا أبواب مدينتهم، وأخرجوا مواشيهم لترعى، وهذا ما يؤكد ابن الأثير، (ابن الأثير، 1987، ص 428) فتم مباغتتهم على يد المسلمين (ابن عبد الحكم، 1964، ص 32).

تحرك الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص إلى جبل نفوسة. ويورد صاحب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، وفي مناسبتين، يسند فيها افتتاح الجبل خلال المرة الأولى إلى شخص عمرو بن العاص، قائلاً: " وسار عمرو بن العاص فغزا مدينة طرابلس ففتحها، وافتتح جبال نفوسة وكانوا على دين النصرانية. " (أبي دينار، 1993، ص 37) وخلال المرة الثانية، يشير بالقول أن عمرو بن العاص أثناء إقامته بطرابلس: " بعث بشر بن أرطأت ففتح ودان وجبال نفوسة، ولم يتجاوز عمرو بن العاص إلى إقليم إفريقية، ورجع إلى مصر قافلاً رضى الله عنه. " (أبي دينار، 1993، ص 37) ويعتقد بعض باحثي تاريخ الجبل، أنه في مدينة شروس وصل كتاب أمير المؤمنين، يأمر بوقف العمليات العسكرية (كورد، د.ت، ص 34) غير أن المصادر المبكرة لم تذكر اسم مدينة شروس خلال الفتح في جبل نفوسة. وبينما خلال القرن 5 الهجري، يرد الاسم حيث يقول البكري: " أم قرى جبل نفوسة: مدينة شروس، وهي كبيرة أهلة جليلة .. " (البكري، 2002، ص 181) ويعتبرها الشيخ القريو عاصمة البربر في الجبل الغربي، وهي مدينة معروفة عند أهل الجبل (قريو، 1394، ص 14) وللحفاظ على هذا النجاح اهتم عمرو بإرسال السرايا إلى المنطقة فكان الجند يستحذون على الغنائم، ويقسمونها ما بين الغانمين ويعودون إلى قواعدهم. (مزهودي، 2003، ص 42) فما يؤخذ من الكفار مالا يُقسم ما بين أهله خمسة أخماس. خمس لأهل الخمس الذين قال الله عز وجل في حقهم: "وأعلموا أنما غنمتم من شيء، فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل " الأنفال/41 وأربعة أخماس الغنائم تقسم في دار الحرب بين الغانمين (الشيزري، 2003، ص 177).

لا توجد معلومات كافية حول فتح العرب لمدينة غدامس، ونحن أمام اقتراحين: إما أنها فُتحت ضمناً مع جبال نفوسة في عهد عمرو بن العاص، خلال إقامته بطرابلس سنة 23 هجرية، كما يخبرنا ابن أبي دينار (أبي دينار، 1993، ص 37) وإما أن غدامس، فُتحت خلال المرحلة الثانية من الفتوح، خلال

ولاية عقبة الثانية، وتحديدًا سنة 46 هجرية. بحسب ما يفيدنا البكري: " خرج عقبة بن نافع الفهري، بعد معاوية بن حديج؛ وذلك سنة ست وأربعين، ومعه بسر بن أرطأة، وشريك بن سحيم المرادي، فأقبل حتى نزل بغدامس " (البكري، 2002، ص 186) وابن عبد الحكم، يذكر فتح غدامس بعد سرده للخطوات ذاتها التي مر بها عقبة من ودان إلى جرمة إلى قصور فزان إلى خاوار إلى ماء الفرس إلى خاوار، ثم إلى زويلة ثم مزاته ثم غدامس (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 264) وقصور فزان التي افتتحها عقبة؛ يبدو بأنها هي ذاتها قصور وادي الآجال! (تيري، 2004، ص 124) أي أنها بقايا قصور جرمتية. ومن أرض مزاته بعث عقبة " خيلا إلى غدامس، افتتحت غدامس، فلما انصرفت إليه خيله سار إلى قفصة .. " (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 264) وخلاصة هذه الفقرة تؤكد بأن عقبة قد اختتم عملياته العسكرية في بلاد أنطابلس وأطرابلس وفزان؛ بالظفر بمدينة غدامس. وبالتالي لعل ما سبق يؤكد بأن غدامس نفسها قد فُتحت خلال سنة 46 هجرية.

### 2.3.2. العرب الفاتحين والرومان البيزنطيين العائدين / ملحمة برقه 76هـ 695م

خلال الفتوحات العربية الإسلامية لليبياء، كانت الإمبراطورية الرومانية/البيزنطية، تحت قيادة الإمبراطور كونستانز الثاني Constans II 641-668. وباستثناء العناء/المواجهة العسكرية الرومية التي لقيها العرب لاحقًا قرب درنة، والتي أدت إلى استشهاد القائد: زهير بن قيس البلوي، سنة 76 هجرية. فلا يبدو من سير الأحداث أن ثمة متاعب قد واجهت العرب خلال فتوح برقه وأجدابية، وزويلة وسرت وودان، وطرابلس وصبراته، وجبل نفوسه، وفزان، خلال سنوات 22-23 هجرية. إذ لم يشر المؤرخون المسلمون إلى أية صعوبات بالغة الخطورة كانت قد واجهت الفاتحين في أنطابلس أو أطرابلس أو فزان، بصرف النظر عن حالات الارتداد الديني أو الرفض المالي، التي حصلت من طرف مملكة ودان، ومملكة جرمة وقصور فزان، والتي تم قمعها على يد عقبة بن نافع سنة 46 هجرية، فإن المقاومة المسلحة لم تكن

موجودة! ومرد ذلك في الواقع ليس كما يعتقد الكثيرون بأن السكان المحليين قد رأوا في الإسلام الخلاص الديني لهم من المعتقدات الوثنية والمسيحية المنحرفة وغيرها! فالمحلون أولا وعلاوة على أن مواقفهم الروحية والنيوقراطية عميقة الاختلاف أمام العرب، فإنهم لم يقبلوا الإسلام منذ أول وهلة، ولم يفهموه جملة وتفصيلا خصوصا وأن لغة العرب جديدة عليهم، حتى نقول بأنهم قد اعتنقوه للخلاص، بل قبل قسما منهم الدخول تحت طاعة وسلطة العرب، وأصبح مسلما من دون أن يفهم شيئا، وفي بلد لم ينتصب فيها خلال الفتح مسجد واحد! بينما قدّم بعضهم الآخر الجزية سواء في برقه أم في ودان وفزان وغيرها، وهذا ما أكدته المصادر الإسلامية. كما أنهم لم يكونوا قد فهموا العربية بعد في ذلك العصر، ولم تكن هناك وسائل اتصال واضحة بين الفاتحين وبين الأهالي، فحتى المصادر الإسلامية لا تشر إلى وجود مترجمين أو أدلاء طريق يفهمون اللسان البربري بلهجاته المختلفة، وإنما السبب الذي أفسر به عدم وجود مقاومة من الأهالي للفاتحين، فضلا عن السبب الذي يراه الدكتور عباس والمتمثل في علم اللواتيين نبأ سقوط الإسكندرية وعموم مصر المسيحية (عباس، 1967، ص 15).

ضف إلى ذلك واستنادا إلى هذه الشهادات المعاصرة من مؤرخين كبار، فإن من يراجع تركيبة السكان الهائلة في ليبيا خلال العهدين الوندالي والبيزنطي؛ سيلحظ تماما مدى فراغها ديموغرافيا في بدايات العهد الإسلامي! وذاك هو السر وراء سهولة خضوع الأهالي، وقبولهم أداء الجزية أو اعتناق الإسلام دون أية مشاكل تذكر!. لأن البلد كانت قد استنفذت من قواها، وكانت الحروب الوندالية والبيزنطية بالذات، قد أفنت الكثير من أبناءها، بل وأدت إلى وقوع حتى النساء والأطفال سبايا في يد الوندال أولا، ثم البيزنطيين لاحقا. فضلا عن أن الصراعات المذهبية بين الأريوسية والكاثوليكية والأرثوذكسية قد مزقته تماما.

في ضوء هذا الواقع، سنجد بأن حتى محاولات الاستعادة البيزنطية كانت محدودة وتكاد لا تذكر. نظرا لانشغال بيزنطة بالتوسع العربي البري على حدودها الشرقية والجنوبية في سوريا والعراق، وكان الروم البيزنطيون يلهثون بلا انقطاع وراء مشكل ضياع الأقاليم المسيحية القريبة في الشرق الأوسط، أو هذه المطلة على المتوسط في شمال أفريقيا، تلك الحدود التي صنعها جوستينيان، وحمل شعبه خلالها إلى إمبراطورية هائلة ما لبثت أن تمشمت إلى عشرات القطع. خصوصا وأن الحدود البرية ولا شك، كانت أهم وأخطر من المجال البحري. انطلاقا من ذلك لا نجد سوى محاولتين بيزنطيتين لاستعادة ليبيا من يد العرب، واحدة في طرابلس والأخرى في برقه، وكانت الأخيرة مجرد محاولة طارئة/مؤقتة. في حين نجد بأن محاولة إعادة الحكم البيزنطي في طرابلس، لا تصدر من بيزنطة نفسها! بل من بيزنطيو قرطاجه! حيث أميرها غريغوريوس Gregorius الذي انفصل/استقل بقرطاجه عن بيزنطة، وكما يطلعنا الراهب البيزنطي ثيوفانس Theophanes المعترف، 760-818م، فقد استقل غريغوري Gregory بأفريقية إلى حدود Tripoleos/المدن الثلاث، عن الإمبراطورية الرومانية، مستغلا خروج سوريا ومصر من سلطة الدولة الرومانية، ويشير ثيوفانس Theophanes إلى ذلك قائلا وباختصار: " في عهد عثمان Outhman زعيم العرب، أثار جريجوري Gregory البطريرك Patrician في إفريقيا؛ تمردا مع الأفارقة Africans " (Theophanes, 1997, P 477) جريجوري أو غريغوريوس Gregorius هو جرجير عند العرب والمشاركة " وملكه من طرابلس إلى طنجة " (النائب، 2015، ص 21) وفي خصوصه يشير المؤرخ ابن عبد الحكم، بالقول: " كان مستقر سلطان أفريقيا يومئذ؛ مدينة يقال لها قرطاجنة، وكان عليها ملك يقال له جرجير، كان هرقل قد استخلفه، فخلع هرقل! وضرب الدنانير على وجهه، وكان سلطانه ما بين اطرابلس إلى طنجة " (ابن عبد الحكم، 1964، ص 35).

وسط هذا الجو السياسي، أعلن جريجوريس عن نيته في استعادة طرابلس من الحكم العربي، بعد فرار الحامية البيزنطية - الرومية، منها. وحيث لا يبدو بأن ثمة حامية للمسلمين قد تمركزت في أطرابلس، فإن جند غريغوريوس كانوا قد تمكنوا من دخولها، ويبدو بأن سورها الذي كان قد تم تحطيمه في فترة حملة عرو بن العاص، قد تم رفعه مجددا في عهد الملك القرطاجي جريجوري. وحدث أن رجع المسلمون بقيادة عبدالله بن أبي سرح، إلى حصار طرابلس من جديد، وتحصن أهلها بداخل منازلهم. غير أن أبي السرح لم يرغب في تضييع وقته، وهدر طاقة جنده بحصار حامية صغيره مع الناس في الداخل. والواقع أنه لم يكن يرغب سوى في التفرغ لاستغلال الوقت والجهد لمقابلة الملك الرومي جرجير شخصيا، في جنده وكوكبة فرسانه بمعقل مملكته في مدينة سببيلة بإفريقية، والتي تمثل منطقة نفوذه الفعلية. وهو أمر أدى فعليا إلى رفع الحصار الإسلامي عن طرابلس، والتهيب بالتالي لمواجهة القوات البيزنطية الرئيسية في إفريقية. وهذا ما حصل، حيث قُتل كما هو معروف جرجير، وانهمز جنده، وسقطت مملكته. وعادت طرابلس مجددا - بعد غزوة العبادلة - مع بقية المنطقة إلى دائرة النفوذ العربي الإسلامي.

الصفة الغالبة على هذا العصر؛ هو أنه عصر انتهاء الريادة الرومانية الشرقية/البيزنطية، على ليبيا، وعلى المتوسط بكامله. ففي الوقت الذي كانت فيه قوة العرب المسلمين تتعاضد؛ كانت الإمبراطورية الرومانية/البيزنطية، تتراجع وتتقلص، وقد باتت تخسر أقاليمها ومناطق نفوذها في سوريا ومصر وسواحل ليبيا وشمال إفريقيا، علاوة على أرمينيا وحدود آسية الصغرى، وتدخل في المقابل جميع أو معظم هذه النواحي والبلدان في حوزة/ملكية الدولة العربية الإسلامية الجديدة. وعلى الجانب المقابل أصبح اللومبارد Lombards أسياد أكثر من نصف شبه الجزيرة الإيطالية منذ عهد جستين الثاني Justin II 565-578 فضلا عن تمدد السلاف Slavs في بلاد Balkan البلقان. وبالنتيجة استقر الصرب Serbs والكروات Croats في الشمال الغربي، واستقر البلغار Bulgars في الشمال الشرقي للبلقان (Diehl, 1957, P 9).

وجميع هذه التحولات كانت تقض مضجع الروم البيزنطيين في آسية الصغرى وما جاورها من بلاد اليونان، وبعض الجزر بشرقي المتوسط هنا وهناك. وقد أدت بالتالي إلى تزايد تضيق حدة الحناق على أملاك الإمبراطورية في أوربا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط. مع دفع البيزنطيين إلى زاوية حرجة، صار بوسعهم من خلالها أن يشاهدوا وعن كتب؛ انهيار إمبراطوريتهم الهائلة إلى عشرات القطع.

لكن ومع ذلك، لم ينسى الروم شيء من مجدهم الغابر! وحاولوا خلال حكم الأسرة الهرقلية، الدفع بالمحاولة البيزنطية الثانية لأجل إحداث شيء داخل ليبيا. كانت الإمبراطورية المسيحية وقتذاك تحت قيادة الإمبراطور: Justinian II 685-695م والذي حكم مرة أخرى خلال سنوات 705 حتى 711م. فيما كانت الخلافة العربية الإسلامية خلال هذه الفترة تحت قيادة عبد الملك بن مروان 66-86هـ، ومنذ أن حدثت واقعة تهودة، ومقتل عقبة سنة 63 هجرية، وانتفاض البربر ضد العرب هناك، كان زهير قد رجع وجيشه إلى برقة، بحثا عن فرصة أفضل. وكانت مدينة برقة هي مركز إقليم المدن الخمس في القرن 7م، استوطن بدو البربر حولها، كما استوطنوا داخلها مع بعض الجند العرب والمشاركة وأخلاق من الناس (Ya`Kūbî, 2021, P 161) وقد وصفها الأصبخري، بأنها مدينة وسطية ليست بكبيرة، وحواليها كورة عامرة كبيرة. " (الأصبخري، د.ت، ص 19) وكانت برقة مدينة مسالمة حتى أن المؤرخ البلاذري أشار إلى سلمية أهلها قائلا: " كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن يأتيهم حاث أو مستحث! فكانوا أخصب قوم بالمغرب ولم يدخلها فتنة! " (البلاذري، 1987، ص 225) وكان عبد الله بن العاص، معجبا بعزلتها قائلا: " لولا مالي بالحجاز، لنزلت برقة! فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها! ". " (البلاذري، 1987، ص 225).

كان الروم يراقبون أحوال برقة وطرابلس وعموم السواحل عن طريق بحريتهم من صقلية، وعبر بعض أدلائهم، وربما كانوا من الروم القدم Eski Rûmların بمدينة برنيق Bernîk ( Ya`Kūbî, 2021, P )

161) ومن المحتمل أن هؤلاء قد كانوا على صلة برومان صقلية!. وقد رجع زهير بن قيس إلى برقة وفي أعماقه جمرات من الحزن لا تنطفىء، بسبب حادثة مقتل عقبة بن نافع. وفي قلبه حيرة أيضا على وضع المسلمين في القيروان. (دبوز، 2010، ص 83) وبالقياس مع حجم الفتوحات واتساع الأقاليم في عهد الدولة الأموية، تم تكليف زهير بترك برقه والتوجه - بعد وصول المدد العسكري - إلى إفريقية لقتال كسيله وجنده بعد استشهاد عقبة، ولأجل مد نفوذ/حدود الدولة الأموية. وهذا الحراك أدى إلى فراغ برقه وبقية نواحي البلاد من القوة الإسلامية؛ التي كان من المفترض بقاء جزء منها؛ لحماية الرعايا من أي غارات بيزنطية محتملة. وقد روى ابن الرقيق: أن عبد الملك بن مروان، أمر زهير بن قيس، بالخروج فيمن احتشد له من وجوه العرب لغزو إفريقية (القيرواني، 1994، ص 44). وخرج هذا الحشد من بلاد العرب، ومن المحتمل أن ثمة منظمين من الشام ومصر، فضلا عن الجند المرابطين في برقة، وربما من بعض المتطوعين المسلمين من البربر. ومن المرجح أن تعداد الجيش بلغ فيما بين 6 - 10 آلاف مقاتل.

ومن المحتمل أن روم برنيق قد كانوا على صلة فعلية برومان صقلية!. وعلى أية حال، فإن خطوة خلو برقة من حاميتها، دفعت الروم البيزنطيين المسيحيين، إلى تعزيز غريزة الانتقام لديهم من العرب المسلمين الذين هدموا الولايات التابعة إلى حكمهم في ليبيا وعموم شمال أفريقيا. أمام ظروف معقدة إلى هذا الحد، أغار الرومان على برقه، ووضعوا السيف على أعناق أهلها طوال يوم كامل، وسبوا نساءها وأخذوا رجالها وأولادها أسرى إلى المراكب والسفن، وربما تمكن بعضهم من النجاة متدليا بعمامته من السور. وقد صادف أن عاد زهير بجشيه من إفريقية، وعندما وصل بنطابلس/المدن الخمس، سمع بالخبر، وكان قد أخطأ في تقدير حجم خصمه، حيث أمر الجيش الإسلامي بمواصلة المسير على الطريق الساحلية بين الجبال، بينما نزل هو مع 70 رجلا فقط من صفوة القوة ووجهاء العرب وكبار العبّاد، آملين في انقراض الأسرى، واستخلاص سبي المسلمين كما يقول ابن عذاري المراكشي (ابن عذاري، 1828، ص 17) كان

الروم متأهبين في جيش كبير، بينما ظهر زهير في قلة مع أصحابه: " حتى إذا كان بدرنة من طوقه من أرض أنطابلس، لقي الروم وهو في سبعين رجلا، فتوقف! " (ابن عبد الحكم، 1964، ص 66).

توقف زهير وأصحابه متفاجئين بحجم الجيش الرومي، وبضخامة أسطوله على الشاطئ، فيما تقوم عناصره بجر الأسرى والسبايا إلى السفن، ثم حدث أن أبصر أحد الأسرى المسلمين زهير وجماعته في الأعلى، فصاح يناديهم ويستجديهم، وصاح الأسرى المسلمون معه يطلبون النجدة! فلم يتمالك زهير وجماعته أنفسهم، ولا شك بأنه قد ألقى بكلمات كانت مبعثا للفصاحة والبلاغة، وذات أثر في التعبئة والتحريض على الجهاد، محتتما قوله بطلب النزول قائلا: النزول يرحمكم الله! وفي شجاعة منقطعة النظير، عقد الرجال العزم على النزول للشاطئ، ومواجهة ذلك الموقف الذي عظم في أعينهم، ولعلمهم كانوا يدركون مصيرهم المحتوم، غير أن محاولتهم انقاد المسلمين ونسائهم، أو الفوز بالشهادة، هي مطلبهم الأسمى. وينقل القيرواني صورة كاملة عن الحادثة قائلا: " وقد بلغ الروم خروج زهير من برقة إلى إفريقية، لقتال الروم، فخرجوا إليها في مراكب كثيرة، فأغاروا على برقه وسبوا منها سبيا، ومن الأموال شيئا عظيما، وقتلوا وسبوا، ووافق ذلك قدوم زهير من إفريقية إلى برقة، فأخبروه الخبر، فأمر العسكر أن يعضوا على الطريق، وأخذ هو على ساحل البحر في عدة من أشرف الناس مجدين مبادرين، رجاء أن يدرك سبي المسلمين، فأشرف على الروم فرآهم في خلق عظيم، فلم يقدر على الرجوع، واستغاث به المسلمون وصاحوا والروم يدخلونهم المراكب، فنادى بأصحابه النزول يرحمكم الله، فنزلوا وكانوا رؤساء العابدين وأشرف العرب، فنزل إليهم الروم فتلقوهم بعدد عظيم، فالتحم القتال وأعانوا بعضهم بعضا، وتكاثر عليهم الروم فقتلوا زهير - رحمه الله - ومن معه من المسلمين جميعا، فما أفلت منهم رجل، وأدخلت الروم الخيل والسبي والسلاح، وما أصابوه من برقه، وانقلبوا وافرين يريدون ملك القسطنطينية. " (ابن الرقيق، 1994، ص 45).

كان مسير القائد زهير إلى بلد إفريقية في آخر سنة 69 هـ، واستشهاده كان بحسب الصفدي في سنة 76 هجرية (الصفدي، 2000، ص 152) وقد تم دفنه بدرنة قريبا من الشاطئ الذي استشهد فيه وأصحابه جميعهم فقبورهم هنالك معروفة إلى اليوم " (ابن عبد الحكم، 1964، ص 66) والجدير بالذكر أيضا أن الصحابي رويغ بن ثابت الأنصاري، الذي صحب رسول الله، صل الله عليه وسلم، وروى عنه، كان قد توفي ببرقة ودفن بها سنة 53 للهجرة وهو أميرا عليها (المالكي، 1994، ص 81) وتحديدا بموقع مدينة البيضاء حاليا، حيث لاحقا إقامة مقام له، تحول فيما بعد إلى ضريح حديث البناء. (عبده، 2001، ص 66) فلقد دُفن عدد من الصحابة في تراب ليبيا الحالية، منهم رويغ بن ثابت الأنصاري، وزهير بن قيس، والمنبذر الإفريقي، وغيرهم، (القطعايني، 1998، ص 5) وهناك عدد من الصحابة ممن دخلوا البلاد، كعبد الله بن الخطاب، وعبدالله بن العباس، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم (أبو فارس، د.ت، ص 156).

من جانبه، أرسل الخليفة عبدالمملك بن مروان 66-86 هـ، القائد: حسان بن النعمان 76-86 هـ، ليثبت أركان الإسلام في المنطقة. وعلى اعتبار أن هجوم البيزنطيين على برقه كان مجرد غزوة عابرة، انتهت بهم ورغم انتصارهم عائدين إلى جزرهم من دون أن يتركوا حامية ورائهم، وذلك يعود في تقديري إلى وعي الإمبراطور قسطنطين الرابع Constantine Iv بأن ليبيا لن تحكمها بيزنطة مجددا، وهي الآن في يد العرب كما هو الشأن مع مصر. عليه يمكن اعتبار أن هذه الغزوة هي آخر محاولة بيزنطية لإعادة حكم الأباطرة في ليبيا.

### 3.3.2. التبعات وردود الأفعال

بعد الاطلاع على ردود الفعل المحلية التي كانت تصدر، خلال الفترات الوندالية والبيزنطية، من السكان البربر، كلما هوجموا في عقر دارهم، يمكن استيعاب المعطيات التي أخرجت من عملية فتح ليبيا

وبقية مناطق المغرب بالذات، كاملة للدين الإسلامي الحنيف إلا بعد عناء. فسكان مملكتي ودان وجرمة، كانوا قد دخلوا صلحا في سلك الإسلام. إلا أنهم لم يلبثوا أن نفضوا أيديهم من أيدي العرب، محاولين تفرغ العقيدة الجديدة من محتواها المتعلق بالجزية. وكانت ودان قد فُتحت صلحا على يد بسر بن أرطأة، منذ سنة 22 هجرية (اليقوي، 2010، ص 49) وبادر ملوك جرمة وودان إلى تقديم طاعتهم وولائهم المزيف إلى سلطة العرب المسلمين في ذلك الوقت. ثم تفتنوا آخر الأمر إلى ذلك على يد عقبة سنة 46 هجرية، والذي اختار أن يرد عليهم بأسلوبه الخاص.

نتيجة لذلك في وسعنا القول بأن الأهالي ورغم الفتح المبكر للبلاد سنة 22 هجرية؛ إلا أنهم قد بادروا إلى الارتداد رافضين حكم العرب، فتم قمعهم على يد عقبة شخصيا سنة 46 هجرية، وكان عقبة يقوم بمعاينة كل ملك أو زعيم ارتد قومه عن الإسلام، بجدع أذنه كما حصل مع ملك ودان، أو إذلاله حتى يبصق الدم، كما حدث مع ملك جرمة (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 262) أو بقطع إصبعه كما فعل مع ملك خاوار. (البكري، 2002، ص 186) وأمام هذا السكين القاطع الذي يحمله عقبة في يده، كان على ملوك الأهالي أن يختاروا أحد طريقين: إما أن يقبلوا بدخولهم صلحا في سلك الإسلام، وبالتالي تقديمهم للجزية في وقتها وهم صاغرون؛ وإما أن يمدوا أصابعهم لقطعها، وأذائحهم لجدعها، وهو أمر من شأنه أن يذكرهم بمواثيقهم مع العرب الفاتحين. أو كما أشار عقبة إلى هؤلاء الملوك في نفس الوقت، بأن أصابعهم وأذائحهم ستذكرهم بمصيرهم اذا ما فكروا في رفض أو محاربة العرب. وبالنتيجة تعددت حالات الارتداد الديني بالنسبة للبربر قاطبة، حتى فاقت العشر مرات. وبحسب ابن خلدون: " ارتد البربر عن الإسلام اثني عشر مرة. " (ابن خلدون، 2001، ص 135).

كان من الطبيعي أن ينظر البربر إلى العرب الأوائل نظرة المغزو للغازي! تماما كما نظروا إلى البيزنطيين والوندال في بدايات العصر الوسيط، ومن سبقهم من الرومان في العصر القديم. غير أنه وبعد

الصدامات الأولى، تحركت ديناميكية الحرب، وقويت عند الجانبين كليهما إرادة الانتقام والأخذ بالثأر، واستمر الوضع على هذه الحال قرناً كاملاً (شفيق، د.ت، ص 45).

من جانب آخر، فإن سبي البربريات، قد استمر كظاهرة حتى بعد إسلامهن. وكانت نساء لواته أكثر من عانى من هذا السبي، وتعود خلفيات هذه الظاهرة عندما " كتب عمر بن العاص على لواته من البربر في شرطه عليهم؛ أن عليكم أن تبيعوا أبنائكم وبناتكم فيما عليكم من جزية." (ابن عبد الحكم، 1964، ص 29) ولعل بيع الأطفال من ذكور وإناث، مردّه طبع في بربر لواته. إذ أن البربر خلال العهد البيزنطي، وقبل الإسلام بقرن واحد، كانوا يقدمون أطفالهم كرهائن لدى القادة البيزنطيين، لقاء إبداء الثقة والحصول على مكتسباتهم من القيادة البيزنطية (Procopius, 1916, P 201) ومع ذلك، من الصعب القول بأن بيع الأطفال أو تقديمهم كرهائن، هي ظاهرة عامة بين البربر!. لأن الحالة لم تحصل في العهد الإسلامي سوى مع لواته، ولم تتكرر مع جماعات أخرى أو في مناطق أخرى.

إن نظام السبي ما يزال على حاله كما تركه عمرو بن العاص سنة 22هـ. ضمن هذا السيناريو، ظلت ظاهرة سبي النساء المحليات من لواته بصفة خاصة، خلال وقت قصير ورغم إسلامهن، مستمرة إلى آخر القرن الهجري الأول، عندما أصدر الخليفة الأموي الراشد/المصلح: عمر بن عبدالعزيز [99-101هـ] (السيوطي، 2003، 164) -الذي عُرف برد المظالم (الملطي، 2001، ص 114) - قراره بإبطال سبي اللواتيات. عندما " كتب في اللواتيات: أن من كانت عنده لواتية، فليخطبها إلى أبيها أو فليرددها. قال ولواتة قرية من البربر لهم عهد. " (البلاذري، 1987، ص 316).

ومع ذلك، استمر بعض ولاية بني أمية، في عملهم بسبي النسوة والفتيات المغاربيات الجميلات، وهو ما كان أحد أسباب ثورة البربر ضد الحكم الأموي. حيث أشار الوفد المغربي برئاسة ميسرة المطغري، إلى هذه الممارسات في كتاب جاء فيه: " إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد هذا في

كتاب ولا سنة! ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا؟! .. " (ابن الأثير، 1987، ص 486) ومع ذلك، لم يحظ ميسرة بمشاهدة الخليفة. فاختار أن يرد على هذا الإهمال بالإعلان عن نفسه إماما. وسرعان ما بايعته الجموع.

ليس من المجدي أن أفصّل في ظاهرة سبي النسوة والفتيات البربريات في بقية أصقاع المغرب الكبير، بأرقام فلكية كالتّي ذكرها الرقيق ابن القيرواني (القيرواني، 1990، ص 45) معلنا بأن الجارية فيهن قد بلغت في أسواق دمشق الأموية؛ مقدار ألف دينار!. فضلا عن تخميس المسلمين من البربر وغيرها من سلوكيات الولاة الأمويين الخاطئة، والتي أدت إلى اندلاع ثورات محلية لاحقة ضد ولاة بني أمية. ولا يفوتنا نهم الولاة والعمّال في طلب الضرائب من الأهالي، (مكاحلة، 1999، 36) والأدلة عديدة وشهيرة، والنادر منها هو الرواية التي ساقها الجغرافي الحلبي ابن الوردي؛ عن أن قوم من الأعراب هربوا من جور الوالي العربي، فتاهوا في الصحراء الغربية/غربي مصر - شرقي برقة، حتى عثروا على قوم أرضهم خصبة وزرعهم وافر، ومن المرجح في تقديري بأنهم بربر/أفارقة واحة سيوة بغربي مصر، فلما سألوهم عن سر يسار حالهم؟! أجابوا بأنهم لا يدفعون ضريبة إلى العرب!. (ابن الوردي، 2008، ص 79).

مع وجود بعض النزعات الدنيوية، التي مارسها بعض الجند والقواد هنا وهناك، ومن البصيرة والحكمة التفريق بين أخطاء البشر المسلمين، وأحكام الإسلام، وكان الدكتور علي الصلابي، قد وضع فقرة في كتابه عن ليبيا حول ذلك (الصلابي، 1998، ص 81).

ولكن من دون توضيح، فقط اكتفى بالتلميح. وما يثير الانتباه في سياسة القائد الشهير: عقبة بن نافع، وجنده، أنهم كانوا مهتمين بالقتال أكثر من أي شيء آخر. وكان الوالي أبو المهاجر دينار، قد اتبع على النقيض من عقبة؛ سياسة اللين والتسامح مع البربر، وعلى العكس من ذلك، أساء عقبة معاملة

البربر حتى المسلمين منهم. كما أساء معاملة الوالي: أبي المهاجر دينار شخصيا، والذي غزا به بلاد المغرب سنة 63 هجرية، وهو مقيد اليدين والقدمين (ابن عذاري، د.ت، ص 16).

كانت سياسة الوالي عقبة بن نافع، تهتم بالانقضاء على المدائن محاربا مقاتلا دون سابق إنذار! ففي مجال آخر يشرح المؤرخ المراكشي ابن عذاري، كيف " ووصل عقبة بن نافع الفهري إلى أفريقية، في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها، ودخلها، ووضع السيف في أهلها. " (ابن عذاري، د.ت، ص 14). وربما غلبت القسوة والغلظة على طباعه، حتى أنه أساء معاملة كسيله زعيم البربر، وأمره بأن يسلم الشياخ مع السلاحين! وكان كسيلا قد أوصى به القائد أبو المهاجر دينار، وذكر عقبة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم (في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحميري، 1984، ص 7) يمقت جبايرة العرب وطغاة البشر (المالكي، 1994، ص 41).

لم تكن الاختلافات الجوهرية في مفهوم نشر الإسلام بين الرجلين، تُفضي إلى تعارض في التصورات حيال دينامية حركة الجهاد نفسها، وما سبق لا يعني الانتقاص من جهاد عقبة بن نافع. بل يعني أن عقبة كان فظا غليظ القلب، مع كونه محاربا غازيا مجاهدا مقاتلا في سبيل الله، أكثر من تحمسه لاستعمال سياسة اللين والهداية والإقناع. وهذا يؤكد اختراجه برقة وطرابلس وفزان كاملة مع سار بلاد المغرب من برقه حتى حدود المغرب الأقصى، حيث وصل شاطئ المحيط الأطلسي، ودخل بفرسه غمار البحر حتى بلغ الماء صدر جواده، فقال قولته الشهيرة: " يا ربي لولا هذا البحر المحيط لمضيت في البلاد إلى ملك ذي القرنين! مدافعا عن دينك ومقاتلا من كفر بك وعبد غيرك! ". باختصار ورغم كون عقبة بن نافع؛ محاربا ممتازا وقائدا عسكريا فذا، وأحد الفاتحين الكبار، إلا أن الحكمة والعقلية المحنكة كانت تنقصه كما قال الدكتور دبوز. (دبوز، 2010، ص 73).

وتعد ظاهرة التمييز؛ من الظواهر المجتمعية التي أوجبت من العداء الأهلي ضد الحكم الأموي. وعبر البربر عن عدم رضاهم على سياسة بعض الولاة الأمويين التعسفية، ممن سعوا إلى تحقيق مطالب مستوحاة من النماذج التقليدية الرومانية. مما دعا الأهالي إلى استنكار تلك السياسة الجائرة التي جرى على نسقها بعض ولاة بني أمية، مثل يزيد بن أبي مسلم 102 - 103هـ (كوردي، د.ت، ص 36) والذي أعلن بأن البربر هم فينا للمسلمين! وقام بتخميسهم وأمرهم بالبقاء في مناطقهم، وفرض عليهم الجزية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل أراد وشم أيدي حرسه منهم، تمييزا لهم عن غيرهم. (ابن عبد الحكم، 1964، ص 87) حيث قام بوشم أسماء المواطنين من البربر في أيديهم اليمنى، ووشم حرسه من البربر في أيديهم اليسرى على طريقة الرومان في وشم جنودهم بالفيلق الروماني. (ابن عبد الحكم، 1964، ص 88). وقد أثارت هذه المسألة حفيظة الحرس المحلي، وانزعج الأهالي البربر من ذلك، واعتبروا سلوكه ظلما لهم، وأن أفكاره من بقايا تعاليم الرومان، في التعالي والتمييز بين الناس، على خلاف ما ينادي به الدين الإسلامي الذي جاء بالذات لضرب نظرية التمييز بين البشر! فاتفق الرعية على قتله (ابن عبد الحكم، 1964، ص 89).

ويلاحظ أن هذا النوع من الأساليب يتكرر مرة أخرى خلال ولاية " عمر بن عبد الله المرادي، فأساء السيرة وتعدى، وأراد أن يخمس مسلمي البربر، وزعم أنهم فيء للمسلمين، وذلك شيء لم يرتكبه أحد قبله! " (ابن الأثير، 1987، ص 116).

إن كل كلمة في الخطابات السابقة، تقف بالضبط على طرف نقيض من معنى الأمة الإسلامية التي ودعها رسول الله منذ حوالي مائة عام تقريبا. وبدل الأمة نفسها جاءت الأسرة المالكة، التي افتتح بابها أمير الشام: معاوية بن أبي سفيان، وهو أول خليفة يصمم نظام حكم خلافي وراثي، أو كما تراه المراجع الغربية؛ حاكما جديدا على عصره، اعتبر نفسه خليط ما بين شيخ عربي وخليفة إسلامي وإمبراطور

روماني! (Moss, 2018, P 103) مفتح في ذات الوقت عصر الخلفاء العائليين، بتغيير صغير في حروف اسم دولة الخلافة العربية الإسلامية، التي أصبحت أموية. وعند هذه النقاط افترت الطرق. وكان المؤرخ المحلي: لؤاب بن سلام المزاني [توفي 283هـ/887م] قد وضع بابا بكتابه حول ما سماه بـ "شور بني أمية، ومخالفتهم لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الراشدين، بما في ذلك استباحة حرمة مكة المكرمة، وسب آل البيت الهاشمي، واستحلال دم المسلمين والمسلمات المحصنات، وتوريث إمامة المسلمين لأقاربهم وصبيانهم، وإلغاء الشورى، وحملهم لأقاربهم على رقاب الناس، والغدر بأهل الذمة من اليهود والنصارى، وسفك الدم والظهور بالزنا وشرب الخمر وخلافه" (ابن سلام، 1985، ص 118).

وسط هذه الظروف اتخذت المعارضة المنتشرة شكل ثورة مفتوحة عام 140هـ/758م تحت راية الإسلام الأباضي. حارب الأباضية الحكم الأموي القائم من الشرق (بوزيان وآخرون، 2015، ص 30) وانجذب الكثير من المحليين لهذه الطائفة الإسلامية التي بدت لهم أكثر عدلا ومساواة. وعظم أمرهم كما يقول ابن الأثير (ابن الأثير، 1987، ص 117) فانتشر هذا المذهب في منطقة جبل نفوسة التي استجاب أهلها لدعاة المذهب الأباضي، والذي انتشر بدوره أيضا في فزان ووسط البلاد حيث بطون مزاته وسدراته، منذ دخوله بأوائل القرن الثاني للهجرة، مع دخول سلمة بن سعيد بلاد المغرب قادمًا من البصرة لنشر المذهب سنة 105هـ/723م، واستطاع الأخير كسب الأنصار والمؤيدين في الجبل وبقية النواحي. ثم بايع الأهالي أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري، وكانت ولايته عام 140هـ/758م أي خلال السنوات الأولى لقيام الدولة العباسية، وقد تقدم أبو الخطاب نحو مدينة طرابلس واستولى عليها، وزحف إلى القيروان وحاصرها، سنة 141هـ/759م، ووُي على القيروان عبد الرحمن بن رستم، وبذلك صارت المنطقة من سرت شرقًا إلى القيروان غربًا، ومن البحر شمالًا إلى مشارف الصحراء الكبرى جنوبًا؛ تحت

سيطرة النفوسيين والمزاتيين والهوريين بقيادة أبي الخطاب المعافري، لكن الرجل شخصيا كان معرضا لأكثر من مفاجأة.

وتبعاً لهذه المعارضة قام الخليفة العباسي المنصور، بتوجيه حملة إلى إقليم طرابلس؛ مؤلفة من خمسين ألف مقاتل مشرقي، بقيادة أمير مصر: محمد بن الأشعث، وصادف توقيت إرسال هذه الحملة، حدوث خلاف حصل بين رؤساء القبائل المنطويين تحت لواء ابن الخطاب، فقل جمعه وعظم في المقابل شمل خصمه. حتى فاجأه ابن الأشعث في سرت، وعلى حين غرة، فالتقى الطرفان في تاورغه من بلد هوار، سنة 141 هجرية، فقتل أبو الخطاب ومن بقي معه من أصحابه وجنده، وكانوا نحو اثني عشر ألفاً. وكانت هزيمة أبو المعافري؛ قد أدت إلى إفلات سرت وطرابلس والقيروان والحواضر الرئيسية بكاملها من يد الإباضية، والتي تفرق أتباعها، وعادوا للتمركز من جديد في الكنن والجبال والوديان وبقيّة الأماكن النائية.

### نتائج الفصل الثاني

منذ سنة 455م تمكن الفاندال من إحكام سيطرتهم على معظم نواح ليبيا، والتي تعني في مجالات أخرى منطقة شمال أفريقيا أيضاً. غير أن سلطتهم بليبيا البلد كانت قد تحددت في سواحل وريف المقاطعة الطرابلسية. وفي البداية تعاون بعض زعماء المور/البربر مع الوندال ضد سكان المدن البحرية وسلطانها الرومانية/البيزنطية، ثم تقاطعت طموحاتهم حتى اشتبكوا بهم بقيادة كاباون Cabaun سنة 523م. ورغم تحقيق المور لنصر واضح إلا أن النفوذ الوندالي ظل مستمرا بالمنطقة. فرض الوندال مذهبهم التوحيدي أمام بقية المسيحيين الذين استنجدوا بدورهم بالبيزنطيين في عهد الإمبراطور جوستينيانوس Justinianus ونجح الروم البيزنطيين في إسقاط المملكة الفاندالية بداية من طرابلس منذ سنة 531م. ومع وقوع مذبحه لبئس ضد زعماء البربر، اندلعت شرارة الحروب الماورية - البيزنطية Moorish-Byzantine Wars طيلة سنوات [538-539-544-546-548م] خدمت شرارتها تحت قيادة Iohannes Troglita يوحنا تروجليتا،

عقب هلاك الكثيرين وتدمير واسع النطاق طال الطرفين، ومع حلول الاستقرار طيلة بقية أحقاب القرن السادس وبدايات القرن السابع للميلاد، انشغل البيزنطيون في ترسيم الإدارة والقوانين وإنجاز المشاريع العمرانية المدنية والعسكرية.

خلال عشرينيات القرن السابع للميلاد، دخل العرب تحت قيادة عمرو بن العاص؛ بالإسلام سنة 22 هـ/ 642م، بلاد بينطابوليس Pentapolis التي دعاها العرب نقلا عن البربر باسم أنطابلس، واستمرت الفتوح في المضي قدما حتى خليج سرت، وصولا إلى مدينة أطرابلس. لم يواجه العرب صعوبة تذكر في عملية الفتح، وذلك مرتبطا في تقديري بتبعات العمليات العسكرية التي عرفتها البلد خلال القرن 6م، مما أدى إلى إضعاف قدرة القبائل على المواجهة، خصوصا وأن عدد منها كانت الهزائم قد شنته إلى تخوم الصحراء، بل وأن الكثير منهم كان قد فقد حتى نسائه وأطفاله بالكامل. وبالتالي قبل البربر بالسيادة العربية والدخول في كنف الدولة الإسلامية صلحا. وعلى الرغم من أن الأهالي كانوا قد نفضوا أيديهم من التبعية للدولة العربية الإسلامية، مما دعا عقبة بن نافع؛ إلى معاودة الفتوح في الدواخل منذ سنة 46 هجرية. أما على الساحل، فلم يكن ثمة ردة فعل من طرف ما تبقى من سكان المدن من اليونانيون والأفارق والروم، حيث دخل هؤلاء تلقائيا للانخراط في الحياة على هامش السلطة العربية ومجتمعها الإسلامي. فضلا عن أن عددا من المدن الساحلية كان قد تضاءل، اختفت مدن بأكملها ولم يرد لها ذكر، وبالتالي لم يقف العرب في الساحل الطرابلسي سوى عند مدينة أويا/أطرابلس Oeen وسابراث Sabathram وهي سيرة/صبراته، التي تم مباغته سكانها وانتهى خبرها نهائيا بعد ذلك.

## الفصل الثالث: التركيبة الإثنولوجية والسوسولوجية قبل وبعد الإسلام

### 1.3. الأفارق Afros في المدن الطرابلسية Tripolitania

رغم أن الكثيرون يخلطون في هوية هذه الطائفة أو هذا المجتمع، ويعتقدون بأن الأفارق أحيانا إما الأفارقة السود، وإما المحليين البربر في أحيان أخرى. لكن Afros في الواقع هم البونيقيون أنفسهم، كما ذكرهم بطليميوس باسم: المجتمع الليبو-فينيقي Libycas-Phoenicum وفي قراءة أخرى Libyphccnicu (Ptolemaei, 1545, P 65). أو Libyphoenicum الليبوفينيكس (Ptolemaei, N.D, P 123) وذكرهم ديودورس الصقلي عبر مصطلح Libyphoenicians (Diodorus, 1963, P 295). فيما يذكرهم بليني الأكبر، تحت اسم Libyphoenicians (Plinius, 1961, P 237). وفي قراءة لاتينية Libyphoeniees (Plinius, 1961, P 237). وهم الذين استمدوا هويتهم من التراث المتوسطي الفينيقي القرطاجي. ثم اشتهروا مطلع العصور الوسطى باسم الأفارق أو ليبو المدن، خصوصا وأنهم قد صاروا مسيحيين. وكان هيرودوتس Hēródotos قد زار ليبيا؛ وشاهد بأن هناك 4 شعوب تسكن البلد، وهم: الإغريق والفينيقيين والليبيين والإثيوب (هيرودوتس، 2001، ص 369).

في ليبيا يمكن اعتبار مدينة Leptis نموذج لهؤلاء السكان الفينيقيون الأفارق. وقد استعمل المؤرخ اللاتيني Aelius Spartianus مع سكان لبدة وغيرها لفظ Afrorum والتي تعني السكان الأفارقة (Spartiani, 1993, P 36) ويقول Sallustius: " تأسست بلدة لبتيس Leptis على يد الصيدونيين Sidoniis الذين قيل بأنهم قد غادروا منازلهم بسبب الخلاف الأهلي الذي حصل هناك. فأتوا إلى هذه المنطقة على ظهر السفن .. ولم تتأثر لغة هذه المدينة، إلا فقط نتيجة التصاهر مع Numidarum ؛ فقوانينها وثقافتها هي في معظمها لا تزال صيدونية Sidonica. " (Sallustius, 1920, P 298). والنوميديين Nomadic كما يؤكد سترابو يُقصد بهم السكان المحليين البربر المجاورين هنا وهناك، وهي كلمة

عامّة عنّت في بعض الأحيان جميع سكان القبائل البربرية (Straabon, Viii, P 155) وقد كرر ديودور

الصقلي، هذا اللفظ خلال حديثه عن القبائل القاطنة بليبيا ونوميديا (Diodorus, 1967, P 295).

حتى القرن الأول ق.م، كان أحد الكتاب اللاتينيين، قد استعمل مصطلح السكان الأفارق (جندي

مجهول، 1994، ص 69) وقد بدأت عبارة *afer* وجمعها *Afri* تُطلق أولاً على المواطن البونيقي في قرطاج

وضواحيها (ليون الإفريقي، د.ت، ص 35) ثم توسع المصطلح مع الاتساع الجغرافي الذي شمل المدن

البحرية. ومن الواضح أن التسمية قد جاءت انطلاقاً من المصطلح الروماني *Africa Nova*. وقد

استعمل بروكوبيوس أسماء: *Africae* بمعنى الإفريقي، و *Africam* بمعنى إفريقية (Procopii, 1655, P

138) وألاحظ بأن المؤرخ Paulus Orosius والذي كتب بين سنتي 416 و418م يسمي قادة قرطاجة

بأمراء إفريقية (أوروسوس، د.ت، ص 342) وسنلاحظ بأن الناقد الشاعر النحوي القرطاجي الإفريقي:

Flavius Cresconius Corippus الذي عاصر الحرب البيزنطية - الماورية، خلال القرن 6م، يُسمى في

المصادر اللاتينية باسم *Poeta Africanus* (Corippus, 1581, P 6) أي الشاعر الإفريقي.

وكان Procopius Caesarensis قد أكد سنة 533م بأن الكنعانيين/الفينيقيين، موجودين حتى وقته

بالقرن السادس! ويضيف بأنهم: " أنشأوا العديد من المدن واستولوا على كامل ليبيا إلى *Pillars*

*Heracles* (أعمدة هرقل) وهناك لازالوا يعيشون حتى وقتي، وهم يتحدثون باللسان الفينيقي "

(Procopius, 1916, P 289).

خلال الفترة البيزنطية بالقرن 6م، ارتقى بعض أفراد طبقة الأفارق إلى مناصب عليا، وقد تحدث

Procopius Of Caesarea في تاريخه السري عن شخصية *Junilus, A Libyan* الذي عينه

Justinianus مكلفا بالحسابات على مستوى القصر الإمبراطوري، سنة 529م. وهو من أصل ليبي.

(Procopius, 2004, P 85) وللتأكيد على علاقة الأفارق بالمركز الرئيسي في بيزنطة، أجد أن

Zachariah, 1899, P ) من فلسطين [536-460م] رجل الدين السرياني، وهو يتحدث عن اللاجئين الأفارق القادمين من المدن الساحلية إلى بيزنطة، عارضين على جوستينيان، مشاكلهم وظروف بلادهم، ومحرضين إياه على استعادة الأمن في مدتهم. " ( Zachariah, 1899, P ) (262). ولمعرفة أيضا مدى نفوذ الطبقة الأفريقية، يمكن الإشارة إلى شخصية Pudentius وهو الوجيه الطرابلسي الذي يقدمه بروكوبيوس على أنه: " Pudentius وهو رجل من سكان Tripolis ويحكم طرابلس، وكان قد خدم الإمبراطور جوستينيان ضد الفاندال في بداية حرب الفاندال " ( Procopius, ) (1916, P 395). ويشير الراهب Theophanes إلى أن Pudentius هو A Citizen Of Tripolis (Theophanes, 1997, P 301) أي مواطن طرابلسي.

خلال القرن 7م، وبعد الإسلام؛ استمرت تسمية الأفارق تتداول خلال القرون الهجرية الأولى، وظل مجتمع الأفارق قائما وإن في صورة متضائلة. وأجد بأن المؤرخ المصري ابن عبد الحكم [257هـ/870م] والذي يعتبر أقدم من كتب من المسلمين في تاريخ المنطقة، قد استخدم قليلا لفظ الأفارق؛ وقال وبوضوح: " وأقام الأفارق - وكانوا خدما للروم - على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم " (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 229) ويسرد ابن الأثير [630هـ/1232م] نفس الإفادة بالقول: " وأقام الأفارق - وهم خدم الروم - على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم. " (ابن الأثير، 1987، ص 429) وكلا النصين يؤكد حقيقة أن مجتمع الأفارق بالمدن البحرية، هم حلفاء ورعايا وخدم للروم البيزنطيين. أما الجغرافي البغدادي اليعقوبي، وهو بدوره واحد من أقدم الجغرافيين المسلمين، فقد استعمل خلال سنة [258هـ/872م] لفظي: " البربر والأفارقة " (اليعقوبي، 2010، ص 234) وهذا يدل على وعي المشاركة في التمييز ما بين مجتمعين أو مكونين بشريين، وهما البربر كقبائل والأفارق كسكان مدن. وكان الجغرافي الأندلسي: البكري [487هـ/1094م] قد فرق أيضا ما بين البربر والأفارق في اطار إشارته إلى السكان

المحيطين بمدينة برقه، قائلا: " وحول مدينة برقه قبائل من لواته والأفارق (البكري، 2002، ص 176) ويذكر اليعقوبي أيضا وجود الأفارق في قابس ضمن " خمس مراحل عامرة، يسكنها قوم من البربر من زناتة، ولواتة، والأفارقة الأول. " (اليعقوبي، 2010، ص 185) ولعل هذا يدل على استمرار جيل من الأفارق الأوائل حول مدينة برقة، وفي مدينة قابس، حتى القرن 3 هجري. ولا توجد معلومات عن وضعهم بعد ذلك؟ وأعتقد بأنهم اعتنقوا الإسلام كغيرهم من سكان المدن الباقية، واستعربوا تماما. واستمرارا لهذا التوثيق الطبقي لمجتمع الأفارق، أجد أيضا أن الجغرافي الفارسي ابن خرداذبة [280هـ/893م] قد وصف مدينة قابس التونسية بعد الانتهاء من الديار الطرابلسية بـ " مدينة الأفارقة الأعاجم " (ابن خرداذبة، 1889، ص 86) Afrika Şehri Olan Kabis (İbn Hurdazbih, 2008, P 79) وابن خرداذبة، ذكر أيضا عنصري: " الأفارق والروم " (ابن خرداذبة، 1889، ص 92) Afrikalılar Ile Rumlar (İbn Hurdazbih, 2008, P 82) كاسمين ملازمين لبعض، والواقع هذا صحيح لكون الأفارق قد أصبحوا منذ بدايات الميلاذ لاتينيو اللسان، ثم مسيحيو العقيدة. وهم في النهاية طائفة ذات خليط فينيقي الأصل وبربري متمدن بالمدن البحرية، ظل على النقيض من المجتمعين الآخرين القبليين: الجبلي والصحراوي، الذين تمسكا بحياتهما الريفية أو البدوية، مع ترصد الفرصة المناسبة للنهب والسلب، الأمر الذي منع من تكوين أمة بربرية سيدة مصيرها (اكزبل، 2007، ص 45).

على صعيد الموروث الإسلامي خلال بداية العصر الوسيط، يهمني في هذا السياق، استنتاج أن بعض الأفارق على الأقل، كان قد استمر في إقامته في بعض المدن العتيقة/الساحلية بليبيا، بأداء جزيته وعلى دينه المسيحي خلال الفترة من الأولى من العصر الوسيط/الإسلامي. وكان عبدالله بن أبي سرح، خلال فتوح قرطاجنة، قد تعجب من كثرة المجوهرات والأموال والمعادن الثمينة التي يمتلكها سكانها الأفارق، (ابن عذاري، د.ت، ص 9).

أما فيما يتعلق بالتفسير اللفظي العربي/المغربي؛ يقول الجغرافي اليعقوبي، بأن الأفارقة نسبة " إلى فارق بن بيصر بن حام بن نوح " (اليعقوبي، 2010، ص 235) وقد ملك ما بين برقه وإفريقية. أما المؤرخ القيرواني، فيسرد ثلاث مقترحات هي كالتالي: " إفريقية من بلاد المغرب، وعند أهل العلم إن اطلق اسم إفريقية؛ فإنما يعنون به بلد القيروان. وأما أهل السير فيجعلونه إقليمًا مستقلًا وله حدود ولهم فيه اختلاف. وإفريقية أوسط أمور المغرب، وخير الأمور أوسطها. وقيل إنما سميت بأفريقيا؛ لأنها فرقت بين المشرق والمغرب، ولا يفرق بين الاثنين إلا أحسنها. وقيل سميت إفريقية باسم أهلها وهم الأفارقة .. " (أبي دينار، 1870، ص 15) أما المسعودي، فقد رأى بأن إفريقية مشتقة من اسم إفريقس ملك اليمن، (المسعودي، 1988، ص 34) وأتصور أن إفريقس هو شخصية خرافية شفوية لا أصل لها في التاريخ. وكما أجد لدى العلامة ابن خلدون؛ فإن هذا الخبر: " قد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البرّ، وأبو محمد بن حزم؛ وقالوا: ما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أكاذيب مؤرخي اليمن! .. " (ابن خلدون، 2001، ص 6) والواقع أن اليمن قد تعرب بكامله وبشكل واضح، بعد الإسلام، فعلى سبيل المثال؛ كان ثمة قوم يمنيون من العجم، كانوا قد اسلموا وصاروا من جند الخلافة؛ وهم البنويون أو الأبنواوي والمفرد فيهم بنوي، (الملاحظ، د.ت، ص 5).

على مستوى مجتمعات المدينة في ليبيا؛ فإن آخر جيل من الأفارق ممن سكنوا Sabratae صابرات؛ هم الجيل الذي شهد دخول العرب المسلمين للمنطقة، حيث كان سقوط مدينة صبراتة في يد العرب قد جعل من سكانها أسرى وسبايا في يد الجيش الإسلامي، والذي كان رجاله يقومون بتحويل الأساري والغنائم إلى مصر حيث الوالي العربي هناك، وأموال الفيء والغنائم، هي ما وصلت من المشركين أو كانوا سببا في وصولها، والصدقات تؤخذ من المسلمين تطهيرا لهم، بينما يكون الفيء والغنيمة مأخوذا من الكفار انتقاما منهم (الماوردي، 1989، ص 161) ونفهم من ابن عبد الحكم بأن سكان صبرات Sapratt

الأوائل؛ قد هلك آخر جيل فيهم على يد العرب خلال موجة الفتوحات الإسلامية الأولى (ابن عبد الحكم، 1964، ص 32) ثم استغل الأهالي من قبائل البربر فراغ المدن الساحلية والوحيدة في ليبيا من آخر سكانها، تقدمت تحت وطأة هذا الفراغ احدى بطون هوارة بعد الإسلام، لاستيطان بقايا قصور لبدّة، بينما نزلت احدى بطون نفوسة من الجبل لاستيطان مدينة صبراته، بعد أن تركهما العرب فارغة خالية على عروشها. (ابن عبد الحكم، 1964، ص 28).

أما مجتمع الأفارق في Leptis Magna أو مدينة لبتي Lepti (Synceill, 1652, P 48). كما يذكرها السكرتير الملكي البيزنطي بالقسطنطينية؛ جورج سينكيللوس George Synkellos فكانت قد شهدت محن وغارات قبلية محلية من الداخل، منذ اضمحلال السلطة الرومانية في القرن 3م وانسحاب آخر الحاميات العسكرية الرومانية، وأهما Augustae Tertium Corps منذ عام 253م. وتزايدت المحن مع الظواهر الطبيعية كضربة الزلزال البحري الذي حدث خلال القرن 4م، ثم تعرضت المدينة الفخمة لتخريب Vandalicis خلال القرن 5م. ثم تعرضت من جديد لغارات القبائل البدوية خلال عهد Cabaones بالقرن نفسه، وعندما جاء المهندسون البيزنطيون خلال القرن 6م، وجدوها شبه فارغة تطوي الرمال أجزاء كبيرة من مرافقها، ورغم محاولات الإعمار والتأهيل التي حصلت، إلا أن واقع المدينة خلال القرن 7م كان يبنى بنهايتها، حيث وجدها العرب فارغة أمامهم، ولم يتوقفوا حتى بما خلال مسيرهم إلى أطرابلس. وعلى الرغم من أن بطون من هوارة قد نزلت بقايا قصور لبدّة، إلا أنها لم تقم بإحداث أي تغيير يذكر في طبوغرافية المدينة، والتي ظلت تتراجع عقدا بعد عقد، وكما يقول الجغرافي: الشريف الإدريسي [493-559هـ/1100-1166م]: " كانت مدينة لبدّة كثيرة العمارات مشتملة الخيرات .. فتسلط العرب عليها وعلى أرضها، فغيرت ما كان بها من النعم " (الإدريسي، 1989، ص 308) فيما يقول الجغرافي الحميري

[900هـ/1495م] " لبلدة مبلنة قلمة بناحية طرابلس الغرب، كانت عظمة الشأن مبنية بالرخام، وآثارها

بابة حتى الآن تلم على أنها كانت دار مملكة عظمى " (الحميري، 1984، ص 508).

لكن وفي موضع Syrtica أو Syrtin (Scylacis, 1697, P 117) وهو المكان المطمور الواقع إلى

الشرق من مبلنة سرت الحالية، فيبدو لي أن جيلا من الأفارق قد استمر في الحياة بالمبلنة حتى ما بعد

الإسلام!. ففي سرت القلمة يتواتر عدد من المؤرخين المسلمين كالبكري وياقوت الرومي وصاحب كتاب

الاستبصار وغيرهم، أخبار تصف سكان سرت بالفترة الإسلامية، بأنهم قوم مجهولي الهوية بالنسبة

للمؤرخين المسلمين، يقول الجغرافي البكري [404-487هـ/1014-1094م]: " ومبلنة سرت هي مبلنة

كبيرة على سيف البحر، عليها سور طوب، وبها جامع وحمام وأسواق ولها ثلاثة أبواب .. ولهم كلام

يتراطون به، ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي، ولا يعرفه غيرهم! " (البكري، د.ت، ص 6)

وقد أشار الجغرافي ياقوت الرومي [574هـ-626هـ/1178-1229م] إلى نفس الملاحظات، المتعلقة بهوية

ولغة سكان مبلنة سرت؛ باعتبارها غير مفهومة! (الرومي، 1977، ص 206) وهذا يقودنا إلى فهم أن

سكان سرت القدامى، من جنس آخر، ليس من الأجناس المعروفة خلال العصر الإسلامي، بل جنس

شبه مندثر، حتى اندثر نهائيا بعد ذلك، وهو جنس إفريقي/بونيقي، له لغته الخاصة، التي لم يفهمها

المسلمون، اندثر واختفى وجوده من المبلنة، كما اختفت عشرات الأجناس والتجمعات البشرية في

ظروف بعضها غامض، وبعضها مألوف. ولعل شهادة الجغرافي ليون الإفريقي، تبدو متطابقة حول اعتقاد

بعض المؤرخين بأن سرت هي من تأسيس الأفارقة (Jean Leon, 1898, P 278) ويقول العلامة الزاوي

بأن بقايا سرت الإسلامية لاتزال في عهده بالسطينات موجودة، وتعرف باسم قرارة الأقواس بعد أن خربت

وتدمرت وغظتها الرمال ولم تبق سوى أقواسها. (الزاوي، 1968، ص 188) وفي كتاب آخر، يقول

الزاوي، بأن الطاعنون في السن من سكان تلك الناحية؛ لا زالوا يعرفون بقايا قصور سرت القديمة، التي كانت مسورة بسور (الزاوي، 2004، ص 41).

لقد أشار جون رايت؛ إلى أن قرنا كاملا من غارات القبائل البدوية على حواضر الساحل قد حوّل لبدة وصبراتة إلى مدائن أشباح. وكانت القبائل بالقرن 6م قد سيطرت على معظم مساحات ليبيا. (رايت، 1993، ص 70). وفي هذا السياق المتعلق بقضية هلاك وزوال السكان الأفارق، سأستحضر مثال من مدينة قرطاجنة على سبيل المثال، ورحيل من نجا من أهلها نحو جزر البحر، ومصير سكان المدن الليبية الساحلية العتيقة مشابه لوضع قرطاجنة إلى حد كبير، وفي السياق المذكور؛ يطلعنا ابن عذاري، على أن من نجي من سكان قرطاجنة خلال المغازي العربية قد فر في المراكب باتجاه جزر صقلية والأندلس، وعندما علم بدو ضواحيها من البربر بجلاء أهلها عنها، مضوا إليها فدخلوها، وأغلقوا أبوابها، فرجع إليهم حسان بن النعمان مع عظيم جنده؛ فقتلهم وسباهم ونهى أمرهم، وأمر بقية سكان مقاطعات إفريقية، من البربر بتدمير قرطاجنة إلى الأبد!. (ابن عذاري، 1828، ص 19). ولن نغفل حملات الملكة البربرية تيهيا بنت ماتيا، والتي أمرت أتباعها خلال صراعها مع العرب، بتخريب الحصون والمدن الساحلية، حيث فر جزء من الأفارق وشركائهم من الروم وبقية المسيحيين من سكان تلك المدن البحرية المخربة الأسوار؛ نحو الأندلس وجزر البحر ضمن فرضية الجاذبية بين ضفتي المتوسط كما يشير الدكتور أبو صوة (أبوصوة، 2000، ص 10). وهذا ما يؤكد ابن عذاري المراكشي [695هـ/1295م] مشيرا الى نزوح الأفارق نحو جزر البحر (ابن عذاري، 1828، ص 18).

إذا بناء على ما فات؛ نعي بأن تسمية الأفارق قد اشتهرت بعد الميلاد؛ وظلت معروفة ومتداولة خلال القرون الأولى من العصر الوسيط، وبالقدر ذاته استمر وجود ونشاط المجتمع الإفريقي طائفة وطبقة خلال الفترة نفسها. بينما تلاشت طبقة الأفارق تدريجيا بعد الإسلام.

### 2.3. قبائل الريف والجبل Maurorum Gentes والصحراء

بشكل عام استعمل البيزنطيون مصطلح Moors وهذا اللفظ هو في الأصل يوناني؛ يعني ذوي البشرة السوداء " (سترابون، 2003، ص 93) ويؤكد الجغرافي سترابو بأن الإغريق هم من أطلقوا تسمية: Maurusians على السكان الأصليين لليبيا (Straabon, 1967, P 157). وكما يؤكد Shepard ؛ عُرف السكان المحليون لدى البيزنطيين باسم Mauri ، والإنجليزية منها: Moors (Shepard, 2008, P 885) وخلال القرن 6 للميلاد، استعمل الناقد الإفريقي كوريبو، كثيرا هذه العبارة، كما استعمل عبارة Maurorum Gentes والتي تعني: شعوب المور (Corippi, 1820, P 142).

ولدينا أيضا مصطلح Mazices أو Maxyes وهي تسمية ذات رنين متميز، لكنها ليست دقيقة بالمره حيال ما يفترضه بعض الكتاب عن أنها جدر لمصطلح مازيغ. ويرى دي أوغستيني أن أمازيغ من: مازيغ/مازغ، ومجموعه يمازيغن (De Agostini, 1917, P Vi). وقد وثق المؤرخ البيزنطي Stephanus Of Byzantium كلمة « مازير Mazir » تقريبا وفق هذا الشكل Μαζίρ في كتابه Ethnica الإثنيات أو الأعراق. (Byzantii, 2014, P 247) لكن Mazices هي أيضا تسمية أجنبية، متحدره عن طروادة. وأكثر من هذا، فإن أهل مازيس يجبرنا هيروودوتوس بأنهم بأنفسهم " يقولون أنهم ينحدرون من نسل رجال طروادة. " (هيروودوتس، 2001، ص 367) أي أنهم من شعوب البحر وليسوا بربر. ويرى الدكتور أبوصوة: أن لفظ تمازغا؛ الذي تتداوله الآن الأعمال المؤيدة للتيار الأمازيغي، لا أصل له في الأعمال الأولى " (أبو صوة، 2012، ص 210).

مع بداية القرون الوسطى، أطلق الأفارق والمواطنين المتوسطيين من سكان المدن البحرية، على مجموعات الدواخل من قبائل الريف والجبل والصحراء؛ تسمية Languantanque ، وهي تسمية لا تعني جنسا بشريا محددًا، بقدر ما تعني تحالف اجتماعيا كبيرا ضم أكبر قدر من قبائل المور/البربر في ليبيا. وهم

جميعا من قبائل Berbères كما يدعوهم Henri De Mathuisieulx ( P ) 1903, De Mathuisieulx

(162)

تسمية Languantanque كتبت في المصادر وفق صيغ مختلفة، هي كالتالي:

Levathai Leuathae Leuatha Lebata Iasguas Uasguas Languantanque Languantan  
Laguatan Ilaguas Isaguas Languantensis

وهي مجرد صيغ مختلفة الأشكال لتجمع بشري واحد، يشير في نهاية المطاف إلى تحالف بربري كبير،  
قادته القبائل المحيطة بالمدن Tripolitanos في غربي ليبيا، متحالفة مع قبائل الجبل أو أطرافه، ضد مدينة  
Lepcis وبقية المدن البحرية. وقد ذكر الناقد النحوي الإفريقي Flavius Cresconius Corippus اسم  
هذا التجمع عديد المرات، ووفق الأشكال التالية: Iasguas Ilaguas Iasguas Uasguas  
Languantan Languantanque Languantensis (Corippi, 1820, P 7.24.17. 97.152). أما اللواء  
البيزنطي Merobaudes فوجدت أنه يستعمل مفردتين هما: Iasguas Hilaguas ( Merobaudes, )  
(1736, P 225)

وكما أشرت فإن ترجمة هذه المصطلحات من اليونانية واللاتينية إلى الإنجليزية، قد تمت كما في كتاب  
الحروب الفانداليكية لبروكوبيوس السيزاري تحت اسم Leuathae (Procopius, 1916, P 393)  
فبروكوبيوس هو وحده - كما يبدو لي - من يذكر اسم Leuathis (Procopii, 1623, P 25 . 26).  
كما استعمل أسماء متباينة وإن كانت متقاربة، وهي كالتالي: Leucata (Procopius, 1537, P 141).  
و Lcucathi ، و Lcucatharum (Procopii, 1576, P 236) وأيضا Lcuchathx أو ( Procopii, )  
1576, P 236) وأخيرا مصطلح Leucatharum (Procopii, 1594, P 265) كما ذكر بروكوبيوس أيضا  
اسم Levathairum ، ومن المفترض أنه جذر التسمية Levatha وذلك خلال حديث بروكوبيوس عن  
Levathairum Principes زعماء لواتة. (Procopii, 1655, P 120) وتماشيا مع المصطلح الأخير

Levatha ؛ فقد وجدت لهذا المسمى ترددات مصدرية لاتينية مختلفة، ووفق الصيغ التالية: Levat Procopii, 1655, P ) Levathge (Procopii, 1655, P 123) Levatse (Procopii, 1655, P 119) (138) Levathis (Procopii, 1655, P 524) أما المصطلح الذي استعمله شاعرنا الإفريقي كوريبو؛ وهو Languantanque ، فأجد أن المستشار بروكوب قد استعمله وفق الصيغة التالية Languentem (Procopii, 1594, P 267) والتي تعني بالطبيعة تحالفا قريبا واجتماعيا ضم قبائل المور أو البربر في ليبيا. على هذا الأساس أرى أن أكثر المكونات التي شكلت الثقل الرئيسي لتحالف الأمة اللانغوانتانية Languantan Gentis كما يسميها شاعرنا كوريبوس، هي هواره نفسها التي يبدو بأنها القبيلة الكبيرة التي عرفها التاريخ تحت اسم Avsturiani أسترياني!.

إذن ووفق هذا التصور؛ فإن هواره بدرجة كبيرة، ثم نفوسه ولواته وقبائل خليج سرت وبعض مجموعات التوارق، وجميعهم من راكبوا الجمال، ممن كان بعضهم على علاقة سابقة بالجنرالات الرومان (Whittaker, 2004, P 95). هم من شكلوا هوية تحالف الأمة اللانغوانتانية بالعصر الوسيط، وليست لواته في حد ذاتها. قبائل Asturians Austuriani الذين يذكرهم المؤرخ العسكري الأنطاكي المعاصر Ammianus Marcellinus [395-330م] ثلاث مرات، ووفق صيغتين هما: Austoriani (Marcellinus, 1894, P 467.496) Asturians و (Marcellinus, 1894, P 413) متحدثا عن وحشيتهم (Marcellinus, 1894, P 413). ويذكرهم كوريبوس باسم قبائل Austur (Corippi, 1820, ) (P 124) وهؤلاء يعتبرهم الدكتور عبيش؛ هواره (عبيش، 2007، ص 211) لذلك فإن Austoriani هي مجرد تسمية أجنبية اختفت مع اختفاء من أطلقها! وأعني بهم سكان المدن البحرية وحلفائهم من المتوسطيين والبيزنطيين، ممن غادروا مدن الساحل التي تحولت بعدهم إلى خراب وأطلال. وبالتالي فإن الكثير من الأسماء اللاتينية واليونانية البيزنطية، هي مجرد كلمات أجنبية لا أصل لها في الوعي المحلي.

كمعظم القبائل المحلية، ممن عاشت في تناقض تماما مع المجتمع الحضري، تناقضا فضيعا، وأحيانا حتى عنيفا. (Gsell, 1927, P 74). عاشت Austuriani بصفتها قبيلة بدوية على حدود إقليم طرابلس، وقد وصفت بالشراسة والهمجية، ووصفها المؤرخ Ammianus Marcellinus [330-395م] بالقسوة والهمجية والغدر، قائلا: Asturians هم البرابرة المتصفون بالكذب على حدود هذه المقاطعة (Tripolis)، وهؤلاء الناس هم دائما في حالة استعداد للغزو السريع، وقد اعتادوا أن يعيشوا على النهب وسفك الدماء. مخادعين ومتآمرين، وقد كانوا أكثر الوحوش البرية المجنونة التي انطلقت في عهد الإمبراطور Jovian. " (Marcellinus, 1894, P 496) وقد وصف ديودوروس الصقلي، حياة البدو الرحل في ليبيا، بأنها حياة بدائية مثل تلك الوحوش البرية وأنهم يمارسون حياتهم بكل وحشية " (Diodorus, 1963, P 239). وقد أشار النحوي الإفريقي كوريبوس أيضا إلى القبيلة التي سماها أفارق قرطاجة Austur كقبائل صحراوية متنقلة تعيش حياة البداوة، متحالفة مع قبائل منطقة Syrtica (Corippi, 1820, P 124) وهي بوادي خليج سرت حيث تعيش القبيلة المسماة Nasamons والتي ذكر كوريبو خلال القرن 6م بأن أفرادها يزرعون حقول Syrticus (Procopius, 1888, P 157)

من أسماء القبائل المحلية التي ذكرها مؤرخو العصر الوسيط، قبيلة سميت Macumiana وقد كانت كما يفيدنا كوريبوس؛ تجوب صحراء طرابلس (Corippi, 1820, P 25). فضلا عن قبائل الجبل النفوسية " تلك القبائل التي تسكن Montana Nauusi " (Corippi, 1820, P 26). وثمة عشائر Gentiles Mecaless الوثنية، يقول كوريبوس بأنها كانت من القبائل المقيمة في منطقة Tripolis (Corippi, 1820, P 51). وهناك أيضا قبيلة Barcaeii المقيمة في دواخل مقاطعة Pentapoli خلال القرن 6م (Corippi, 1820, P 26). إلى جانب عشائر Marmaridas Gentes (Corippi, 1820, P 26). و Marmaridas

أو Marmardiae هي واحدة من القبائل البدوية في شرقي ليبيا. ويتكرر ذكرها كثيرا في مصادر العصر الوسيط قبل الإسلام، وترد أسمائها على هذا النحو:

Marmadae Marmaridae Marmardiae Marmarides Marmaridas Marmaridum  
Marmarican

والملاحظ أن كوريبوس، يعدد عشرات الأقسام الأخرى التي كان على رأسها كل من: Illasquas و  
Frexes و Sinusdisa و Silvacae و Silcaddinet و ifara Ifera و Silvaizam و Macares و  
Caunes و Silazctea و Astrices و Anacutasur و Celiannus و Imaclas و Austur و Ifurares و  
Muctunian و Velanidean و Marmarican (كوريبوس، 1988، ص 46).

وجميع هذه الأسماء والتي أرى وكما تدل نبرتها الصوتية بأنها تسميات أجنبية، هي لقبائل محلية  
نشطت خلال القرن 6 للميلاد، كما يذكرها الناقد الإفريقي كوريبوس، وهو من شهود العيان. وعلى غرار  
التخوم الطرابلسية، كانت القبائل البدوية تنتشر أيضا في الصحاري المحيطة بمقاطعة pentapolis  
(Synésios, 1870, P 194)

من زاوية ديموغرافية/بشرية؛ من يطلع على أسماء القبائل التي ذكرها شاهد العيان المؤرخ الشاعر  
الإفريقي لاتيني الثقافة؛ والناقد النحوي القرطاجي: Flavius Corippus بالقرن السادس عن حروب  
التحالف البربري ضد قرطاجنة والمدن البحرية المرتبطة بها (كوريبوس، 1988، ص 47) سيجد من الكثرة  
أن الدهشة ستصيبه باختفاء ليس أسماءها فحسب عن الوجود، وبل واضمحلال ثقلها البشري في  
مصادر حوادث الفتح الإسلامي وما بعد! التي بالكاد تشير إلى لواته في برقه. إلى جانب مزاته ونفوسه  
ومواقع سكنية أخرى متناثرة في زويلة وودان وجرمه وغدامس وخلافها. وبالنتيجة سيطرة العرب على إقليم  
بينطابوليس دون مقاومة تذكر، وهو أمر أعزوه إلى الفراغ الديموغرافي الذي حصل في القرن السادس  
للميلاد، وحالة الإنهاك جراء عقود كاملة من الحرب البيزنطية. وسنلاحظ مرور العرب بأماكن أخرى  
كلبدة الكبرى، وما جاورها حتى أطرابلس؛ من دون وجود ردود فعل، وهو ما مكن العرب من

الاستيلاء/الاستحواذ على مواقع أخرى وكأنها خالية من سكانها! هذا يؤكد أن أهم القبائل الكثيرة والقوية والعتيدة التي تذكرها المصادر باستمرار؛ والتي دخلت في صراع مدوي مع الوندال ثم البيزنطيين في القرنين الخامس والسادس للميلاد، كانت قد أخلت مواقعها بعد أن تراجعت نصف طائفة، في أعقاب نحو قرن من الصراع الدامي. وأجد مصادفة بأن هانس فيشر؛ قد توصل إلى نفس النتيجة، عندما أشار إلى أن تواصل الحروب الطويلة على طول المنطقة، قد أدت إلى اختفاء الكثير من الأقوام السابقة. (فيشر، 2009، ص 107).

ولعل تصريح الزعيم السرتي كركاسان Carcasan يبدو كافيا لإثبات هذه الحقيقة. وهو قائد قبائل بوادي خليج Syrticus وحلفائهم من قبائل المور المحلية: الذي كان خاطب فلول شعبه بعد خسائهم في حروب دموية هائلة أمام البيزنطيين وحلفائهم من سكان المدن الساحلية، قائلا: " أيتها الشعوب غير العادية! التي لا تُهزم ولا تُفهر! لم يكن هذا أمني فيكم بأن أرى Mauros على هذه الصورة من الكأبة!! إن قبائل Iasguas التي لم تُهزم أبدا فقدت الآن كل شيء! باتت مهزومة وأضحت عارية. لقد خسرتنا حتى الأمهات السيدات والعرائس لقد فقدنا أمهاتنا وزوجاتنا وأطفالنا! فماذا تبقى لنا؟ وماذا يبقى للرجال بعد ذلك سوى الموت وحده؟! " (Corippi, 1820, P 93).

### 3.3. الفزانين Phasantes والإيموهاق Imuhagh التوارق

علامات رسوم ونقوش وفنون الجبال بأكاكوس وتاسيلي وتيسستي (Lhote, 1999, P 7) - والتي فاجئنا بها إنسان شمال أفريقيا بأدواته ورسومه منذ أول شعاع من فجر التاريخ - تصور ملامح شعب إفريقي أسود. والفزانين في العصر الوسيط/الإسلامي، هم شعب عرفهم التاريخ في العصر القديم، تحت أسماء Phasantes أو Gamphasantes أو Garamantes جرمنت. ولست في حاجة إلى عناء التذكير بأن مؤرخو العصور القديمة، مثل Hēródotos مثلا (Hēródotos, 1806, P 233) قد تحدثوا مرارا عن

شعب الجرمنت كعنصر منفصل ومستقل بذاته عن بقية الساكنة ممن عاشوا وقتذاك نمطا بدويا. وقد ذكر الجغرافي بلينيوس سيكوندوس الشعب الجرمنتي في تاريخه الطبيعي، كجزء من إثنية Gamphasantes وهم الفزانين، كما ذكرهم بلينيوس أيضا تحت اسم: " Garamantes " (Plinius, 1961, P 251) وخلال العصر الوسيط بالقرن 6م ذكرهم كورييوس مرة واحدة فقط، وكسكان مستقرون مزارعون، يفلحون أرض (Corippi, 1820, P 96) Garamantidos

ولعل القول أن Garamantum الجرمنت؛ هم أسلاف Touarghee Imuhagh توارق الإيموهاق اليوم، قد يكون تعبيرا خادعا بعض الشيء! فليس ثمة من شك في أن كلا الشعبين مناقض للآخر! ولا يشتركان في شيء سوى الإقامة في الصحراء. ومع ذلك، فإنه نمط الإقامة لكليهما مختلف عن الآخر. وقد تضاربت الدراسات الأنثروبولوجية منذ القرن الفائت، حول خلفية وأصول الشعب الجرمنتي، وجميعها لم تتفق في شيء. ويظهر لدي شخصيا، وبناء على بضع استنتاجات ومعطيات ومؤشرات؛ أن الجرمنت هم عنصر إفريقي صحراوي مستقل بذاته، بينما التوارق عنصر إفريقي آخر مختلط بالنمط البربري، وهو أيضا مستقل بذاته.

Imuhagh أو التوارق، يتلثمون. بينما لم يكن Garamantes يتلثمون. وقد عاش الجرمنت في مملكة محددة داخل فزان بصرف النظر عن توسع نفوذها اللاحق، بينما عاش التوارق ضمن قبائل كبرى رحالة، امتدت على طول الحزام الصحراوي، ولم تكن تعرف المواطنة أو الاستقرار.

اشتهر بربر الصحراء أو المثلثون أو اللمطيون أو الصنهاجيون، وغير ذلك من أسماء التوارق في العصر الوسيط الإسلامي، بركوبهم للإبل، واستعمالهم للجمال في كافة مناسبات حياتهم. وعلى النقيض من ذلك، لم يستعمل الجرمنت الجمال في حياتهم، ولم يذكر المؤرخون ذلك، حتى وإن تنقلت فنون الإنسان البدائي في شمال أفريقيا، ضمن عدة مراحل ما بين الفن التجريدي والفن الواقعي (المقطوف، 2018، ص

11) مع وجود صور متأخرة للجمال/الإبل في صخورهم والتي تم رسمها مع أشكال الحيوانات على صخور أكاكوس من قبل السكان أنفسهم، (غراتسيوزي، 2008، ص 7) فالجرمنت لم يركبوا الإبل بشكل عام، بل استعملوا العربات التي تجرها الجياد، وغير ذلك من الشواهد التي ذكرها المؤرخون القدامى، كهيرودوتس مثلاً (Hēródots, 1806, P 233).

عرفت المرأة مكانة مميزة في مجتمع التوارق، لكنها لم تحصل على ذلك في مجتمع الجرمنت. إلى جانب ذلك، ورد ذكر الجرمنت أثناء الإسلام في نصوص ابن عبد الحكم، كشعب ملكي جرمي مستقر، في مملكة جرمة وهي عاصمة فزان، يحكمهم ملك. (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 262) بينما ورد ذكر اسم التوارق بعد الإسلام كقبائل باسم صنهاجة، أو بربر الصحراء المثلثين، أو ملتونة، أو لمطة (اليعقوبي، 2002، ص 183) مما يؤكد الاختلاف بين الفريقين.

شعب الجرمنت الذي نشط خلال العصر القديم. واستمرت المصادر اللاتينية محتفظة باسمه حتى القرن 6 للميلاد من العصر الوسيط، بحسب ما أجد لدى الناقد الإفريقي كوريبوس (Corippi, 1820, P 96). ثم صار بعد الإسلام يعرف باسم المجتمع الفزاني، أو الجنس الفزاني كما أجد لدى اليعقوبي. (اليعقوبي، 2002، ص 184) وهم " جنس يُعرف بفزان، أخلاط من الناس، لهم رئيس يطاع فيهم، وبلد واسع، ومدينة عظيمة، وبينهم وبين مزاتة حرب لاقح أبدا. " (اليعقوبي، 2002، ص 184) أي أن الفزانة جنس فزاني متألف من مرجعيات إثنية مختلفة. وهذه صفة مجتمع المدينة، حيث الخليط على عكس مجتمع القبيلة المنزوي والمنعزل. مما شكّل أخلاطاً بشرية من مجموعات متميزة من الأعراق (رولفس، 1996، ص 269) وثمة ذكر لمجتمع جرمه بمطلع العصر الوسيط الإسلامي، ويرد ذلك خلال الحملة الثانية التي نفذت على يد عقبة بن نافع، سنة 46 هجرية، بعد ارتداد سكان ودان وفزان عن دفع الجزية، حيث وبعد إخضاع

مملكة ودان: " سألهم عقبة هل ورائكم أحد؟ قالوا: جرمة وهي مدينة خزان (فزان) العظمى، فسار إليها ثماني ليالي من ودان، " (رولفس، 1996، ص 269).

ويورد المؤرخ المصري: عبد الرحمن بن عبد الحكم [187-257هـ/803-870م] في كتابه فتوح مصر والمغرب، بعد فتح ودان للمرة الثانية، نصا مفاده، كالتالي: " فخلف عقبة بن نافع جيشه هناك... ثم سار بنفسه ومن خف معه، أربع مائة فارس وأربع مائة بعير... حتى قدم ودان فافتتحها.. ثم سألهم عقبة هل من ورائكم أحد؟ فقبل له جرمة وهي مدينة فزان العظمى؛ فسار إليها ثماني ليال من ودان " (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 262).

وأستنتج من هذه النصوص العربية الإسلامية، أن مملكة جرمة كانت لا تزال قائمة خلال الفتح الإسلامي، وإن كانت كما يظهر لم تكن في ذات نفوذها السابق، غير أن المصادر الإسلامية تسكت ولا تعطينا تفاصيل أكثر. لكن ومع ذلك لا تزال جرمة وبالنص المصدرى، مدينة عاصمة لفزان، ولا يزال يحكمها الملوك. وأعتقد أنه بعد الإسلام بدأ المجتمع الجرمني تدريجيا في الاضمحلال، حتى تحولت عاصمته جرمة إلى مدينة آثار وأطلال. لكن ومع ذلك لم يندثر العرق الجرمني، بل استمر في مكون بعض الفزانة، كما استمرت جيناته في جنوبي الصحراء، وذلك بعد انسيانها كما يبدو في القرن الأول الهجري، أي عقب سيطرة العرب على بلادهم. ومن المحتمل بأنهم هم أنفسهم من ساهموا في تأسيس مملكة الكانم في بلاد تشاد الحالية خلال سنوات 700-1376م. فضلا عن ظهور مملكة الخرمانيين في فزان، والتي ظلت قائمة حتى سقوطها في عهد أسرة أولاد الشيخ محمد الشريف الفاسي (ناختيجال 2007، ص 302) وعلى هذا؛ من المحتمل أيضا بأن الخرمان، هم من احدى أهم السلالات الجرمنية الباقية.

وفي الاطار ذاته، ومن وجهة التمايز السلالي، فإن المصادر الإسلامية قد فرقت جيدا ما بين البربر وما بين التوارق المذكورين باسم لمطة، وما بين الزغاوة، وما بين الفزانة المذكورين باسم أخلاط الجنس الفزاني. فالجيوغرافي البغدادي: أحمد يعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] يقول: " وبين زويلة ومدينة كوار؛ وما يلي زويلة إلى طريق أوجلة وأجدابية: قوم يقال لهم لمطة، أشبه شيء بالبربر، وهم أصحاب الدرق اللمطية البيض. " (اليعقوبي، 2002، ص 183) وهذه إشارة إلى قوم لمطه وهم بربر الصحراء/التوارق. ويضيف يعقوبي ما نفهم منه بأن المجتمع الزويلي ينشط بصناعة الجلود الزويلية، ويمارس أيضا تجارة الرقيق السوداني، الذي يجلبونه من الأقوام التي يسبونها من الميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم. (اليعقوبي، 2002، ص 183) ولمطة المذكورين عند يعقوبي (اليعقوبي، 2002، ص 185) يقول ابن خلدون: " لمطة من قبائل الملتمين " (ابن خلدون، 2002، ص 185) والملتمين بالنتيجة هم التوارق. كما أن لمطه الذين ورد ذكرهم في النصوص الأخيرة؛ هم أنفسهم لمتونة ومسوفة، وهم توارق، ويصفهم صاحب الاستبصار، بأنهم بربر الصحراء. ويقول أن بربر غدامس لا يثمنون وجوههم بخلاف بربر الصحراء من لمتونة ومسوفة وغيرها. (مراكشي مجهول، د.ت، ص 145).

أما في باقي مراحل العصر الوسيط الإسلامي، فإن المذكورين في جغرافية يعقوبي بالقرن 3 هجري، على أنهم: " لمطة، أشبه شيء بالبربر، " (اليعقوبي، 2002، ص 183) أجد اسمهم قد صار " الملتمين " على نحو الصنهاجيين من بني صنهاجه. حيث يشير ابن خلدون إلى أن صنهاجة من صنهاج، ورغم أن النسابة ينسبونهم إلى حمير، إلا أنهم من أوفر قبائل البربر، وهم أهل وبر. (ابن خلدون، 2002، ص 202) أي أهل بادية يستظلون بوبر الإبل. أما هقار التوارق فبحسب ابن خلدون هم من بدو هوارة ممن عبروا الصحراء ونزلوا جنوبا. (ابن خلدون، 2002، ص 185) وعلى وجه العموم، شكلت أمة التوارق مجموعة بشرية كبرى في الصحراء، تتألف من عدة أعراق: زنجية ومازيغية وصحراوية.

ومع ذلك وخلال الوقت الحاضر، لا يسمى هؤلاء انفسهم باسم Touarghee ولا صنهاج، ولا غير ذلك، بل يدعون أنفسهم Imuhagh كما ينطقه توارق ليبيا والجزائر، أو Imuchagh كما ينطقه توارق مالي، أو Imajagh كما ينطقه طوارق النيجر. ومع ذلك فإن كلمة الطوارق هي الأكثر شهرة اليوم. لهجاتهم الرئيسية الثلاث: Tamasheq أو Tamaciq و Tamajegh و Tamaheq فضلا عن اختلافات الفروع.

### 4.3. العناصر اليونانية في المدن الخمس Pentapolis

في اطار التقسيمات الأمامية، والانتماءات الاجتماعية بليبيا، سكن مجتمع الإغريق شرقي ليبيا كما هو معروف؛ منذ أواسط الألف الأولى قبل الميلاد، فخلال سنة 631 ق.م تأسست Cyrene كنواة لحضارة Cyrenacia على يد الملك الإغريقي Βάρτος ورفاقه من مهاجري جزيرة ثيرا الإغريقية Santorini حاليا. بعد ذلك تم تأسيس مدينة Apolloniam سوسة الحالية، كمرفأ لمدينة قورينا. كما توالت عملية تأسيس المدن الإغريقية في شرقي ليبيا، وتزايد توافد المهاجرين اليونانيين. ولا أريد الاستطرد في هذه الحقبة من العصور القديمة لأنها ليست من اختصاصي. عليه، ليس من المجدي هنا سرد تاريخ الإغريق في ليبيا، وإنما سأكتفي بالإشارة إلى بعض السمات الحيوية في المنطقة، وما يهمني بالدرجة الأولى هو فحص ديموغرافية تواجد العنصر اليوناني من بدايات العصور الوسطى إلى بدايات الفتح الإسلامي.

ورغم أن المعلومات عن تواجد المجتمعات اليونانية في شرقي ليبيا، خلال القرون المبكرة للعصور الوسطى؛ هي قليلة وشحيحة جدا، خصوصا وأن معظم مراجعنا تجهل استمرارية هذا النوع من العناصر في ليبيا حتى بدايات العهد الإسلامي. ومع ذلك آثرت الإصرار على طرح ما أمكني استنطاقه/واستخراجه من معلومات ومعطيات حول هذا الموضوع. وبالنتيجة يظهر وجودا مستمرا وفاعلا لهذا المجتمع في مدنه الرئيسية بالشرق الليبي. فخلال أواخر القرن 4 مطلع القرن 5 للميلاد، أجد معلومات

كافية من Synesius Of Cyrene الذي يرى بأنه ليبي الهوية، وأن الإغريق هم ليبيين يونانيين، ويقول: " إنني أضع المدن الخمس Pentapole في قلبي " (القوريني، 2016، ص 242) وفي موضع آخر يسمي بلاده: " أمي البينتابول Pentapole كما يقول الكريتيون " (القوريني، 2016، ص 258).

يعتبر سينيسيوس نفسه ليبياً ويرى اليونانيين ليبيين أصلاء، ويقول: " أنا ليبي Je Suis Libyen أبا عن جد، ليبي من الأصل Origine والولادة Naissance وهنا ينم أسلافي الأماجد Glorieux " (Synésios, 1870, P 77) أما المحليين في الدواخل فلا يسميهم بالليبيين، بل بالبربر أو الأعداء أو البدو الرحل الذين لا موطن لهم، وأنهم يقتاتون على الغنيمة بنهب وسلب الآخرين من الحضرم المستقرين.

تحدث سينيسيوس عن عطاء إقليم برقه في عهده، وأشار في مديح منطقته إلى الحقول والمراعي والخراف والأبقار والماعز والزبدة والفطائر والحساء بالمرق، والزيت الثخين، والقمح وكلاب الصيد والأحصنة. (Synésios, 1870, P 94).

وفي رسالة إلى أولمبيوس، يقول سينيسيوس: " لا أحد من سكان ليبيا الإغريق، يرغب بالسفر إلى بحاركم!!.. لدينا كعك من دقيق القمح، وفواكه مزروعة وأخرى برية وجميعها تنمو من تلقاء نفسها بفضل جودة التربة. ولدينا عسل من نحلنا، وحليب من ماعزنا، ولكننا لم نعتد حلب الأبقار، ونصطاد بمساعدة كلابنا وحيولنا ليسهل علينا توفير ما نحتاجه. " (القوريني، 2016، ص 199).

كما أشار سينيسيوس أيضاً إلى المجتمع النسوي اليوناني، وإلى الزينة واللباس والخطبة والعزاء والأريكة، قائلاً: " والعادات المتعارف عليها هنا: لا يسمح فيها للفتيات المخطوبات بحضور مراسم الدفن، ولكن إذا ارتدت الفتاة ملابس أرجوانية وحجاب شفاف على شعرها، وكست نفسها بالذهب والفضة والأحجار الثمينة، فإن ذلك لن يكون فألاً سيئاً على خطبتها!. ولتجلس على كرسي به مخدتين وله أرجل من فضة، مما يوحي بأنها غير سيئة الحظ " (القوريني، 2016، ص 105).

في موضع آخر، يقول سينييسيوس بأن " الليبيين Libyen يحافظون على بلدهم، على الرغم من أن Pentapole تموت وتدمر بفعل الحرب والمجاعة اللتين لم تقضيا عليها تماما، ولكنها لبست على إثرهما لباس الحداد/الحزن، وهي تحاول الآن أن تتخلص منه تدريجيا. ولكننا ننتظر في كل لحظة دمارها السريع والمتوقع! ولقد سمعنا من آباءنا وأجدادنا كيف ستكون نهاية المدن الخمس، وأن الليبيين (اليونانيين) سيهلكون بفعل شرور حكامهم. وهذه فقرة واحدة من المعجزة. " (Synésios, 1870, P 129)

وخلال بداية القرن السابع الميلاد؛ أي قبل الفتح الإسلامي بنحو عقد من الزمن، تظهر لدي إشارة على وجود بقايا مجتمعات يونانية في Pentapolis. وكان من أبرز شخصياتها اليوناني Niketas وهو الرجل الثاني في القيادة في مدن بينطابوليس، (Theophanes, 1997, P 424) وقد كان Niketas في الوقت ذاته، معاون Herakleios المعروف في مصادرها باسم هرقل، والذي كان يشغل منصب القائد العسكري العام في ليبيا سنة 608م أي قبل توليه سدة الإمبراطورية الرومانية/البيزنطية سنة 610م. اشتغل أبناء القوميات اليونانية والرومية، من سكان المدن في الوظائف الإمبراطورية داخل المدن الليبية. وبالنظر في كتاب القديس photius بطريرك العاصمة القسطنطينية، وأحد المؤلفين اللاهوتيين البيزنطيين؛ فإنه يُسَمَّى أحد يونانيو إقليم قورينا - من القادة العسكريين - باسم: Inarus A Libyan (Photius, 1920, P 101).

ولا أعلم السبب بالضبط وراء غياب ذكر لأي عنصر يوناني أو رومي كما تفضل المصادر الإسلامية أن تقول، في مدن أنطابلس، إبان الفتح، ولا أظن بأن ذلك يعود إلى زوال العنصر اليوناني من المنطقة! لأن كل من اليعقوبي وابن رسته يؤكدون وجود هؤلاء خلال القرن 3 الهجري، تحت اسم روم برنيق. فمدينة برنيق Βερενίκη Berenice ؛ هي المركز القديم لمدينة بنغازي الحالية، هذه المدينة سكنها الإغريق، ثم وفد عليها الرومان كما هو محتمل ووارد بعد سيطرة الإمبراطورية الرومانية على المنطقة. يمكن

أن نستوحي هذه الانطباعات من نصوص الجيوغرافي البغدادي: أحمد اليعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] والذي يخبّرنا بوجود مواطنين روم قدامى في برنيق، قائلا: برنيق Bernîk وهي مدينة على ساحل البحر المالح Akdeniz وبها ميناء مفاجيء ورائع حقا في الجودة/التأهيل والعمل الجماعي، ويحتوي فيه على السفن، وأهل برنيق Bernîk قوم من أبناء قدامى الروم Eski Rûmların ممن كانوا أهلا لهذا المكان في الأزمنة القديمة (Ya`Kûbî, 2021, P 161) بينما يفيد الجغرافي الفارسي الأصفهاني: أحمد ابن رُسته [300 هـ / 912م] خلال القرن الثالث الهجري - وهو واحد من أقدم الجغرافيين المسلمين - ويخبّرنا بأن برنيق " أهلها قوم من أبناء الروم القدم " (ابن رسته، 1892، ص 323) وشهادة ابن رسته، تفيد بأن سكان برنيق هم قوم من قدامى اليونانيين والمتوسطين المسيحيين، ممن كانوا يعرفون مشرقيا باسم الروم.

ولا يزال ابن رسته؛ وهو الجغرافي الفارسي الذي توفي في نحو [300 هـ/912م] يخبّرنا في الطريق من مصر إلى برقه، يخبّرنا عن وجود جماعات من العجم القدامى وأخلاط من الناس، إلى جانب جماعات من البربر وبعض العرب، في شرقي ليبيا الحالية غربي مصر. (ابن رسته، 1892، ص 322).

ونفس النص تقريبا أجده عند معاصره اليعقوبي، إذ يقول: " في عمل لوبية؛ وهي كورة تجري مجرى كور الإسكندرية.. ثم الرمادة وهي أول منازل البربر، يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القدم وبها قوم من العرب من بلي وجهينة وبني مدلج وأخلاط. " (اليعقوبي، 2002، ص 180) ومن هذه النصوص واستنادا إلى إخباريات الجغرافيين المسلمين المبكرين، نفهم ما يفيد باستمرارية وجود أقوام من قدامى العجم في شرقي ليبيا، والذين كان اليونانيون ولا شك من بينهم.

من المفيد ديموغرافيا في هذا الصدد، أن أشير إلى ظاهرة اختفاء سكان Euhesperitae ، أو برنيق بالفترة الإسلامية المبكرة، وأغلب التقديرات أنهم جلوا خلال حملات الإبادة الفاطمية الشيعية ضد

الجاليات المسيحية في المغرب الكبير. فيما تبدو الرواية المتواترة شفهيًا والتي نقلها المؤرخ اليهودي Nahum Slouschz متطابقة مع التاريخ الفاطمي في طرابلس وبرقة. (سلوشز، 2015، ص 79) وهذه الرواية قد تعني بأن آخر الجاليات اليونانية هلكت خلال غزوات عربان بني هلال، قبل نحو 1000 سنة من اليوم.

### 5.3. عنصر الفاندالوس Vandalus

ينتمي الشعب الوندالي أو Vandalicae Gentis الأمة الفانداليكية - كما يرد اسمهم بالمصادر اللاتينية السابق ذكرها - إلى الشعوب الإسكندنافية. وهذا العنصر هو الذي أسس المملكة الفاندالية. نزلت الشعوب الإسكندنافية أولاً إلى جهات جبال الألب، نواحي سويسرا حالياً. وقد ذكر Publius Tacitus مطلع القرن 2م وجود الفاندال في زمنه تحت اسم Vandalios مشيراً إلى وجود عناصر من Iarsos, Gambrivos, Isuevos, Vandalios ممن يشكلون أمة أصلية وأصيلة في جنسها. ( Tacitus, 1861, P 19). ثم اندفع هؤلاء البدو الجوالون/الرحّل، الباحثون كعادتهم عن وطن، باتجاه الغرب في الطريق إلى المناطق الجرمانية. ويذكر زوسيموس Zosimus وجود Vandals في منطقة جبال الألب متضامنين مع جماعات من Alaniandthe و Suevi وقيامهم بعمليات بنهب واسعة في المناطق الواقعة وراء جبال الألب. (Zosimus, 1814, P 173) ثم أكد بروكوبيوس القيصري وهو واحد من أشهر مؤرخي القرن السادس، وكان شاهد عيان على عدد من أحداث العصر؛ بأن الفاندال قد اندمجوا ببعض العناصر الجرمانية من Franks و Alani عند حوض نهر الراين (Procopius, 1916, P 23). وقد ذكر المؤرخ الإسباني Hydatius والمتوفي في Galicia سنة 470م، أسماء الشعوب التي رافقت Vandalis في غزو إسبانيا ومن ثم إلى أفريقية على الأرجح وهم: شعب Alanis و Silingis وكليهما من القبائل الجرمانية. (Limicus, N.D, P 84) كما وثق ظاهرة الخراب الذي حل في Hispanias بعد غزو الفاندال وقبائل Sueves لها. (Limicus, N.D, P 83)

على الجانب الآخر؛ ووسط سيول الهجرات المستمرة التي عرفتها ليبيا وسائر شمال أفريقيا، وتحت وطأة الأمل والجوع والزحام، والبحث بلا انقطاع عن موطن متجدد، استقر شعب Vandalus أو Uuandalis أو Vandalicae Gentis (Procopii, 1655, P 26) آمليين في وطن جديد على ساحل غربي ليبيا، وبقية أجزاء سواحل شمال أفريقيا. إن المصادر التاريخية تذكر أرقاما هائلة لتعداد هؤلاء الرحل، بلغت 80000 إنسان. وهي أرقام - حتى اذا كانت صحيحة - لا تعني شيئا سوى أن الحركة قد شملت حقا جميع الشعب.

وقد حمل الوندال أسماء عديدة في المصادر، وبحسب تجميعي هي كالتالي:

Wandali Wandalorum Uuandalis Juandalicae

Vandali Vandals Vandalic Vandalos Vandalios

Vandalicumque Vandalicasque

Vandalicis Vandalus Vandalici

كان الشعب الوندالي أول الأمر؛ عنصرا قريبا بدويا رحالا ومخرب، لكن حياة هؤلاء البدو الجوالين، قد تغيرت في واقع الأمر منذ استيطانهم داخل المدن الرومانية في جنوب غربي أوروبا. ثم دخولهم للمدن الساحلية بليبيا. ومنذ أن وطأت أقدامهم ساحل شمال أفريقيا، حيث مراكز الحضارة البونيقية والرومانية؛ انغمسوا في المدنية حد الترف. وكان هذا الترف سببا في تهاوي المملكة الفاندالية بحسب ما يقول بروكوبيوس (Procopius, 1916, P 257)

لكن النعم والترف الذي وصل حد الفواحش بين المجتمع Vandalicasque الأريوسي، الموحد، المحافظ. كان قد انقلب عليه إلى نغم وشورور! فقد دخل الفاندال في أتون صراع وجودي مسلح، أطاح بمملكتهم، وأباد كثيرا من بني جنسهم، وحول الناجين منهم إلى الخدمة في أروقة وجبهات الإمبراطورية البيزنطية بالشرق. ويفيدنا Procopius Caesarensis في كتابه السري بأن مرحلة السيطرة البيزنطية على ليبيا وسائر المنطقة، في عهد الإمبراطور Iustiniana Imperialis كانت قد كلفت ليبيا قاطبة حوالي 5

مليون قتيل، بما فيهم Wandali إلى جانب Maurisque و Afros. " لذلك إذا كان على المرء أن يجازف بالقول إن خمسة ملايين رجل قد لقوا حتفهم في ليبيا وحدها، فإنه لن يتخيل نصف ذلك. والسبب في ذلك هو أنه بعد هزيمة الفاندال ... أيا كانت الأراضي الأكثر قيمة، كان جوستينيان قد استولى عليها باسم الدولة. وحظر بالتالي على جميع Arians ممارسة جميع أنشطتهم، وأمر بمراقبة احتفالاتهم الدينية. وعلى نحو آخر، أهمل جوستينيان إرسال الإمدادات اللازمة للجنود، كان صارما معهم بطرق أخرى؛ فنشأت بالنتيجة حالات تمرد أفضت إلى وفاة الكثير منهم. وبقي اللبس والاضطراب مستمرا. " (Procopius, 2004, P 78)

وبالتالي فإن مراحل الصراع ضد المملكة الوندالية من جهة، وضد الكيانات الموربة من جهة أخرى، كانا كفيلا بالتأثير سلبا على ديموغرافية السكان. فعمليات الإبادة والنزوح والانصهار والتداخل بين العناصر السكانية، كانت واضحة في تغيير الخارطة البشرية للمنطقة. فالانقراض الوندالي بعد الاحتلال البيزنطي، كانصهار بعض الأفارق في التركيبة المغربية بعيد الفتوحات الإسلامية، فضلا عن ثقل الحروب والمعارك، كلها عناصر مشكلة ومغيرة لطبيعة التركيبة البشرية المغربية في هذه المرحلة من التاريخ الوسيط. (عبيش، 2007، ص 85).

على صعيد سوسولوجي؛ تعد مشكلة الزوجات الفانداليات Vandalian Wives واحدة من أكثر المشاكل التي واجهت الدولة صعوبة، ومشاكل من هذا النوع، ورغم طابعها المدني/الاجتماعي، إلا أنها لا تلبث حتى تأخذ في وقت لاحق؛ الشكل السياسي/العسكري! وقد أوضح بروكوبيوس في معرض حديثه عن أسباب حركة التمرد التي شهدتها المقاطعة الإفريقية بزعامة Stotzas ، خلفية اجتماعية تتمثل في زواج عدد كبير من الجنود البيزنطيين بالنساء الونداليات، واستيلاء الأزواج بالتالي على الممتلكات الوندالية السابقة، بما فيها الأرض، والمسكن والحقول والعبيد. فضلا عن ذلك، فإن هاتي النسوة كن قد أقنعن

أزواجهن الجدد من عناصر جيش العالم اللاتيني، بأنهن كن يتمتعن بهذه الأملاك في الفترة الوندالية، بصفتها من أملاك آبائهن وأهلهم وأزواجهن السابقين، وأنه من غير المعقول بعد أن أصبحن زوجات لأفراد الجيش المنتصر، أن يفقدن كل هذه المكتسبات!. (Procopius, 1916, P 329)

تمرد الجند الأوربيين التابعين للجيش اللاتيني؛ ضد الحاكم العام، وهم من عناصر جرمانية وقوطية، وكان مذهبهم الأريوسي، بصرف النظر عن تمايزهم الإثني، هو من دفعهم إلى التدمير ضد السلطات، بسبب التهميش الديني الذي تعرضوا له. وعلى هذا النحو أصبح الروم المشرقيون الأرثوذكس، إلى جانب الليبيين الكاثوليك، وهم الأفارق من سكان المدن؛ عرضة للهجوم العشوائي، بحسب ما يرد في حولية الراهب البيزنطي Theophanes المعترف، قائلا: " عندما جاء عيد الفصح تمرد The Romans في ليبيا ضد Solomon بالطريقة التالية: فبعد أن أخذوا زوجات القتلى من Vandals وتزوجوا بهن، طالبوا بالأراضي على أنما ملكا لهم! ورفضوا دفع الضرائب للإمبراطور. وقد حثهم Solomon ، على عدم التمرد على الإمبراطور، بل وتسليم المبالغ المعينة إليه. كان بعضهم، وخاصة من The Goths ممن ينتمي إلى The Arian Faith، وهؤلاء استبعدهم الكهنة من الكنيسة، بل وأنهم رفضوا حتى تعميدهم أطفالهم!. نتيجة لذلك حدث تمرد خلال عيد الفصح. تأمر الجنود لقتل سليمان في الكنيسة. وقاموا بعد مغادرة المدينة بنهب أراضيها، وعاملوا الليبيين كأعداء " (Theophanes, 1997, P 297) حيث وجدوا أنفسهم غير قادرين على تعميدهم أطفالهم بالماء المقدس، أو فعل أي شيء آخر يتعلق بهذا العيد!. وكل هذه الأشياء كانت كافية لإثارة السخط والغضب، والتخطيط بالتالي للعصيان والتمرد. (Procopius, 1916, P 331)

قد نضيف صورة أخرى أوردها بروكوبيوس، عن الجنود أنفسهم ممن كانوا في فقر كبير، ثم سرعان ما وجدوا أنفسهم يمتلكون ثروات وضياع كبيرة. وبالتالي يبدو أن هذا الارتقاء الطبقي/الاجتماعي قد نهض على حساب طبقة الملاكين الأفارقة. ولعل الوضعية الأمنية المتمثلة في تفاهم الخطر الموري، قد جعلت من

هؤلاء الجنود أكثر ثقة في تمسكهم بامتيازاتهم الجديدة. وذلك على الرغم من محاولة الجنرال بيلزاريوس؛ الذي سعى إلى إقناعهم بأنه إذا ما كان من حقهم الحفاظ على الغنائم التي تحصلوا عليها، بما في ذلك العبيد؛ فإن الأرض تظل من نصيب الإمبراطورية! ويجب أن تعود عائداً إلى الخزينة العامة. وبالتالي لنا أن نتصور الإشكال الذي أصبح يواجه الإمبراطورية بين الوفاء بوعودها حيال ضرورة تلبية مطالب طبقة الملاك الأفارقة، وإما الرضوخ لتجاوزات الجيش البيزنطي. (عبيش، د.ت، ص 153).

في الوقت الذي يذكر فيه بروكوبيوس وجود عناصر من Heruls الجرمانية في قرطاجة البيزنطية. والهيريولي من الجماعات البربرية الجرمانية التي استقرت في روما، فإن ثيوفان يذكر وجود Goths في قرطاجه. (Theophanes, 1997, P 310) والخلاصة أن كلا العنصرين من العناصر الباليطيكية والجرمانية التي ينتمي لها الوندال شخصياً.

لا أثر فعلي للعنصر الجرمانى الوندالي بليبيا اليوم! رغم وجود اعتقاد بأن بقاياهم لاتزال بساحل الجزائر. أو في ليبيا، كما تعتقد الرحالة Rosita Forbes ، من خلال مقابلتها لرجل من Tuareg الصحراء، بدا مختلف اللون، أشقر، له ملامح فاندالية/جرمانية (Forbes, 1921, P 52)

لازال مصير الوندال Wandali في ليبيا وعموماً شمال أفريقيا، مصيراً غامضاً يتساءل الكثيرون عنه؟! وأعتقد بأنني أنفرد بالعثور على إجابة مصدرية مستوحاة من نصوص المستشار الملكي وشاهد العيان، وهو بروكوبيوس القيصرى، والذي يفيدنا بأن من نجى من الونداليين في المعارك البيزنطية سنة 533م، تم أول الأمر ترحيله في سفن إلى مدن الشرق، للمشاركة في القتال ضد الفرس، ويقول بأنه حتى الوقت الحاضر لازالوا موجودين في الشرق. بينما تمكن عدد من الراضين منهم - وعددهم 400 شخص - من مغادرة المنطقة وعقب عودتهم من جزر اليونان، وصلوا شواطئ بلاد موريتانيا، وقاموا بالتخلي عن سفنهم في شمال بلاد الماوري؛ وبالتالي اللجوء إلى جبل في المنطقة، فأقاموا فيه. (Procopius, 1916, P )

(333). كما أن بعض العناصر من مقاتلي الفندال، كانوا قد شاركوا في القتال إلى جانب البيزنطيين ضد القبائل المحلية. ففي بداية الحريف من عام 546م يقول المستشار بروكوبيوس: " يوجد بعض الجنود من Vandals وقد قام القائد Johannes ابن Sisiniolus بتجميع الجيش، وسار به خارج المضارب. " (Procopius, 1916, P 409).

ومع ذلك لازال موضوع مصير الشعب الوندالي في ليبيا وكامل شمال أفريقيا قاطبة، لغزا مجهولا، وعموما نجح البيزنطيون تماما في محو الجنس الوندالي، بصرف النظر عن تلك الجماعات المنعزلة في أحد جبال الأطلس، والتي تحدث عنها بروكوبيوس، إلا أن لغتهم قد أزيلت، وديانتهم المسيحية الأريوسية، كانت قد تعرضت للتضييق والتعطيل من قبل البيزنطيين. قُتل الكثير من جندهم خلال الحرب البيزنطية سنة 533م. وتحول الأسرى إلى جنود خدم في الفيلق البيزنطي بالشرق الأدنى. وتحولت النسوة والفتيات الفنداليات إلى زوجات للجنود القادمين في كتائب الجيش البيزنطي. أنشطتهم المادية تم محوها. وحتى نقودهم وبعض قوانينهم قد اكتشفت مخفية تحت الرمال، وتحت وطأة الصدفة الأركيولوجية. مثل Albertini Tablets التي اكتشفت سنة 1928م بصفتها مجموعة من الوثائق القانونية المكتوبة على الخشب، والتواريخ الباقية في نصوصها تعود إلى سنوات 493-496 م (Corcoran, 2013, P 1) لقد انتهت مملكتهم، والبقية القليلة منهم تحولوا إلى جنود وخدم وعبيد. وبالنتيجة نجحت الإمبراطورية البيزنطية في إنهاء الإرث الوندالي نهائيا. وكما قال المؤرخ الأيبيري المعاصر للحدث Isidorus Hispalensis : سقطت مملكة الشعب الوندالي رسميا، وباد أصلهم وجنسهم. وكان حكمهم قد امتد إلى نحو 124 سنة، من سنة 409م إلى عام 533م (إيزيدور، 1995، ص 149).

### 6.3. الرومان البيزنطيون Romanus Byzantiis

من الطبيعي أن نجد عنصر الرومان أو الروم أو الشعوب الرومانية، أو من عُرفوا أيضا وقتذاك باسم الشعوب اللاتينية، في ليبيا، سواء في شكل مجموعات بشرية، أو تكتلات أسرية صغيرة، ولعل من بين هؤلاء من أشار إلى اسمه المؤرخ العسكري الأنطاكي Ammianus Marcellinus [330-395م] وأفاد بأنه يدعى Silva وهو سيد نبيل يقيم مع عائلته في منزله الريفي، خارج المدينة الكبرى التي يدعى سكانها باسم (The People Of Leptis) (Marcellinus, 1894, P 497). وسيلفا Silva بالنتيجة هو مواطن لاتيني لديه منزلا ريفيا في ضواحي مدينة لبتيس الكبرى، التي غدت منذ نهاية العصر القديم/بعد الميلاد؛ مدينة عاصمة ضخمة ومكتظة بالسكان لدرجة أن سمي سكانها في الداخل والريف باسم شعب لبتيس. ولعل منزل Silva هو أحد القصور الباقية التي نعرفها اليوم كمقار صيفية أو ريفية في شاطئ وداخل محافظة لبة العظمى.

وخلال القرن 5م يخبرنا فيكتور دي فيتا Victor De Vita بأن هناك في المدن كقبرطاجة عددا من الرجال والنساء المشابهين ملمحا لملامح الوندال واللاتز، أي بيض وشقر، وكان الوندال يتفاجؤون بكونهم ليسوا من عرقهم! (De Vita, 2006, P 27). ومن المرجح بطبيعة الحال، أن هؤلاء الشقر، والذين تعجب الوندال من وجودهم في المدن البحرية، هم من العناصر المتوسطية والأوربية التي سكنت المدن الساحلية طوال بدايات العصور الوسطى.

عاش المتوسطيون في المدن الساحلية البحرية منذ العصور القديمة، وطوال القرون الأربع الأولى من العصور الوسطى، ومن ثم إلى مرحلة انتشار الإسلام، وأخيرا التطع إلى آخر بقاياهم في العهدين الفاطمي والموحدي. لأن وجودهم كان مرتبطا بوجود الحضارات المتوسطية الفينيقية والرومانية خلال العصر القديم، ثم بات مرتبطا بالوجود الفاندالي بالقرن 5م فالبيزنطي بالقرن 6م إبان العصر الوسيط. وهذا السبب الذي

يرجح بعض المدققين من خلاله سبب تواجد الشقرة والزرقة في أفراد بعض القبائل البربرية، حيث حدث اختلاط جسماني بينهم وبين سكان الشمال الإفريقي من خلال المصاهرة، والإقامة الدائمة. (شعبان، 2015، ص 12).

منذ استقرار الوندال في ليبيا رسميا سنة 455م وسائر شمال أفريقيا منذ سنة 439م، حدثت موجات هجرة لبعض الأفارق الكاثوليك والروم الكاثوليك والأرثوذكس المقيمين بالحواضر/المدن البحرية، خصوصا وأن الفاندال كانوا قد قاموا باضطهادهم أو التضييق عليهم مذهبيا، ومصادرة ممتلكاتهم وفرض الضرائب القاهرة على الملاك المقيمين منهم. حتى اضطر قسم واضح منهم للهرب إلى إيطاليا أو إلى الشرق (عمران، 1985، ص 41) ومع ذلك عاش جزء منهم في البلاد تحت كنف Vandals وعندما شرع الروم البيزنطيون في بث مشروع إعادة السيطرة على المنطقة، عادت موجة الاستيطان المتوسطي، وإن كانت غالبيتها هذه المرة من عناصر رومية مشرقية/بيزنطية، أي من ساكنة شرقي المتوسط. وليس من المستبعد وجود بعض العناصر العربية أو السامية المشرقية بها، فثمة أدلة تشير إلى وجود أفراد عرب، قد نشطوا وعاشوا بالقسطنطينية وإن كان تواجدا بسيطا لم يصل بحسب أحد الباحثين إلى مستوى الفئة/أو الجالية. (Ramadan, N.D, P 5)

ظل شرقي ليبيا وبوجه خاص إقليم Pentapolis تابعا للإمبراطورية الرومانية الشرقية. وحتى عهد الإمبراطور جوستينيان والذي دحر الوندال من طرابلس، نجد أن إقليم المدن الخمس لا يزال خاضعا للإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية، بصفة أنه لم يخضع للحكم الفاندالي، والذي لم يكن قد تجاوز حدود خليج سرت الغربية. عاش في مدن الإقليم الخمسة جماعات من اليونانيون والروم البيزنطيون، وكل ذلك لا يعفي اندماج بعض البربر في داخل المدائن الحية، ممن استساغ الحضارة اليونانية واللاتينية. ويحدثنا المؤرخ بروكوبيوس القيصاري، في تاريخه السري؛ عن Eccepolo وفي قراءة أخرى Hekebolos وهو حاكم

مقاطعة Pentapolis (Garland, 2002, P 12) بشرقي ليبيا؛ وقد اتخذ الأخير من Theodora خليفة له، وقد كانت امرأة بغيا. واصطحبها معه من العاصمة القسطنطينية إلى بينطابوليس، فأقامت بقصره يعاشرها مدة، ثم قذف بها خارج القصر، فعاشت مومسا بالبلد لبعض الوقت (بازامه، د.ت، ص 17) ثم كان عليها شق طريقها إلى القسطنطينية عبر الإسكندرية ومدن الشرق الأدنى، لتمارس البغاء في كل مدينة، وقد حملت وأجهضت عدة مرات، حتى وصلت إلى القسطنطينية في نهاية المطاف، حيث تعرف إليها جوستينيان قبل وصوله سدة الحكم، فتزوجها وأصبحت لاحقا زوجة الإمبراطور. (Garland, 2002, P 12) ولعل هذا ما دعا Procopius للقول في مقدمته لكتابه التاريخ السري، بأن الغرض من كتابه هو " تسجيل حماقة تصرفات Belisarius وسلوك Justinian وزوجته Theodora المتساويان في الدناءة والفساد. " (Procopius, 2018, P 10)

من المحتمل أن Theodora وبصفتها كانت خليفة لحاكم المدن الخمس: Hekebolos ، كانت قد أطلعت الإمبراطور Flavius Petrus Sabbatius Justinianus على بعض أوضاع البلاد الليبية، ومن المرجح أنها أعطته صورة كافية عن وضع ليبيا خصوصا إقليمها الشرقي Pentapolis، وهي المقاطعة التي عاشت في مدنها لفترة من الوقت. ومع ذلك، كانت ثيودورا، امرأة سيئة النشأة والخلق، ولنتأكد من ذلك دعونا ننظر إلى حجرتها من ثقب المفتاح، ولنرى كيف تظهر صورتها الجنسانية وفق القيم الاجتماعية، خصوصا وأن المستشار السياسي بروكوبيوس القيساري، كان غير راضٍ على أخلاقها وسلوكياتها، وقد خصها بخطاب سيء الذكر، (Procopius, 2018, P 43)

تعرف جوستينيان على ثيودورا في ملاعب الأولمبك بالقسطنطينية، وطفق يحاول إقناعها بلباقته في شؤون الحديث، ثم وقع الرجل في شرك حبها، وذلك قبل توليه سدة الإمبراطورية، وعاشا متعانقين أوقاتا من السعادة والانسجام، ثم قررا فجأة الزواج. وفي وسط هذا الجو المبهج، لم يكن ثمة ما يدعو ثيودورا

الشابة إلى الشك في مستقبلها، سوى مشكلة صغيرة واحدة! وهي أن زوجة جوستينيان السابقة شخصياً، لا تزال باقية في السلطة، وعلى قيد الحياة معا (Procopius, 2018, P 84) بعد ذلك تعهد جوستينيان بإكمال زواجه من ثيودورا. (Procopius, 2018, P 84)

نجد أيضاً بأن الجنرال البيزنطي فلافيوس بيلزاريوس Flavius Belisarius شخصياً، والذي تم تكليفه بالتوجه في " عشية رحلته إلى ليبيا " (بروكوبيوس، 2001 ، ص 52) كان قد سار رفقة عائلته المكونة من زوجته Antonina ، وهي التي قضى بجانبها أول ليلة للبيزنطيين في ليبيا، إلى جانبها ابنته Joannina ، وابنا آخر بالتبني يدعى Theodosius (Procopius, 2018, P 12) ويضيف بروكوبيوس بأن أنتونينا زوجة بيلزاريوس، كانت سيئة الأخلاق كوالدتها التي تتعاطى السحر، وتمارس الرذيلة ( Procopius, 2018, P )

(26)

وفي سياق آخر، يخبرنا الناقد الإفريقي فلافيوس كوريبوس؛ عن زوجة يوحنا الأرميني، قائد الجناح القرطاجي، التي رثت زوجها بعد مقتله: " حيث سرت البرودة في قلبها الحزين، وتهاوت المرأة التعيسة وقد حجب الحزن عنها ضوء النهار. وكانت وصيفاتها قد قمن بإنعاشها وتدليك صدرها حتى استفاقت من غيبوبتها. وقالت إن حظي التعيس قد دفع بي إلى ليبيا أتبع جيوش زوجي في البر والبحر. لماذا لم ألقى مصرعي معه أثناء المعركة! كم كان جميلاً أن نموت كليناً! ليحتضني زوجي ونتعانق وانتقل معه إلى العالم الآخر. آه يا حسرتاه أيها الرجل الذي كانت الشعوب الهمجية ترتعد من بسالتك! أنت تموت الآن ملفوفا بالرمال. (Corippi, 1820, P 120).

في أطرابلس وخلال زمن سيطرة العرب على المدينة بقيادة عمرو بن العاص، سنة 22 هجرية 642 ميلادية، لم تشر مصادر العصر الوسيط الإسلامي، الرئيسية/المبكرة، كابن عبد الحكم والبلاذري، وغيرهما، إلى تفاصيل ما بعد دخول المسلمين المدينة؟ عما إذا كانت قد حصلت أية مقاومة واشتباكات مع

السكان الأفارق والروم؛ بعد فرار الحامية البيزنطية الصغيرة في المرسى. فابن الأثير، يقول ودون أية تفاصيل إضافية: " ونظر عمرو ومن معه، فرأى السيوف في المدينة، وسمعوا الصياح، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد، فلم يفلت الروم إلا بما خف معهم في مراكبهم! " (ابن الأثير، 1987، ص 428) ويشير الأستاذ فشيكة بالقول: وفي لحظات قليلة اضطر السكان للفرار من أمامهم ملتجئين إلى المنازل، وتبادر جند الأبراج إلى القتال والدفاع، وتجاري بعضهم يفتح الأبواب ليهرب العزل من السلاح إلى سفن النجاة، وكثر العويل والبكاء، وازداد الهرج وتعالَت الأصوات، حتى وصلت الضوضاء إلى آذان الجيش الإسلامي في الشعاب ونواحيه، وتأكد العرب أن فدائيين منهم هجموا بإحدى الوسائل على الروم، هجمة صادقة ناجحة (فشيكة، 1948، ص 114). وباستثناء الغنائم التي يشير ابن عبد الحكم، إلى أن عمرو قد غنمها من المدينة (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 231) فإن الراهب البيزنطي Theophanes المعترف، يفيد في سجلاته بنقل الأسرى إلى المشرق، حيث يقول: " في عهد Mauias ؛ غزا Saracens ، إفريقيا، وصنعوا على ما يقال 80000 أسير " (Theophanes, 1997, P 494) وأجد أن Leo Africanus يؤكد بأن طرابلس قد تعرضت للنهب، وقُتل سكانها، بينما نُقل البقية إلى مصر والجزيرة العربية (كرفاخال، 1984، ص 120) وقد أكد وكرر المؤرخ: Luis Del Marmol Carvajal نفس المعلومات قائلا: " يؤكد المؤرخ الإفريقي ابن الرقيق، أن أغلبية السكان قد لقوا حتفهم في معاركهم ضد العرب، وإن الذين نجوا من الموت، نُقلوا أسرى أو عبيدا إلى مصر وجزيرة العرب " (Jean Leon, 1898, P 182) وعموما هذا أمر لا يُستبعد في الحروب الدينية، ويفيد في ذات الوقت بحالات الهلاك السكاني التي حصلت لمدينة طرابلس عبر العصور. يطلعنا اليعقوبي من القرن الثالث هجري؛ بأن " أطرابلس مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة أهلة، وأهلها أخلاط من الناس. " (اليعقوبي، 2002، ص 184) وعبارة: سكانها أخلاط من الناس يفيد بحقيقة التنوع السيسولوجي الذي عرفته Oea وعموم المدن الساحلية المتوسطة الجليلة/العتيقة.

وبعد دخول الإسلام بنحو أربعة قرون، يقول البكري ما يفيد بأن السكان المتواجدين حول مدينة طرابلس إلى مسيرة يومين، هم متوزعين ما بين أقباط وبربر وهوارة (البكري، د.ت، ص 7) ومن المؤكد في تقديري أن ما يقصده البكري بالأقباط، هم النصارى، وذلك اعتقاداً منهم أن Gupt Gypt هو مذهب ديني فقط.

مدينة Bernice وهي نواة بنغازي الحالية، كان لا يزال العنصر الأوربي موجوداً بها، وهو ما يسميه العرب والمشاركة باسم العنصر الرومي. والجغرافي اليعقوبي، يخبرنا حتى عصره بالقرن 3هـ/10م؛ بوجود مواطنين روم قدامى في Bernice ، قائلاً: " برنيق: وهي مدينة على ساحل البحر المالح، ولها ميناء عجيب في الاتفاق والجودة، تحوز فيه المراكب، وأهلها قوم من أبناء الروم القدم، الذين كانوا أهلها قديماً " (اليعقوبي، 1988، ص 101).

سأفترض/أفترض بأن Rûmların الروم المقيمين بمدينة Bernîk برنيق؛ والذين أشار اليعقوبي إلى استمرار سكانهم بمدينتهم Bernice (Ya`Kûbî, 2021, P 161) في عصره بالقرن 3هـ/10م، قد كانوا على صلة برومان صقلية! وأن قسم منهم قد وجد له فرصة بالهرب نحو جزر البحر، والخلاص من الجزية التي يدفعونها للعرب المسلمين، والتي تُنقل إلى مصر. وذلك بالصعود إلى سفن الروم البيزنطيين الذين أغاروا على برقه سنة 76هـ 695م، تلك الحملة التي استشهد فيها زهير بن قيس البلوي. هذا وارد. والمؤكد أيضاً أن سياسة الأرض المحروقة التي مارستها الملكة المازيغية/البربرية تيهيا، وبعد تخريبها للمدن الساحلية حيث يقيم بها الروم والأفارق وغيرهم من أجناس المتوسط فضلاً عن القسم المتمدن من البربر، قد أدت إلى هجرة جزء واضح أيضاً من هؤلاء السكان نحو جزر البحر. معتقدة أن العرب جاؤوا فقط من أجل السيطرة على المدائن، وحيث أشارت إلى قومها، بأن البربر يسكنون البوادي ويطلبون المراعي، فلا حاجة لهم بالمدائن، فليتم تخريبها حتى لا يجد العرب ما يسلبون أو يغنمون منها! (ابن عذاري، د.ت، ص 18)

وتفيدنا هذه الإخبارية بعدة ملاحظات، لا أود الاستطراد الآن في جميع تفاصيلها، لأنها تدخل في نطاق محور آخر، ولكن سأشير إلى الخراب الذي حصل بالمنطقة خلال هذه الفترة، وإلى ظاهرة هجرة/نزوح جيل واضح وكبير من السكان الروم وشركائهم في المدن الساحلية من سكان المدن من الليبيين الأفارق، هارين بعد الخراب الذي لحق بمنزلهم باتجاه جزر البحر المتوسط، من حيث أتوا. بينما سنلاحظ بأن حركة نزوح القبائل الموربة المحلية، تسير وخلال أوقات المحن والحروب؛ في اتجاه الدواخل الجبلية أو الصحراوية. والاختلاف في طرق الهجرة أو الفرار والنزوح بين الفئتين، هو نفسه الاختلاف ما بينهما اجتماعيا وعرقيا وثقافيا وماديا.

وكما يبدو فإن رحيل آخر جالية رومية صغيرة ممن استمرت في سكن مدن برقه، قد تم خلال العهد الفاطمي، وأن رحيلها أو هلاكها نهائيا قد تم خلال غزوة عربان بني هلال - بني سليم خلال العهد الفاطمي بسنة 446هـ 1054م. لأن منطقة برقه على وجه التحديد كانت قد شهدت أكثر من غيرها من البقاع الليبية تغييرا ديموغرافيا واضحا لم يطل الأقليات الدينية فحسب، بل شمل حتى البربر الذين كانوا المكون الأبرز بقبائلهم المتعددة في فيافي وبوادي ومدائن برقه، وأهمها اجدايا وطمليثة. وعلى أية حال، أجد لدى السيدة François Van Bruegel إفادة قصيرة تفيد بأن آخر توقيت لمهاجمة التجمعات المسيحية على السواحل المتوسطية، قد تم في زمن الدولة الفاطمية (بيرك، 2013، ص 24) وحسبنا أن نذكر بإيجاز، بأن John Raymond Basho قرية هي أيضا من ملاحظة فان بروجيل، والتي تخلص إلى القول بأن آخر بقايا مسيحي المنطقة قد عاشوا في سراديب برقه، حيث أجبروا خلال القرن التاسع الميلادي، على المغادرة (باشو، 1999، ص 49).

### 7.3. الخارطة البشرية للعنصر البربري/الأمازيغي في بداية الفترة الإسلامية

سأستعرض هنا التركيبة السكانية للسكان البربر من الناحية Ethnologically استنادا على شهادات المصادر، ولدينا عبد الرحمن بن عبد الحكم [187-257هـ/803-870م] المؤرخ المصري الذي يعتبر أقدم من كتب في تاريخ المنطقة، عدّد أسماء القبائل المحلية في منطقة لوبية ومراية وبقية المغرب بعصره في القرن 3 هجري، وأشار إلى أن هذه الجماعات هي: (زناتة ومغيلة ولواته وهوارة ونفوسه). ولكنه في المقابل كتب مستعرضا ما يتواتر عن هجرة البربر من فلسطين، بعد مقتل جالوت، قائلا: " وكان البربر بفلسطين، وكان ملكهم جالوت، فلما قتله داود عليه السلام؛ خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراية " (ابن عبد الحكم، 1964، ص 28).

وقد استعرض الجغرافي المشرقي اليعقوبي - وهو واحد من أقدم الجغرافيين المسلمين، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] - الفرضيات المتداولة حول أصول السكان البربر، وكتب ما يتواتر بالفترة الإسلامية المبكرة بأن: " البربر والأفارقة، وهم أولاد فارق بن بيسر بن حام بن نوح، لما ملك إخوتهم بأرض مصر، العريش إلى أسوان طولا، ومن أيلة إلى برقة عرضا، خرجوا نحو المغرب، فلما جازوا أرض برقة أخذوا البلاد، فغلب كل قوم منهم على بلد، حتى انتشروا بأرض المغرب. قد ذكر قوم من البربر والأفارقة أنهم من ولد بربر بن عيلان بن نزار، وقال آخرون: إنهم من جذام ولحم، وكانت مساكنهم فلسطين، فأخرجهم بعض الملوك، ولما صاروا إلى مصر منعهم ملوك مصر النزول، فعبروا النيل، ثم غربوا، فانتشروا في البلاد، وقال آخرون: إنهم من اليمن، نفاهم بعض الملوك من بلد اليمن إلى أقاصي المغرب، وكل قوم ينصرون رواياتهم، والله أعلم بالحق في ذلك." (اليعقوبي، 2010، ص 235) ولعل ابن خلدون قد اقترب من حقيقة حامية البربر - بصرف النظر عن هجرتهم الارتدادية من الشرق الأوسط القديم - عندما فتّد النظريات اليمنية والعربية التي نسجها نسابة العرب وبعض نسابة البربر أنفسهم، وقال في خصوص ذلك:

" والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم، أنم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليقة، وأن اسم أبيهم مازيغ، واخوتهم أركيش وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحييم بن مصرايم بن حام، وملكهم جالوت سمى معروفة له. وكانت بين فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل بالشام حروب مذكورة. " (ابن خلدون، د.ت، ص 2348) وهذا يخلص في النهاية إلى هجرة البربر من فلسطين، وهو ما أكدته العلوم الجينية Geneology علم الوراثة والأنساب اليوم.

وفي موضع آخر طرح ابن خلدون الروايات المتواترة عن هجرة البربر قائلا: " وقال ابن الكلبي: اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام، ف قيل داود بالوحي. نيل يا داود أخرج البربر من الشام فإنهم جذام الأرض!. وقيل يوشع بن نون، وقيل أفريقش، وقيل بعض الملوك التابعة. وعند البكري أن بني إسرائيل أخرجوهم عند قتل جالوت. وللمسعودي والبكري أنهم فروا بعد موت جالوت إلى المغرب، وأرادوا مصر فأجلتهم القبط، فسكنوا برقة وأفريقية والمغرب على حرب مع الإفرنج والأفارقة وأجازوهم على صقلية وسردانية وميورقة والأندلس. ثم اصطلحوا على أن المدن للإفرنجية، وسكنوا القفار عصورا في الخيام وانتجاع الأمصار من الإسكندرية إلى البحر وإلى طنجة والسوس. " (ابن خلدون، د.ت، ص 2345) وتماشيا مع فرضية هجرة البربر من فلسطين التي تتردد في المصادر الإسلامية المغاربية والمشرقية، فإنني أجد لها صدى في الأدبيات المسيحية الشرقية، فالمؤرخ الكنسي إيفاغريوس Evagrius [535-594م] يقول: " ويُذكر أن Moors استقروا في ليبيا، ذاك البلد بعد طردهم من فلسطين! " (Evagrius, 1846, P 209) وأجد هذه الفرضية متوفرة أيضا لدى الراهب البيزنطي Theophanes المعترف، حيث يشير في وقائعه بالقول: " ينحدر The Moors المور؛ من تلك الأجناس التي طردها Joshua The Son Of Nun يوسع ابن نون من أرض فينيقيا .. فاضطروا للهجرة باتجاه ليبيا، واستقروا على حدودها. "

(Theophanes, 1997, P 296) ومما لا شك فيه، أن القارة الإفريقية بكاملها سوداء العرق، وما وجود

الجنس الفاتح في شمالها إلا نشاز، حدث نتيجة هجرات ارتدادية شرق إفريقية ومشرقية ومتوسطية.

من جانب آخر؛ عدّد الجغرافي الفارسي: أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة [205-280 هـ/820-

893م] بطون البربر في عصره بالقرن 3 هـ على هذا النحو: " هوارة وزناتة وأمتاهه وضريسة ومغيلة

وورفجومة وهي من نفزة، ووليطة ومطماطة وصنهاجة ونفزة وكُتامة ولُواتة ومزاتة وزبوجة ونفوسة ولمطة

وصدينة ومصمودة وعُمارة وقلمة وأوربة وأتيتة وبني سمجون وأبكتة وهي من زناتة، وبني واركلان وبني

يصدران وبني ورتجي وبني منهوسا " (ابن خرداذبة، 1889، ص 90) أو كما يرد في النسخة التركية، فإن

سمات البربر Berberlerin Özellikleri ومجموعاتهم تنقسم إلى الفروع التالية: " Zenata و Hewara و

Darise و Magile و Nefze Verfecfime، و Vallta و Matmata و Sinhace و Nefze و

Kutame و Lota و Muzata و Zebbüce و Nefüse و Lamta و Saddeyne و Masmüde و

Gummara و Kalime و Evribe و Ütite و Beni Simcün و Beni Ebkete و Zenate'den و Beni

Verkelan و Beni Yasduran و Beni Verteci و Beni Menhüsa " ( Ibn Hurdazbih, 2008, P )

81) وما يهم استنتاجه هنا، بأن الفروع البربرية والتي سكنت مناطق طرابلس والجبل وسرت وبرقة وفزان،

والمذكورة بهذا الرصد، هي: هوارة - زناتة - ضريسة - صنهاجة - لواتة - مزاتة - نفوسة - لمطة.

### 1.7.3. هوارة

هوارة يقول ابن خلدون: هم باتفاق نسابة العرب والبربر: هواريون من هوار بن أوريغ بن برنس.

بصرف عن النظر عن مزاعم بعضهم بأنهم يمنيون. بحسب ما يفيدنا ابن خلدون (ابن خلدون، 2001، ص

182) وبحسب دراسة مؤتمرية فإن ثمة هجرات يمانية إلى ليبيا وشمال أفريقيا قبل الإسلام وبعده، (أبوصوة

وآخرون، 2005، ص 17) وترد لدي إشارات متعددة حول وجود هوارة في بلد طرابلس الغرب خلال

القرن الهجري الثالث، وذلك استنادا إلى أقدم المصادر الإسلامية، فخلال سنة [258هـ/872م] يذكر

اليعقوبي قائلاً: " وهوارة يزعمون أنهم من البربر القدم، وأن مزاة ولواتة كانوا منهم فانقطعوا عنهم، وفارقوا ديارهم، وصاروا إلى أرض برقة وغيرهم. وتزعم هوارة أنهم قوم من اليمن، جهلوا أنسابهم. " (اليعقوبي، 2002، ص 184) غير أن المشكلة أننا لا نجد ذكراً لهوارة في سير الفتوح الإسلامية بالبلاد الطرابلسية! على عكس لواتا بركة، ونفوسا في الجبل، وأهالي غدامس وودان وجرمه وغيرهم، لكنني مضطر إلى الوقوف عند هوارة، خصوصاً وأنها مثلت تكتلاً اجتماعياً وسياسياً كبيراً، ومعارضاً لسلطان المشاركة العرب منذ عام 122 هجرية. ومع ذلك، من الصعب أيضاً الاعتقاد بأن هوارة انتقلت إلى إقليم طرابلس قادمة من المغرب الأدنى والأوسط في عهد حسان بن النعمان، كما يعتقد الأستاذ إسماعيل كمالي، مقترحاً بأن حسان هو جلب هوارة لأجل تفكيك عصبية البربر تجاه العرب! (كمالي، 1997، ص 20) رغم أن ابن عبد الحكم يلمح بالقول، وبعد جلاء الروم والأفارق عن مدينة لبد، نزلت هوارة إليها، أي إلى لبد، ولكنه لا يحدد توقيت/تاريخ هذا الاستيطان/النزول!

لا زلنا في إطار التخمينات، ويبدو أن هوارة قد استوطنت منطقة إقليم طرابلس، بعد جلاء سكان المدن من الليبيين المتمدينين/الأفارق، مع حلفائهم الروم إلى جزيرة صقلية وبقية جزائر البحر المتوسط. والجغرافي الفارسي: أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة [205-280 هـ/820-893م] يؤكد في هذا الخصوص، نزول هوارة بعد جلاء الروم " (ابن خرداذبة، 1889، ص 91) أو كما جاء في النسخة التركية للكتاب: " استقرت Hewara هوارة في مدينة Ayas أياس؛ وهذه هي مدينة أطرابلس Atrablus والتي تعني Üç Şehir أوتش شهير أي ثلاث مدن؛ وقد كانت في حوزة الروميون Rumlarda في ذلك الوقت. ومن ناحية أخرى، هاجر الروم Rumlar إلى جزيرة سيكيلىي Sıkiliyye صقلية، في دنيزدا Denizde أي البحر. " (İbn Hurdazbih, 2008: 81) وقال ابن عبد الحكم، وبوضوح: " نزلت هوارة مدينة لبد،

ونزلت نفوسة إلى مدينة سيرت، وجلا من كان بها من الروم من أجل ذلك " (ابن عبد الحكم، 1964، ص 28).

لكن ومع جميع ذلك، ورغم خلو المصادر الإسلامية من ذكر مبكر لهوارة فترة الفتح. إلا أن ثمة مقاربات وملاحظات شخصية بحوزتي، قد تشير في تقديري إلى وجود هوارة ليس بفترة الفتح فحسب، بل ومنذ ما قبل الإسلام!. فأولا يظهر لي أن قبائل الأستورياني (Asturians, 1894, P Marcellinus) الذين تذكر غاراتهم المصادر البيزنطية في المنطقة المحيطة بمدنيتي أويا Oeen و Lepcis هم أنفسهم هوارة. ثمة أولا مثلا شعبيا، يقال أنه قديم ومتواتر على ألسنة الهواريين، وبشكل خاص على لسان الأرفليين أي أجداد أهالي ورفلة. يقول: نحن من يراقص الثور!. وهذه الجملة لها علاقة مباشرة بطقس الميثولوجي وثني قديم، تتم من خلاله مراقبة الثور Gurzil في الحروب البربرية (Corippi, 1820, P 74) فضلا عن وجود الثور في فنون قرزة، والتي أضحت عاصمة قبائل لاغوانتان التي سادت الجزء الشرقي من المقاطعة الطرابلسية (طويل، 2013، ص 107).

من زاوية مقارنة أخرى، يظهر لي أن هذا الثور Gurzilque Ghurzil Gurzil ؛ قد استمر وجوده بعد الإسلام! ولكن ليس في هيئة هيكل خشبي كما وصفه كوريبوس بالقرن 6م. (Corippi, 1820, P 74) بل في شكل صنم قائم على ربوة في أحد وديان هوارة، ومن المحتمل بأنه كان تحديدا في أحد مرتفعات وديان ورفلة. فلقد تحدث الجغرافي الأندلسي: أبو عبيد الله البكري بالقرن 5م/12م، عن لجوء قبيلة هوارة في عصره بإقليم طرابلس الغرب، إلى اتباع طقوس استلهم البركة في النفس والمال والقربان؛ من معبود صنم يسمى كرزة! " (البكري، د.ت، ص 12) ولعل هذا الربط يقودنا إلى تأكيد وجود هوارة بفترة ما قبل الإسلام، بل وبعلاقتهم الرئيسية والمباشرة بالمعبود البربري القديم Gurzil.

وقد أكد ابن خلدون ما أورده المسعودي والبكري؛ عن أن هوارة صنفين: صنف ظاعن/بدوي. وصنف أهلي/مستقر. وأنهم موجودين فيما بين طرابلس وحد برقة من أول الفتح (ابن خلدون، 2001، ص 185) ويؤكد ابن خلدون في موضع آخر: " ويربطون هوارة بمواطنهم الأولى من نواحي طرابلس، ظواعن وآهلين ... مثل: تهونة وورقلة، الظواعن. ومجريس المواطنين بزرزور من ونيفن وهي قرية من قرى طرابلس. ومن هوارة هؤلاء بآخر عمل طرابلس مما يلي بلد سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراتة لهم كثرة واعتزاز .. " (ابن خلدون، 2001، ص 187).

وباستشهاد النصوص اللاتينية السابقة، والشواهد المنطقية والمقاربات الميثولوجية، ومع تأكيد ابن خلدون؛ من المؤكد أن هوارة كانت موجودة منذ أول الفتح، وما قبل الإسلام ولا شك. ولكن يظل السؤال قائمًا: لماذا لم يرد ذكر هوارة في المصادر المبكرة التي رصدت حركة الفتح الإسلامي ببرقة وطرابلس وفزان!.

### 2.7.3. نفوسة

أول ذكر لاسم نفوسه جاء في القرن السادس للميلاد، هذا ما وقفت عليه شخصيا من خلال تقليباتي المصدرية. ولا أظن بأن هناك من سبقني إلى ذلك. وقد جاء هذا الرصد من طرف الشاعر الإفريقي الهوية، قرطاجي الإقامة، لاتيني الثقافة؛ فلافيوس كورييوس، والذي يشير خلال الحرب المورية - البيزنطية، إلى تحالف " تلك القبائل التي تسكن Montana Nausi " (Corippi, 1820, P 26)

أصبحت منطقة الجبل رائدة خلال الفترة الأباضية، حيث ازدهرت فكريا ونمت عمرانيا ونشطت زراعيا، ولم يأتي القرن 3 الهجري، حتى وصفها المؤرخ البغدادي: أحمد يعقوبي - والذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] - بالآتي: " ومن أطرابلس إلى أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن، أباضية كلهم،

لهم رئيس يقال له ألياس، لا يخرجون عن أمره؛ ومنازلهم في جبال أطرابلس، في ضياع، وقرى، ومزارع، وعمارات كثيرة؛ لا يؤدون خراجا إلى سلطان، ولا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتاهرت، وهو رئيس الأباضية، يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، فارسي. وديار نفوسة متصلة من حد بطرابلس مما يلي القبلة إلى قريب من القيروان، ولهم قبائل كثيرة، وبطون شتى. " (اليعقوبي، 2002، ص 184) والثابت أن نفوسه ساهمت بشكل كبير مع مزاته في إقامة المذهب الأباضي بالمنطقة، حتى أن لعبد الرحمن بن رستم، كلمة شهيرة، تقول: " وإنما قام هذا الدين بسيف نفوسه، وأموا مزاته! " (المساكني، 1999، ص 13) ويضيف الجغرافي اليعقوبي في صدد انتشار نفوسة: " وسار قوم إلى طرابلس يقال لهم المصاليين، وجاز قوم إلى غربي طرابلس يقال لهم وهيله ... وأخذ قوم آخرون إلى سجلماسة، وهم الذين يقال لهم نفوسه ولماية. " (اليعقوبي، 2010، ص 235).

### 3.7.3. زناتة

مثل ما هو الشأن مع مسألة هواره، لا أجد ذكرا مصدريا لوجود زناتة في مقاطعة طرابلس الغرب، خلال الفتح الإسلامي. ولاحظت بأنني لم أعثر على معلومات مصدرية تتعلق بوجود زناتة في بلاد أطرابلس وبرقة بالفترة الإسلامية المبكرة، ليس فترة الفتح فحسب، بل حتى خلال القرن 2 هجري. وفي وسعي القول بأن زناتة هي قبيل من قبائل المغرب ممن نرح باتجاه إقليم طرابلس في وقت لاحق، ويمكنني الاستناد في ذلك على ما يمدنا به العلامة ابن خلدون، والذي يشير بالقول: " وأما المغرب الأوسط فهو في الأغلب ديار زناتة. كان لمغراوة وبني يفرن. " (ابن خلدون، د.ت، ص 2353) والملاحظ من وراء ذلك؛ أن زناتة وفدت مع بطونها من مغراوة وبني يفرن إلى جنوب طرابلس باتجاه الجبل حيث بطون ورشفانه ويفرن حاليا. فيما سار فرع منهم إلى مسراتة وعرفوا باسم المغاوة. وكما يبدو فقد نزحوا باتجاه طرابلس الغرب من ضواحي ولاية إفريقية/تونس الحالية، حدث هذا منذ أواخر القرن الهجري 3 وما بعد.

وأستشف هذا من عدم ذكر اسمهم في مصادر الفتح، وأيضاً من خلال ما يمدنا به المؤرخ البغدادي: أحمد  
اليعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] وتوفي سنة [284هـ/897م] ويطلعنا على أن قابس  
هي: " خمس مراحل عامرة، يسكنها قوم من البربر من زناتة، ولواتة، والأفارقة الأول. " (اليعقوبي،  
2002، ص 185) مما يعني بأن زناتة اقتربت خلال القرن 3 هجري من حدود مقاطعة طرابلس. ويضيف  
اليعقوبي أيضاً؛ بوجود لواته وزناته مع مكونات أخرى بالمدينة، قائلاً: " ومن أطرابلس على الجادة العظمى  
إلى مدينة يقال لها قابس - عظيمة على البحر المالح، عامرة كثيرة الأشجار، الثمار، والعيون الجارية،  
وأهلها أخلاط من العرب والعجم، والبربر، وبها عامل من قبل ابن الأغلب صاحب أفريقية - خمس  
مراحل عامرة، يسكنها قوم من البربر من زناتة، ولواتة، والأفارقة الأول. " (اليعقوبي، 2002، ص 185)  
وهذا يؤكد بأن زناته التي لم تُذكر في بلاد أطرابلس نهائياً، سواء خلال الفتح الإسلامي، أم خلال القرن  
الهجري 3، بصفته القرن الأول الذي كتب فيه الجغرافيون المسلمون الأوائل، ويقدر ما ذُكرت زناته في  
تونس، مما يفيد بأنها عنصر وافد من المغرب باتجاه تونس نفسها. وبوسعي أيضاً ملاحظة أن المؤرخ  
المصري: ابن عبد الحكم [187-257هـ/803-870م] يذكر زناته كقبيلة مغربية، خلال استعراضه لانتشار  
البربر في المغرب الكبير: " فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب، وسكنوا الجبال ... " (ابن عبد الحكم،  
1964، ص 28) وأجد لدى ابن خلدون، إفادات واضحة، تفيد بأن وطن زناته الحقيقي هو بالمغرب  
الأوسط، هذا ورغم انتشارهم في أطراف جبال نفوسة وبحد غدامس وتونس وغيرها. يقول ابن خلدون: "   
هذا الجيل في المغرب، جيل قديم العهد معروف العين والأثر ... وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون  
بها، وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر، ومواطنهم في سائر مواطن البربر بإفريقية والمغرب، فمنهم  
ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى ... ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي إفريقية،

وبجبل أوراس بقايا منهم .. والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرفون به فيقال وطن زناتة، ومنهم بالمغرب الأقصى أمم أخرى .. " (ابن خلدون، 2001، ص 3).

### 4.7.3. مزاتة

يرد أقدم ذكر لمزاتة خلال الفتح الإسلامي، بنص ابن عبد الحكم، والذي يسرد الخطوات التي مر بها عقبة خلال الفتح الثاني سنة 46 هجرية والمقابلة لحوالي سنة 666م، عندما عبر عقبة بجيشه من ودان إلى جرمة إلى قصور فزان إلى خاوار إلى ماء الفرس إلى خاوار، ثم إلى زويلة ثم إلى أرض مزاتة ثم إلى غدامس (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 264). فمن أرض مزاتة بعث عقبة " خيلا إلى غدامس، افتتحت غدامس، فلما انصرفت إليه خيله، سار إلى قفصة .. " (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 264).

سكنت قبائل مزاتة مدن وقرى وبوادي خليج سرت، وصولا إلى ما تعرف اليوم باسم الجفرة، وكانت ودان أهم مدينة مملكة بالنسبة لهم، بالإضافة إلى مدينة سرت، التي سكنها المزاتيون والأفارق الذين تراطنوا بلسان غير مفهوم لدى الجغرافيين المسلمين، وهو في تقديري اللسان البونيفي. بالإضافة إلى ذلك، من المحتمل أن مزاتة سكنت أيضا مدينة مغمداش، إذ أن اليعقوبي يشير إلى أن ديار مزاتة بعصره بالقرن 3 هجري، هي في القرى والحواضر الواقعة على سيف البحر فيما بين اجدايبا وسرت. مع وجود جماعات من لواته أيضا. إلا أن انتشار مزاتة أكبر بهذه المنطقة المطلية على الخليج السرتيكي الكبير. حيث كانوا قد انتشروا من غربي أجدايبا، إلى تاورغه، كما يقول المؤرخ البغدادي: أحمد اليعقوبي سنة [258هـ/872م]. (اليعقوبي، 2002، ص 182) ويضيف اليعقوبي، وفي موضع آخر، حديثه عن مزاتة في خليج سرت: " ومن آخر عمل برقة من الموضوع الذي يقال له تورغة إلى أطرابلس ست مراحل، وينقطع ديار مزاتة من تورغة ويصير في ديار هواة " (اليعقوبي، 2002، ص 184) وفي قراءة أخرى لليعقوبي: " وملكت مزاتة في أرض يقال لها ودان، فنسب هؤلاء القوم إلى أبيهم، وجاز قوم منهم إلى بلد يقال له تورغه، فملكوا هناك

وهم هواره .. " (اليعقوبي، 2010، ص 235) وأعتقد ولا أؤكد أن مزاته هي نفسها « قبيلة Nasamones (Diodorus, N.D, P 131) وفي قراءات أخرى: Masamones و Nasamons و Mesammones من ذكرهم المؤرخ الشهير Ἡρόδοτος كأمة مستقلة Nation Of The Nasamones (Hēródots, ) (1806, 227) كانت تقطن خليج سرت في العصور القديمة، وهو ذاك الساحل الذي كان -وكما يقول القديس بولس - على الحدود مع الصحراء؛ في خطر على البحارة. (St. Paul's, N.D, P 27.17) وذلك قياسا بأن المكان الذي شغله النسامون بتأكيد من الناقد الإفريقي كوريبوس حتى القرن 6 للميلاد؛ هو نفسه المكان الذي شغلته مزاته بعيد ذبوع اسمهم بعد الإسلام!

ودان هي دار مملكة مزاته التي أطيح بها على يد عقبة خلال الفتح الإسلامي، وهي في أعمال الجغرافي اليعقوبي، من أعمال برقة المضافة إليها، وسكانها مزاته يزعمون أنهم عربا (اليعقوبي، 2002، ص 183) فيما يشير القزويني أيضا إلى ما سمعه عن زعم سكان ودان بأنهم عرب حضرميون Hadramîler يمنيون (Kazvinî, 2019, P 499) فيقول: " ودان: مدينة في جنوبي إفريقية، لها قلعة حصينة، وهي مشتملة على مدينتين، فيهما قبيلتان من العرب: سهميون وحضرميون." (القزويني، د.ت، ص 255) ونلاحظ نظرة السكان المحليين إلى الشرق العربي المسلم، نظرة المقتاد إلى القيادة الدينية والروحية. شيئا فشيئا، أصبحوا مسلمين وتعربوا تدريجيا. (U n e s c o, 1995, P 243)

غادرت مزاة بلد سرت نتيجة لكونها من القبائل البربرية البدوية، ممن انتقلت إلى بوادي المغرب الأوسط، حيث كانت وكما يؤكد المؤرخ ابن الصغير؛ تنتقل خلال فصل الربيع إلى مدينة تاهرت وأحوازها، فيدخل رؤسائهم المدينة، ثم يعودون إلى البوادي حيث إبلهم وماشيتهم (ابن الصغير، د.ت، ص 41) وهناك ظهر أشهر علمائها: « يوسف بن خلفون المزاتي » الذي وجدت بأنه نشأ وعاش في قرية

تين باماطوس، بجنوب المغرب الأوسط، وأعتبر أشهر علماء مزاته خلال تلك الفترة. (ابن خلفون، 1974، ص 13).

### 5.7.3. لواته وبقية العناصر البشرية في برقه

منذ مطلع التأريخ الإسلامي، برز اسم الوفد اللواتي الذي توجه إلى مصر ثم إلى الحجاز لملاقاة الخليفة عمر بن الخطاب، وهذا ما يؤكد المؤرخ البربري المجهول، الذي عاش بالعهد المريني، وألف كتابه (مفاخر البربر) سنة 712 هجري، (المغربي المجهول، 2005، ص 180) ويعدد الجيوغرافي البغدادي: أحمد يعقوبي [284هـ/897م] الجماعات البشرية القاطنة فيما بين غربي مصر إلى لوية، وهم بطون من بربر مزاة ولواتة وجماعات من العجم، وقوم من العرب من بلبي وجهينة وبني مدلج، وأخلاق من الناس. (اليعقوبي، 2002، ص 180).

وبحسب الجيوغرافي اليعقوبي، والذي بعد أن يرصد فروع البربر في بدايات التاريخ الإسلامي، يشير إلى أن " أول من ملك منهم: لواتة في أرض يقال لها أجدابية من جبال برقة ... " (اليعقوبي، 2010، ص 235) ويذكر الجغرافي الجيوغرافي الفارسي: الأصبخري [توفي حوالي 346هـ/957م] والذي قدم معلومات مستفيضة حول جغرافيا العالم الطبيعية والبشرية (İstahri, 2021, P 102) بأن مدينة برقة Berka تحيط بها بادية Kırsal/Badi يسكنها طوائف من بدو البربر Berberlerden (İstahri, 2021, P 40) ويصف ابن حوقل، مدينة برقه بالمدينة الوسط التي يتردد عليها العابرون والتجار والمسافرون والطلاب، ويطوف بها من كل جانب بادية يسكنها بدو البربر، " (ابن حوقل، 1992، ص 69) ويؤكد الجغرافي العربي الأندلسي: أبو عبيد الله البكري [404-487هـ/1014-1094م] أيضا باتصاف لواته بسكنى البوادي والضواحي المحيطة بمدينة برقة، مع جماعات من الأفارق، قائلا: " حول مدينة برقة قبائل من لواته ومن الأفارق. " (البكري، 2002، ص 176) وذلك نتيجة لكون لواته كسائر معظم بطون البربر هم إما

من البدو الرحل أو من القرويين. أو كما قال الناصري: " ليس لهم مدائن ولا حصون ولا أسواق ولا علامات يهتدون بها في الطريق " (الناصرى، 1997، ص 130). وقد أكد ابن خلدون بأن " لواتة هؤلاء طواعن في مواطنهم بنواحي برقة. " (ابن خلدون، 2001، ص 153) أو كما قال في موضع آخر: " عمران أفريقية والمغرب كله أو أكثره بدويا، أهل خيام وطواعن وقباطن وكنن في الجبال ". (ابن خلدون، د.ت، ص 289) ويضيف اليعقوبي بأن حول جبلي برقه تقع: " قرى بطون البربر من لواتة من زكودة، ومفرطة، وزنارة، وفي هذين الجبلين عيون جارية، وأشجار، وثمار، وحصون، وآبار للروم قديمة " (اليعقوبي، 2002، ص 181) ثم يستطرد في وصفه لعماثر برنيق وأجدابيا، وذكر سكانها من البربر والروم، قائلا: " ولبرقة أقاليم كثيرة تسكنها هذه البطون من البربر، ولها من المدن: برنيق: وهي مدينة على ساحل البحر المالح، ولها ميناء عجيب في الاتفاق والجودة، تحوز فيه المراكب، وأهلها قوم من أبناء الروم القدم، الذين كانوا أهلها قديما، وقوم من البربر .. وبطون لواتة يقولون: إنهم من ولد لواتة بن بر بن قيس عيلان، وبعضهم يقول: إنهم قوم من لحم، كان أولهم من أهل الشام، فنقلوا إلى هذه الديار، وبعضهم يقول: إنهم من الروم " (اليعقوبي، 2002، ص 181).

### 8.3. العناصر العربية والمشرقية

بدايةً استقر عرب بني مدلج في غربي مصر، وهؤلاء من العرب الفاتحين الذين شاركوا حملة عمرو بن العاص في فتح أطرابلس سنة 22 هجرية، بل وكان لهم الدور الأبرز في دخولها، ذلك طبعا حسب بعض الروايات العربية والمشاركة (الحميري، 1984، ص 600) لأن هناك روايات أخرى تفيد بافتتاحها عنوة. في سياق العرب المستقرين يقول الجيوغرافي البغدادي: أحمد اليعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] وبعد وصفه لمنطقة الإسكندرية، فإن المسافر بعد كورة الإسكندرية: " يصير في منازل لبني مدلج في البرية، بعضها على الساحل، وبعضها بالقرب من الساحل، منها المتزل المعروف بالطاحونة،

والمترل المعروف بالكنايس، والمترل المعروف بـجب العوسج. ثم يصير في عمل لوبية (اليقوي، 1988، ص 100) ولوبية/لوبيا هي ليبيا في المفهوم الشرقي، وإن كانت قد انحسرت في جزء صغير من شرقي البلد على الحدود مع مصر. ولا أعلم عما إذا كان عرب بني مدلج قد بقوا في طرابلس أو أحد نواحيها بعد مساهمتهم في فتحها أم لا؟! فمصادر الفترة الإسلامية التي تشير إلى وجود عربي أو مشرقي/فارسي/شرق أوسطي الخ وفي طرابلس هي شبه معدومة!. وما يوجد هو خليط من الناس، كما يقول الجغرافي اليقوي. " (اليقوي، 2002، ص 184).

في « أطرابلس » أجد أن أحد أقدم الأعلام الطرابلسية في الفترة الإسلامية هو من أصل فارسي، وهو الإمام الفقيه « عليّ بن زياد العجمي » مؤلف كتاب (خيرٌ من زنته) وهو واحد من علماء القرن الثاني الهجري. من مواليد مدينة أطرابلس. ويقول مؤرخنا الطرابلسي الأندلسي: أحمد بك النائب، بأن الإمام الفقيه عليّ بن زياد؛ عجمي الأصل (النائب، 1961، ص 397) وكلاهما وارد كما هو وارد غيره، نظرا لوجود العنصر الفارسي ببلاد المغرب إلى جانب العنصر العربي منذ الفتوحات الأولى، وهو ما يؤكد وجوده المؤرخ الجغرافي اليقوي [258هـ/872م] خلال وصفه لسكان مدينة زويلة الفزانة (اليقوي، 2002، ص 102). ولا يغيب عنا أن الخراسانيون والترك هم من جند الخلافة، وبحسب ما نقل الأديب البصري عمرو الجاحظ [159هـ-255هـ] ف" إن جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام: خراساني وتركوي ومولى وعربي وبنوي " (الجاحظ، د.ت، ص 5) والبنوي كما جاء في الشرح هم عجم اليمن. وقد وضع الجاحظ " رسالة في مناقب الترك وعمامة جند الخلافة " (الجاحظ، د.ت، ص 2) وبالتالي من غير المستبعد بأن بعضا من عناصر هؤلاء الجند المشارق قد سكنوا بعض حواضر بنطابلس وأطرابلس وفزان، كمدينة برقة مثلا والتي سكنها أبناء الجند، أو زويلة التي سكنها عدد من الخراسانيين.

إن كلمة الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن مروان، سنة (124هـ/741م) حيال تمرد/ثورة هوارة ضد الحكم العربي، وهي كلمة كانت تحمل وعيدا وتهديدا رهيبا، وتبدأ بقوله: " والله لأغضبن لهم غضبة عربية! ولأبعثن إليهم جيشا أوله عندهم، وأخره عندي! ثم لا تركت حصن بربري؛ إلا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو تيمي! " (ابن الرقيق، 1990، ص 75) تنفيذ بأن مشروع الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، كان في وجهه الآخر هو حملة لتعريب بلاد أطرابلس، وتغيير ديموغرافي لأقاليمها، وبمحت واضح عن حاضنة شعبية/اجتماعية، موالية للسلطة العربية الأموية المشرقية. وهذا يفيد بأن بلاد طرابلس برقة/ليبيا حتى ذلك الوقت، قد كانت من حيث الوجهة السلافية والديموغرافية/السكانية؛ بربرية في العموم. بينما تؤلف بقية المكونات الباقية الأخرى في بعض حواضر مدن الساحل: الإفريقية واليونانية والرومية؛ نسب طفيفة في تركيبة المجتمع، وذلك عقب مغادرة معظمها للمدن البحرية في ظروف متلاحقة.

في فزان؛ استقر أخلاط من خراسان، بشهادة من الجغرافي اليعقوبي، وهؤلاء الخراسانيون فرس عجم، ولم يكن مستبعدا استقرار عناصر مشرقية فارسية، وجماعات أخرى سامية مستعربة في نقاط معينة من البلاد، وذلك في طريق عبورها منطقة المغرب الكبير، لدواعي جهادية مبكرة أو أغراض تجارية أو توجيهات دينية وصولا إلى الأندلس. ففي « مدينة زويلة » ثمة وبشهادة من اليعقوبي: " خليط Karışık

من أهل Horasan و Basra و Kûfe . " (Ya`Kûbî, 2021, P 163)

وفي « مدينة ودان » ثمة استقرار لقبيلتين من العرب السهمية Sehmîler والحضرية Hadramîler (Kazvinî, 2019, P 499) فبحسب الجغرافي القزويني [ت 682هـ/1283م]: " ودان مدينة في جنوبي إفريقية لها قلعة حصينة وهي مشتملة على مدينتين فيهما قبيلتان من العرب: سهميون وحضرميون. تسمى مدينة السهميين لباك ومدينة الحضرميين توصي، وبابهما واحد. " (القزويني، د.ت، ص 377) رغم أن

اليعقوبي يؤكد بأن هاتين القبيلتين هما من البطون البربرية، وتنسب كليهما إلى مزاتة، غير أن كليهما ينكر مزاتيته/بربريته، ويدّعي بالأصول اليمنية (اليعقوبي، 2002، ص 183).

في « مدينة برقه » يطلعنا اليعقوبي، بأن المدينة تسكن بأريافها أخلاط من الناس، وأكثر من بها من الجند المسلمين، ممن تزوج واستقر به المقام وخلف وراءه الأولاد والأحفاد. (اليعقوبي، 1988، ص 100) ويطلعنا الجغرافي اليعقوبي في مؤلفه الآخر - وأجد ذلك مصادفة عنده - عن وجود عنصرين يقطنان برقه، وهما البربر والعرب القريشيين، وذلك عندما يشير إلى انتفاضة حدثت ببرقه ضد حكم الخليفة العباسي هارون الواثق بالله ابن المعتصم [227-232هـ] وهو حفيد هارون الرشيد. (اليعقوبي، 2010، ص 442).

منذ ما بعد الفتح الإسلامي مباشرة، وفدت على الحدود الغربية لمصر مع لوبية، قبائل عربية من بني مُدَلج وبلبي وجهينة، واستقرت إلى جوار منازل البربر ممن كان أغلبهم من لواته الذين سنلاحظ خلال القرن الثالث الهجري، تزايد عددهم بتفرعات بطونهم، وأخلاط من أجناس أخرى قديمة سكنت المنطقة، كما يقول يطلعنا اليعقوبي (اليعقوبي، 1988، ص 100).

و« بالجبل الأخضر » أستنتج من اليعقوبي أيضا، ما يفيد باستقرار قبائل وافدة من اليمن من الأزد ولخم وجذام وصدف وغيرهم، وأخرى من غسان، إلى جوار بطون البربر من لواته من زكودة ومفرطة وزنارة (اليعقوبي، 1988، ص 100). يقول اليعقوبي: " ولبرقة جبلان: أحدهما يقال له الشرقي فيه قوم من العرب من الأزد، ولخم، وجذام، وصدف، وغيرهم من أهل اليمن. والآخر يقال له الغربي فيه قوم من غسان، وقوم من جذام، والأزد، وتجب، وغيرهم من بطون العرب، وقرى بطون البربر من لواتة من زكودة، ومفرطة، وزنارة، وفي هذين الجبلين عيون جارية، وأشجار، وثمار، وحصون، وآبار للروم قديمة. " (اليعقوبي، 2002، ص 181) ويرى الباحثة البولندية لافيتسكي؛ بأن لواتة قد تعرضت إما للابادة في برقة

وإما للانصهار القبلي وبالتالي الاندثار المجتمعي، قائلا: "لواته برقه كلها تقريبا، إما أنها أبيدت من طرف بني هلال، أو إنها انصهرت في التجمع الجديد" (لافيتسكي، 2008، ص 96).

الخلاصة؛ يظهر لي أن الوجود العربي والمشرقي في برقة وطرابلس وفزان، خلال بدايات العهد الإسلامي كان طفيفا. وبلاد طرابلس وبرقة في الواقع لم تكن محل اهتمام الدول الإسلامية التي حكمت بلادنا من المشرق والمغرب، التنمية بسيطة وتكاد لا تذكر طوال العصر الإسلامي، مقارنة بدول الجوار. وطبيعة عامة السكان البدوية والقروية في أحسن الأحوال، كانت سببا في إهمال الحكومات لتنميتها. وكان العامل النهائي والحاسم هو الدمار العمراني والتبدل السوسيوولوجي والاضمحلال الزراعي والاقتصادي والتراجع الكلي الذي شهدته المنطقة عقب غزوات بني هلال. ورغم أن تنمية البلد بالعهد الإسلامي كانت محدودة أساسا، غير أن غزو عربان بني هلال - بني سليم، كان قد أكمل من مسألة تراجع المنطقة، فكما يشير الجغرافي الشريف الإدريسي [493-559هـ/1100-1166م] بالقرن 6 الهجري، والذي عاصر نتائج الزحف الأعرابي؛ فإن برقه قد أصبحت في عصره: "أكثرها خلاء، وعامرها قليل، وأهلها عرب مفسدة في الأرض، مغيرة على من جاورها". (الإدريسي، 1989، ص 310) وأكد الجغرافي التركماني إسماعيل البرسوي [997هـ/1589م] نفس الملاحظة بالقول: "برقة بلدة متوسطة .. وحواليها كور عامرة، وهي في وسط البوادي .. وقد استولت عليها العرب، وليس بها في زماننا مدينة جلييلة مضمرة!". (البرسوي، 2006، ص 207) وحديث عدد من الرحالة والجغرافيون كابن الأزرق (ابن الأزرق، ص 38) وابن الوردية (ابن الوردية، 2008، ص 81) واضح عن ازدهار المنطقة الممتدة من طرابلس إلى خليج سرت إلى برقه خصوصا خلال القرون الميلادية الباكرة، ومع دخول البلد تحت الحكم المشرقي، صارت تضعف تدريجيا، وما حدث من ضرر وجور لحقه الأعراب بعد ذلك بالمنطقة وسكانها الذين صاروا تدريجيا في هلاك وهجرة وتناقص، وهذا ما يفيد موضوعنا بشيء من الوميض عن المصير الذي

لاقتها المنطقة وسكانها وهو الدمار والخلاء، حيث يقول العياشي، واصفا الهرج والمرج الذي شهدته البلد في أعقاب ذلك: " إن الولاة وإن جارو، خير من مرج الرعية يعدو بعضهم بعضا! فيعم الخراب الحواضر والبوادي، وبهذا خلت برقه كلها، وهي مسافة شهرين، وكانت متصلة العمارة من إسكندرية إلى إفريقية، (صارت) لا تكاد تسير فيها بريدا، ليس فيه أثر بناء ورسوم عمارة دائرة! وقد جاء الإسلام وغالبها عامر! ثم لم تزل عمارتها تضعف حتى خرج عرب هلال من مصر، وأواخر الرابعة أوائل الخامسة (هجري) فخرّبوا البلاد واستولوا على القرى فأفسدوها، وخلت البلاد من يومئذ. " (العياشي، 2006، ص 197).

### نتائج الفصل الثالث

مجتمع الأفارق هو واحد من أهم المجتمعات التي نشطت بمدائن ليبيا الساحلية، وظلت تذكر حتى بعيد الإسلام. يخلط البعض في هوية هذه الطائفة أو هذا المجتمع، ويعتقدون بأن الأفارق أحيانا إما الأفارقة السود، وإما المحليين البربر في أحيان أخرى. لكن Afros في الواقع هم البونيقيون أنفسهم، وسنلاحظ بأن تسمية الأفارق قد اشتهرت بعد الميلاد؛ وظلت معروفة ومتداولة خلال القرون الأولى من العصر الوسيط، وبالقدر ذاته استمر وجود ونشاط المجتمع الإفريقي طائفة وطبقة خلال الفترة نفسها. بينما تلاشت طبقة الأفارق تدريجيا بعد الإسلام.

بشكل عام استعمل البيزنطيون مصطلح Moors وهذا اللفظ هو في الأصل يوناني Maurusians يعني ذوي البشرة السوداء. ومع بداية القرون الوسطى، أطلق الأفارق والمواطنين المتوسطيين من سكان المدن البحرية، على مجموعات الدواخل من قبائل الريف والجبل والصحراء؛ تسمية Languantanque وهي تسمية لا تعني جنسا بشريا محددًا، بقدر ما تعني تحالف اجتماعيا كبيرا ضم أكبر قدر من قبائل المور/البربر في ليبيا. وهم جميعا من قبائل Berbères كمعظم القبائل المحلية، ممن عاش معظمها بصفة

بدوية متناقشة تماما مع المجتمع الحضري الساحلي، تناقضا فضيعا، وأحيانا حتى عنيفا. وتواصل الحروب الطويلة على طول المنطقة، قد أدت إلى اختفاء الكثير من الأقاليم السابقة.

سكن مجتمع الإغريق شرقي ليبيا كما هو معروف؛ منذ أواسط الألف الأولى قبل الميلاد، وظل هؤلاء موجودين حتى بداية العصر الوسيط، وقد تحدث سينيسيوس خلال مطلع القرن 5م عن عطاء إقليم برقه في عهده، وأشار في مديح منطقتة إلى الحقول والمراعي والخراف والأبقار والماعز والزبدة والفطائر والحساء بالمرق، والزيت الثخين، والقمح وكلاب الصيد والأحصنة ومع دخول الإسلام كان هؤلاء قد تسموا في المصادر العربية باسم الروم القدم.

ينتمي الشعب الوندالي أو *Vandalicae Gentis* الأمة الفانداليكية - كما يرد اسمهم بالمصادر اللاتينية السابق ذكرها - إلى الشعوب الاسكندنافية. وهذا العنصر هو الذي أسس المملكة الفاندالية. كان الشعب الوندالي أول الأمر؛ عنصرا قريبا بدويا رَحالا ومخرب، لكن حياة هؤلاء البدو الجوالين، قد تغيرت في واقع الأمر منذ استيطانهم داخل المدن الرومانية في جنوب غربي أوربا. ثم دخولهم للمدن الساحلية بليبيا. ومنذ أن وطأت أقدامهم ساحل شمال أفريقيا، حيث مراكز الحضارة البونيقية والرومانية؛ انغمسوا في المدنية حد الترف. وكان هذا الترف سببا في تهاوي المملكة الفاندالية.

نجح البيزنطيون تماما في محو الجنس الوندالي، بصرف النظر عن تلك الجماعات المنعزلة في أحد جبال الأطلس، والتي تحدث عنها بروكوبيوس، إلا أن لغتهم قد أزيلت، وديانتهم المسيحية الأريوسية، كانت قد تعرضت للتضييق والتعطيل من قبل البيزنطيين.

من الطبيعي أن نجد عنصر الرومان أو الروم أو الشعوب الرومانية، أو من عُرفوا أيضا وقتذاك باسم الشعوب اللاتينية، في ليبيا، سواء في شكل مجموعات بشرية، أو تكتلات أسرية صغيرة. عاش المتوسطيون في المدن الساحلية البحرية منذ العصور القديمة، وطوال القرون الأربع الأولى من العصور الوسطى، ومن ثم

إلى مرحلة انتشار الإسلام، وأخيرا التطلع إلى آخر بقاياهم في العهدين الفاطمي والموحدي. لأن وجودهم كان مرتبطا بوجود الحضارات المتوسطة الفينيقية والرومانية خلال العصر القديم، ثم بات مرتبطا بالوجود الفاندالي بالقرن 5م فالبيزنطي بالقرن 6م إبان العصر الوسيط. وهذا السبب الذي يرجح بعض المدققين من خلاله سبب تواجد الشقرة والزرقة في أفراد بعض القبائل البربرية، حيث حدث اختلاط جسماني بينهم وبين سكان الشمال الإفريقي من خلال المصاهرة، والإقامة الدائمة.

أخيرا أرى أن الوجود العربي والمشرقي في برقة وطرابلس وفزان، خلال بدايات العهد الإسلامي كان طفيفا، في برقة وزويلة تحديدا. وبلاد طرابلس وبرقة في الواقع لم تكن محل اهتمام الدول الإسلامية التي حكمت بلادنا من المشرق والمغرب، التنمية بسيطة وتكاد لا تذكر طوال العصر الإسلامي، مقارنة بدول الجوار. وطبيعة عامة السكان البدوية والقروية في أحسن الأحوال، كانت سببا في إهمال الحكومات لتنميتها.

## الفصل الرابع: الميثولوجيا، الأديان، العقائد، الأفكار، والمعتقدات

### 1.4. المعتقدات الوثنية في ليبيا

مثل معظم الشعوب، كان البربر خلال العصر الوسيط الباكر؛ وثنيون، وكانوا يمارسون بعض الطقوس الدينية السحرية التي كانت سائدة/مستخدمة في الديانات الوثنية. غير أن البربر لم تكن لهم أفكار محددة بشأن الإله، وعن مصير الإنسان، وعن العوالم الغيبية السفلية أو العلوية التي تعتقها شعوب المتوسط، وإنما كانت لهم بعض المعتقدات البدائية مثل: عبادة الشمس، والقمر، والأصنام، والاعتقاد في السحر، والشعوذة. (مزهودي، 2003، ص 37). وقد ذكر ابن خلدون الأديان التي كان عليها البربر في البلاد إلى أن " جاء الإسلام وكان منهم من تهوّد، ومن تنصّر، وآخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والأصنام، ولهم ملوك ورؤساء. " (ابن خلدون، د.ت، ص 2346).

وإذا رجعنا خطوات قليلة إلى الوراء، سنجد بأن الديانة الوثنية للمور، قد شكلت الصفة الغالبة على الصور النمطية التاريخية التي تركتها ورائها مصادر العصر الوسيط، وإذا كانت صورة عبادة المظاهر الطبيعية قد تركزت طيلة هذه الفترة، فقد كانت المؤثرات المشرقية واضحة أيضا كما يؤكد الدكتور عبيش، في العديد من الممارسات الدينية مند فجر التاريخ، فمنها على وجه الخصوص: المؤثرات الفينيقية/القرطاجية، (عبيش، 2007، ص 147). وكان هيروودوتوس قد وصف سكان الصحراء الغربية بمصر من الليبيين؛ باسم Ammonians (Hēródots, 1806, P 78) وهذا يعني: عبدة أمون. وكانت عبادة أمون منتشرة بشكل رئيسي في صحراء سيوة إلى نواحي أوجلة وخليج سيرتس. وكان الأفارقة الصحراويون في سيوة، وبربر الواحات في أوجلة، يعبدونه بشكل مطلق. ثم انتشرت عبادته في كامل المنطقة الممتدة ما بين سيوة شرقا إلى أوجلة إلى نواحي خليج سرت غربا. ثم وصلت عبادته إلى بعض قبائل الدواخل القريبة بريف القطر الطرابلسي - في جهات ترهونة الحالية تحديدا - وفي هذه المرة أصبغت عليه القبائل لقباً مهيباً مؤداه: ذو

القرنين Corniger وأصبح يدعى أمون ذو القرنين Corniger Ammon . وكانت لا تزال هذه العبادة مستمرة حتى القرن السادس للميلاد، ثم اختفت عندما شرع البيزنطيون في نشر المسيحية في دواخل بينطابوليس وعند محيط مدينة أوجيلة تحديدا. وقد ذكر بروكوبي هذا المؤله الوثني باسم أمون Ammoni (Procopius, 1537, P 138)

ومن المفيد فحص الروايات التي قدمها المؤلفون اللاتينيون الأفارق قبل غيرهم؛ واستنادا إلى الناقد النحوي الإفريقي، Flavius Cresconius Corippus أديب إفريقية خلال القرن 6م والذي يقدم لنا وبصفته شاهدا على العصر، وصفا للعبادات الماورية Mauros الوثنية. فإن " Maurusia يذرفون الدموع لأجل Sinifre ، ويدعون باسمه، كما ويصرخون باسم Ferum Mastiman المتوحش. كما كانوا يدعون باسم: قورزيل قورزيل Gurzil Gurzil حيث يتردد صدها ما بين الصخور والجبال. ( Corippi, 1820, P 74) غير أن هؤلاء أن هذه الأسماء المؤهّمة/المعبودة بالعصر الوسيط، كانت أربابا لقبائل شتى من شعوب البربر في سائر شمال أفريقيا؛ من دواخل ليبيا وعمق ولاية إفريقية ومن نوميديا والأوراس وغيرها ضمن برنامج معقد من الخرافات والأساطير. والملاحظ من وراء ذلك أن العبادة لم تكن موحدة بين قبائل البربر. ففي ليبيا كانت القبائل البربرية وفي خيال جامع تعبد Gurzil قورزيل؛ و Corniger أمون ذو القرنين، بينما عبدت قبيلة Mazax في دواخل بيزاكيوم، المعبود Igniferique والذي تم التصور بأنه يقابل مارس Martis مؤله الحرب لدى الرومان. بينما كانت بعض شعوب المور Maurorum Gentes تعبد Mastiman ، وهو الذي قابل جوبيتر كبير الآلهة عند الرومان. وكانوا يسفحون الدم لأجله، ويقدمون القرابين البشرية له. (Corippi, 1820, P 142).

كان المحليون يقومون من حين إلى آخر بتقديم ما يسلبونه كقرابين إلى معابدهم الوثنية، وذلك بعد إحراق الكنائس، نفس الصورة نعثر عليها عند تفحص شهادات Synésios De Cyréne حيث سجل

في بداية القرن 5م؛ حادثة حرق البربر للكنائس في مدن بينطابوليس بشرقي ليبيا، والتي أصبحت في خراب، آخذين منها الأدوات الثمينة ليقدموها بمثابة قرابين لألهتهم (عبيش، 2007، ص 148).

غير أن المؤكد أن المور في ليبيا، قد قدموا الحيوانات كقرابين لكسب ود آلهتهم. وكان أمون Ammon هو واحد من أهم الآلهة الوثنية التي عبدها المور/البربر في ليبيا قبل الإسلام. فخلال حرب Carcasan Dux رئيس قبائل سرت كما دعاه شعبه Nasamons توجه الأخير إلى إقليم Marmarica الواقع بشرقي ليبيا، وقصد كركاسان معبد Corniger Ammon والذي يقدهه الليبيون الشرقيون، فطلب Carcasan Ductor العون من Ammon في صراعه ضد الليبيين والبيزنطيين في المدن البحرية ( Corippi, 1820, P 94 ) في ختام ذلك النهار، خرج الكهنة الوثنيون من معبدهم ليطلعوا كركاسان على أن معبودهم Ammonis قد صرّح في نهاية المطاف؛ بأن Carcasan Dux سيكسب الحرب!. ( Corippi, 1820, P 131 ) ويفيدنا هذا النص بعبادة المور في ليبيا لكل من أمون ذو القرنين Corniger Ammon وهو مؤلّه عبده القبائل الشرقية في شرقي ليبيا وبمنطقة الواحات في صحراء سيوة. إلى جانب التضرع أيضا لصالح Jupiter وهو كبير الآلهة أو ملك الآلهة الرومانية. عبد البربر في الواقع آلهة مجتمعات أخرى، ففي مدينة Augilae عبد الأهالي حتى القرن 6 للميلاد؛ ضريحا مقام باسم Alexander The Great (Procopius,1971, P 371)

المعبود الليبي Ammonis والذي كان معبود القبائل الليبية الشرقية، ثمة اعتقاد بأن عبادته كانت تجري داخل إطار عبادة الشمس (نامو، 2018، ص 340) وقد كان معبده الرئيسي مقاما في سيوة الواقعة اليوم في الصحراء الغربية لمصر على بعد 50 كلم من الحدود الليبية. وظلت عبادته منتشرة بين البربر الشرقيين والأفارقة الصحراويين، خصوصا وأن عبادته كانت منتشرة منذ العصور القديمة بين القبائل البدوية الليبية الشرقية التي تجوب الصحاري الواقعة ما بين ليبيا ومصر. كما كان سكان مدينة Augilae

يعبدونه أيضا. وقد استمرت عبادته حتى مجيء الإسلام. وقد لاحظ Procopius Caesarensis سنة 533م أن البربر من سكان منطقة الواحات الليبية بجبالو وأوجيلة، يعبدون الآلهة الوثنية: أمون ونصب ذو القرنين، ويقدمون القرابين لكليهما. (Procopius, 1971, P 371)

وعلاوة على ظاهرة تقديس المعبود Ammoni. عادت قبائل ليبيا أيضا المؤله البربري Gurzil Ghurzil Gurzilque. ويخبرنا اللواء البيزنطي Merobaudes وشاعر القرن 5م، بأن: قرزل هو إله الشعوب البربرية Gurzil Numinis Barbararum Gentium (Merobaudes, 1736, P 230) وإذا كانت القبائل الليبية الوثنية تعبد المؤله Ammon فإن هذا الأخير كان بحسب الميثولوجيا Maurusia المحلية؛ هو أبا للمعبود الثور Gurzilque أو Ghurzil قورزل. فيما كانت والدته هي البقرة المتوحشة تدعى بوكولا Bucula وهذا ما يفيدنا به الشاعر الإفريقي: Flavius Corippus (Corippi, 1820, P 25)

بناء على ما سبق، في وسعنا أن نعتبر أن Gurzilque و Corniger Ammon كلاهما مثّل رمزا دينيا بربريا وثنيا، حرّك مشاعر الناس في ليبيا، وألهب حماسهم خلال الحروب Maorice-Byzantina طيلة سنوات [538-539-544-546-548م] ويقودنا هذا بدوره إلى استنطاق الجانب الفلكلوري، الذي نرصد من خلاله مكانة الثور في الديانة الماورية، وهو المخلوق الصلد، والذي تبرز أهميته في ذهنية البدو المحليين خلال القرن 6 وقبل قرن من مجيء الإسلام. ففي أبيات الشاعر الإفريقي فلافيوس كوريبوس؛ وخلال وصفه لأحدى المعارك العديدة ما بين البيزنطيين وحلفائهم الليبيين/الأفارق من سكان المدن الساحلية، وبين القبائل المورية أو البربرية: فإن محاربي بلاد Syrtica قاموا بإخراج ثور هائج من بين صفوفهم ليرمز إلى قوة معبودهم Gurzil فبث الأخير الدعر بين صفوف الخصم، بينما هم يرددون: Gurzil Gurzil (Corippi, 1820, P 74)

في سياق متصل، اقترح الباحث البريطاني Mattingly من خلال دراساته بموقع مدينة Ghirza أن تكون هي الأخرى - إلى جانب جالو وأوجلة اللتين أشرت إليهما - عاصمة دينية لهذا المعبود Gurzil فابتداء من القرن 4م، ثمة افتراض بأن بعض القبائل البدوية القريبة في منطقة ما قبل الصحراء، قد شاركت سكان قرزة من المجتمع الزراعي الروماني - الليبي، بعض الأنشطة المتعلقة بالشراء وغيرها في سوق المدينة، ومن المحتمل أن قبائل الحدود قد قدموا قرابينهم في هذا المكان، حيث يوجد بأحد أضرحة قرزة ما يمثل تقديم القرابين الحيوانية، بحيث تشمل التضحية فيها ما لا يقل عن 51 ثورا. ( Mattingly, 2005, P )

(341)

علاوة على ذلك؛ ظلت ظاهرة تقديم الطقوس الحيوانية، مستمرة بين قبائل المور في أماكن مختلفة خلال القرن 6م. ونجد أن Flavius Cresconius Corippus وبصفته شاهدا على العصر، يشير شخصيا إلى أن المور/البربر، يسوقون الماشية إلى مذابح الآلهة الوثنية، وفي حضور الكاهنة البربرية، والتي تثير الشعوذة والتنجيم الخرافي، ملء الفراغ الناجم في صدر الإنسان المحلي، وقد نقل لنا فلافيوس صورة عن المشهد، حيث: " سُفكت الدماء على مذابح الرعب لأجل البحث عن نبوءات تطابق رؤية Guenfeia والد الشرير Antalas وقامت الكاهنة معصوبة الرأس بذبح ماشية من كل نوع، محاولة إثارة مشيئة الأقدار، كما شرعت وفي عنف بنزع أحشاء كل الحيوانات التي ذبحتها. وطفقت تفحص الحبال الطويلة من الأمعاء، بحثا عن شيء تريده! ثم رمت بالأحشاء الأخرى في جوف النيران الأبدية .." (Corippi, 1820, P 40) بالإضافة إلى ما تقدم، يفيدنا هذا النص أيضا باعتقاد السكان المحليين في ليبيا بالرؤى والتنجيم، وتقديسهم لمرأة يسمونها الكاهنة. فيؤمنون بالتالي بما تراه من خيوط الأقدار.

لا أعلم على وجه الدقة، الظروف التي أبرزت المرأة المحلية في دور الكاهنة والزعيمة الدينية! لماذا تميزت المرأة بهذه المهمة بالذات؟ وربما يفيد هذا بتوقيع البربر لدور المرأة التي تولت مهام رئيسية في

عقائدهم الوثنية. وأجد أن كوريبوس يمدنا في هذا الصدد، بأن نهاية حدود Marmaridum وهي بشرفي ليبيا، قد عرفت وجود كاهنة ماورية من ليبيا أيضا، وكان Carcasan Dux ملك قبائل Syrtica قد ذهب لطلب نبوءتها؛ ف: "صعدت الكاهنة حول المذبح، وأخذت تصرخ وتدور طلبا للنبوءة! كان بريق عينها يقدح شرا ... لقد أخذت تجمع النيران، ثم نظرت إلى القمر لتتحسس الأقدار. " ( Corippi, 1820, P )

(95)

وردا على نبوءة الكاهنة البدوية في منطقة مارماريدي؛ يقول كوريبوس وهو شاهد عيان، بأن الآهة الوثنية وعلى رأسها أمون المزيف/المحتال، تخدع العقول التعيسة لأولئك الناس المضللين. إن Massylas شعب مخدوع. وأن Carcasan طويل القامة، دخل قرطاجة فعلا، ولكن ليس إلى قلعتها الشاخمة! بل كجثة هامدة! بعد هزيمته على يد يوحنا العظيم، وبعد أن قُطعت رقبته، وعُلقت على رمح شاهده جميع الأفارقة! (Corippi, 1820, P 95)

في سياق آخر، قدست القبائل المحلية الثور Gurzilque في هيئة هيكل خشبي، وأفترض بأنه كان له رأس ثور. وفي هذا الجو الثيوقراطي الغامض والمثير؛ هدد القائد الأعلى للجيش الروماني/البيزنطي: Iohannes نظيره الزعيم الموري Antalas بتحطيمه لهذا الهيكل! في حال رفضه العفو العام والسلام وتبادل الأسرى، ولتصفية جميع الحسابات تم التصريح بهذه التهديدات: " سوف نقتحم خنادقكم وتحصيناتكم .. ولسوف نشق إلى نصفين تمثال قورزل الخشبي الذي تقول رواياتكم بأنه يحمي جيشكم ويجلب الحظ لكم! ولسوف نحطم هيكله الخشبي ونلقي به طعاما للنيران.. " (Corippi, 1820, P 34)

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن، متى تخلت قبائل التحالف الموري/البربري: عشائر Marmaridas Gentes وقبائل لانغواتانس Languantensis عن معبودهم Ghurzil الذي يرد ذكره حتى القرن 6 للميلاد؟! من الواضح أن المصادر المحلية الأباضية لم تكن لديها فكرة محددة في هذا الشأن! ولم تتطرق إلى

هذه المسائل أصلاً، سيما وأن Ghurzil لم يرد ذكره خلال القرن السابع مطلع الفتح الإسلامي، مما يحملني على الاعتقاد بأن القبائل المحلية في ليبيا، كانت قد تخلت نسبياً عن عبادة مؤهلها Gurzilque ، بعد هزائمها الكبرى أمام البيزنطيين، تلك الهزائم التي انتهت بملاحقتهم وتصفيتهم في المنطقة ضمن عمليات أشبه بالإبادة العرقية، أو كما صرح الناقد الإفريقي كوريبوس، عقب هزيمة الملك البربري إيرنا Ierna ، ملك المارمايدوم/المارماريدي Marmaridum rex في شرقي ليبيا، بالقول: " هرب Ierna ، راکضاً إلى البرية بعد أن خارت قواه وفقد هو وأتباعه كل شيء!. حتى نساءهم وأطفالهم! وهرب يجر معه مجسم Gurzil آملاً في أن يضيفي عليه القليل من الحماية! (Corippi, 1820, P 88)

#### 2.4. اليهودية

لست بصدد التذكير بأن ليبيا قد عرفت الوجود اليهودي منذ ما قبل الميلاد، خصوصاً بمنطقة إقليم Kyrinaiki كورينائي، والتي شهدت ثورة اليهود ضد الحكم الروماني. غير أن هذا الوجود لم يتواصل/أي تقطع، وبالتالي فإن البلاد كانت قد عرفت محطات استقرار يهودية مختلفة، بعهود وحقب متعددة. تعد برقه وعلى طول القارة الأفريقية هي الرقعة الأقدم لتاريخ اليهود العبرانيين النازحين من فلسطين، والذين يعود وجودهم وكما يفيد المؤرخ سلوشز: " إلى حوالي عام 320 ق.م، عندما قام بطليموس سوتير بتأسيس مستعمرات عسكرية يهودية في ساحل مصر وليبيا، وبالقلاع التي أريد لها القيام بدور الحماية من الغزوات اليونانية، وهذا أول تاريخ معروف/ثابت لدخول اليهود إلى ليبيا " (سلوشز، 2015، ص 170) وهكذا وطدت أولى الجماعات اليهودية الشرقية أقدامها على أرض ليبيا.

فيما يرى Francisco Curro بأن وجود اليهود ببرقه بدأ واضحاً منذ الهجرات التي قضت بترحيل اليهود السوريين بعد سقوط بيت المقدس في يد الرومان عام 70م (كورو، 1984، ص 18) وعام 70 للميلاد، هو في الواقع العام الذي تحدث فيه المؤرخ اليهودي يوسيفوس عن " دخول الروم إلى قدس

الأقداس ذي الجلال والإكرام، وإحراقهم إياه بالنار " (يوسيفيوس، 1876، ص 304) نزل جزء كبير من هؤلاء مدن بنطابوليس الإغريقية في شرقي ليبيا، وسنستقي معلومتنا من المؤرخ اليهودي ناحوم سلوشز؛ والذي يشير بالقول: " كان اليهود يكونون جزءا كبيرا من سكان المدن اليونانية " (سلوشز، 2015، ص 63) يدل على ذلك ثورتهم الواسعة التي اشتعلت في عصر الرومان، ف" هؤلاء اليهود قاوموا المذابح الرومانية لسنوات 74 - 115 - 118 ميلادية، غير أن تضائل قيمتهم على مسرح الأحداث في النهاية، راجع إلى حملات الإبادة التي قامت في أعوام 115 - 116م. " (سلوشز، 2015، ص 80) و لا تزال احدى النقائش الرومانية تؤكد حادثة التمرد اليهودي ضد الحكم الروماني في إقليم قورينا ( De Felici, N.D, P 116) بينما انساحت المجموعات الباقية الأخرى من اليهود نحو الدواخل، خصوصا بجبل نفوسه، حيث كانوا قد عبروا إلى النقطة التي لا رجوع منها، وواصلوا حياتهم في عزلة عن الساحل والداخل. إن بقايا الجماعات الناجية من اليهود، تضطر إلى أن تسحب نفسها بعيالها وأطفالها، وتعود إلى عزلتها في السرايب والدواميس، آملة أن تتركها روما وشأنها. لكن هذا لا يكفي، ولا يغير شيئا من أبعاد الواقع. فبعد نحو أربعة قرون إضافية، وصلت قوات بيزنطة إلى ليبيا خلال سنة 533م، وعمد الجنرال البيزنطي بيلزاريوس، إلى تدمير معابدهم في برقه قبل غيرها، مع إجبار كثيرا منهم على اعتناق المسيحية. فسكان مدينة Borcium بوريكيوم، وهي البريقة اليوم؛ قد لاقوا المصير المطروق، وذلك بناء على ما نجده لدى بروكوبيوس القيصاري. (Procopius,1971, P 371) وهذا يؤكد وجود اليهودية في ليبيا وشرقيها تحديدا إلى غاية القرن 6 للميلاد، ويؤكد أيضا قيام البيزنطيون وخلال حملاتهم التبشيرية في جبهة هائلة على طول ليبيا، بتحويل عقائد من خضع لهم من السكان إلى الديانة المسيحية ووفق العقيدة الأرثوذكسية.

أما في القسم الغربي من البلد، فتظهر منطقة الجبل الغربي بمثابة ملاذ مناسب لأولئك المتعبدين في صمت!. ويشير الباحث اليهودي Renzo De Felici إلى أن منطقة Tigrinna تغرنة بالجبل في غريان؛

باعتبارها منطقة قديمة للاستيطان اليهودي منذ ما قبل الحكم العربي (De Felici, N.D, P 116) وبحسب الحاخام هاكوهين؛ فإن الوجود اليهودي في منطقة جبل نفوسة هو قديم (هاكوهين، 2014، ص 35) ويرى المؤرخ اليهودي سلوشز - واستنادا إلى نصوص إغريقية - بأن هذا الوجود يعود إلى هجرات سورية مشرقية، وأن هؤلاء قد سكنوا الدواميس. (سلوشز، 2015، ص 97) وتدرجيا تحولت بعض قبائل البربر إلى اليهودية (De Lange, N.D, P 411) وقد لجأ اليهود إلى الصحور والجبال بين قبائل البربر، ثم استأنفوا الدعاية بحيث عندما وصل العرب Arabes وجدوا بأن من بين البربر جماعات يهودية خاصة في القطر الطرابلسي. (Slouschz, 1909, P 4)

لكن ومع ذلك، استمرت بعض الفئات اليهودية في ممارسة عقيدتها حتى بعد الإسلام. ولا يبدو أن هذا الاستمرار قد كان مجرد مغامرة من وحي الظروف العابرة. ففي شرقي سرت كان ثمة مراكز سكنية معروفة لليهود، وتحمل الاسم ذاته. فضلا عن بعض مدن وأماكن الجبل الأخضر. يخبرنا الكاتب البغدادي قدامة بن جعفر، خلال القرن 4 الهجري/10 الميلادي، بوجود مركزين شهيرين باسم: " اليهوديتان، وهما قرنتان على شاطئ البحر " (ابن جعفر، 1981، ص 123) ويفيد ابن جعفر أيضا؛ بأن اليهوديتان تقع قبل سرت شرقا، ثم تأتي مغمداس بعد سرت في اتجاه الغرب، ثم قصور حسان، ثم تقع تاورغا ثم رغوغا وورداسه وصولا إلى طرابلس وصبره وهي صبراته. ولا ذكر للمدن الناشئة فيما بعد كمصراطه وزليطن والخمس وغريان والزواوية وغيرها. وقد ذكر أيضا الجغرافي المقدسي البشاري [ت 380هـ/990م] اليهوديتين بصفتها واحدة من حواضر ساحل سرت، وذلك خلال القرن 4 الهجري، قائلا: " إلى مغمداش مرحلة، ثم إلى سرت مرحلة، ثم إلى قصر العبادي مرحلة، ثم إلى اليهوديتين مرحلة .. " (المقدسي، د.ت، ص 122) والواقع أن مغمداس وسرت القديمة وقصور حسان وقصر أحمد الأغلي وغيرها من القرى والحصون، كانت قد تحطمت في ظروف مختلفة، لذلك لا وجود لهذه المدن/الحواضر، بيننا اليوم. وأعتقد أن ثمة يهود

بغدامس القديمة في بدايات العصر الوسيط/ أي قبل الإسلام، لأن موروث ألقاب بعض العائلات الغدامسية، يحمل أسماء: يوشع وهارون وإسحاق، وهي أسماء كان اليهود يسمونها. وكان إسماعيل أبو درار الغدامسي، واحد من أوائل العلماء المسلمين في بلادنا، من أهل القرن 2 هجري، ويخبرني أحد المثقفين الغدامسيين، في سياق لقب العالم إسماعيل أبو درار، بأن أدارا: اسم عبري قديم في غدامس ويعني النبيلة، وهو واحد من الأسماء التي تمنح صاحبها مزيد من الرقي والعلو. وقد ذكر الشيخ الوارجلاني [450-500هـ/1058-1106م] إسماعيل بن درار الغدامسي؛ باسم: إسماعيل بن درار الفدامي (الوارجلاني، 1982م، ص 54).

بينما يشير الجغرافي الشريف الإدريسي [ت 559هـ/1166م] خلال القرن السادس للهجرة؛ إلى وجود اليهود بنسبة عالية في أجدابية، (الإدريسي، 1989، ص 311) كتب الإدريسي في وقت عاصر فيه عقودا من غزوات العربان وخراهم ببرقة وأطرابلس، وقد أشار إلى ذلك مسميا هؤلاء بالعرب المفسدة. الأمر ذاته مماثل تقريبا في درنة، حيث يقول الجغرافي ابن سعيد المغربي [ت 685هـ/1286م]: " درنة .. وهي من مدن بركة المذكورة فخرها العرب، وهي الآن محسوبة من قصور العرب التي يأوي إليها اليهود ووكلائهم " (ابن سعيد، 1970، ص 147) ويقصد بالعرب هم بنو سليم. وكذلك في طلميثة يذكر ابن سعيد استمرار وجود اليهود بالمدينة، ممن أصبحوا يعيشون بها في وضع صامت وحافل بالتوتر تحت سيادة بني سليم، (ابن سعيد، 1970، ص 146) ويحدثنا ابن خلدون عن وجود اليهود في إقليم بركة، وأنهم قد باتوا مع من نجي وبقى من البربر؛ خدما لبني سليم (سميو، د.ت، ص 427).

وبحسب المؤرخ اليهودي ناحوم سلوشز، فإن الكاهنة البربرية ورغم وجود اللفظ الكنهوتي في اللغة الفينيقية إلا أنها تعني في العبرية « Fille De Cohen » أي: " ابنة كوهين " وبالتالي فإن الكاهنة حسب رأيه هي ابنة كوهين. (Slouschz, 1909, P 29) لقد شكلت الكاهنة، تلك الزعيمة الدينية والعسكرية

للبربر، في ظل رئاستها لقبيلة جراوة البربرية موضوع جدل كبير، حول إمكانية انتمائها لليهودية، وإذا كانت المصادر العربية تبرز الكاهنة أثناء صراعها مع حسان بن النعمان، وهي تحمل تماثلاً ضخماً من الخشب على ظهر أحد الجمال، فإن هذه الإشارة من شأنها أن تبرز استمرار الطقوس الوثنية جنباً إلى جنب مع الديانة المسيحية. وهي نفس الطقوس التي مارسها الأمير Ierna ؛ عندما كان يحمل تماثال المعبد Gurzil على ظهر جمل إلى أرض المعركة (عبيش، 2007، ص 150).

وبالمثل، استمر وجود اليهود في بلاد فزان، حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حيث تذكر الروايات التاريخية أن أحد أحبار اليهود كان يجالس ملك زويلة ابن الخطاب ( للمزيد عن دولة بنو الخطاب منذ التأسيس حتى الزوال: قائد، 2020، ص 91) في مجلسه وفي فترة وجودهم سافروا للتجارة و جلبوا بضائع على رأسها الخدم والسيوف (عبد القادر، 2013، ص 78).

يبق أن أشير إلى استمرار المكون اليهودي بالتواجد في بعض البلدات كجادو وغيرها خلال العصور الوسطى الإسلامية، والتي وصفها الجغرافي الأناضولي ياقوت الحموي في القرن 13م، بالقول: " جادوا: مدينة كبيرة في جبل نفوسة من ناحية إفريقية، لها أسواق، وبها يهود كثيرة " (الرومي، 1977، ص 92) ولا يبدو أن ثمة حركات نزوح داخلية أو هجرات خارجية وافدة، قد حصلت بالفترة نفسها، باستثناء حالات الاضطهاد التي حصلت خلال عهد الموحدين (1160-1227م) القادمين لحكم بلد طرابلس من المغرب، حيث يؤكد شارل جوليان؛ بأن الموحدين في عهد عبد المؤمن بن عليّ، قد أجبروا الكتائبين ومن بينهم النصارى على قبول خيارين: إما الإسلام أو الموت (جوليان، 1983، ص 386).

### 3.4. المسيحية

لا يبدو واضحا لديّ، وهو ما لا أجد له ذكرا في المصادر التي بين يديّ؛ الطريق الذي وصلت من خلاله المسيحية إلى ليبيا! فحتى الدراسات التي عنيت بتاريخ المسيحية في شمال أفريقيا ظلت تتضارب في معلومتها، وهي بالنهاية آراء واقتراحات لا دعائم مصدرية لها. عليه؛ وفي ظل عدم وجود إفادات مصدرية؛ فإني أفترض بأن المسيحية قد وصلت ليبيا إلى المدن الساحلية العتيقة أولا. وهذا واضح من خلال وجود الأدلة المسيحية المبكرة في اثار مقاطعة Tripolitania و Pentapolis. بينما ظل الريفيون والرحّل في الدواخل وثيون حتى تم إجبار بعضهم على اعتناق المسيحية في عهد الإمبراطور البيزنطي يوستينيانوس Iustinianus [527-565م] ومن بينهم الأواجلة الذين تم تحويل معبدهم الوثني الأموني، إلى كنيسة باسم أم المسيح. هذا إلى جانب تنصير بعض بطون نفوسه في الجبل وصولا إلى غدامس، والتي تشير المصادر البيزنطية إلى أن أهلها كانوا قد اعتنقوا المسيحية خلال الفترة البيزنطية (Procopius, 1971, P 373) كما تفيدنا المصادر الإسلامية بأن هؤلاء وعلى رأسهم نفوسه كانوا حتى عشية الفتح الإسلامي نصارى. (ابن عذارى، 1828، ص 2).

أما الطريق الذي وصلت منه المسيحية إلى ليبيا، فكان في تقديري عبر منفذين: الأول من مصر وعبر كنيسة الإسكندرية المعدة احدى البطريركيات الكبرى في العالم المسيحي، وكان المؤرخ الكنسي الأنطاكي؛ Theodoret Θεοδώρητος أو عطية الله 363-466م وهو أسقف كيروس بأعالي الفرات، قد أورد في آخر كتابه أوضاع البطريركيات الخمس الكبرى في العالم وقتذاك. (Of Cyrus, 2006, P 117) أما المنفذ/المسار الثاني، فقد مر في تقديري عبر الحاضرة قرطاج ومن خلال كنيستها الإفريقية المعتبرة أيضا واحدة من أهم كنائس العالم (ابن المقفع، د.ت، 7) في بدايات العصر الوسيط ولم تكن المسيحية قد وصلت إلى قرطاج إلا عن طريق تجار الشرق السوريين وغيرهم من فلسطين ولبنان، وعلى نفس الطرق

القديمة التي سار من خلالها التجار في زمن الفينيقيين. مع ملاحظة أنه في زمن Saint Augustine ثمة نظريتان تتعلقان بنشأة الكنيسة الإفريقية، والتي كانت حاضرة في إفريقيا وإيطاليا: إما أن الكنيسة القرطاجية قد أسسها المبشرون القادمون من كنيسة روما، وإما أنها تأسست بعد إحضار الإنجيل على يد بعض القادمين من مختلف الأراضي الشرقية. (Beaver, 1936, P 168)

بحسب ما ألاحظ من خطابات Zachariah Of Mitylene فإن منطقة Pentapolis كانت أكثر اتصالاً بالشرق الروماني/البيزنطي والمسيحي من بقية مناطق ليبيا (Zachariah, 1899, P 118) وأعتقد بأنهم قد سبقوا سكان Tripolitania في اعتناق المسيحية. فلا ننسى بأن القديس مرقس ٥٦٦م أحد كتّاب الإنجيل، هو من مواطني إقليم قورينا. وأفترض بأنه قد أسس أول كنيسة بالمدن الخمس الليبية، قبل تأسيسه لكنيسة الإسكندرية المصرية، وأنه أقام في البلد طيلة سنوات 40-61م. وفي السياق نفسه أجد بأن من أول المسيحيين القورينيين: سمعان القوريني Simon Of Cyrene وهو من مدينة Kyrinaiki ، وبالتالي فإن قورينا هي مركز المسيحية الباكرة في شمال أفريقيا. ويعتقد دانيال، أن عدد معتنقي المسيحية من عموم الأفارقة في بدايات القرن الأول للميلاد، قد بلغوا نحو 3000 مسيحي (دانيال، 2018، ص 33) بينما يعتقد آخرون بأن القديس لوقا Luke هو أول أسقف ببرقه بناء على ذكره في أعمال الرسل، فالسكان تحولوا إلى المسيحية منذ انتشار المسيحية بليبيا خلال نهاية القرن الميلادي الأول، ولم يأتي عام 100 م حتى كانت المسيحية قد انتشرت فعلا في ساحل شمال إفريقية (Bates, 1914, P 234) إلى جانب ما سبق، هناك من يرى بأن الديانة المسيحية قد بدأت ومع منتصف القرن الثاني للميلاد؛ بالانتشار في إقليم Cyrenaica وتركزها بأهم المناطق الحضرية، كمدينة قورينا ومدينة برقة، ثم انتقلت إلى سرتا وقرطاج. (غريدة، 2020، ص 189).

ذاك العصر هو عصر الاضطهاد الرومانية لعامة المسيحيين، وكان مؤرخ القرن 5م، المؤرخ اللاهوتي بولوس أوريوس Paulus Orosius الذي وُلد بالقرن الرابع في مدينة براغا Braga شمالي البرتغال، وتوفي بعد 418م، قد كتب لنا عن تلك الفظائع التي مارسها الأباطرة الوثنيون ضد المسيحيين. (عبدالله، 2015، ص 268) ففي ليبيا على نحو خاص، تواصل الاضطهاد في عهد الإمبراطور Lucius Septimius Severus والذي أصدر مرسوما سنة 202م، يمنع بموجبه التبشير بالديانة المسيحية، أو الدعوة إلى الديانة اليهودية، في جميع الأماكن التي تسيطر عليها الإمبراطورية الرومانية، فحكم الدولة بقوة شديدة في الواقع. (Orosius,1981, P 311). ويضيف Paulus Orosius بقوله: " أبتلي المسيحيون في عهد Severus بالاضطهاد العنيف وهو الاضطهاد الخامس بعد اضطهاد Nero وتلقى عدد كبير من القديسين تاج الشهادة في جميع أنحاء المحافظات المختلفة " (Orosius,1981, P 312).

بعد وفاة سيفيروس تمتع المسيحيون بفترة هدوء، مارسوا خلالها شعائهم دون تستر لبعض الوقت، وعقدت عدة مجامع كنسية لهم، أولها في عهد خليفته، وهو ابنه الإمبراطور Marcus Caracalla سنة 215م، واستمر الوضع على ما كان عليه طيلة فترة حكم Caracalla 198 – 209م (جرار، 2016، ص 40) لكن الوضع تغير، عندما أعتلى الحكم Maximinus Thrax خلال سنوات 235 – 238م. (Orosius,1981, P 314).

والظاهر أن الهدوء قد ساد فترات من حكم الأباطرة التاليين: Gordian I 238م. و Gordian II 238م. و Gordian III 238-244م. و Julius Philippus 244-249م. حيث تبدل الوضع بعد ذلك منذ اعتلاء Decius 249-251م، و Valerianus 253-260م، العرش، والذين ألحقا بالمسيحيين أبشع أنواع الاضطهاد الديني، فكانت له نتائج وخيمة على المسيحية، ارتد على إثرها عددا كبيرا من النصارى.

ومع وصول الإمبراطور Gaius Aurelius Valerius Diocletianus إلى السلطة 284-305م وقيامه مع إجراءات إدارية أخرى (يوسف، 2005، ص 9) بفرض عبادة الإمبراطور من جديد؛ وعلى الجند بوجه خاص، قد أدت إلى حدوث عمليات عصيان وتمرد، نتج عنه الفرار من الجندية، ورفض العسكرية. ومع ذلك، أصدر هذا الإمبراطور أربعة مراسيم خلال سنتي 303-304م (عبد الحميد، 1997، ص 11) حرم بموجبها اعتناق الديانة المسيحية، وأمر من خلالها بهدم الكنائس، ومنع الاجتماعات الدينية، وهو من كان وراء الاضطهادات الكبرى التي عرفها أول التاريخ الوسيط وقد وصفه بولوس أورسيوس Paulus Orosius بـ "الاضطهاد الأطول مدة تقريبا، والأكثر قسوة من بين جميع ما سبق من حملات عنف دينية، لأنه استمر ودون توقف لمدة عشر سنوات كاملة! مع حرق للكنائس، وحظر للأبرياء، وذبح للشهداء." (Orosius, 1981, P 322)

ثم ظهر Gaius Galerius Valerius Maximianus كمتعصب وثني جديد، وأصدر في 24 فبراير 303م مرسوما خاصا باضطهاد المسيحيين. وكان ذلك هو آخر اضطهاد عرفته المسيحية في العصر الوسيط، فلقد أمر ماكسيميانوس Maximianus موظفيه بالعاصمة نيقوميديا (شنييه، 2008، ص 11) بإصدار مرسوم في 30 أبريل 311م، ينهي فيه نهائيا تلك السياسة القمعية، ودعا باسم مرسوم التسامح العام. ولم تنتهي هواجس المسيحيين فعليا، إلا على يد الإمبراطور Constantine The Great الذي أصدر في سنة 313م Edict Milano واعترف النظام الإمبراطوري من خلاله بالمسيحية كديانة رسمية. وذلك من خلال الحماية التي منحهم إياهم Constantine (Sozomenus, N.D, P 393) وأعلن Constantine كأول مسيحي بين جميع الأباطرة. والآن من عهد Constantine ، جميع الأباطرة هم مسيحيون باستثناء Julian (Orosius, 1981, P 328)

بادئ الأمر، المسيحيون في ليبيا؛ اتخذوا جميعهم من الملاجئ والمغاور والسرايب، بمثابة دور عبادة لهم، بعيدة عن أعين الوثنيين الرومان. وبعد تبني الرومان للمسيحية انتشرت في شمالي ليبيا كما يشير الإيطالي تومياتي: الكنائس والأبرشيات. (Tumiati, 1917, P 101) وخلال أواخر القرن الرابع للميلاد، يجزنا الفيلسوف الليبي/اليوناني، سينيوس القوريني، بأنه قد تكلفه هو شخصيا؛ بصفة أسقف لمدينة Ptolemaidi (سينيوس، 2016، ص 222) وهذا يدل على استقرار المسيحية بإقليم Cyrenaicus خلال بداية العصور الوسطى، حيث عمت: حضارة الكنيسة معظم أرجاء المتوسط، فانتشرت المسيحية أيضا في القرى البربرية (ترتليانوس، 2001، ص 4). وفي قرطاج الجديدة التي كانت حاضرة عظيمة حتى هزتها الفتنة الدينية بين الدوناتيين والمناويين. فظهر القديس المحلي أوغستينوس (عمران، د.ت، ص 10) ولاح في الأفق الوعي البشري، الذي تحطم مجددا مع غزو الوندال لأفريقية. (Tumiati, 1917, P 101).

الدوناتية δονατισμός Donatismós من جانبها، ظهرت خلال الفترة 411-347م وخلال خصام Augustinus مع Donatus صرح الأول بأنه كان يتلقى رسائل من الثاني (Augustinus, N.D, P 121) والثابت تاريخيا أن المذهب الدوناتى/المسيحي، كان منتشرا بين المور/البربر في الحواضر والأرياف (الربيع، د.ت، ص 284) إلا أن انتشاره في ليبيا يمكن اعتباره طفيفا، على عكس واقعه بقرطاج ونوميديا وموريطانيا. ومع ذلك يبدو أن قرية أدونات النفوسية بجبل نفوسة؛ قد التقطت اسمها من اسم دونات Donatus أو المذهب الدوناتى، وكان لافيتسكي قد انتبه إلى هذه المقاربة فضلا عن وجود بضع علامات وشواهد مادية تشير إلى تمسيح الجبلين/الجبالية في دواخل مقاطعة تريبوليتانيا (لافيتسكي، 2013، ص 57) إلى جانب ذلك يعد القديس أوغستينوس - أسقف هيبو عنابة الحالية بالجزائر - واحدا من كبار قساوسة سكان شمال أفريقيا (محاوثة وزغدود، 2018، ص 33) وكان مسيحي العقيدة كاثوليكية المذهب، بونيقي اللسان ولاتيني الكتابة. وقد وصف أوغستينوس المسيحية في أفريقيا بأنها كاثوليكية

المذهب، ويقول بأن أتباعها في تناقص؛ في ظل تزايد عدد معتنقي الدوناتية التي يصفها بالمشكلة الدوناتية

(Augustinus, N.D, P 354) Donatistarum Error

من جانب آخر، أشار Socrates Scolasticus [380 – 440م] إلى شخصية لاهوتية من ليبيا،

مشهورة في الشرق الأوسط، ويدعى صاحبها باسم: Sabellius The Libyan (Socrates, 1892, P

178) وعلى الرغم من أن سابيلوس الليبي هذا، يعد مؤسس إحدى المحاولات الأولى والأكثر منطقية

لتفسير Mystery Of The Trinity إلا أنه لا يوجد شيء معروف عنه! (Socrates, 2014, P 23)

وطبقا لما يورده المؤرخ الأسقف الأفريقي Victoris Vitensis ثمة فإن عدد من الأساقفة الأفارقة أو

الليبيين من سكان المدن البحرية، من مقاطعة tripolitanos وهم اثنين من الكهنة بصفة نائبين من

Tripolitanos وهما: Sabratenum Vicis و Cresconium من Oeen " (De Vita, 2006, P 12)

وقد عرفت مدينة Ptolimais طلميثة الحالية؛ هي الأخرى مجموعة قساوسة مسيحيين (باشو،

1999، ص 152) ووُجدت في الأصابعة قرب غريان، كنيسة مثلثة الطراز من البازيليك، وتوجد شواهد

غيرها في منطقة Tripolim تدل على انتشار المسيحية بين السكان (دو ماثيزيو، 2002، ص 79) إلى

جانب ذلك، وُجدت كنيسة الخضراء شرقي ترهونة في الريف التابع للبلدة الكبرى وقتذاك، فضلا عن

كنائس لبلدة وصبراتة وبرقه (كينريك، 2015، ص 32) كما وُجدت بمدينة درنة القديمة إبريشية (باشو،

1999، ص 143) وهي أيضا مؤسسة دينية مسيحية، كان لها رعاياها من سكانها المسيحيين في عصر

المسيحية قبل الإسلام. وقد عُثر أيضا داخل المدن اليونانية بشرقي ليبيا، على مغارات كنسية، ومدافن

مسيحية بيزنطية، وصور قديسين. وكما يؤكد Salaminus Hermias Sozomen [380-446م] فثمة

عدد مشهور من الطلاب القادمين من ليبيا (Sozomen, 1999, P 54) ويضيف نفس المعلومة تقريبا،

Socrates Scolasticus [380-440] مشيراً إلى انتشار المسيحية في ليبيا، واعتناقها من قبل الليبيين،

حيث كان يتوافد عددا منهم إلى كنائس الشرق الكبرى (Socrates, 1892, P 17)

وبحسب الأسقف الأفريقي دي فيتا De Vita فإن أعضاء الأسقفية الطرابلسية، أو Episcopomm

Tripolitanae (Vitensis, 1881, P 133) والتي تضم المدن الكبرى الثلاث، هم:

Callippides Lepti-Magiieisis

Leo Sabratenbis

Faustinus Girbitanus

Cresconius Oensis

Seruilius Tacapitanus

ويطلعنا Victor De Vita والذي كان من أهل القرن 5م، على وجود عدد من القساوسة

والمسيحيين الأريوسيين في ليبيا، فيخبرنا عن رجل دين ليبي أريوسي، بدرجة أسقف، اسمه Antonius،

وينحدر من بلدة صحراوية تقع قرب حدود مقاطعة Tripolitania (De Vita, 2006, P 81) ويُستعمل

لفظ Arrianam أحيانا بصفة مذهب، ولفظ Arriana أرياني للفرد، وهذا ما يمكن إيجاده عند الإشبيلي

مؤرخ القرن 5م (Isidore, 1995, P 735) وبصيغة مشابهة نجدها عند البطريك Nicephorus

(Marjanović, 2018, P 9) على النحو التالي: Arianis (Nicephoro, 1557, P 20) والأريوسية هي

مذهب مسيحي ظهر في القرن 4 الميلادي، على يد كاهن ليبي الولادة والمنشأ، اسمه Arius Ἀρειος

Áreios [256-336م]. (Morgan, 2007, P 24). وُلد بمدينة Kyrēnē وقيل أنه عاش خلال الفترة

[260-336م] (Ermatinger, 2004, P 77) وكان والده يدعى Ammonius وقد عمل آريوس بصفة

قسيس بكنيسة الإسكندرية عام 313م (Morgan, 2007, P 24)

وفي هذا الصدد يمكن القول بأن Arius هو مؤسس « مذهب Arnianism » في الديانة المسيحية.

وهو المذهب التوحيدي - يمكن القول - والذي يرفض فكرة ولادة المسيح، والفكرة الشركية التي تقول

بأنه: ابناً لله عز وجل، سبحانه وتعالى عما يصفون، وهو مذهب قائم على اعتبار الرسول وأمه: عيسى ابن مريم - عليهما السلام - والروح القدس - جبريل عليه السلام - مخلوقان غير مساويان لله في شيء، لا في الجوهر ولا في الأزلية. أي أن المسيح هو مخلوق بكن فيكون، وبقدرة الله عز وجل، وليس مولود من والد/أب رباني؛ كما يصر على ذلك بقية المسيحيين. إلا أن الأسقف Synod كان قد رؤساء الكنائس المصرية والليبية التي ترأسها أريوس سابقاً، وأعلن أمامهم حرمان أريوس وأنصاره، وتجريم آرائهم اللاهوتية. (Odahl, 2005, P 168) حدث ذلك خلال سنة 318م غير أن أريوس طلب مساعدة الأسقف Eusebius Of Nicomedia ورجل الدين والمؤرخ الفلسطيني: Eusébios Tés Kaisareías [263-339] صاحب كتاب التاريخ الكنسي *Εκκλησιαστική Ιστορία*. (Pohlsander, 2004, P 49) والذي أصبح اسقف قيصرية/قيسارية بفلسطين في العام 314م. وكان صديقاً للأسقف الليبي أريوس. فانتقل أريوس أولاً إلى قيصرية، ثم وجد ملجأً له في مدينة نيقوميديا (Pohlsander, 2004, P 49) وخلال العام 381م، وبعد انعقاد The Second Ecumenical Council تم إعلان المذهب الأرثوذكسي بمثابة العقيدة الرسمية للدولة الرومانية الشرقية/البيزنطية. (Peppas, N.D, P 2)

قضى الأرثوذكس البيزنطيون على الأريوسية بالشرق الأوسط منذ حوالي 381م وقد تعرض قساوستها للنفي والحرمان، وأحرقت جميع مؤلفاتهم على حدٍ بحثي، لذا من يرغب في الاطلاع على ما تبقى من أفلام مؤلفاتهم، يمكن مراجعة ما وثقه البطريرك البيزنطي فوتيوس Photius [891/820م] (Photius, , P 7) بطريرك العاصمة القسطنطينية، بصفته واحداً من المؤلفين اللاهوتيين البيزنطيين. وكانت معظم أعماله ذات صبغة دينية مسيحية كمؤلف العظات (Photius, 1958, P 11) والذي قام بجمع مذكرة حول المُنظّر Philostorgius فيلوستورجيوس، والذي يعد أحد أهم منظري المذهب الأريوسي. وكان Edward Walford قد ترجم من اليونانية البيزنطية إلى الإنجليزية الحديثة، ما كان قد جمعه فوتيوس حول

خصمه Philostorgius Carterius Cappadocis (Philostorgij, N.D, P 20) كتب Philostorgius المتوفي سنة 439م كتب حول The Arian Controversy وتحت عنوان تاريخ الكنيسة، وكانت المذكورة المؤلفة الأصلية، قد ظهرت بين سنوات 425 و 433م وتم إنجازها في اثني عشر مجلدا ملزمة في كتابين. الأصلي الآن ضائع. ومع ذلك، تم العثور على نسخة واحدة وذلك في مكتبة Photius ، بالقسطنطينية والذي كتب افتراضات/قناعات فيلوستورجيوس في نسخة واحدة (Nicephoro, 1557, P 20)

أدت محاربة الأريانية من قبل البيزنطيين الأرثوذكس والإيطاليين الكاثوليك، إلى انقراضها من مناطق مختلفة بالشرق الأوسط منذ عام 381م بينما ظل عدد واضح من القبائل الجرمانية واللومباردية في ألمانيا والبلقان، يدين بالأريوسية حتى القرن الثامن الميلادي. وقبل استيلاء الشعب الفانداليكي Vandalicumque Genus الأريوسي المذهب على المنطقة الساحلية الليبية، كان عدد المسيحيين الكاثوليك كبيرا في المدن الكبرى، وهذا ما يطلعنا عليه Victoris Vitensis (De Vita, 2006, P 27)

ومن المحتمل أن Victoris Vitensis قد أنجز مؤلفه قبل سنة 487م (Kosiński, 2010, P 20)

في الواقع، قام الوندال الموحدون لله، باضطهاد المسيحيين الكاثوليك في ليبيا، منطلقين من نقطة واحدة مؤداها: إجبار من قنع منهم بالتخلي عن مزاعم ربوبية المسيح، وكما يؤكد بروكوبيوس، تم تعريض بعضهم للحرق بالنار، وقُطعت أيضا ألسنة الكثير منهم ومن الحلق! وقد وصل بعضهم إلى بيزنطة؛ ليبلغ عن المآسي التي يتعرض لها المسيحيون هناك " (Procopius, 1916, P 75) وعلى الرغم من أن بروكوبيوس قد صور نظام الملك الوندالي في شمال إفريقيا على أنه الحكم الاستبدادي (Stewart, 2012, P 119) فوصف الحرب بكونها متعمدة ضد Tyrannis Of Gelimer الذي كان مغتصبا للسلطة، ومنتهكا لسلم ترتيب خلافة العرش (Vus, 2016, P 428) وكان John The Lydian المؤرخ الأناضولي من ليديا؛ مؤرخ ق6م وهو معاصر لعهد جوستينيان، قد خصص فصلا كاملا تعرض فيه لمسألة صراع الدولة مع الوثنيين تحت

عنوان " Paganism And Politics " (Lydus, 2005, P 57) وأجد بأن بروكوبيوس لا يُناقض نفسه عندما يشير إلى أن Justinianus هو من حوّل كثير من المحليين في دواخل ليبيا من وثنيين إلى مسيحيين، مع تشييد كنيسة لهم، باسم: The Mother Of God (Procopius,1971, P 371) كما عمل على تنصير قبيلة محلية ملحدة تدعى Gadabitani غادايبيتاني، وكان موطنها في ريف لبتيس الكبرى Leptis Magna (Procopius,1971, P 377) أما سكان Ghadames غدامس، فقد اعتنقوا المسيحية طواعية (Procopius, 1537, P 140) ويشير المستشار بروكوبيوس أيضا؛ إلى عقيدة سكان مدينتان يحمل كل منهما، الاسم نفسه: Augila أو جيللا/أوجلة. حيث كانت تنتشر الوثنية في منطقة الواحات، وفق عبادة Corniger Ammon أمون ذو قرني الكبش، مع معتقدات أخرى، فقام البيزنطيون بإدخال المسيحية بدلا من هذه العقائد، فعلمهم جوستينيان عقيدة الإيمان الحقيقي، فجعل من جميع السكان مواطنين مسيحيين، أحدثوا بدورهم تحولا في عادات أجدادهم الملوثة!. علاوة على ذلك بنى لهم كنيسة أم المسيح، ليكونوا حرسا على سلامة المدن، ومسيحيين في ذات الوقت، وفق الإيمان الحقيقي. ( Procopius,1971, P 371)

تحت السلطة البيزنطية بالقرن 6 للميلاد، استعادت الكاثوليكية امتيازاتها وممتلكاتها التي ضمها Vandales منذ أواسط القرن 5م. تم ترميم الكنائس، وبناء أخرى، وجرى تأسيس الأديرة. استأنف الأساقفة نشاطات اجتماعاتهم بانتظام داخل المجالس الكنسية، وسعوا إلى إصلاح الانضباط الكنسي المتدهور. (Decret, 2019, P 3)

في سياق آخر، وعلى الرغم من أن Nikephoros بطريرك القسطنطينية (Nikephoros, 1990, P 7) هو واحدا من مؤرخي القرن التاسع الميلادي، إلا أنه وبعد مراجعتي لحوليته، لم أجد بأنه قد ذكر شيء عن ليبيا خلال الفترة التي سبقتة من القرنين 7-8م، وربما يعود السبب في تقديري إلى أن صلتها بالعالم

المسيحي كانت قد انقطعت نهائياً، وصارت بلداً إسلامية. ومع ذلك، فإن مصادر العصر الإسلامي، وأبرزها نصوص ياقوت الرومي، تشير إلى أن جزءاً من السكان المحليين عشية الفتح الإسلامي؛ كانوا على "الدين النصراني" (الرومي، 1977، ص 297) وهذا ما يفيد به الجغرافي: البكري [404-487هـ/1014-1094م] مشيراً بالقول أيضاً: "وافتح عمرو بن العاص - رحمه الله - نفوسه، وكانوا نصارى" (البكري، 2002، ص 181).

ضمن هذا السيناريو وتدرجياً؛ تضاعف وجود هؤلاء مع اعتناق كثير منهم للدين الجديد. الإسلام كان قويا في موجات اكتساحه للمعتقدات المسيحية والوثنية منها على نحو خاص. حدث أن تقلص أعداد المسيحيين قرناً بعد قرن. لكننا سنلاحظ بأنه حتى القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، لا يزال ثمة ذكر لمجتمع مسيحي صغير في برقة. وأعتقد بأنه لن يكون سوى آخر بقايا المجتمعات اليونانية - البيزنطية. إن الكاتب البغدادي: قدامة بن جعفر، المتوفي بسنة 337هـ/948م، يخبرنا عن وجود جالية من النصارى في قرية تاكنست، وهي على بعد خمسين ميلاً شرقي مدينة برقة (ابن جعفر، 1981، ص 121) وكان الجيوغرافي: اليعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] قد نوّه سلفاً بأن برنيق Bernîk وهي مدينة Şehirlerinden على ساحل البحر Ak-Deniz وبها ميناء Limanı مفاجيء ورائع حقا Şaşırtıcı في الجودة/التأهيل Nitelik والعمل الجماعي Birliktelik، ويحتوي فيه على السفن، وأهل Bernîk هم قوم من أبناء الروم القدامى Eski Rûmların ممن كانوا أهلاً لهذا المكان في الماضي البعيد Eski Zamanlarda (Ya`Kûbî, 2021, P 161) بينما يقول الجغرافي: البكري [487هـ/1094م] بأن أجدابية "أهلها ذوو يسار وثروة، وأكثرهم أقباط، وبها نبذ من صرحاء لواته" (البكري، د.ت، ص 5).

المسيحيون الذين رفضوا تبني العقيدة الجديدة خضعوا لمكانة الذمي، أي محميين، ووجدوا أنفسهم خاضعين لضريبة الجزية. على حساب هذا التفاوت، كثير منهم فضلوا الهجرة إلى صقلية أو سردينيا أو

إيطاليا، رفضوا هذا الوضع. لقد انتهت قرون الكاثوليك المهيبة، أو العظيمة (Decret, 2019, 5) غير أنه حتى مع انقراض التسلسل الهرمي الأسقفي الإفريقي، لا تزال المجتمعات المسيحية على قيد الحياة. فقد تم اكتشاف اثنتي عشرة لوحة بجنوب غربي طرابلس، وتتراوح ما بين الأعوام 945 و 1003م، نُصبت في ذكرى الموتى: Andreas و Petrus و Maria وتقدم بعض النقوش هتافات لاتينية بسيطة، هي قداس يقول كالتالي:

Lux Permua Luceat Tibi .Aeternam Det Tibi Deus

أي: " أعطاك الله راحة أبدية، وليجعل النور الأبدي مضيء لك "

وأيضاً أدعية تقول:

Orate Pro Me, Sic Habeatis Deum Protectorem in Diem Iudicii

أي: " صلوا من أجلي، لكي يكون الله حاميا لي في يوم القيامة ". (Decret, 2019, P 5)

وكان الجغرافي البكري [404-487هـ/1014-1094م] قد أشار خلال نفس الفترة تقريبا، إلى وجود جيل من المسيحيين قد ظل نشطا بطرابلس. إذ يقول البكري: " وبأطرابلس مسجد يُعرف بمسجد الشعاب .. وحوها أقباط في ذي البربر، كلامهم بالقبطية " (البكري، 2002، ص 179) كما أن الجغرافي الحميري [900هـ/1495م]، يصف لواته بأنهم أقباط، أي مسيحيين. (الحميري، 1984، ص 600) والأقباط وكما سبق وأن أشرت، هم المسيحيون في نظر المشاركة. ومن المحتمل أنهم من بعض بطون نفوسه التي كان غالبها على دين النصرانية عند الفتح. وأجد لدى البغطوري، الذي أنهى كتابه سنة [599هـ/1203م] وتوفي بعد ذلك؛ إشارات تفيد باستمرار وجود جيل من نصارى نفوسه بالجبل حتى بعد الإسلام بقرون ثلاث أو أكثر، من بين هؤلاء رجل نصراني يذكره باسم " بيزرز " (البغطوري، 2017، ص 370) كما حدثنا البغطوري أيضا عن زوجة الشيخ أبو يحيى ازدالي، والتي كانت مسيحية واعتنقت

الإسلام بعد زواجها (البغطوري، 2014، ص 152) مما يفيد باستمرار وجود عدد من نصارى نفوسه، أو أقباط في ذي البربر كما قال البكري خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين.

لكن ما يبدو غير معلوما لدى الكثيرين؛ هو توقيت اختفاء الجاليات المسيحية من طرابلس وبرقة! ويبدو أن آخر أبرز تاريخ لمهاجمة التجمعات المسيحية على السواحل المتوسطية، قد تم في زمن الدولة الفاطمية (بيرك، 2013، ص 24) وهذا ما يؤكد جان باشو أيضا، بالقول إن آخر بقايا مسيحي المنطقة عاشوا في سراديب برقه، حيث أجبروا خلال القرن التاسع الميلادي على المغادرة في عهد الفاطميين (باشو، 1999، ص 49) فيما يختلف غابرييل كامب، حول توقيت اختفاء آخر الجماعات المسيحية في المنطقة، ويحدده بأنه قد تم سنوات [1142 – 1160م] وهو زمن تولى الأمير عبد المؤمن بن يعقوب، لسدة حكم دولة الموحدين البربر في المغرب الكبير (كامب، 2005، ص 384) والذي هاجم الطوائف المسيحية في شمال أفريقيا ردا على غارات الصليبيين الإسبان على شمال الأندلس. ولا يختلف رأي جوليان كثيرا عن رأي كامب، قائلا بأن الموحدين في عهد عبد المؤمن بن عليّ، أجبروا النصارى على قبول خيارين: إما الإسلام أو الموت. (جوليان، 1983، ص 386) وعلى هذا الأساس يظهر أن الجاليات المسيحية في بلاد طرابلس، قد انقطع وجودها، ولم يحدث بالتالي أن تكونت جاليات مسيحية جديدة، إلا بعد نشوئها مجددا خلال العهد العثماني في طرابلس الغرب، حيث أصبح سكان طرابلس بحسب إحصائية عثمانية صدرت أواخر العهد العثماني الثاني، يتألفون من: مسلمون من مختلف الأعراف المسلمة، ويونان، أرمن، كاثوليك، لاتين، كلدان، فضلا عن الطائفة اليهودية. (مجموعة مؤلفين، 1970، ص 422).

#### 4.4. اعتناق الإسلام

عرف سكان المدن البحرية على نحو خاص في Tripolitanos ، وفي Pentapolis ، فكرة الإله الواحد منذ القرون الميلادية المبكرة عن طريق انتشار المسيحية بينهم، وفق الكنيسة الكاثوليكية الإفريقية. وأتصور أن اعتناق سكان الدواخل للمسيحية، قد جعل منهم أكثر وعيا بقضية الرب الواحد الخالق المدبر المتفرد، بصرف النظر عن قضايا التثليث وشرك بقية الطوائف المسيحية بوحداية الله، ومساواة المسيح والروح القدس للرب عز وجل في بعض الخصال، فإن الأهالي وفي الدواخل لم يكونوا على دراية كافية باللاتينية لكي يفهموا أصلا لاهوتية المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك وبقية الطوائف. وما هو مؤكد أن البيزنطيين بعهد Iustinianus [527-565م] نجحوا خلال القرن 6م في إتمام مشروع نشر المسيحية في دواخل بعض مدن Pentapolis ، كمدينة Augilae مثلا، وفي جبل نفوسة وصولا إلى غدامس. وقد تحدث بروكوبيوس جيدا عن جميع هذه التفاصيل، خلال وجوده بليبيا سنة 533م. (Procopius,1971, P 373) وقد ذكر بعض المؤرخين المسلمين، كأبي دينار مثلا وابن عذارى: نصرانية نفوسة عشية الفتح الإسلامي (أبي دينار، 1870، ص 37) فضلا عن علاقتهم بالمسيحيين البيزنطيين (أبو صوة، 2004، ص 88).

لم يدخل الإسلام ليبيا وسائر شمال أفريقيا - كما هو معروف - إلا مع الفتوحات الإسلامية التي سن سياستها الخلفاء الراشدون، وامتدت مع خلفاء الدولة الأموية، فقد انشغل عمرو بن العاص كثيرا، عندما فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب، بمواصلة نشر الإسلام في شمال أفريقيا (حمداوي، د.ت، ص 23) ولعله من الجيد ملاحظة أن عموم السكان في ليبيا، لم يعتنقوا الإسلام مباشرة، بل دخلوا فيه صلحا، وتحت حكم الدولة الإسلامية، بعد أن قدموا الجزية في برقه. وفي ودان، ثم ارتد أهل مملكة ودان،

وبالاستناد إلى أقوال ابن خلدون، يشير الأخير إلى هذه المسألة بالقول: " ارتد البربر عن الإسلام اثني عشر مرة. " (ابن خلدون، 2001، ص 135).

إذن قدّم اللواتيون الجزية في برقه، وهي أول مكان نزله العرب المسلمون، يتعين علينا أولاً أن نفهم أن الجزية قد فرضت على الكفار جزاء عن حمايتهم ودخولهم كأهل ذمة في ذمة المسلمين، يدفعون الجزية وهم صاغرون لأنهم لم يؤمنوا بالله الواحد الخالق المدبر. ويقول ابن القيم [691-751هـ/1292-1350م] في هذا الباب ما يلي: " أما سبب وضع الجزية فهو قوله تعالى: قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب، حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون " (ابن القيم، د.ت ، ص 2).

سأستعرض في ضوء هذا الفكر الساطع الواضح؛ الدلائل الكاملة على دخول المحليين صلحا في الإسلام، لا اعتناقاً وإيماناً أول الأمر، بل بأدائهم الجزية. والمعلومات المصدرية المستقاة من الكتب ذات العلاقة، هي مستوحاة من مؤرخي الإسلام المبكرين. فما يشير إليه الجغرافي المشرقي: أحمد بن يحيى البلاذري [279هـ/892م] يبدو واضحاً بالقول: " صالح عمرو بن العاص أهل أنطابلس ومدنتها برقة، وهي بين مصر وإفريقية، بعد أن حاصرهم وقتلهم على الجزية، على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا في جزيتهم. وكتب لهم بذلك كتاباً. " (البلاذري، 1987، ص 314) وهذا يفيد بأن سكان الناحية الشرقية من ليبيا، والتي سماها العرب والمشاركة أنطابلس كتحرير عن تسمية بينطابوليس Πεντάπολις اليونانية، قد دخلوا صلحا ومعاهدة في الإسلام، وأدوا الجزية التي بلغت بهم - وبأوامر رسمية - إلى بيع أبنائهم كعبيد وخدم إلى العرب، ويمدنا في هذا الصدد المؤرخ المصري: عبد الرحمن بن عبد الحكم [187-257هـ/803-870م] بالقول أيضاً: " فسار عمر بن العاص في الخيل حتى قدوم برقة، فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار، يؤدونها إليه جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم. " (ابن عبد

الحكم، 1964، ص 29) ويضيف الجغرافي الأندلسي: أبو عبيد الله البكري [404-487هـ/1014-1094م] عند حديثه عن منطقة بينطابوليس أو برقة، بالقول: " برقة واسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس .. وصار إليها عمرو بن العاص حتى صالح أهلها على ثلاثة عشر ألفاً، يؤدونها إلى جزية على أن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم في جزيتهم. " (البكري، 2002، ص 176).

في ودان وفزان، قام عمرو بن العاص بتسيير حملة نحو المنطقة، ف" وجه بسر بن أبي أرطأة، فصالح أهل ودان وأهل فزان " (اليقوي، 2010، ص 49) وبذلك دخل أهل ودان وفزان صلحا في الإسلام، وأدوا الجزية بصفتهم غير مسلمين.

وفجأة ومن دون أية تبريرات مفصلة، تعلن المصادر أن السكان الأهالي بسنة 22 هجرية، في المنطقة ما بين زويلة وبرقة؛ سلم كلهم، حسنة طاعتهم!. والواقع أن حسابات الرواة كانت خاطئة. فلقد حدثت موجات ارتداد ديني قام بها الأهالي في مملكتي ودان وجرمة. ويمدنا البكري بتفاصيل الواقعة التي حدثت سنة 46 هجرية/666 ميلادية، وهي التي تخص ارتداد أهالي ودان، وجاء فيها: " كان عمرو بن العاص قد بعث إلى ودان: بسر بن أرطأة، وهو محاصر أطرابلس فأفتتحها، وذلك سنة ثلاث وعشرين. ثم إنهم نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان بسر بن أرطأة فرض عليهم! فخرج عقبة بن نافع الفهري بعد معاوية بن حديج، وذلك سنة ست وأربعين، ومعه بسر بن أرطأة، وشريك بن سحيم المرادي، فأقبل حتى نزل بغدامس من سرت " (البكري، 2002، ص 186) وفي ذات السياق يورد ابن عبد الحكم، في كتابه فتوح مصر والمغرب، نصا، مليئا بالتفاصيل حول ودان وفزان وجرمة وخاوار، مفاده أن كل هذه المناطق قد دخلت صلحا - لا إيمانا - تحت لواء الإسلام، وأدت الجزية التي فرضها عليهم عقبة، ثم ارتدت، وكانت مسألة إرجاعهم إلى طاعة الدولة الإسلامية الوليدة، بعد ارتدادهم؛ قد تمت قهرا وإجبارا خلال سنة 46

هجرية، بعد أن عاود عقبة الهجوم على ممالكهم، وقرر أن يقذفهم بآخر سلاح في حوزته (ابن عبد الحكم، د.ت، ص 262).

في مقابل أهل الذمة، هناك من أسلم منذ البداية، جنبا إلى جنب مع من أدى الجزية من المعاهدين في المنطقة ما بين برقه وزويلة طبقا لما يورده البلاذري (البلاذري، د.ت، ص 225) وأهل الذمة كما يفيد الشيزري؛ هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو من له شبه كتاب، أما غيرهم من المشركين الوثنيين، فلا تُعقد لهم ذمة، ولا يُقبل منهم غير الإسلام. (الشيزري، 1981، ص 106) وإسلام بعض الأهالي مبكرا، ومنذ أول يوم وطأت فيه أقدام ابن العاص البلد، لا يبدو غريبا، خصوصا إذا ما علمنا، بأن العارفين من بربر لواتة في أنطابلس، كانوا ذهنيا يحملون معهم وصايا جدودهم الدينية، والتي تخبرهم بظهور دين توحيدى جديد، وتوصيهم باعتناقه. فالناصرى يخبرنا بأن مجلس ابن العاص في مصر، " قدم عليه ستة نفر من البربر، محلقين الرؤوس واللحى. فقال لهم عمرو: من أنتم؟ وما الذي جاء بكم؟! قالوا رغبتنا في الإسلام فجئنا له، لأن جدودنا قد أوصونا بذلك!.. " (الناصرى، 1997، ص 130) وفي واحدة من أقدم نصوص الفترة الإسلامية في بلاد طرابلس، وردت الحادثة من طرف المؤرخ ابن سلام المزاتي [ت 273هـ/886م] وأصحابه المتقدمين، ممن ذكروا بأن هؤلاء نفر هم من بني مازيغ لواتة (ابن سلام، 1985، ص 147) وعلى الرغم من أنه لا توجد شروحات حول الكيفية التي علم بها هؤلاء الجدود/الأسلاف، نبأ ظهور الدين التوحيدى الختامي مستقبلا، إلا أنه من المفترض أن أخباريات من هذا النوع، قد كانت واردة في التوراة والإنجيل، وعن طريق هذه الكتب الإسلامية، تسربت معلومات تفيد بظهور نبي عربي من نسل النبي إسماعيل. فنبوءة ميثوديوس Methodius السوري، وهي عمل مسيحي كُتبت باللغة السريانية فيما بين سنوات 685م-694م، كسفر لنهاية العالم؛ تشير إلى أنباء واضحة عن سيطرة دينية بقيادة عربية على بلدان الجزيرة والشام والعراق وفارس وغيرها، (رمضان، 2021، ص 12).

من الجيد ملاحظة أن النصارى من الأهالي قد استمرت عقيدتهم موجودة إلى بدايات العهد الإسلامي! فمن غدامس عمت المسيحية عدد من بطون نفوسة، وكان دخول معظم هؤلاء للإسلام صلحا أول الأمر، ثم اعتناقاً، قد مهد بالتالي إلى ظاهرة اندثار معظم آثار المسيحية من ليبيا، خلال الفتح الإسلامي (Holme, 1898, P 211).

أفترض أن الفتح الإسلامي كان بالأساس اعترافاً من السكان المحليين بسيادة العرب المسلمين كنتيجة من نتائج معارك النصر، وانقياد تام لدولة الخلافة العربية الإسلامية. النصف الآخر من الفرضية يدعوني إلى التفكير في أن المحليين لم يفهموا الدين الجديد تفهماً صحيحاً وكاملاً بمقاصد وشعائر الدين، بل تفهماً سطحياً. لأن فهم الإسلام وتطبيقه يحتاج إلى إلمام باللسان العربي، وكان هذا الأخير قد استلزم وقتاً ليس بالهين، خصوصاً بين عامة الناس. مرة أخرى، من المهم الوعي بمسألة لا تنتبه لها كثير من الأعمال المرجعية، وهي مسألة "حُسن الإسلام" ومسألة ممارسة الشعوب والمجتمعات لشعائر الدين الإسلامي بشكل كامل وصحيح. فلنفهم أولاً أن المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات، كان قد أخذ وقتاً ليس بالقصير في تعلم اللغة العربية، وهي المفتاح الوحيد لإتقان شعائر الدين الإسلامي الحنيف، لأن القرآن الكريم نزل بلسان العرب، وأداء الصلاة وتلاوة القرآن كان ولا زال يحتاج إلى إتقان العربية، وهي لغة جديدة/أجنبية بالنسبة إلى مجتمعات تعد أعجمية أو غير عربية. وأعتقد أن تعريب النخبة وإسلامها الإسلام الصحيح، هنا أقصد النخبة المتعلمة فقط من الفقهاء والقضاة، قد استلزم من الوقت نحو 150 سنة من بعد الفتح. أما العامة من الناس، فقد ظل إسلامهم سطحياً وشفهياً.

تماشياً مع ما سبق، أعثر في سير وإخباريات أحد أقدم مؤرخي الإسلام في ليبيا: لؤاب بن سلام التوزري المزاتي [ت 273هـ/886م] على معلومات عميقة وغارقة، تؤكد ما أقترحه وأراه حيال ظروف إسلام السكان المحليين في بلاد أطرابلس وبرقة، الإسلام الصحيح. مع التماس التوقيت الذي تعلمت فيه النخبة

منهم للسان الذي نزل به القرآن الكريم، وهو اللسان العربي. حيث يخبرنا ابن سلام والذي ينقل بدوره شهادة أبو صالح النفوسي، بتوزر قبل سنة 240 هجرية، قائلا إن " أول من علّم القرآن بجبل نفوسه: عمر بن يمكتن، بمنزل يقال له إفاطمان، ويقال أن عمر بن يمكتن، إنما تعلم القرآن من طريق مغمداس، يلتقي فيها رفاق العرب من المشرق، فيكتب عنهم لوحة من القرآن وينصرف، فإذا درس ما كتب وتعلم، رجع إلى المحجة، فيكتب من المارة الرفاق لوحة وينصرف. فأدى بذلك التعلم للعلم والقرآن. " (ابن سلام، 1985، ص 149).

وكما أجد في سير المؤرخ الفقيه النفوسي: أحمد بن سعيد الشماخي، فإن عمر بن يمكتن، كان يلتقي في مغمداس السائلة والمارة من المشرق. (ال شماخي، 1987، ص 127) فتعلم منهم كما يظهر جليا على الألواح التي ظل يحتفظ بها ويتعلم منها، ويسأل كل عابر عن كل ما يستعجمه منها وفيها من ألفاظ وحروف وعبارات. والواقع الذي أستلهمه من إخباريات المصادر، أن القرن الهجري الثاني، هو العهد الذي تعلمت فيه النخبة علوم الدين واللغة والقرآن، وانتهجت بفضلها جوانب نافعة في سياسة التعليم الأهلي. وأعني بالنخبة كل طالب علم ارتحل إلى مدارس المشرق في الكوفة والبصرة وغيرها. أو من لزم الطريق الساحلية منهم، ملتقيا خلالها بالمسافرين والرحالة والعابرين والحجاج وغيرهم، ممن يُستفاد منهم. وينفرد مؤرخنا ابن سلام المزاقي بالتوضيح أيضا: بأن عمر بن يمكتن، هو من أول علماء المسلمين في هذا البلد " وذلك لحرصه في طلب العلم والقرآن، وفي أول الإسلام قلّ المعلمون في البلدان " (ابن سلام، 1985، ص 149).

وفقا لسير الأحداث، قل المعلمون والمتعلمون خلال العقود الهجرية الأولى من تاريخ الإسلام في بلد أطرابلس وبرقة، خصوصا في ظل واقع لا توجد فيه أية مؤسسات تعليمية، بما فيها تلك المرتبطة منها بالمساجد. وحديث المؤرخ لؤاب، عن جده عمر بن تمطين، في واقعة الجند بمدينة مغمداس، يختلف عن

حديثه هنا عن الشخصية الثانية المعاصرة لجدّه، والمشابهة له في الاسم، وهي شخصية: عمر بن يمكن. والذي كان أول من تعلم من الأهلين، من دون أن يضطر لشد الرحال نحو مدارس المشرق! أنه تعلم داخل البلاد الطرابلسية. ونشاطه هذا قد حدث خلال سنة 130 هجرية، على الأقل، مع الأخذ في الاعتبار أن كلا الرجلين كانا من رجالات دولة أبي الخطاب المعافري التي قامت عام 140هـ/758م. وهو تصريح واضح من أهل ذاك الزمان بأن المتعلمون لأصول الدين والشريعة في بلادنا؛ هم قلة معدودة حتى أواسط القرن الهجري الثاني. وهذا يؤكد أيضا خلو البلاد من أية منشآت تعليمية: زوايا جوامع مساجد مدارس وخلافها. وعلى هذا الأساس كان أول المتعلمين الأهلين، ممن لم يسافر خارج البلد، قد تلقى تعليمه خلال العقود الأولى من القرن 2 هجري، على طريق مغمداس، حيث يمر العرب من المشرق إلى المغرب، وباتجاه حتى الأندلس وبالعكس.

وللوصول إلى القناعة بهذا المستوى، سنجد بأن أول نخبة من العلماء المحليين المستعربين في بلاد طرابلس وبرقة، قد ظهرت خلال أوائل وأواسط القرن 2 هجري. أي بعد قرن ونصف من الفتح الإسلامي؛ ظهر أول جيل من المسلمين الفعليين. في حين يؤكد العلامة البغطوري، الذي أنهى كتابه سنة [599هـ/1203م] وتوفي بعد ذلك، أن حملة العلم الأباضي الخمسة الأوائل في البلاد، قد تعلموا في المشرق بمدرسة البصرة بالعراق، وهؤلاء العلماء الخمس دخلوا بلادنا بعضهم من المشرق وبعضهم الآخر هم وطنيون من أبناء البلد ممن درسوا بمدراس العراق، ويقول البغطوري بأنهم: أبا الخطاب المعافري، وعبد الرحمن بن رستم، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وعاصم السدراتي، وأبا داود القبلي النفاوي، وقد تعلموا في مدرسة البصرة (البغطوري، 2017، ص 102) والأول فيهم مولى يمخي، والثاني فارسي، والبقية من بني مازيغ، فالثالث والرابع محليون من غدامس بالجبل، وسدراته بخليج سرت. والرابع نفاوي من نفزة وهي قبيلة بربرية بدواخل البلاد التونسية حاليا.

قبل البغطوري [599هـ/1203م] ذكر لؤاب بن سلام [ت 273هـ/886م] - وهو من علماء البلاد الطرابلسية خلال القرن 3 هجري - هؤلاء العلماء الأباضيون الخمس، ضمن حملة العلم الخمسة الأوائل في المغرب قاطبة. ولعل هذا التنصيف مبالغ فيه. ففي واقع الأمر عرفت ليبيا أو طرابلس وبرقة وفزان؛ علماء آخرون سبقوا الأباضية في تلقي العلوم اللغوية والدينية. من بينهم المحدث « عبد الرحمن بن زياد المعافري » والذي وُلد ببرقه سنة [74هـ/694م] وكان من أول المولدين بها. وقد رحل إلى مدارس الشرق، فسمع عن عدد من التابعين. فاشتهر في بغداد العاصمة العباسية، كما اشتهر في القيروان الحاضرة الإفريقية، والتي توفى بها قاضيا شهيرا سنة [161هـ/778م]. (أمانة الإعلام، 1977، ص 192) ثم يأتي دور « أبو سليمان محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي » والذي كان من أصحاب الإمام « مالك بن أنس » [93 - 179هـ] ومن تلاميذه، حيث سمع عنه موطأه. وقد ذكره القاضي عياض، كعلم طرابلسي. (عياض، 1983، ص 323) ثم نجد اسم الإمام « زياد الطرابلسي العجمي » والذي تلقى العلم عن شيخه في الشرق: سفيان الثوري، المتوفى بالعراق سنة [161هـ/777م]. (مجموعة أساتذة، 2008، ص 304) وكان أول من أدخل (موطأ ابن مالك) في الفقه المالكي، ثم توفى سنة [183هـ/799م]. وجميع هؤلاء العلماء الأهلين، هم من المالكية. ولهذا لم يرد ذكرهم في المصادر الأباضية.

إلى جانب حملة العلم الأباضي الخمس، المذكورين آنفا، يظهر لدينا أول معلم للقرآن في نفوسه، وهو « عمر بن يمكتن » الذي كان حيا حتى عام 140 هجرية 757م. وقد أخذ علومه الدينية واللغوية من العابرين والمسافرين العرب في طريق مدينة مغمداس الساحلية والرئيسية وقتذاك، والواقعة على سيف بحر خليج سرت الكبير. وإلى جانبه يظهر « محمد عبد الحميد مغطير النفوسي الجناوني » والذي يُعتقد أنه أول من جمع القرآن الكريم كله في جبل نفوسه. وهو من علماء الأباضية. وتوفى بعد سنة 160هـ/776م. وقد ذكره المؤرخ الشماخي في سيره (الشماخي، السير، ص 128).

أما العامة فلقد ظل إسلامهم سطحيا، وظلت لغتهم العربية هشة بضعة قرون إضافية!. مصدر هذه المفارقة مما طرحته في الفقرة السابقة حول أسماء أول العلماء المتعلمين في كامل طرابلس وبرقة فزان. ومما أستشفه أيضا؛ فإن أول حملة العلم الأباضي من مشايخ البلد، خلال القرن الثاني الهجري، وهم: (عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفاوي)، كانوا قد بروزوا وتصدروا علميا ودينيا ولغويا خلال أواسط القرن 2 الهجري. لأنهم كانوا وكما يلحظ الشماخي؛ أصحابا لابن رستم (الشماخي، السير، ص 113).

وللوصول إلى فهم دقيق وملموس، دعونا نعي أيضا بأن بلد أطرابلس وأنطابلس في تلك العهود لم تكن بها ثمة مدارس تعليمية، ولم يكن هناك معلمون مختصون في اللسانيات واللغات. ناهيك وأن المتعلمين والعارفين بالكتابة من العرب أنفسهم قلة قليلة! ومن هؤلاء القلة كما يذكرهم ابن ممتي في دواوينه؛ هم كتاب وحي رسول الله صلى الله عليه وسلم: علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت الأنصاري، ومعاوية بن أبي سفيان (بن أبي سفيان، 1996، ص 10) ويضيف ابن ممتي بأن عثمان بن عفان، كان كاتب أبي بكر الصديق في خلافته. (ابن ممتي، 1991، ص 64).

خلاصة ما فات، ونتيجة ما سبق، إن إتقان السكان المحليين في بلاد أطرابلس وبرقة للسان العربي كشرط ليس لفهم الإسلام فحسب! بل لأداء أساسياته والمتمثلة في الصلاة وتلاوة القرآن وغيرها. كان قد أخذ وقتا طويلا تجاوز القرن والقرنين من الزمن، وفي بعض الظروف والحالات تجاوز بين العامة حتى 6 قرون. فبحسب المراكشي، فإن أهل زويلة في فزان، الذين دخلوا في الإسلام أول الأمر صلحا، أي بأداء الجزية، قد أسلموا بعد القرن الهجري 12/6 الميلادي. يقول المراكشي: " زويلة مدينة قديمة أزلية في الصحراء.. وقد أسلموا بعد ال 500 من الهجرة. " (المراكشي، د.ت، ص 146) ونفهم من هذا النص أن الزويليين، أو بالأحرى جزء منهم كانوا قد ظلوا على وثنياتهم القديمة، وقياسا بما سبق، فإنه من المحتمل أن

جزء من سكان زويلة وما جاورها، قد كانوا يؤدون الجزية للعرب المسلمين حتى القرن 6 هجري، إما بصفتهم وثنيين، أو نصارى مشركين بوحدانية الله عز وجل. ولست بصدد التفصيل في ماهية الجزية أو الفيء أو الغنيمة أو الزكاة والصدقات والإقطاع وغير ذلك من الشؤون المالية في الفترة المبكرة من التاريخ الإسلامي، والتي كان أول من فصل فيها جيدا المؤرخ الأفغاني ابن سلام، [وُلد سنة 157هـ/774م] جيدا (ابن سلام، 1989، ص 75) إلا أن ما يهمنا الآن هو الوعي بأن لواته وودان وزويلة، بحسب ما نفهم من الجغرافي المشرقي: أحمد بن يحيى البلاذري [279هـ/892م] وعلى الأرجح معظم القبائل المحلية كانت قد دخلت تحت كنف الإسلام صلحا بأداء الجزية، لا إيمانا. وفي الوقت ذاته أسلمت جماعات أخرى، وقدمت زكاتها وصدقاتها، في وقت بقت فيه مثيلاتها وعلى معتقداتها الأولى، فأدت بالتالي الجزية وشروط الصلح، (البلاذري، د.ت، ص 225).

تزداد المسألة تعقيدا، عندما نكتشف وبعد مراجعة وتقليب المصادر الإسلامية وخصوصا المغاربية والمتعلقة منها بالفتوح والبلدان، حقيقة خلو البلاد اللبية من ولو مسجد واحد أقيم في البلد خلال فترة الفتح الإسلامي! وبل وطيلة القرون الهجرية الأولى. فكيف كانت وضعية إسلام السكان المحليين في تلك الفترة؟ من المؤكد أنه كان إسلاما شفهيًا في أوله. خصوصا وأن قضية التواصل والتعليم اللغوي هذه مسألة مهمة. فلسان ساكنة البلاد كان لا زال يستعجم العربية سواء في منطقة طرابلس، أم في الجبل، أم في برقه، أم بمختلف نواحي فزان. فكيف تفاهم وتواصل العرب مع البربر؟

دعوني ألفت نظركم إلى أن العرب خلال فتوح بلاد الشام والعراق، كانوا قد استخدموا الأنباط وأهل الحيرة هناك، إلى جانب أهل عاقولا وهي مدينة الكوفة لاحقا؛ كشركاء في عملية التواصل ما بين العرب وما بين بقية شعوب الشرق الأوسط. إننا بمراجعة نصوص ميخائيل السوري الكبير، حيث أجد أن ترجمة الإنجيل من السريانية إلى العربية؛ قد تمت في سوريا/بلاد الشام، وبناء على طلب القائد: عمر بن سعد بن

أبي وقاص، أمير المسلمين في الشام. (ميخائيل الكبير، 1996، ص 327) وفي موضع آخر يخبرنا ميخائيل السرياني، بأن الفرس خلال حربهم مع العرب عند الفرات، كانوا قد أرسلوا جاسوسا من أبناء الحيرة، يستطلع أخبار المسلمين، وكان هذا الجاسوس من أهل الحيرة، لأن الحيرانيين بجنوب وسط العراق، كانوا يتقنون كل من السريانية والعربية والفارسية. وقد قام هذا الحيري بالتواصل مع أحد الأعراب (ميخائيل الكبير، 1996، ص 315).

ولكي نستوعب أيضا بأن إتقان المحليين في طرابلس وبرقة وفزان، للغة العربية، وبالتالي أداء الصلاة وإحسان الإسلام حُسنا كاملا؛ هي ظاهرة لم تتم بين عشية وضحاها كما يعتقد الجميع، بل تطلب الأمر عقودا!. ولكي نعكس وعيا غير متقطع، سنقف عند إجراء الخليفة المصلح الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم [99-101هـ]، والذي أمر بإرسال 10 معلمين عرب إلى بلاد المغرب (المالكي، 1994، ص 99) ليقوموا بتعليم الساكنة شؤون العربية ومفاهيم الإسلام. وهذا يعني أن سنوات 22 هجرية إلى 100 هجرية وهي مدة 88 سنة لم تكن خلالها الشرائع الإسلامية مفهومة ومستحكمة بين المحليين بعدا!. وينفرد ابن عذارى بالقول: " وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام، وقد كان عقبة بن نافع ترك فيهم بعض من أصحابه يعلمونهم القرآن والإسلام. " (ابن عذارى، د.ت، ص 22).

الفقيه إسماعيل بن عبيد الأنصاري، وهو واحد من الفقهاء العشرة الذين أرسلهم الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز؛ قام ببناء مسجد الزيتونة، في مدينة تونس، ليكون منبرا لنشر العربية والفقهاء والقرآن في إفريقية. وذلك إلى جانب الدور الذي قام به جامع عقبة بن نافع بالقيروان نفسها. (شعنة، 2012، ص 145) مع الدور الذي قام به أيضا، موسى بن نصير في المغرب، لكنني لا ألحظ اهتماما من جانب الفاتحين بتعليم السكان في طرابلس برقة فزان؛ شؤون الدين واللسان. فقد كان الاهتمام العمراني

والمؤسساتي والتمصيري والفقهي العربي قائما وموجها إلى بقية أصقاع المغرب الكبير. بينما خلت بلاد طرابلس برقة من اهتمام المشاركة بتمصير ولو مدينة واحدة، أو جامع واحد، أو زاوية /كتاب/مدرسة دينية، لتعليم الأهالي شؤون العربية والإسلام!. لذلك كانت أول دور العبادة في كامل بلد طرابلس وبرقة، وانطلاقا من منطقة نفوسة، هي عبارة عن مصليات، ظهرت في جبل نفوسة في لالت (الشماعي، 1987، ص 250).

ولالت يُقصد بها لالوت، وهي بلدة نالوت فيما بعد، وبها ظهر أول مُصلّي، أما « يحيى بن سفيان » فبعد المراجعة وجدت أن الشماخي، يذكره في الجزء الأول، وعلى هذا النحو: " أبو زكريا يحيى بن سفيان الالوتي النفوسي، وكان من المعمرين، وكان حاكما عادلا عالما وفي السيّر .. " (الشماعي، 1987، ص 235). وهذا يعني بوضوح وطبقا لإثباتات المصادر، أن أول دار عبادة قد تأسست بجبل نفوسا، وبصفة مصلى قد تمت ما بين سنوات [350-400هـ/961-1009م] (البغطوري، 2017 ص 114).

لدي تصورات خلال وقت لاحق من ظهور المصليات؛ تفيد وبحسب مراجعتي لبيانات الدرجيني، بظهور ما سمي بنظام العزابة، وهي ظاهرة تعليمية إسلامية إباضية نفوسية، يجزنا عنها الدرجيني [600-670هـ /1204-1272م] بالقول: " مما اصطلح عليها أهل الطريق وتعارفوا بينهم، فمن ذلك العزابة، وأحدهم عزابي، " (الدرجيني، 1974، ص 3) ويُعتقد أن الشيخ: محمد بن بكر الفرستائي النفوسي، هو أول من انتهج نهج نظام العزابة، وذلك سنة [409هـ/1018م] (روبيناتشي، د.ت، ص 9) ويصف الدرجيني مظهر ولباس العزابة من الأباضية في الجبل بأنهم: يخلقون شعر رؤوسهم ولا يتكونه يطول أبدا، والعزابي وإن اقتصر على العباءة أو اللحاف لا يلبس ثوب مصبوغاً إلا البياض. " (الدرجيني، 1974، ص 171) والعباءة هي نوع لا يزال مستعمل لدينا من المنسوجات الصوفية الخشنة، أما اللحاف فهو هنا

الجرد. وتوجد دراسة عليا غطت ملابس المغاربة في الفترة الإسلامية (بلحساني وأخريات، 2016، ص 24).

وفي ذات السياق، تعلم طالبوا العلم الأوائل من الأهالي وتعبدوا في منازل الشيوخ والأعلام، أو بالمغائر والحلوات الجوفية. وجميع هذه الشواهد تعطينا وميضاً عن حقيقة خلو البلاد الليبية من منشآت دينية لها علاقة بالتعليم، والذي كان تعليماً دينياً حتى ذلك الوقت. في ضوء هذا الواقع يخبرنا الشيخ النفوسي البغطوري، الذي أنهى كتابه سنة [599هـ/1203م] وتوفي بعد ذلك، بأن من بين هذه الدور: دار أبي ميمون الجيطالي، الذي توفي سنة [283هـ/896م] وقد أصبحت زوجته وداره بعد وفاته كهفاً للإسلام ومأوى للأخيار، وكان العزابة يجتمعون عند أم يحيى أرملة الجيطالي، كل ليلة جمعة، يتذاكرون ويحيون ليلتهم في العبادة. (البغطوري، 2017، ص 158) واللافت للنظر أن المرأة المحلية/النفوسية على نحو خاص، كانت قد ارتقت في العلم في ذلك العصر المبكر، (بوبة، 1997، ص 58) وتفيدنا عبارة البغطوري: " كهفاً للإسلام " بأن المتعلمين/المتعبدين من الأهالي المسلمين الأوائل - سيمّا الجبالية/سكان الجبل - كانوا يتعلمون ويتعبدون في منازلهم تحت الأرضية وهي الكهوف والدواميس الجبلية.

في ضوء هذا الواقع، يمكن تفسير لجوء المحليين إلى استعمال الكنائس المسيحية البيزنطية، التي جرى تحويلها إلى مساجد فيما بعد. وثمة أناس يقولون طبقاً للروايات المتواترة، ونقلًا عن ألسنة النفوسيين، بأن تاحواريت بقرية ايظرميسن بجادو، قد عُثِرَ فيها على شعار المذهب الدوناتي، بصفتها كنيسة وتم تحويلها إلى مسجد. هذا النمط يوجد منه 4 كنائس تم تحويلها إلى مساجد بجادو فقط. ونفس الظاهرة مع مسجد كاباو العتيق، الذي كان كنيسة كما يفيدنا أهل كاباو، وتم تحويلها خلال الفترة الرستمية إلى مسجد، ولا تزال بعض النقوش القديمة موجودة بداخله. وعلى الجملة يذكر الفقيه النفوسي: أحمد بن سعيد الشماخي، الذي توفي سنة [928هـ/1522م] أن النفوسيين قد استعملوا عدة كنائس بيزنطية في

اطار العبادة، بعد تحويلها إلى أماكن للصلاة. ويذكر منها: كنيسة فرسطا، وكنيسة الجزيرة، وكنيسة بغطورة، وكنيسة تنبطين وغيرها من كنائس الروم (الشماخي، 1987، ص 235).

علاوة على ما فات، لجأ الأهالي أيضا إلى استعمال الكهوف وصناعة الدواميس، وهي ظاهرة قديمة بهذه البلد، ذكرها المؤرخون القدامى، ومنهم بلينيوس الأكبر وغيره. فالدرجيني [600-670هـ/1204-1272م] ينفرد ليخبرنا بالقول أن أول حلقة دراسية تأسست في غار؛ وعلى يد «الشيخ أبو عبد الله محمد ابن بكر» وبتاريخ 409 هجري، وسمي المكان بالغار الأول (الدرجيني، 1974، ص 170) وفي مقام آخر، أجد أن اسمه بالكامل على هذا النحو: " الشيخ أبي عبد الله محمد السدراتي " (الدرجيني، 1974، ص 187).

في سياق آخر، وفي الوقت الذي ظل فيه قسم من أبناء وبنات لواته وثنون على عقائدهم القديمة، وعقب دخولهم تحت لواء الدولة العربية الإسلامية صلحا، بأداء الجزية. كان عددا آخر منهم كما يبدو لي قد اعتنق الإسلام مبكرا، وبدلوا أسمائهم إلى العربية، كاسم هلال، وهو هلال اللواتي، من لواته البربرية في مقاطعة بنطابلس/برقة، والذي يذكره ابن عبد الحكم [187-257هـ/803-870م] مع طلائع مقدمة جيش القائد العربي: حسان بن النعمان، والذي نزل طرابلس سنة 73 هجرية. (ابن عبد الحكم، 1964، ص 62).

وبالنظر إلى التأثير الديني، أجد أن معظم الكتّاب/المؤلفين الأهلين، قد انشغلوا بالكتابة في الشؤون الدينية/الفقهية المالكية أو الأباضية. وبعضهم اهتمك في سرد تاريخ وعادات وتقاليد العرب، كابن الاجدائي؛ وهو من أهل القرن 5 هجري، وكان حيا خلال عام 444هـ/1052م، فقد كان معنيا بتراث العرب في الأسماء والأعلام والأطعمة والإبل والخيل وخلافها. (الاجدائي، 2006، ص 7).

تباعا لذلك، سنلاحظ على مستوى العامة؛ بأن كل من أسلم من المحليين في طرابلس وبرقة وفزان، قد بدل اسمه البربري الأول إلى اسم عربي. وهي أولى علامات الاستعراب الذي حدث للبربر، أو بالأحرى هي ظاهرة تبناها المحليون بأنفسهم. وكان هذا نتيجة للحماس الديني الذي اكتنف مشاعر الأهالي. وأجد أن مؤرخنا لؤاب ابن سلام المزاتي [ت 273هـ/886م] قد ذكر اسم جده بالعربية عمر، بينما ذكر اسم جد والده بالبربرية وهو تمطين (ابن سلام، 1985، ص 140) وكما أجد لدى الفقيه النفوسي: أحمد بن سعيد الشماخي، والذي توفي سنة [928هـ/1522م] فإن أول علماء البلد الأباضية كانوا من أعلام القرنين 2-3هـ. وإن كانت ألقابهم بربرية، فإن أسمائهم الأولى عربية. (ال شماخي، 1987، ص 227) والشماخي يطرح أسماء هؤلاء كأهل للعلم والديوان، ممن تحلّق التلاميذ حولهم. والملاحظ أن توقيتهم هو بالقرن 3هـ/9م، وهم من شيوخ نفوسة. أما من شيوخ مزاته الأوائل، فيذكر الشماخي: بيران الزمرتي، وهو عامل عبد الوهاب بن رستم. وأبو موسى يزيد، ويعتبره من العارفين بفلسفة علم الكلام، وغيرهم. (ال شماخي، 1987، ص 229). ورغم المعلومات التي يوردها الشماخي، إلا أن سيره دائما ما تنقصها التواريخ. وكما يبدو فإن هؤلاء المتقدمين من مزاته كانوا من أهل القرن 2 الهجري. وتظهر الأسماء والكنى مختلطة ما بين عربية ومازيغية. ويسمي الشماخي مشايخ آخرين من زناته وهوارة ولواته. (ال شماخي، 1987، ص 233).

لم تقف الحماسة الدينية والاستعراب الطوعي؛ عند تبديل الأسماء المحلية بأسماء عربية فحسب، بل وصل الأمر ببعض المتحمسين أن حلقوا شعر رؤوسهم (الناصري، 1997، ص 130) بقناعة تامة، وحماسة منقطعة النظير، معتقدين بأنه شعر ضال! نبت في فترة الكفر، فاستبدلوه بشعر جديد ينبت في كنف الإسلام!. وهذه الظاهرة وثقها ابن سلام المزاتي [ت 273هـ/886م] (ابن سلام، 1986، ص 123) وهذه القصة ذكرها صاحب مخطوط الجمان في مختصر أخبار الزمان، وهو المؤرخ المغربي الغرناطي الشطبي الزرويلي الغماري، المتوفي سنة [963هـ/1555م] والذي لاتزال مخطوطته غير محققة، وقد أطلعت عليها

إلكترونيا (الشطبي، د.ت، 1) وقد نقل عنها المؤرخ الشيخ المغربي: أحمد السلاوي الناصري، المتوفى سنة [1315هـ/1898م] وأجد أيضا نفس القصة موثقة لدى مؤرخنا ابن سلام، (ابن سلام، 1985، ص 147).

في سياق متصل؛ فضلا عن ظاهرة التحول في الأسماء والألقاب، وحتى شعر الرأس، تحولت القبائل البربرية إلى أنساب عربية، وصارت هواره تقول بأنها حضرمية، وتزعم مزاة بأنها يمنية، كما أجد لدى القزويني (Kazvinî, 2019, P 99.499) وهؤلاء من بطون بني مازيغ في ليبيا، بصرف النظر عن مسألة هجرة أسلافهم من فلسطين واليمن. في الواقع، ويطلعنا العلامة ابن خلدون بالقول: " وذكر ابن حزم أن نسبة البربر يزعمون أن سدراتة ولواتة ومزاة من القبط " (ابن خلدون، 2001، ص 153) ويرد ابن خلدون مصححا حسب رأيه: " وليس ذلك بصحيح، وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك. " (ابن خلدون، 2001، ص 153) أما زناته فقد انتسب بربرها إلى حمير. وفي ذلك يقول ابن خلدون: " وأما ما رأى نسبة زناته، أنهم من حمير، فقد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البرّ، وأبو محمد بن حزم؛ وقالوا: ما كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في أكاذيب مؤرخي اليمن! وإنما حمل نسبة زناته على الانتساب في حمير؛ الترفع عن النسب البربري لما يرونهم في هذا العهد خولا وعبيدا للجباية وعوامل الخراج ... وأعجبوا بالدخول في النسب العربي لصراحته وما فيه من المزية .. " (ابن خلدون، 2001، ص 6).

وكان إمام النسابين ابن حزم الأندلسي، قد قال في خصوص: " جمهرة من نسب البربر: قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن بنوح - عليه السلام - وادعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه برّ أصلا!. ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن. " (ابن حزم، د.ت، ص 326) ويستطرد

ابن خلدون وفي موضع آخر، مزاعم البربر أنفسهم في مسائل انتسابهم إلى بطون عربية ويمنية قائلًا: " أما نسبة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب ... والحق الذي شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسبة العرب في صنهاجة وكتامة. وعندني أنهم من إخوانهم. والله أعلم. " (ابن خلدون، د.ت، ص 2349) والمستنتج من ذلك؛ أن جميع هذه المظاهر كانت وفي ظل الحماس الديني؛ مدعاة لنشوء ظاهرة الاستعراب الطوعي، كظاهرة غير قابلة للتفسير. وهي تختلف كلية عن التعريب. لأن الأول طوعي واختياري بمحض الإرادة. والثاني قسري وإجباري ورغما عن الإرادة.

#### 5.4. تسرب الميثولوجيات الوثنية، واستمرارها بعد الإسلام

إذا ما وقفنا على بعد قرن واحد فقط من اعتناق المحليين للإسلام، فإننا سنجد الطقوس الوثنية رائجة بين سكان الدواخل/القبائل. على اعتبار أن سكان المدن الساحلية كانوا مسيحيين كاثوليك. غير أنني أجد أنه حتى وبعد اعتناق المحليين للإسلام، قد ظلت بعض الطقوس الوثنية مستمرة/متسربة! ومن سيقف عند هذه النقطة، قد تبهره أضواء هذه الحقيقة أو ربما تزعجه! إلى حد يؤدي عينيه!.

ومع ذلك، فعلى الرغم من أن هيكل Gurzilque الخشبي، قد اختفى منذ نهاية Moorish- Byzantine Wars في أواسط القرن 6 للميلاد!. ولم يرد له ذكر خلال القرن 7م بما فيها فترة ما بعد الإسلام. إلا أنه يبدو لي بأن عبادة Gurzil نفسها قد استمرت في هيئة جديدة وعلى شكل صنم سمي كرزًا!. وهو الذي قدسته قبائل هوارة خلال العصر الوسيط الإسلامي.

قضية حُسن الإسلام والتي أشرت في المحور السابق؛ إلى أنها تتجاوز بين العامة في بعض الظروف والحالات حتى بضعة قرون. هي أمر يمكن أن نلاحظه في ظاهرة تقديس المحليين لبعض الظواهر الطبيعية أو الأصنام، حتى بعد الإسلام بـ 5 قرون، لا تزال هذه الطقوس متسربة. وعلى هذا الأساس ثمة حالات وشواهد مصدرية، تفيد بدينامية/استمرارية بعض الطقوس الوثنية بين الجماعات المحلية. وهذا ما نستشفه

من إخباريات الجغرافي الأندلسي: أبو عبيد الله البكري [404-487هـ/1014-1094م] والذي يفيد بأن قبائل هوارا في عصره بالقرن 5م/12م، ما تزال تقدم القرابين عند صنم كان الهواريون يسمونه كرز، وإفادة البكري، تشير إلى وجود أصنام محلية باقية خلال العصر الوسيط الإسلامي؛ مثل الصنم الذي يخص قبائل هوارا، والذي يسمى كرز، وكان أجداد هوارا يقدمون له القرابين ويتبركون به في أمواهم وقطعاهم (البكري، د.ت، ص 12).

ويعتني ما سبق على الاعتقاد بأن صنم كرز، الذي قدسته هوارا بعد الإسلام، هو نفسه المعبود القديم Gurzil والذي عبدته القبائل التي سماها سكان المدن البحرية باسم: الأمة اللانغوانتانية Languantan Gentis وذلك في مطلع القرون الوسطى. وهو مذكور في أشعار الناقد النحوي الإفريقي Flavius Cresconius Corippus ، خلال القرن 6 للميلاد. (Corippi, 1820, P 74) ويضيف Corippus وفي اطار وصفه لتقدم محاربي قبائل الدواخل، قائلا: ومع فن واختلاط الأسلحة، يظهر وبشكل مفاجئ رأس الثور المقدس Gurzil قورزل بين يدي الكاهن الماوري (Corippi, 1820, P 74)

مع تسرب الميثولوجيا القروسية بين مجموعات هوارا بعد الإسلام، بخمس قرون وأكثر. أقامت القبائل الهوارية معبودها الروحي القديم، والمعروف في المصادر اللاتينية واليونانية باسم: « Ghurzil » والذي ظل مقاما بعد الإسلام على ربوة سماها الأهالي باسمه الحقيقي « كرز ». وكان يُعبد لغرض استمرار طقوس استلهم البركة في النفس والمال والقربان. ويصف البكري ملاحظته بالقول: " ومن سلك من اطرابلس إلى ودان، فإنه يسير في بلد هوارا نحو الجنوب في قياطين وبيوت شعر، وهناك مرثيات ومنازل إلى قصر ابن ميمون، وذلك كله من عمل اطرابلس، ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة أيام إلى صنم من حجارة مبني على ربوة يسمى كرز، ومن حوالبه من قبائل البربر، يقربون له القرابين، ويستشفون به من أداويهم ويتبركون به في أمواهم إلى اليوم، ومن هذا الصنم إلى ودان، مسيرة ثلاثة أيام " (البكري،

د.ت، ص 12) وقصر ميمون فلا وجود له بوضوح اليوم، ولا بد أنه كان يقع في وادي ميمون الواقع في بركة جنوبي مصراته، حيث لا يزال ثمة بناء قديم يسمى قصرا، وهو قائم إلى اليوم، وأفترض شخصا بأنه أحد بقايا مرييات ومنازل منطقة ميمون. وميمون أسرة بربرية ولعلها كانت يهودية الديانة لكون الاسم شائعا بين يهود طرابلس الغرب.

ويبدو أن ظاهرة تقديس كرزا بعد الإسلام، قد كانت منتشرة في كامل وسط البلاد الطرابلسية. فلقد أشار الجغرافي القزويني [ت682هـ/1283م] إلى أن تقديس كرزا هو أيضا من تقاليد سكان ودان. وساكنة ودان هم من قبائل مزاته البربرية، وإن كانوا كما يخبرنا الجغرافي اليعقوبي، يزعمون بأنهم حضرميون يمنيون! إذ هم في الواقع " قوم مسلمون، يدعون أنهم عرب من يمن، وأكثرهم من مزاته. " (اليعقوبي، 2002، ص 183) ويصف القزويني سكان ودان، بأنهم مقيمين داخل مدينة منقسمة إلى مدينتين بين من انتسبوا إلى السهميين Sehmîler والحضرميين Hadramîler (Kazvinî, 2019, P 499) حيث " تسمى مدينة السهميين لبك، ومدينة الحضرميين توصي، وبأبهما واحد. وبين القبيلتين قتال، ويقربهم صنم من حجارة منصوب على ربوة يسمى كرزة، وحواليها قبائل البربر يستسقون بالصنم، ويقربون له القرابين إلى زماننا هذا. " (القزويني، د.ت، ص 255) ولقد تطرق عالم اللسانيات البريطاني: Oric Bates أيضا، في موضوع الأديان الليبية القديمة، إلى أن قبائل عديدة من إقليم طرابلس ومن بينها هواة، تُقدم حتى القرن الحادي عشر، صلوات لصنم من الحجر يدعى كرزا. لأجل حماية قطعانها (Bates, 1914, P 188)

في جبل نفوسة، تشير الروايات إلى بعض المشاهد المقدسة في الجبل، والتي كانت تحظى بزيارات المشايخ ربما للتبرك، مما يرجح أن تكون عبادة الكائنات والظواهر الطبيعية منتشرة في الجبل، فقد ذكر الشماخي أن النفوسيين كانوا يقصدون صخرة الوادي ومصلى «تزرروت» الصخرة. وهناك مجموعة أخرى من الصخور المقدسة مثل صخرة «توكيت» وصخرة «تيناولوتين» أبو خليل. وبما أن هذه الأخيرة كانت

مقدسة، فقد أقام (أبو خليل الدركلي) خلال القرن 3هـ/9م، مصلى له فيها، فاشتهرت باسمه (مزهودي)،  
2003، ص 37).

في السياق نفسه، كانت النسوة النفوسيات يمارسن أيضا بعض الطقوس القديمة، عند بعض عيون  
الماء التي اشتهرت في الجبل، في ظل قناعة السكان بأن الاغتسال من مائها يشفي ويقي من الأمراض،  
فغير بعيد عن مدينة القلعة الحالية، توجد عين تسمى «نانا تالا» كانت النساء يأتيها بأولادهن للقيام  
بغسلهم في تلك المياه المقدسة. (مزهودي، 2003، ص 40).

ليس هذا فحسب، ففي ظروف خرافية من هذا النوع وإلى هذا الحد، سنجد أيضا بأن بنو  
ورسيفان/أسلاف بربر ورشفانة، وهم قبيلة بربرية، كانوا لا يزالون حتى خلال العصر الوسيط الإسلامي؛  
يقومون وكما يؤكد الجيوغرافي الأندلسي البكري خلال القرن 5هـ/11م، بتقديس ربح يسمونها  
الشماريخ!. وكانوا يتطيرون بها، ويقاتلون تحت زعمها، ويأكلون الطعام بذكر اسمها: الشماريخ ..  
وينهون عن ذكر اسم الله عند شيء من ذلك (البكري، 2002، ص 378).

طبعا كل هذه المعتقدات توضح أن الإسلام كان قد أخذ وقتا ليس بالقصير؛ ليستحكم في نفوس  
وأذهان الشعوب والقبائل غير العربية، بطبيعة الحال لأنها لا تتقن العربية، ويستحيل أن تتعلم أحكام  
الإسلام بلسانه العربي في بحر مجرد عقود من الزمن! خصوصا في ليبيا حيث لا وجود لمدارس ولا زوايا  
عربية ونحوها. الأمر بين عامة الناس إذن، احتاج إلى وقت طويل، تعلمت من خلاله الشعوب اللغة  
العربية والتي من دونها لن تفهم بالتالي المقاصد والأحكام والفقه والإرشادات والعبادات في الشريعة  
الإسلامية التي نزلت بلسان عربي مبين/صريح، فضلا عن تعلم/إتقان الصلاة بالعربية، وقراءة القرآن  
بالعربية. والذكر والتسبيح والحج وغيره من الشعائر بالعربية.

عودة إلى ظاهرة تسرب الطقوس الوثنية، كان ثمة صنما قائم بالقرب من مدينة سرت، وقد أشار البكري له صفته صنما موجودا في عصره، وأشار إلى أنه يقع في مغداس، وفي قراءة أخرى تسمى مغمداش وهو الاسم المحرف خلال العصر الإسلامي لاسم مدينة Macomades وفي قراءة أخرى Maconades (Ptolemaei, N.D, P 123.127). فيما تحرف الاسم في عصرنا هذا إلى لفظ (مكمداش) وهي مدينة بائدة منذ القرن الهجري الرابع على الأقل، لأنها كانت موضعا مهما خلال القرن الهجري 2، وقد ذكرها مؤرخنا لؤاب بن سلام المزاتي، خلال القرن الهجري 3 بأنها من المواضع الرئيسية في ساحل سرت. وكانت تقع في ما بين قصور حسان شرقي مسراته، وغربي مدينة سرت الإسلامية. ويصف البكري ما رآه بالقول: " مغداس: هو صنم قائم على شاطئ البحر، حوله أصنام .. " (البكري، 2002، ص 179).

وكل هذا يفيد بحقيقة استمرار بعض الطقوس والقرابين الوثنية في ليبيا، ومن بينها الأصنام، إلى حوالي القرنين الخامس والسادس الهجريين. وأن فهم الإسلام لم يكن مستحكما بين بعض الساكنة بعد، نتيجة لعدة معوقات لغوية، وانعدام وجود حلقات الدرس من كامل ربوع البلد غير الجاذب أساسا للتنمية. وفي ظروف من هذا النوع، يفقد الناس عقولهم، ويكتبوا لأنفسهم شريعة مشوهة، تُطيح بصنم ما، وتُبقي على صنم آخر!

فلقد انتشرت مسميات الأصنام والتي أطلقها الأهالي حتى على معاصر الزيت البونيقية/الرومانية، في مناطق ترهونة وبن وليد وجادو حاليا وغيرها، ودعوها باسم أصنام. ومفردها صنم، وهي منتشرة بكثرة في أودية ترهونة حتى حدودها الإدارية مع بني وليد. وفيما يبدو فإن هذا الاسم قد ألهب خيال السكان، حتى غدت الصورة وفي وقت قصير نسبيا، مليئة بالخرافات. لدرجة أن اعتبر الأهالي أن بعض الأعمدة والأقواس والنحوت والتمائيل والفسيفسائيات والرخاميات والمسارح والحمامات والصروح والمنشآت

الإغريقية والرومانية والبيزنطية هي عجائب من صنع الروم، وقد حالفهم الجان في صنعها!. أما الأصنام فهي في الحقيقة ليست سوى معاصر زيت بونيقية/رومانية. وأجد بأن الرحالة الإنجليزي Cowper قد وثقها في زيارته للبلاد الطرابلسية سنة 1895م عبر كتابه The Hill Of The Graces ولم يتعرف على ماهيتها بالضبط، وأعتقد Cowper بأنها تعود لفترة ما قبل التاريخ. وأشار إلى أن الأهالي يسمون مفردها

(Cowper, 1897, P 91) Senam

غير أن بعض من نماذج الأصنام التي استمر وجودها إلى عصر الجغرافي البكري وما بعد، تقع في مدينة غدامس، وهي لا تختلف كثيرا عن صنم كرز الذي كانت تقده هواره. وتوجد لوحة من إعداد الرحالة الفرنسي Henri Duveyrier سنة 1865م، تصور ما يسميه أهل غدامس " تسمودين " وهي كلمة في الأمازيغية الغدامسية تعني المعابد، مفردها تسمودين، وهي خمس قواعد ضخمة من الحجر والجبس عليها عمود منصوب، كما رسمها Duveyrier ويقول الأهالي بأنها كانت في الأصل 17 نصبا، أما اليوم فلم يبق منها سوى اثنتين. ورغم أن تسمودين لم تثر اهتمام الباحثين بالشكل الكافي، الأمر الذي سبب في ندرة المعلومات عنها رغم وفرة المعطيات حولها. ويبدو لي من الصعب ربطها بتاريخ دقيق، وهناك اختلاف واضح حول ماهيتها الأصلية. فقد طرحت آراء كثيرة من بينها: أنها من صنع الطبيعة، أو أنها مدافن قديمة استنادا لبقايا عظمية وجدت تحتها، ورغم أن وجود العظام لا يعد شاهدا كافيا على كون المكان مقبرة، فحتى أضرحة أو معابد الآلهة الوثنية، كانت الشعوب القديمة تقدم تحتها القرابين البشرية وتدفنها حية أسفلها. وعموما علاوة على ما سبق، ثمة افتراض بأنها أعمدة لصومعة جامع تدمر وهجر بمرور الزمن .. أما قول أهل غدامس؛ فهو أنها كانت أصنام قديمة لسكان مدينة غدامس. وهو الذي أراه والله أعلم وأحكم.

في سياقات المقاربات الفلكلورية/التراثية. فنح المليون أيضا بـ « الحويته والخميسه » منذ ما قبل الإسلام، وكلاهما من التعويذات الشعبية الرئيسية الموعلة في القدم؛ والمتناقلة بين مختلف السكان ضمن الحياة الليبية منذ العهود الفينيقية/القرطاجية بالألف الأولى قبل الميلاد. وتواترت بين الأسر حتى أصبحت علامة دفع عين/مكروه، عُلقَت على ثياب الأطفال، كما عُلقَت على المداخل والأقواس والأبواب والمحال، وصيغت على الدبالج والخلاخيل والخناقات والحلي، ونُسجت على البسط والمراقيم والبطاطين والستائر والمخاد والكلمان. وعلامات تاريخية قديمة لعلامة « الحويته » وهي السمكة، يمكن أن نجدها في مسرح مدينة Sabrathan وفي أحد مشاهد مدينة قورينا *Cyrenis Kyrēnē* وتفيد هذه النحوت بقناعة الرومان والإغريق معا، فضلا عن الفينيقيين وبقية الشعوب، بأهمية السمكة كدلالة على العطاء والنماء، فضلا عن ارتباطها بالخرافات. ونجد الحويته أيضا في مستوطنة Ghirza الليبية/الرومانية، منذ القرن الثاني للميلاد (Brogan, 1984, P 109.120). قبل أن تصبح مهجورة منذ القرن السادس للميلاد. فيما رمزت « الخميسة » وهي اليد المبسوطة؛ والممثلة في كف يد معنى مضمومة الأصابع؛ إلى خارقة ردة المس وطرده الأرواح الشريرة، مرتبطة بالآلهة الوثنية الأم، إذ وجد هذا الرمز في عدد من القطع الأثرية التي تشكل توائم للآلهة السورية Ishtar كما وجدت عند الإغريق مرتبطة أيضا بأفروديت Aphrodite وانتقلت هذه اليد عن طريق الفينيقيين إلى تراث الشعب البونيقي منذ أيام قرطاج، وتجددت في تراث نظيرتها المؤهله البونيقية تانيت بنيعل Tanit Banipal والتي تقابل في الأصل، عشتروت معبودة الخصب الفينيقية، وقد كانت آلهة مساعدة بعد المعبود الرئيسي للبيوفينيق: بعل حمون، توجد عينة منها في متحف صبراته الأثري وأخرى في بلدة الكبرى. وتؤلف تانيت وجه بعل؛ مزيجا من اعتقادات فينيقية مختلطة بطقوس محلية بربرية. ويؤكد عالم اللسانيات البريطاني كنريك أن المعبودة Tanit مرتبطة بالمعبودة الفينيقية Astarte التابعة إلى الوطن الفينيقى (كينريك، 2015، ص 25) وبحسب الكوني؛ تقابل (تانيت) السائدة

في التراث الديني البونيقى، كلمة (يت) والتي تعني بلغة الطوارق: مبدأ التوحد. و(نت) كما ترد في متون مصر القديمة، للتعبير بذات المبدأ (الكوبي، 2007، ص 52) أما عشتار Ishtar فقد كانت ربة الخصوبة والنماء، وأعتقد الفينيقيون بأن يدها من تجلب الخصوبة للنساء، وهي من تحمي النسوة الحوامل من العين الشريرة، مع مدهن بالقوة والعافية. وقد ظلت هذه المفاهيم مستمرة بين الأسر والمجتمعات في ليبيا، ومع ذلك فقد تغيرت المفاهيم، وأصبحت اليد المبسوطة تعني بين النسوة المسلمات: "يد فاطمة بنت علي". ولم تكن النسوة اليهوديات أيضا بمعزل عن هذه المعتقدات، إذ كن يستعملنها في حياتهن اليومية (بيل، 1981، ص 66) تحت اسم  $\pi\sigma\pi\pi$  خمسة. بينما استمرت نفس التقاليد بين المسلمات حيال العرائس والنسوة الحوامل، وأخيرا في تراث الأطفال المواليد إلى يومنا هذا. وبالنتيجة حافظت الخميسة أو اليد المفتوحة مضمومة الأصابع، على ذات دلالاتها الرمزية، والتي ظلت تصاحبها حتى يومنا هذا، مع عبارات من نوع: " خمسة في عيونك! " أو " خمسة واخميس! " أو " خمسة وخميسة في عين الشيطان " بقصد دفع أي خطاب يشعر فيه المرء بأنه عرضة للغيرة أو الحسد.

أما « القرين » فهو كما أعتقد إرث بربري صرف. يعود في تقديري إلى قرني الكبش « Corniger Ammon أمون ذو القرنين » وهو معبود الليبيين الشرقيين وضرجه كان في أوجيلا وسيوة. كما ومن المفترض في رأيي بأن للقرين علاقة بـ « قرن الثور Gurzil » وهو الثور معبود الحرب والنصر في ميثولوجيا البربر في فترات ما قبل الإسلام. ثم أصبح كما يبدو رمزا للشفاء والبركة والنماء في الأموال بحسب ميثولوجيا هوارة. وكما نوهت سابقا؛ فإن الجيوغرافي البكري، قد أشار إلى صنم كرز، والذي تقدسه قبائل هوارة خلال القرن 5هـ/11م، وتقدم القرابين باسمه لضمان البركة في الجسد والمال. وربما أيضا لسلامة المشية التي يرعونها، والمحاصيل التي يزرعوها، ومنذ ذلك الوقت تناقل الأهالي، تعويذة القرن الثور،

التي تَلَطَّفَتْ تدريجياً إلى شكل اقربين غزال، وصار قرنا صغيراً، يُعَلِّق إلى هذا اليوم على صدور الأطفال لذرء السوء، كما هو سائد في المعتقدات الأسرية.

كما كانت ولا زالت أيضاً « قرون كبش الجبال/الودان » وحتى قرون « ذكر الغزال » تُعَلِّق على المتاجر والأبواب. ومن المتوقع جداً أن يكون اختيار الكبش الجبلي/الودان، رمزا بسبب سرعته وقوته، وتألُّق صعوده المنحدرات والجبال، فضلا عن عزلته وصعوبة النيل منه، وقوة استدلاله على أماكن تواجد المياه. وبالتالي تبقى احتمالية ترميز قرني كبش الودان، خلال العصور القديمة، كرمز لقرص الشمس، فرضية منطقية، فضلا عن انفرادية الكبش في قيادة قطيعه، تلك الذكورية التي كانت تناسب تفكير المجتمع الذكوري في ليبيا. (أبو زعينين، 2009، ص 28) ذاك أو هذا المجتمع الذي كان الرجال الذكور مستحوزين فيه على مناشط الحياة الخارجية؛ في الفلاحة والصناعة والزراعة، ويرى الذكور فيه أن العالم بأسره هو من صنع يديهم!. وبالتالي يبدو لي جليا أن ثمة علاقة واضحة ما بين علامة القرنين، وبين قرني Ammon أو قرون كبش الودان، أو قرني الثور Gurzil وهو المعبود الوثني الذي قدسته القبائل البربرية قبل الإسلام.

وكل هذه الملابس مستمدة من سند واحد هو أن قرزا في العصر الوسيط/الإسلامي، هو نفسه المعبود المحلي القديم Ghurzil، وهو المرّمز له بالثور، والشمس، والذي كان بربر شرقي ليبيا وسكان واحة سيوة، يعبدونه باسم آمون، وهو ما ذكره الناقد النحوي الإفريقي كوريبوس وباسم Corniger Ammon آمون ذو القرنين. (Corippi, 1820, P 25) وبالقدر ذاته كان سكان المدينتان أوجلة؛ يعبدونه أيضاً خلال القرن السادس للميلاد، أي قبل الإسلام بقرن واحد، وهذا ما أكده شاهد العيان المستشار بروكوبيوس (Procopius, 1971, P 371) وجميع هذه الشواهد تؤكد بأن ثمة ميثولوجيات ومعتقدات وثنية قديمة، كانت متسربة بين الأهالي طوال الفترة الإسلامية. بل وبعضها كالخميسة والحويطة والقرنين، مستمرة بين الأسر الليبية إلى يومنا هذا، وإن كان الوعي بها ضئيلا وأصبح ضربا من الماضي.

## نتائج الفصل الرابع

عرفت المجتمعات البشرية في ليبيا بضع عقائد مختلفة، تأتي الوثنية وفق أصنام وأوثان مختلفة، بعضها مادي والآخر روحي مستلهم من الطبيعة. انتشرت المسيحية وفق مذاهب أرثوذكسية وكاثوليكية منذ القرون الميلادية الأولى، وحلت الأريوسية في الساحل الطرابلسي مع حلول السيادة الفاندالية بالقرن 5م، وقد استمرت الوثنية بين القبائل في الدواخل حتى مع دخول المسيحية فعليا بالقرن 6م من العهد البيزنطي.

مع مجي العرب الأوائل دخلت العقيدة الإسلامية في القرن 7م واعتنق جزء من الأهالي الدين الجديد، فيما دخلت مجموعات سكانية أخرى الإسلام صلحا، وظلت على عقائدها الوثنية السابقة، لذلك اضطرت إلى تقديم الجزية الى المسلمين. شيئا فشيئا اعتنق معظم السكان الإسلام، ومع ذلك ظلت بعض الطقوس الوثنية القديمة متسربة بين القبائل، كظاهرة الأصنام التي تتبرك بها قبائل هوار، أو غدامس، أو ربح الشماريح التي تقدها قبيلة ورشفانه. فيما ظلت بعض الجاليات المسيحية الصغيرة تنشط في بعض المدن البحرية كطرابلس وما جاورها، وفي برنيق وما يتصل بها. ولكن مع ذلك صار الإسلام تدريجيا الدين السائد في مناطق البلاد.

## الفصل الخامس: الأطر اللغوية والاتجاهات الفكرية والثقافية

### 1.5. اللغة البونيقية الحديثة Punicis

أنا بصدد دراسة اللغة البونية الحديثة، لأنها وبالأدلة كانت موجودة، وعلى الأقل قبل قرن واحد فقط من دخول الإسلام! أي أنها ظلت مستمرة خلال القرون الأولى من العصر الوسيط. وهذا على عكس ما يعتقد متخصصو التاريخ الكلاسيكي، بأنها زالت من الوجود منذ نهاية العصر الروماني. عليه أرى هذه اللغة متصلة تماما بلغات العصر الوسيط. وما لا توجد له تساؤلات، ناهيك عن أجوبة، هو موضوع مصير اللغة البونية؟ وفي إطار التأكيدات المصدرية كما سنرى، والتي تفيد بكونها كانت لا تزال مستعملة قبل الإسلام بقرن، وبالتالي نحن نفترض بأنها ظلت كذلك حتى مع دخول الإسلام. وبالنتيجة، السؤال المطروح، هو كيف اختفت هذه اللغة ولسان أهلها من التاريخ؟! ولعل الإجابة تكمن في عدم تردد العرب وبفضل قوة الدولة والدين، أو عبر تبني حلول بلاغية، في التفوق/الاعتلاء على اللغات السابقة في البلدان المحولة إلى جزء من تركيبة الدولة الإسلامية، بل وامتعاضها! والنظر إلى بعضها من طرف القضاة والفقهاء، بصورة بغیضة، وقد وافق ذلك توجه الأهالي أيضا الذين تخل معظمهم وتدرجيا عن ألسنتهم ولغاتهم السابقة، فتحولوا في سوريا والعراق ومصر واليمن وغيرها إلى شعوب وطوائف مستعربة، مستخدمة للفصحى وناطقة بالعربية المختلطة باللهجات السامية. أما في ليبيا فلم يتخل البعض عن لغته وثقافته ولسان أسلافه فحسب، بل وشعر رؤوسهم حتى! معتبرين إياه شعرا نبت في الكفر! فأحبوا أن يستبدلوه بشعر جديد ينبت في كنف الإسلام. وهذه مؤشرات كافية على أدوات/ومعطيات التحول.

في ليبيا اختفت كل من اللغة اللاتينية الإفريقية التي كانت لغة Leptitani أي مواطنو لبتيس الكبرى، منذ عهد الإمبراطور سيفيروس إلى عهد جوستينيان. وبالقدر نفسه اختفت Punic وهي لغة البونيقيين وسكان المدن الساحلية. والتي كانت لا تزال سائدة حتى عشية الفتح الإسلامي، أو بوجه

أدق؛ خلال القرن السادس، بشهادة من المؤرخ البيزنطي Procopius Caesarensis (Procopius, ) (1916, P 289) وهو واحد من أشهر مؤرخي القرن السادس، وقد حضر بصفة مستشار مع الجنرال Belisarius إلى ليبيا سنة 533م. وقبل ذلك في القرن الخامس، وبشهادة نراها من الفيلسوف البونيقى لاتيني الثقافة؛ أسقف مدينة هيبو (عنابة حاليا بالجزائر) القديس Aurelius Augustinus أورليو أوغستينو (Augustinus, N.D, P 130)

وربما من المفيد هنا؛ أن أشير إلى ظاهرة سيادة اللغة الفينيقية في فترات الألفية الأولى قبل الميلاد على أجزاء واسعة من ضفتي المتوسط الشرقية/الساحل السوري، والضفة الغربية/صقلية والركن الأيبيري. فضلا عن السواحل الجنوبية للمتوسط حيث ليبيا ونوميديا، وتعتبر الفينيقية والعبرية من بين أكثر اللغات السامية تشابها، وكلاهما نتاج اللغة الكنعانية (ولفنسون، 1914، ص 282) مع تأثر الإغريق بالأبجدية الفينيقية. وبالنتيجة فإن Punic هي اللغة البونية أو البونيقية أو الفونية؛ وهي لغة فينيقية سامية من أصل Phoenicians أطلقت بمعنى اللغة الفينيقية الغربية، كوصف بونيقى للتمييز ما بين الفينيقين الغربيين في شمال إفريقيا، عن أسلافهم ونظرائهم الفينيقين الشرقيين في ساحل لبنان. نتج عن الفينيقية تأثيرات في الحروف اللبية، ومن بينها التافيناغ. ويطلعنا دليل السراي، على كلمة بونيقى، بأنها تحريف لكلمة فينيقي، أُطلقت من طرف الرومان على الفينيقين في قرطاج بوجه خاص، ثم توسعت لتشمل جميع المندمجين والمتحدثين باللغة الفينيقية القرطاجية، التي صارت تعرف باللغة البونية الحديثة. (النمس وأبو حامد، 1977، ص 30) أما اللغة البونية/البونيقية الحديثة، فهي بدورها لغة بونيقية ولكن بحرف لاتيني، تماما كالفارسية والعثمانية والأفغانية لغات رسمية بحرف عربي.

وُجدت اللغة البونيقية Punicis في الجزء الغربي من ساحل وريف ليبيا وشمال إفريقيا عموما، وقد ذكر الفيلسوف النوميدي، الإغريقي الفيلسوف، اللاتيني اللسان، Lucius Apuleius والمتوفى بقرطاج عاصمة

الثقافة الفينيقية، ما يفيدنا بأن عدد من الأهالي لا يتكلمون إلا " باللسان البونيقي " فقط! (أبوليوس، د.ت، ص 200) ومن اللافت للنظر وجود كتب تاريخية بونيقية/فينيقية غربية، تعد مندثرة/مفقودة اليوم مع الأسف. من جانب آخر، عليه من الخطأ الاعتقاد بأن الفينيقيين في ليبيا لم يكتبوا مؤلفات! بل كانت اللغة البونيقية، لغة أدب وخطابة وعلم، إلى جانب كونها وسيلة تفكير وتعبير، إن كتاب أساليب الفلاحة لماغون Magon القرطاجي خير دليل. بعد أن كُتبت في موسوعة ضمت 28 مجلدا عن الفلاحة، طورت من نظم الزراعة في بلدان المتوسط. وكان الأمراء النوميديين - كما يقول جوليان - قد حرصوا رعاياهم على العمل بأساليب ماغون الفلاحية. (جوليان، 2011، ص 103).

وثمة أيضا سرد لرحلة حنون بن إزور Hannon Son Of Izor والمعروف أيضا باسم: حنون القرطاجي Hanun Of Carthage أو Hanun Carthaginian وهو الذي حكم بين 480 ق.م - 440 ق.م، حيث انطلقت رحلته متوجهة نحو خليج غينيا لإنشاء مستوطنات Phoenician-Lobby وهي رحلة مشهودة نقشت أخبارها على لوحات معلقة في معبد ملكارت Melkart وقد نُقلت إلى اللغات الكلاسيكية عديد المرات (المحجوب، 2016، ص 61).

هذا علاوة على الكتب البونية والتي كانت محفوظة في خزانة الملك النوميدي هيمبسال: Regis Hiempsalis [60-88 ق.م] وما كنا لنعلم بما أصلا، من دون أن يجربنا بحقيقتها المؤرخ اللاتيني Sallustius سالوستيو؛ والذي أفاد بأنه قد أطلع علي الكتب البونيقية Libris Punicis بعد قراءتها له من طرف المترجمين البونيقيين إلى اللسان اللاتيني Latiuni (Sallustius, 1920, P 170) بينما وضع الملك يوبا الثاني Juba II - ملك بلاد الماوري/موريتانيا Maurctaniae [23-25 ق.م] - كتبه باللغة الإغريقية ضمن أربع مؤلفات أسماها ب: Libyae لبيات. وأشوريات Assyrius وأرايكا/عربيات Arabica و Historiae Romanae أي تاريخ روما أو التاريخ الروماني. وهي كتب مفقودة ولا

توجد سوى عنوانيها (سالوستيوس، 1978، ص 2) ولعل ما بقي من دلائل استعمال البونيقية في الأدب المحلي؛ هو قصة الأخوين Philaeni وأسطورة الملكة الفينيقية Elissa فضلا عن رحلة Hanno Carthaginiensium وموسوعة Magon في الزراعة وغيرها. أما قضية ضياع تلك المؤلفات فمن الواضح أنها قد بدأت في الاختفاء منذ ما بعد العصر الروماني، وربما في حرب قيصر نفسها ضد يوبا الثاني، حيث انتحر الأخير بعد هزيمته أمام القوات الرومانية سنة 46 ق.م، وتحول مملكته بالتالي إلى ولاية إفريقية باسم Africa Nova (سالوستيوس، 1978، ص 214).

يفيدنا خبير اللغات فيليب كينريك Philip Kenrick بأن البونيقية: صفة تستخدم لوصف الفينيقيين المستوطنين في غربي المتوسط. وخصوصا ميراث قرطاج، واستعملت في إقليم طرابلس للإشارة إلى حضارة ما قبل الفترة الرومانية (كينريك، 2015، ص 212) ونتيجة للتجارة والصناعة والكتابة الفينيقية، صارت البونيقية لغة الساحل الشمالي بأفريقيا طوال قرون بأكملها. ولو أخذنا لغة سكان مدينة Leptis Magna سنلاحظ بأنها قد تغيرت من الفينيقية الخالصة، إلى مزيج من الفينيقية الليبية، كل ذلك وجميع هذه التبدلات اللسانية والتحويلات اللغوية؛ نشأت بفعل المصاهرة والاختلاط والتزاوج ما بين الفينيقيين حاشية وتجار ومواطنون، بالسكان المحليين. أما العادات والقوانين والأخلاق، فقد ظلت في مدن ليبيا Libycas Urbes البحرية، كما هي عليه في مملكة صور الفينيقية. (Sallustius, 1920, P )

(298)

خلال العصر الوسيط؛ وإلى غاية القرن 5م، كان القديس البونريقي Aurelius Santo Augustinus (354-430م) لا يزال يشير عرضا في أحد كتبه إلى كل من الكتب البونيقية والحكمة البونيقية، خلال حديثه عن المقولات البونيقية الحكيمة، والمسجلة باسم البونيقية أيضا وفي الكتب البونيقية نفسها! (Augustinus, N.D, P 24) وشهد القديس Augustinus بالقرن 5م، بأن للبوذية فوائد جمّة، كما أثبت

بأن لغة قرطاج قد بقيت حية في الأرياف الساحلية القريبة من المدن قرونا بعد الغزو الروماني، بل وأوصى البابا بتعيين أساقفة يحسنون اللغة البونية (فنطر، 2004، ص 14) وكل هذا يفيد ومن القرن الخامس للميلاد، حتى وصول العرب خلال القرن السابع، بأن البونيقية هي لغة حية وموجودة في الريف، في وقت كانت فيه اللغة اللاتينية هي السائدة في المدن، وأن كليهما بالنتيجة قد أدخلت مكانه أو أُفصي تدريجيا بعيد سيطرة العرب على ليبيا وكامل بلاد المغرب، خصوصا في ظل إسلام متزايد للسكان هنا، وتركهم لجميع أسمائهم وألقابهم الأولى، فنسوا حتى أصولهم وأنسأجهم وتخلوا عنها، في مقابل زعمهم بأنساب أخرى.

حتى القرن 5م؛ يذكر القديس Aurelius Santo Augustinus (354-430م) أيضا لفظ Tyris Augustinus, 1648, P 763) Tc Sidoniis بمعنى الصوريين والصيداويين؛ أي أبناء صور وصيدا الفينيقية في ليبيا/أو شمال أفريقيا. ويشهد القديس Augustinus في ذات الوقت، وبالنص في إحدى رسائله: اسألوا فلاحينا من هم؟ يجيبون بالبونيقية بأنهم كنعانيون . (Augustinus, N.D, P 354) فمعاصرو القديس كانوا يعون صلتهم بالفينيقيين. على أنهم بونيون بالدرجة الأولى، ومعظمهم لا يفهم اللاتينية (غوتيه، 2010، ص 72) عليه، نجد بأن حتى القديس أوغسطينوس الشهير، كان يقول بأن جذور فلاحهم هي كنعانية Canaanites ويضيف روسي بأن شهادة القديس أغسطينو في القرنين الرابع والخامس للميلاد، تدل على استمرار انتشار اللغة البونيقية في مناطق تونس والجزائر الحالية (روسّي، 2009، ص 34).

إليك بعض رسائل القديس البونريقي أوغسطينوس: الذي نقل إلينا من القرن الخامس الميلادي، معلومة إضافية تفيد بأن اللغة البونية كانت سائدة في رعيته، عندما كان أسقفا لمدينة هيبو/بونه/عناية. فتحدث عن شيوع هذه اللغة بصورة غير مباشرة في رسائله ومواعظه. وقد كتب القديس أوغسطينوس

للبابا سلستيان، مطالباً بتعيين أسقف لرعية فوسالا، وهو مكان يبعد نحو ستين كيلومتراً عن هيبو، ولم يعثر له اليوم على أثر، ويقول في وصف مرشحه لهذا المنصب ويدعى أنطونيوس إنه يُحسن اللغة البونية. (غوتيه، 2010، ص 70) وفي رسالة أخرى وجهها أوغستينوس إلى Crispinus أسقف جيلما، الذي دعا أبناء Mappalians وهم سكان الأكواخ من قرويو البربر في الأرياف إلى الهرطقة، يقول أوغوستينو: " تدعي بأن سكان الأكواخ/الماباليين Mappahenses قد تواصلوا اجتماعياً معك. وأيدوك بكامل إرادتهم!. إذن تعال معي نتحدث إليهم سوياً، ولنسجل كلامنا خطياً ويتولى المترجم نقل حديثنا إليهم باللغة البونيقية؟! ". (Augustinus, N.D, P 130) وفي رسالة أخرى إلى منافسه الأسقف ماكروب، ينوّه أوغستينوس بأن أحد المترجمين قد نقل كلام ماكروب إلى البونية؛ لكي يفهمه أهالي المدينة. وإذ يشير أوغوستينوس إلى واقعة تعيين أحد القساوسة الأفارقة أسقفاً بين الناس، وقال بأنه فكر ملياً في من يكون الرجل المناسب لهذا المنصب؟ والذي يجب أن يجمع ما بين التدين والفقّه في المسيحية، وبين الدراية باللغة البونيقية (Augustinus, N.D, P 130) Punica Lingua

ويقول أوغوستينو أيضاً في إحدى عظاته: في بلادنا عدد من الفلاحين المراطقة، بل أقول كان هناك بعض منهم، ولكنهم تضاءلوا تدريجياً. أنهم أهل هاييلون. وهو اسم بوني مأخوذ من اسم هاييل ابن آدم. فلقد كان أوغستينوس شديد الاهتمام باللغة البونية، (غوتيه، 2010، ص 70) وفي رسالة إلى أحد أصدقائه اللاتين، يدعى Maximo ؛ يمكن ملاحظة بأن أوغوستينوس يظهر في خطابه إلى صديقه الرومي، بصفة المدافع وبحماس عن لغته أسلافه البونيقية، قائلاً: " يجب أن تشعر بالخزي لأنك ولدت في منطقة هي مهد اللغة البونيقية، ولا تزال كذلك إلى اليوم!. (Augustinus, N.D, P 24) وهذا النص يشير إلى حماسة أوغستينو تجاه لغة قومه، ويشير أيضاً إلى وجود حكم ومعارف كانت مسجلة في كتب بونيقية. لكنها مع الأسف غير موجودة بيننا اليوم. وقد وجدت أن ثمة تنوعاً في أشكال الألفاظ البونية

داخل رسائل أوغستينوس، وبعد المتابعة تمكنت من تحديدها على النحو التالي: Punic Punica Punica

(Augustinus, N.D, P 24) Punictur Punicmini Punicdam

وعندما وصل الونداليون Wandali إلى أبواب هيون/عنابة، يقول أوغستينوس بأنه قام خلال

الحرب الفاندالية بجمع بعض الأسماء البونيقية Mortuorum Punica من القتلى. ( Augustinus, N.D, )

(P 22) توفي أوغستينوس أثناء الحصار. وتلاشت الإمبراطورية الرومانية ولم يسبق مجيء العرب سوى بعض

الغزوات الفندالية والبيزنطية. ولكن ما الذي حل باللغة البونية؟

هناك مؤرخ آخر يجيب على سؤالنا هذا، ونعني به بروكوبيوس الذي جاء بعد أوغستينوس بنحو أكثر من

قرن كامل. فلقد ذكر بروكوبيوس أن أهل البلاد كانوا يتكلمون اللغة البونية. ويعني هؤلاء المغاربة الذين

عاشوا بعيدا عن قرطاج. الأمر الذي يدل على أن البيزنطيين كانوا قد عثروا عند قدومهم على اللهجة

البنونية في الأرياف. مر قرن من الزمن دون أن تتغير لغتهم هذه (غوتيه، 2010، ص 72).

حتى القرن السادس للميلاد، أي قبل الإسلام بقرن واحد، يؤكد لنا Procopius Caesarensis بأن

Chananæum الفينيقيين موجودين حتى وقته بالقرن السادس: حيث " أنشأوا العديد من المدن واستولوا

على كامل ليبيا، وهناك لازالوا يعيشون حتى وقتي، وهم يتحدثون باللسان الفينيقي، وإلى الآن لا تزال

توجد مدينة تسمى Tigisis وفي هذا المكان يوجد عمودين مصنوعين من الحجر الأبيض، يحتوي كل

منهما على حروف فينيقية يقولون فيها وباللغة الفينيقية: نحن الذين فروا من أمام وجه السارق يشوع ابن

نون " (Procopius, 1916, P 289) شهادة بروكوبيوس هذه، بصفته شاهد عيان، تدل على أن

البيزنطيين قد عثروا فعلا عند قدومهم على اللهجة البونية في الأرياف. أما العمودان فهما بونيان، وأما

الكتابة فلا يتفق معناها وترجمة بروكوبيوس. وليس بالإمكان فهمها الآن، لأن اللغة البونية كانت قد

اندثرت كلغة مكتوبة، ولم يبق منها سوى اللهجة العامية. (غوتيه، 2010، ص 71) وأجد بأن الراهب

البيزنطي Theophanes المعترف، يشير أيضا في حوليته إلى الملاحظة النصية المتعلقة بتدوين الفينيقيين لعبارة: نحن أولئك الذين فروا من أمام وجه يشوع السارق بن نون ... مكتوبة في مدرج وبالخط الفينيقي " (Theophanes, 1997, P 296) وكان بروكوبي، خلال زيارته لبيبا بالقرن 6 للميلاد، قد أشار إلى الوجود الفينيقي، قائلا: " هنا حدود مقاطعة Tripoleos كما يطلق عليها. حيث الأمة الفينيقية Gens Phoenica والمنطقة الحدودية يسكنها Maurulii Barbari (Procopius, 1537, P 140)

خلال القرن نفسه، القرن 6م، وقبل الإسلام بقرن واحد، أجد عبارات واضحة استعملها الناقد القرطاجي Flavius Cresconius Corippus (Corippi, 1820, P 80.87) ليست لاتينية! ولم أعر على ترجمة لها، وبدت وكأنها بونيقية! وهذه عينة منها على سبيل المثال لا الحصر:

Altiserae Fugen Impuleratque Effugiuntque Fraetis Tarasis Fronimuth Planate  
Dorotis Sinisgun Aduersumque Varrinumque Tuudit Timc Mucronc Mactatque  
Barsippa Cambri Curuat

مما قد يشير إلى أن عدد من أفارق المدن الساحلية، بما فيهم سكان قرطاجة الأم، لا يزالوا حتى القرن 6 للميلاد، يستعملون مفردات بونيقية أو فينيقية أو Libyphoenicians في صيغ لاتينية. خصوصا وأن Luis Del Marmol Carvajal يؤكد بأن أصحاب اللغة اللاتينية من الرومان، قاموا عند سيطرتهم على شمال إفريقيا، بمحو وطمس الأسماء والحروف التي استعملها الأفارقة. (كرفاخال، 1984، ص 117).

ويصف Corippus حاضرتة قرطاج عند نزول الجنرال البيزنطي Iohannes Troglita أمام أسوارها؛ بمدينة Tyrii ، والتي تعني من اللاتينية إلى العربية مدينة صور الفينيقية، وأجد كورييوس يذكر باللاتينية أيضا اسم Tyriuses والتي تعني الصوريين، ويقصد بهم الصوريين الفينيقيين من سكان قرطاج. ( Corippi, 1820, P 16) ويكرر العبارة Tyrii ويقول بأن أهل صور ويقصد بهم سكان قرطاجه، عانوا الكوارث والمعاناة والويل والسفك والنهب والسلب من القبائل الجبلية من المور (Corippi, 1820, P 60) ويستعمل

أيضا عبارة Tyriam بمعنى الصوريون، ويقول أن رسالة حزينة صدمت المدينة الصورية Nuntius Infelix Tyriam Concusserat Urbem بعد سماعهم نبأ هلاك قسم كبير من الجنود الرومان/البيزنطيين وحلفائهم من حاميات المدن، وبعض كبار القادة، في معاركهم داخل ليبيا. (Corippi, 1820, P 119) وفي مناسبة أخرى يستعمل عبارة: الشعب الصيداوي Sidonias وزعمائه في المدينة (Corippi, 1820: 38)

كل هذا حدث خلال القرن 6م، أي قبل الإسلام بقرن واحد. ولعل هذه الشهادات تفيد بأن لغة الأفرارق البونية/اللغة البونيقية Punic Lingua بصفتها نتاج للفينيقية السامية القديمة Proto-Semitic قد ظلت حتى القرن 7م متداولة ومستعملة بين أناسها. وبالتالي فإن التغيرات الديموغرافية/البشرية والإدارية والفلكلورية/الثقافية والدينية التي طرأت على البلد بعد إخضاع العرب الفاتحين له. قد ساهمت في انقراض اللسان البوني نهائيا، والذي كان قد تأثر بعد الميلاد بالحرف اللاتيني. ولعلي سأستشهد هنا بما أورده وبشكل مفصل المؤرخ Leo Africanus والذي ينفرد بسرد الآتي: " في موضوع الحروف المستعملة من قبل الأفرارقة يتمسك المؤرخون العرب بالقول ليس لدى الأفرارقة أي نوع آخر من الحروف غير اللاتينية! قائلين أنه عندما أخضع العرب أفريقية، حيث كان يتواجد ولا يزال كل أدب وحضارة أفريقية وحتى عند إخضاعهم البلاد البربرية لم يجدوا أي نوع آخر من الحروف غير اللاتينية، ويعترفون في الوقت نفسه بأن للأفرارقة لغتهم الخاصة، ولكن في معظم الأحيان فإنهم يساعدون أنفسهم باستخدام اللاتينية .. أمر العرب بحرق جميع الكتب الموجودة والتي تحتوي على قصص وعلوم الأفرارقة، فحسب رأيهم؛ هذه الكتب هي فرصة للخيانة والتجديد الروحي المنبعث دائما بالفخر القديم والاعتزاز بالعادات/الأعراف الرائعة القديمة للأفرارقة. ويؤكد البعض الآخر من المؤرخين لدينا، بأن للأفرارقة كتبوا بلغة/حروف معينة ولكن بعد أن وطقت أقدام الرومان في البلاد البربرية، قاموا بالاستيلاء على البلاد، فحكموها، وسيطروا عليها؛ ثم تركوا

فقط لغتهم وحروفهم منقوشة، على عادة المنتصر، فيما كان على المغلوبين أن يتقادوا إلى شروط المنتصر.

إذا ما كانوا يريدون الحصول على نعمتهم، كما حدث للفرس في مجال العرب (Jean Leon, P 87) من جانب آخر، من المثير للانتباه وجود بعض الكتابات باللغة الحميرية في مدينة قرطاجة حتى مطلع العهد الإسلامي. (أبي دينار، 1993، ص 33) وفي هذا الصدد أنا لست على قناعة بالفرضية التي يتداولها بعض الباحثين والمؤلفين، والتي تفيد بأن استعمال اللغة البونيقية بين السكان في الشمال الإفريقي، قد سهلت من عملية فهم البربر للغة العربية! (روسّي، 2009، ص 34) ويرى أيضا باحث الدكتوراه السيد لعربي، ونقلا عن اقتراحات غيره، بأن انتشار اللغة البونيقية قد سهل من سرعة انتشار اللغة العربية في المغرب (لعربي، 2018، ص 72) مع أنني لا أرى سرعة لانتشار اللسان العربي في بلاد طرابلس وبرقة! أتحدث عن ليبيا أطرابلس وأنطابلس وفزان على الأقل، حيث لا مساجد ولا زوايا ولا مراكز إدارية أو تعليمية أو أي مؤسسات مدنية أو خدمية أو عمرانية كالتالي دُشنت في سوريا والعراق ومصر وتونس.

على مستوى الأطروحات العلمية، أجد أطروحة دكتوراه للباحثة الجزائرية فاطمة لواتي، تحت عنوان: الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية في المنطوق اللهجي العربي بسوريا ولبنان وتونس والجزائر (لواتي، 2016، ص 110) وعند تفحصي للأطروحة، لم أجد بها أية استدلالات لغوية لأسماء فينيقية وبونيقية لكي يجري ربطها بالعربية الحالية! كل ما هنالك هو حصر لقوائم الألفاظ السامية الكنعانية والفينيقية وغيرها بسوريا ولبنان وربطها مع الكلمات المتداولة في لهجات تونس والجزائر. وثمة بحث مشابه من إعداد الباحثة الجزائرية أيضا: زليخة بلعباس (بلعباس، 2012، ص 9) وإن كانت الأخيرة تضع بضع كلمات دارجة في اللهجة وتفيد واستنادا إلى بعض المراجع بأنها بونية الأصل. وعموما نحن لا نختلف حول وجود ساميات كثيرة وليست حتى بسيطة في لهجاتنا، ولكننا نختلف في توقيت دخولها المنطقة؟! هل هو قبل أم بعد

الإسلام! وتختلف أيضا في فرضية بقائها واستمرارها بعد جيل الفينيقيين والبونيقيين الأوائل لتصل إلى بدايات العصر الوسيط الإسلامي. أم أنها كانت قد انقطعت منذ زوال الفينيقية وتبدل اللغة البونيقية إلى بونية حديثة مختلطة بمزيج ما بين بقايا مفردات فينيقية ولهجات مازيغية ومصطلحات لاتينية، مما جعلها عند وصول العرب مجرد لغة هجينة غير نقية، وأكثر من ذلك فإن مستعملوها وهم سكان المدن الساحلية من بقايا الفينيقيين والليبيين المتمدنين، كانوا قد هلكوا وهاجروا على مراحل وظروف مختلفة باتجاه جزر البحر خلال محن العصر الوسيط.

ما ينبغي التأكيد عليه الآن؛ أن معظم المفردات السامية لم تكن متسربة إلى لهجاتنا منذ العهود الفينيقية قبل الميلاد. بل انتقل غالبها مع انتقال العرب والمشاركة السوريين والعراقيين القادمين إلى بلدان المغرب بعد الإسلام وفي عهود مختلفة. وما أراه بالملاحظات المصدرية أن العرب لم يكونوا على فهم بلغة السوريين وهي السريانية والآرامية وغيرها. حتى أن الإنجيل الذي كان مكتوبا بالسريانية في الشرق الأوسط، تم ترجمته إلى العربية على يد فقهاء لغة كما يؤكد لنا ميخائيل السرياني الكبير (ميخائيل الكبير، 1996، ص 327) مما يؤكد بأن العرب لم يكونوا على فهم ودراية باللغة السريانية والتي تحدت من الآرامية. وإذا ما أخذنا بشهادة الكسداني فهو يقول بأنه ولدرايته بالسريانية، كان قد ترجم أول كتاب سرياني في الفلاحة إلى اللغة العربية. (الكسداني، د.ت، ص 1) لقد كانت السريانية متصلة حتى بالإرث الأدبي البيزنطي (Riedel, 2012, P 25) وباعتبار أن السريانية هي ابنة للآرامية والتي تعد من نتائج اللغة الفينيقية أيضا، فالسريانية مع النبطية هي الوعاء الجامع لبقايا المفردات السامية الأم، وهي وبشهادة الفهرستي العربي الإسلامي الشهير: ابن النديم، الفصحى العتيقة في الشام!. (النديم، د.ت، ص 18) فلماذا تتم ترجمة أعمال الأدب السرياني إلى العربية! إن كانت مفهومة! وباعتبار العربية أقرب لسان إلى السامية الفينيقية القديمة؟

أما إذا ما رجعنا إلى أحد أقدم مؤرخي الفترة الإسلامية في بلاد أطرابلس، وهو: لؤاب بن سلامّ التوزري المزاتي [ت 273هـ/886م] فإننا سنجد مصادفة بأنه يشير إلى أن جماعة من بربر لواته، وديارهم كانت بأنطابلس/ أي شرقي ليبيا، عندما ذهبوا إلى مقر الوالي عمرو بن العاص في مصر، طالبين منه إرسالهم إلى مجلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فإن ابن العاص، قد أرسل معهم ترجمانا (ابن سلام، 1985، ص 147) - وهو مترجم مصري كما يبدو - يفهم اللسانين العربي والبربري الى جانب اللسان القبطي. وهذا بدوره دليلا قاطعا على عدم وجود أي صلة لغوية ما بين العربية والبربرية. وينفي هذا الشاهد أيضا فرضية تعلم البربر للعربية انطلاقا من تداولهم المسبق للسان البونيقى/الفينيقي-الليبي.

## 2.5 Libyssae الكتابة الليبية

في شرقي ليبيا وفي النواحي الغربية لمصر، عثر العلماء في أواخر القرن التاسع عشر، على كتابات أو علامات ليبية قديمة، بدت أشبه بعلامات ونقوش ودوائر وأسهم، تعد مجهولة المعنى، خصوصا وأنها غير موجودة اليوم، ربما تلفت بسبب عوامل التعرية، أو تعرضت للتخريب أو الإزالة لأغراض مادية، أو للكسر والدمار. وعلى هذا الأساس من المحتمل أن بعضها كان يشكل حروفا، والآخر يمثل رموز بشرية معينة. تم العثور على نماذج من هذا النوع بالقرب من منطقة بير الكنايس Bir El-Kanays بغربي مصر. وفي بير إسطلب Bir Es-Stabl في غربي مصر، كما تم العثور على علامات أخرى أيضا في حطية جربه Hattiah Gerbah في جزيرة جربة التونسية. أما في غربي مصر، وإلى جانب ما سبق، فقد شاهد ووثق عالم اللسانيات البريطاني: أوريك بيّتس Oric Bates أيضا علامة ليبية قديمة، وجدها بمنابة وشم Tattooed على يد أحد أفراد قبيلة أولاد عليّ Aulad 'Ali (Bates, 1914, P 90) والذي من الواضح أنه قد اقتبسها من إحدى الشواهد القديمة في غربي مصر شرقي ليبيا. ومن الملاحظ أن العلامات المرصودة في الأماكن المذكورة، لا تتشابه في شيء! مما يعني بالنسبة لي على الأقل، أن واضعي تلك الحروف

والعلامات، لم يكونوا من مجتمع بشري واحد. بل جماعات بشرية مختلفة لا علاقة لها لغويا وثقافيا ببعض. ومن المثير أن نلاحظ أيضا، بأن بعض هذه العلامات تقترب في شكلها من الأبجديات السامية المتأخرة، أكثر من قربها من حروف التيفيناغ Tifinagh وخاصة حروف بير إسطل. لذلك يجزم علماء اللغات الكلاسيكية بأن اللغة اللوبية، لم تكن في أصلها سوى جذر كتابي مستوحى من الأبجدية الفينيقية. فالفينيقيين وكما يؤكد السيد فنطر، يعتبروا أول من أدخل الكتابة إلى شمال أفريقيا خلال نهاية الألف الثانية قبل الميلاد. (فنطر، 2004، ص 11) فيما يقترح بيتس Bates واستنادا إلى النقوش الواقعة في غربي مصر شرقي ليبيا. والتي لا علاقة لها بالفينيقيين المنتشرة ثقافتهم في غربي شمال أفريقيا. أن اللبيين الشرقيين The Eastern Libyans ومن وجهة القواعد/الأسس اللغوية Linguistic Grounds كانوا على اتصال بسكان وادي النيل The Nile Valley في فترة مبكرة جدا؛ وكان لديهم في فترة متأخرة بعض المعرفة بالخط الليبي The Libyan Script الذي تم تطويره في الغرب، ومنه أتت كتابة Imushagh الإيموشاغ. (Bates, 1914, P 90)

غير أنني لا أرى بالضرورة أن سبب ظهور الحروف اللبية في غربي مصر - شرقي ليبيا، أمر يرجع إلى الاحتكاك بالمصريين. لأن لغة الفراعنة التصويرية مختلفة تماما. وأفترض أن بعض الحروف المستقلة قد ظهرت تلقائية، خصوصا وأنها بسيطة وتمثل علامات هندسية. دوائر أو مربعات وخلافها. ويظهر هذا مثلا في نقوش بير الكنايس. مما يعني أن أصحابها محليون وغير متأثرون لغويا في هذا الجانب بغيرهم. أما الحروف الأخرى والمتصلة منها بالأبجدية السامية، كالتالي وجدت في بير إسطل/غربي مصر أيضا. فهي تعبر في تقديري عن مجتمع بشري سامي مهاجر من الشرق الأوسط. وجلب معه بعض علاماته من هناك. كما إن العلوم الجينية والوراثية اليوم أثبتت حقيقة الهجرات الشرق أوسطية، بل وحتى الأورو-آسيوية، القادمة من المتوسط بشكل عام، وعبر منفذ شبه جزيرة سيناء بوجه خاص.

لا يزال فهمنا قاصرا حول أصل اللغة التي تكلمها الليبيون الأوائل منذ فجر التاريخ، لا تزال عباراتهم وألفاظهم غامضة وغير معروفة، تماما كما هو الشأن بالنسبة لأصل السكان القدامى أنفسهم، الذين تتجاذبهم اليوم نظريات تاريخية وأنتروبولوجية وجينولوجية، مختلفة. خصوصا في منطقة فاتحة مطلة على هجرات وحضارات وحركات متصلة. على عكس بقية أرجاء القارة الإفريقية المغلقة، والتي ظلت Negroid نيجرويد/زنجية الثقافة أو إفريقية سوداء، بسبب عزلتها وعدم اتصالها بالهجرات البشرية منذ فجر التاريخ، إلى أن انطلقت حركة الكشوفات الجغرافية في مطلع العصر الحديث.

لكن من الجيد أن نفهم بداية، اعتبار أن لغة الليبيين الشرقيين القدامى، لا تتمتع بنماذج نصية لها!. باستثناء بعض الحروف التي بدت كعلامات مختلفة وغير متشابهة. ومع ذلك ورغم الاختلاف، يرى بيبس، أن اللسان البربري القديم، هو سلف اللهجات الباقية على قيد الحياة اليوم، في جبل نفوسا وغات وغدامس وأوجيلة ومراده وسيوه. (Bates, 1914, P 76) مع ملاحظة أن اللسان المازيغي، ورغم اختلاف لهجاته Forty Berber Dialects إذ ثمة 40 لهجة بربرية. ولكن من وجهة المخزون اللغوي، كان اللسان البربري كغيره من الألسن قد استعار العديد من الألفاظ والعبارات الفينيقية Phoenicians والإغريقية Greeks والرومانية Romans والزنجية Negroes وأخيرا العربية Arabs بل وحتى التركية والإيطالية في العصر الحديث والمعاصر. جميعها تسللت إلى اللسان/الخطاب البربري Berber Speech كما إن المحاولات التي بُدلت وكما يؤكد بيبس Bates لإيجاد روابط بين اللهجات البربرية Berber وربطها بالسامية القديمة Proto-Semitic والأتروسكية Etruscan والباسكية Basque والعربية البعيدة A Remote Arabian وغيرها، لم تكن ذات نتائج حاسمة، ولم تساعد على الإطلاق في تسوية المسألة. (Bates, 1914, P 73)

لكن وعلى عكس الحروف الليبية المتقطعة، فإن ما يبعث على الاندهاش هو ظاهرة بقاء حروف التيفيناغ The Tifinagh Letters بنفس القدر الذي يدعو إلى الاستغراب حيال بقاء الحروف الأترورية/الأتروسكية، في بعض القرى البعيدة في جبال الإبينان بإيطاليا. أو الحروف الرونية في أحد الأودية الأسكندنافية. أكثر من ذلك يلاحظ كامب أيضا، أن كتابة التيفيناغ لم تستخدم أية آداب! فعندما يعبر البربري على غير شواهد القبور والنقوش؛ عن الحب؛ فإنه يأتي على البونيقية/الفينيقية الغربية في عهود الملوك النوميديين والماوريين. أو باللاتينية في زمن أبوليوس. أو بالعربية أو بالفرنسية في العصور وكما يشير فيرميرش لم يشك أي جيل من الباحثين، في الارتباط الوثيق ما بين اللغة النوميديّة التي ظهرت في آخر الألف الأولى ق.م، وحقيقية تفرعها عن الإطار السامي - الحامي، أو كما قال العالم الفرنسي أندريه باسيه، أن النوميديّة ليست سوى لهجة قديمة من اللغة الليبية الأقدم (فيرميرش وروسلر، 2009، ص 335) وعلى الرغم من كثرة النظريات التي طُرحت لربط اشتقاقات وأصول أبجدية الشمال الإفريقي، التي يُطلق عليها أسماء مختلفة: ليبية - نوميديّة - بربرية، وحول أصل سليلتها التيفيناغ، إلا أن نظرية هاليفي بالقرن التاسع عشر، لا تزال أقواها. وقد قارن هاليفي الأبجدية الليبية بالأبجدية الفينيقية التي كانت شائعة في الشمال الإفريقي، فوجد ستة من الحروف الليبية الثلاثين، لها نظائر قديمة في الأبجدية الفينيقية، تمثل نفس الأصوات، مما يدل على أن فكرة الكتابة الليبية والتي ظهرت في الأساس بعد استيطان الفينيقيين للسواحل الإفريقية، قد اشتقت من الفينيقية، ثم أضيفت لها علامات أخرى من مختلف بلدان البحر المتوسط، وتم ضمها لاستكمال الأبجدية الليبية لتكون بسيطة وعملية وتفي بالحاجة في التسجيل على البضائع والمصنوعات والمنتجات الخزفية وغيرها (البرغوثي، 1971، ص 147).

إن من بين مشاكل صعوبة دراسة الكتابة الليبية القديمة، بصرف النظر عن رداءة بعضها، هو افتقارنا للمواد اللازمة لدراسة هذه المسألة. والتي يفترض أن نوضح بأنها ليست كتابة بالمعنى الحرفي للكتابة

في أعلامها ومرادفاتهما وقواعدها ومعانيها ونحوياتها. بقدر ما كانت متمثلة في هيئة نقوش ورموز وعلامات، بعضها يعد مجهول الغاية والمعنى، وأعتقد أنها كانت إشارات لأشياء معينة بين السكان. فيما كان لبعضها معاني فعلا، وله نظائر مقابلة في اللغات البونيقية الفينيقية القديمة، والعربية والإنجليزية المعاصرة. ففي الريف الذي كان يوما ما خلال القرون الميلادية الأولى، تابعا لبلدية لبدة الكبرى، وجد علماء الآثار أسماء بربرية خالصة على قبور مستوطنة قرزه Ghirza استخدم القدماء لكتابتها لغة ليبية، ولكن ومع الأسف لم يتم التمكن من فك رموزها إلى حد الآن (كينريك، 2015، ص IX) الخلاصة هي حروف ليبية قرزية منقرضة. لأنني أشدد على أن الكتابة المحلية في بلادنا عرفت أشكالا مختلفة لا علاقة لها ببعض، ولا ترتبط ببعض. بمعنى أن كل مجموعة بشرية استخدمت حروفا وعلامات ورموزا معينة، وهذا يقودني إلى الاعتقاد بأن لكل نموذج منها مجتمعه الخاص والمختلف عن غيره، تماما مثل اختلاف اللهجات البربرية أو الأمازيغية والتي تصل في عصرنا هذا، إلى أكثر من 40 لهجة، تتحدث بها أكثر من 80 مجموعة بشرية لا يفهم على وجه العموم بعضها الآخر. ويذكر المؤرخ المغربي الحسن الوزان، الشهير في أوروبا ليو أفريكانوس Leo Africanus ما يفيد بأن للشعوب المغاربية: " لغة واحدة يطلق عليها اسم Aqitel Amarig اكيثيل أماريغ. أي اللغة النبيلة بينما يسميها عرب أفريقيا باللغة البربرية بينما هي في الواقع، اللغة الإفريقية الأصيلة والممتازة، والمختلفة عن غيرها من اللغات " ( Jean Leon, 1898, P 28) إن كلمة اكيثيل أماريغ Aqitel Amarig أو أمازيغ بحسب بعض القراءات، والتي تعني الكلام النبيل، وفق الحسن الوزان، تفيد بأن معنى كلمة أمازيغ في حد ذاتها هي: نبيل. ويأتي هذا عموما في إطار تفخيم الشعوب لذاتها، أو اعتبار جنسها الأسمى بين البشر. ويُعرف عموما عن الإيموهاغ/التوارق، هذا النوع من التباهي.

وعلى الرغم من أن ليبيا - شرقها وجنوبها - هي مهد الكتابة الليبية الأولى: المارماريكية

Marmarican والتيفيناغ Tifinagh إلا أن أكثر النقوش التي وجدت بالأبجدية الليبية Libyan

Alphabet القديمة، لم يتم العثور عليها في ليبيا! بل في تونس والجزائر!. وهما منطقتان كانتا أكثر استقرارا

واحتكاكا بالفينيقيين في العصور التاريخية، وقد وجدت في نوميديا نقوشا لغوية ترجع إلى القرن 2 ق.م.

وأخرى تعود إلى القرنين 3-4 بعد الميلاد، ولم يُقرأ منها إلا بعض كلماتها، ويظهر أن أبجديتها كانت

صوتية، وعلى هذا النحو تم الاعتقاد بأن الأبجدية الليبية/النوميديية، لم تكن سوى تطوير محلي لأفكار

نقلها النوميديون الأوائل عن قدامى التجار الفينيقيين (البرغوثي، 1971، ص 147).

أما أقدم أثر للكتابة الليبية الأولى، أو للأبجدية الليبية Libyan Alphabet القديمة، فقد وُجد في

شرقي ليبيا. يمكننا القول أن آثارها لها قد وجدت في Marmarica مارماريكا/البطنان حاليا. وهي المنطقة

التي عرفت باسم مراقبة في العصر الإسلامي. لقد تم اكتشاف ذلك النقش في القرن التاسع عشر، ووثقه

مشكورا عالم اللسانيات البريطاني: أوريك بيّس Oric Bates وكانت حروفه كالتالي:



لا يمكن قراءة هذه النقوش بالشكل الذي كُتبت به. رغم أن الحرفين الأولين على اليمين + يعنيان

في التيفيناغ حرف الثاء. فيما تعني الدائرة 0 لوحدها حرف الراء. أما الشكل الثالث والذي يشبه شكل

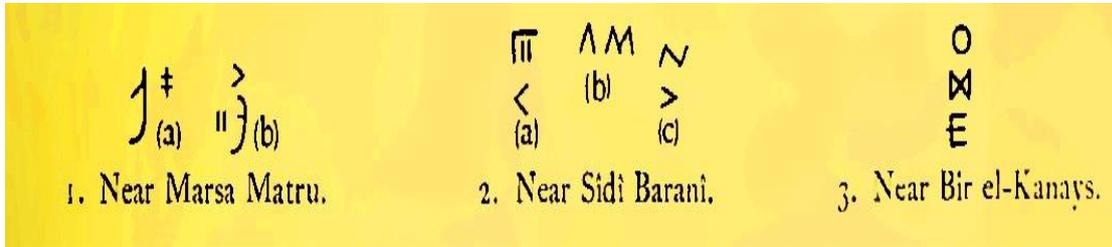
= بوضع طولي، فهو يمثل حرف اللام. بقية الحروف لم أجد شخصيا أية نظائر لها في التيفيناغ. مع

ملاحظة أن الكتابة الليبية المارماريكية Libyan Marmarican تعد أقدم من التيفيناغ Tifinagh والأخيرة بحسب عالم اللسانيات البريطاني: أوريك بيّتس Oric Bates هي نتيجة تأثر بالأولى.

بعض العلامات ذكر جيمس هاملتون James Hamilton وجودها في منطقة الصفصاف ببرقه سنة 1852م. وقال بأنها رموز ليبية وأخرى تارقية (هاملتون، د.ت، 118) مع ملاحظة وجود أحرف لاتينية بها، إلا أنها تبدو بالنسبة لأوريك بيّتس Oric Bates ليست سوى بضعة علامات وخطوط رسمها أحد عمال البناء. وبعضها له شكل الحروف الليبية، وفي جميع الأحوال قامت بعثة بريطانية خلال سنتي 1821 - 1822م بجمع علامات من هذه النماذج، من عمودين وُجدا في آثار تل حامد جاروشن في خليج سرت الكبير. وتوجد علامات مشابهة لها في غربي مصر (Bates, 1914, P 89)

وفي عام 1873م يخبرنا الأرشيدوق الأمير النمساوي لودفيغ سالفاتور Ludwig Salvator بأن النماذج الكثيرة من الأعمدة والرخام والنقوش وخلافها من الآثار في قورينا، قد قامت بريطانيا بنقلها أو تهريبها عبر بارجة عسكرية رست على وجه السرعة في مرسى سوسة (سلفاتور، 2005، ص 73) وطبعا هي تشكل اليوم جزء من المتاحف البريطانية بل والأوربية عموما.

العلامات التالية تعتبر مثالا لنوع الكتابات الليبية التي جُمعت من إقليم Marmarican مرماريكان شرقي ليبيا، ومن مرسى مطروح بغربي مصر، عام 1910:



الأولى بالقرب من مرسى مطروح. والثانية بالقرب من سيدي البراني. والثالثة بالقرب من بير الكنايس. (Bates, 1914, P 89) وجميعها على الحدود الغربية مع ليبيا بالنسبة لمصر اليوم. وبحسب

توضيح عالم اللسانيات المؤرخ الأركيولوجي الشهير أوريك بيتس Oric Bates فإنها تؤكد حالة الاشتقاق اللغوي/الأبجدي؛ بين الحروف الليبية الشرقية، المستخدمة لدى إحدى الأقوام القديمة المجهولة بالضبط، والتي ربما تكون من الفصائل التي سماها الإغريق: Marmadae مارماريادي أو Adyrmachidae أديروماخيداي. في أواخر الألف الأولى ق.م. وبين اللغة السامية Semitic Language أو الحروف الفينيقية Phoenicum السامية 1200 ق.م. والمعدة بحسب علماء تاريخ اللغات: أصل الحروف الليبية Libycos والبونيقية Punica المهجينة، والتيفيناغ Tifinagh وهي آخرها في الترتيب الزمني 200 ق.م. النماذج الأصلية الثلاث لتلك الكتابات المتقطعة، لاتزال كالعادة محفوظة بالمتحف البريطاني في لندن. وطبقا لكل الظواهر يرى جوليان أن تقارب اللهجات المحلية القديمة، ناتج عن مصدر ليبي واحد، هو أصل اللهجات البربرية/الأمازيغية المختلفة في عموم شمال إفريقيا: " ولا شك أن هذه الوحدة قد ظهرت قديما في ميدان اللغة، وقد لا يكون ذلك باستعمال لغة واحدة في بلاد البربر كلها، بل في أغلب الظن باستعمال لهجات متقاربة تكون مجموعتها المسماة اصطلاحيا الليبية فرعا من فروع أسرة حام، وهي مصدر اللهجات البربرية الحالية. غير أن هذه المجموعة التي هددتها لغات مدنات أخرى تصدعت وتفرقت كتلا مختلفة " (جوليان، 1983، ص 66).

لدي تصورات حول خلفية ساكنو المنطقة الممتدة من غربي الدلتا حتى إقليم قورينا، مستوحاة من ما يمدنا به الجغرافي العربي الأندلسي: أبو عبيد الله البكري [404-487هـ/1014-1094م] حيث يصف المنطقة بداية من بير " الكنايس وهي ثلاثة قصور مهدمة ... وأحياء كثيرة من بني مدلج، ومن قبائل البربر نحو ألف بيت من فاضلة وعقيدان " (البكري، د.ت، ص 4) وعلى هذا الأساس قد تكون الكتابات الليبية القديمة في غربي مصر - شرقي ليبيا، تعود إلى إحدى أسلاف القبائل الليبية الشرقية، والتي كانت لاتزال تقطن المنطقة الواقعة ما بين مصر وشرقي ليبيا حتى أواسط العصر الإسلامي الوسيط، وتحديدًا في

بير الكنايس ومرسى مطروح وممرريكا. ولكن يبق هذا مجرد تخمين، لأن المنطقة عرفت تحولات بشرية طويلة ومختلفة. وتكاد لا تكون هناك جماعة بشرية واحدة مستقرة وثابتة في مكانها منذ ما قبل الميلاد إلى يومنا هذا. خصوصا وأن طبيعة المنطقة عموما طاردة، ونمط سكانها في الغالب قروي أو بدوي رحال. ناهيكم وأن معظم البطون والتفريعات المذكورة في مراحل مختلفة من التاريخ، هي اليوم غير موجودة كما هو الشأن مع قدامى إقليم برقه.

في عام 1869م تحدث البارون الألماني: هاينريخ فون مالتزان Heinrich Von Maltzan عن نقوش كتابة ليبية قديمة، في منطقة الجم بولاية تونس، اعتبرها شبيهة بكتابة التيفيناغ، المستعملة بين بعض التوارق، ويخلص Maltzan إلى الاستنتاج بأن الكتابة الليبية ظلت متداولة في الجزء الشمالي من إفريقيا حتى استيلاء العرب على المنطقة بعد الفتح الإسلامي، وبذلك اختفت. فيما ظلت ذائعة لدى الطوارق فقط في أعماق الصحراء، ولكن في آثارهم الكتابية فقط؛ لا في كتابتهم اليومية المعتادة (مالتزان، 2008، ص 105).

والملاحظ أن اللغة الليبية *Lingua Libyssae* القديمة، أو الحروف الليبية الكلاسيكية، تختلف فعليا عن بعضها البعض، فهناك الكتابة الليبية *Eastern Libyan* الشرقية. والحروف الليبية المارماريكية *Libyan Marmarican* إلى جانب اللغة الليبية النوميديّة *Lingua Libyssae Numidam* وهي تختلف في عدد من الحروف الزائدة أو الناقصة. وتعد متقطعة ومنفصلة عن بعض، كل منطقة وجدت بها حروف تتشابه شكليا بوجه عام، لكن لا توجد أي كتابة منها تشكل أبجدية كاملة. هذا ما أمكنني ملاحظته من النماذج المتوفرة لها. فضلا عن اختلافها عن حروف التيفيناغ *Tifinagh* المستعملة بين بعض الإيموهاق/التوارق. علاوة على ذلك، تعد الليبية لغة منقرضة لا أحد يعرف معناها إلى اليوم، ولا ترتبط بأي صلة لسانية باللهجات الأمازيغية الحالية.

في تقديري كان لغياب وجود لغة ليبية مكتوبة في رسائل/دواوين/مخطوطات/ومدارس؛ كلغة حقيقة ومتكاملة في ليبيا، الدور البارز في قبول السكان الساحليين القدامى باللغة الفينيقية، والتي اندمجت بدورها في مجتمع الخليج الجديد وهو مجتمع الليبوفينيكس Libycas-Phoenicum أو كما ذكرهم الجيوجرافي بطوليموس باسم " الليفيفينيكس " (بطوليموس، 2004، ص 46) فمعظم الجماعات التي سكنت بلادنا في الألف الأولى قبل الميلاد، وما بعد خلال القرون الميلادية الأولى. كانت بسيطة النمط ذهنيا وفكريا وحياتيا ومعيشيا. إلى حين دخول الإسلام واستعمال البربر للكتابة الورقية خلال القرنين 2-3 الهجريين، أي مع نشاط أذهانهم وحراك عقولهم خلال مرحلة الازدهار العلمي بالفترتين المالكية والأباضية. في حين لم تكتب الجماعات المحلية قبل هذا التاريخ شيئا عن واقعها؛ وحتى مؤلفات الفترة الأباضية كانت في الواقع مؤلفات فقهية، ولم تُعنى بالطبيعة والمجتمع واللغة واللسان والتاريخ والعمران. أما مجتمعات العصور القديمة، فقد عاشت - باستثناء الجرمنت - وببساطة في غالب مراحلها، نمط حياة بدوي، لم تملك حروفا كاملة، ولا لغة حقيقية متكاملة، ولم تعرف الكتابة في شكلها المنهجي والمنظم ضمن سجلات ومؤلفات. حتى إذا ما استثنينا هنا الفصائل البشرية التي كتبت نقوشا وعلامات في مارماريكا وبيير الكنايس ومرسى مطروح على الحدود الليبية المصرية الحالية، أو تلك المجموعات الفزانية التي كتبت عبارات التيفيناغ فإنها هي الأخرى لم تفدنا في شيء! بمعنى لم نفهم منها شيء، مما يدعوني إلى اعتبارها مجرد حروف صامتة، لم تنفعنا تاريخيا أو ماديا أو أدبيا في شيء. كانت التيفيناغ، هي إحدى الأبجديات المكتوبة على منحدرات تدرارات أكابوس بأقصى جنوب الصحراء. والسائد هنا أنها كتابة صخرية أنجزت، كما تشير الأبحاث الأركيولوجية، بعد ظهور الأبجدية الليبية/النوميديّة في توغا بالجزائر بالقرن الرابع ق.م. رغم وجود نقوش ليبية غامضة المعنى، في مرمريكا ومطروح حتى غربي النيل، كانت أشبه بالدوائر والخطوط والعلامات القريبة بعضها من الأبجدية السامية، أرى في تقديري وبعد المطابقة بأنها أصل للتيفيناغ. ومعظمها عموما ينطلق

من نقطة واحدة مؤداها أنه قد استمد فكرته حيال الكتابة من الحروف الفينيقية. وكما يبدو فإن التوارق قد نقلوا التيفيناغ عن قدامى الجرمنت، ثم تحدثوا باللغة التارقية بلهجاتها الثلاث: أموهاغ Imuhagh أو تماجق، وتماشق Tamaciq تماحق. وقد لاحظ ريمون فيرون في جنوب غربي ليبيا خلال العصر الحديث؛ بأن " الطوارق يستخدمون في كتاباتهم حروفا خاصة تسمى تفيناغ، وهي طريقة الكتابة البربرية الليبية التي اشتقت من الكتابة البونية الفينيقية أول الأمر، ولكنهم لا يستخدمونها الآن، ولذلك لا يستطيعون في أكثر الأحيان قراءة نقوش أجدادهم! " (فيرون، 1963، ص 95) لكن الملاحظ وعلى افتراض أن التافيناغ هي لغة التوارق شخصيا وليست منقولة عن الجرمنت، لماذا لا نجد التافيناغ القديمة إلا في جنوب غربي ليبيا؟! حيث حضارة ونشاط الجرمنت! لماذا لا نجدتها في بقية المناطق التي تستوطنها أكبر تجمعات القبائل التارقية؛ وهي في جنوب الجزائر، وأزواد شمال مالي، وشمال النيجر، ثم شمال بوركينا فاسو! ويجب أن لا يخلط البعض في ما بين التافيناغ وما بين الكتابتين الليبية والبونوية التي استعملهما النوميديين في قسطنطينية وبقية مناطق شمال الجزائر، وإن كان استعمالهم في مجالات النقود والنقوش والمعابد والقصور، للغة البونية واللاتينية أكثر من الليبية المحلية بكثير.

### 3.5 Latinus الكتابة اللاتينية

منذ سيطرة الرومان على ليبيا، استمرت الشواهد التي تصب في النهاية في اتجاه أن من يطلب العلم والثقافة والكتابة؛ لا بد أن يكون روماني الثقافة! وذو دراية باللسان اللاتيني. وفي هذا الاتجاه، يقع ارتباط الجميع بالنموذج الروماني، والذي ينضوي فيه المرء تحت لواء الحضارة الرومانية مضطرا، خصوصا في اطار غياب وانعدام وجود النظم الحضارية المحلية المتعلقة بالمدارس أو تلك المرتبطة بسلك الكتابة والتعليم والتدوين، وكان من بين علامات الاندماج الإفريقي شبه التام في الحضارة الرومانية، هو استخدام الكتابة اللاتينية، حتى فيما يتعلق باللغة البونية الحديثة، مع نطق الجمل والكلمات وفق اللاتينية الإفريقية، فلقد

كانت لاتينية إفريقية، تختلف عن لاتينية إيطاليا (أبوليوس، د.ت، ص 212) ويؤكد المؤرخ الأسباني: لويس ديل مارمول كرفاخال Luis Del Marmol Carvajal بأن لاتينية إيطاليا كانت مفهومة عند بعض البربر في القرون الميلادية الأولى (كرفاخال، 1984 ص 117) فيما أشار الحسن الوزان/ليو أفريكانوس Leo Africanus إلى أن " الأفارقة تبنا في ذلك العصر (الروماني) اللغة الإيطالية، لأنهم كانوا محكومين سنوات طويلة من قبل الطليان " (ليون الإفريقي، د.ت، ص 50) وهذا يؤكد سيطرة المنتصر، وفرض ثقافة المجتمع الغالب وهيمنتته على المجتمع المغلوب/الواقع تحت سيادته، ولعل ليو أفريكانوس Leo Africanus يؤكد بأن الرومان قد فرضوا لغتهم على الأفارقة وهم البونيقيين ممن كانت لهم ثقافة ولغة خاصة بهم ( Jean Leon, 1898, P 87)

من علامات التأثير الثقافي أيضا، ظاهرة التسمي بالأسماء اللاتينية Nomina Latine ومن أهم الأعلام الشهيرة في هذا المجال: القديس أورليوس أوغستينوس Aurelius Augustinus أسقف مدينة هيبو Hipponensis والذي كان من أهم فلاسفة وكتاب القرن الخامس، وهو من مسيحي شمال أفريقيا. وكوتتوس سبتيموس فلورنس ترتليانوس Quintus Septimus Florence Tertullianus المولود بقرطاج حوالي 160م. واسمه اللاتيني واضح، وتعليمه رومانيا كذلك، وكتابه ولغته لاتينية . (ترتليانوس، 2001، ص 4).

حول منظومة الألقاب، يمكن أن نضيف أيضا كنموذج عام، الفيلسوف النوميدي: لوكيوس أبوليوس Lucius Apuleius اشتهر فيما بين عامي 156 – 158 بعد الميلاد، وهو نوميدي العرق، فينيقي الثقافة، روماني اللغة والاسم، لاتيني/يوناني الكتابة واللسان، إغريقي الفلسفة، وُلد في مادورا (مدوروش بالجزائر) حوالي سنة 125م وتوفي بقرطاج بعد 170م. زار مدينة أويا Oeen وتعرض للمحاكمة في مدينة صبراتان Sabrathan وكان يعتبر الرومان هم ساسته، وهو ما أشار له بخصوص الإمبراطور هادريان، قائلا: "

هدريان المقدس، إمبراطورنا ومحتسبنا " (أبوليوس، د.ت، ص 63) ففي كتاباته كان أبوليوس يكتب بالإغريقية واللاتينية، وهذا ما يمكن أن أجده في قوله: " هدي في الكتابة عن الموضوعات عينها، باللغتين اليونانية واللاتينية. (أبوليوس، د.ت، ص 110) أما مدرسته العلمية فهي كما يقول: " مدرسة أفلاطون " (أبوليوس، د.ت، ص 116) وثقافيا، يشير إلى أنه إغريقي الفلسفة والبلاغة رغم كونه وُلد داخل تجمع بربري، قائلا: " لأنني بليغ فأنا يوناني، وأنا بربري المولد! " (أبوليوس، د.ت، ص 89) عقائديا كان يؤمن بأرباب الإغريق والرومان، هيرقل الذي يُقسم به مرارا (أبوليوس، د.ت، ص 199) وفيونوس التي قال عنها خلال مناقشته لفينوس الصغرى/العامية، والتي تثير، بل تهيج غرائز الشهوة البشرية بين البشر، في حين أوضح لمعاصيره ومُحاكميه في صبراته، بأن فينوس السماوية، هي المشرفة على الحب الأنقى، (أبوليوس، د.ت، ص 64) وقد كان أبوليوس يقدم نفسه كفيلسوف إغريقي الفلسفة، روماني الثقافة، مع فخره في إثراء اللغة اللاتينية واللسان اللاتيني بمفردات جديدة، بعد ترجمته لبعض المصطلحات العلمية إليها من الإغريقية القديمة (أبوليوس، د.ت، ص 223) ولا يغيب عنا أن لوكيوس أبوليوس كان يُدعى بـ

Platonicus أفلاطونيكوس، في إشارة إلى فلسفته اليونانية الأفلاطونية (Apuleius, 1918, P 5)

الثقافة الرومانية في الأدب والتاريخ والتدوين والتعليم والفن والمعمار، نظام استثنائي تم تقديمه منذ البداية على أنه راقٍ ومثالي. فأفكار روما كانت دائما مثل حضاراتها، مباشرة ومحبوكة تماما، ونصف إنسانية بطابع لا تحطوه العين!. ومع ذلك فإن المحليين لم ينخرطوا في الثقافة الرومانية تحت وطأة الإدارة الحاكمة فحسب. بل لأنهم كانوا مجبرين على ذلك، فلا توجد لغة ثقافة وعلم وتدریس وفلسفة وتعليم، ولا توجد مدارس أو مؤسسات تعليمية محلية سواء ذكرها المؤرخون، أو كشفت عنها البحوث والتنقيبات الأثرية، وهذا لا أعتبره مفاجأ لمجتمعات تعيش حياة قبلية بدوية، باستثناء تلك التي تمدنت في المدن البحرية أو في بعض الحواضر الداخلية. وربما من المفيد أن أستحضر هنا قول ابن خلدون: " أن المغلوب

مولع أبدا بالاقتماد بالغالب، في شعاره وزيّه ونخلته وسائر أحواله وعوائده " (ابن خلدون، 1996، ص 101) وعند هذه النقطة افترت الطرق. فمنذ مطلع العصر الروماني، كان ملك الماوري/موريتانيا، يحمل اسما رومانيا وهو Bocchum-Bocchus والذي يقول بصدده المؤرخ الروماني Sallustius Crispus: " كان جميع المور Mauris تحت قيادة وحكم الملك Bocchus بوكوس، والذي لا يعرف شيئا عن الشعب الروماني! سوى اسمه الذي يحفظه عن ظهر قلب! وكان بدوره غير معروف لنا قبل ذلك الوقت، سواء في أوقات السلام أو في أوقات الحرب " (Sallustius, 1920, P 176) وفي العصر نفسه يطلعنا Sallustius والذي كان شاهد عيان على الحرب الرومانية ضد القائد النوميدي يوغرثا Lugurtha أن الأخير كان يتحدث اللاتينية، (Sallustius, 1920, P 354)

في ذاك العصر نلاحظ أيضا بأن لبدة - بناء على ما يفيدنا به Sallustius - تقف مع الرومان في حربهم ضد النوميديين التابعين ليوغرطا (Sallustius, 1920, P 296) وفي العصر الروماني أيضا، نرى أن عائلة: Lvcivs. Severo. Septimvs. وهي تقابل Lucius Septimius Severus ورغم بونيقيتها وأصولها من لبدة والتي غلب عليها الطابع الفينيقي، تتخذ أسماء لاتينية ك(Septimius) وإغريقية ك(Iskender) بل أن سيفيروس نفسه كان حسن اللفظ باللاتينية كما يؤكد غوتيه نقلا عن المؤرخ سبارتيان، ولكنه لم يكن يخلو من لكنة إفريقية أي بونيقية. أما شقيقته أوكتاڤيلا Octavilla فكانت أقل اتقانا للاتينية، ولا تتحدث سوى البونيقية بسبب نشأتها في عائلة أرستقراطية بلبتيس الكبرى، التي لا يتحدث سكانها سوى البونية (غوتيه، 2010، ص 92).

خمس مؤلفات أنجزها القديس البونيقي الشهير القديس Aurelius Augustinus أورليوس أوغستينوس، بالغة اللاتينية. وقد كان أحد مفكري القرن 5م، ولكنه كان يكتب باللاتينية (Augustinus, 1876, P 11) ولم يستعمل اللغة البونية بتاتا، رغم حديثه مرارا عنها، ودفاعه عنها تكرارا،

ورغم اعتزازه بجذوره الكنعانية. أجد استعماله للاتينية فقط وفي العديد من مؤلفاته (الرسائل) و(الآباء) و(اعترافات) و(عظة الجبل) و(مدينة الله). القديس أوغسطين يحمل اسما لاتينيا Aurelius Augustinus ولغته ومؤلفاته كذلك كانت لاتينية. ويأتي إتقانه اللاتينية، لأنها أصبحت بعد سقوط مملكة قرطاج؛ لغة الدولة (Appianus, 1964, P 7) والمؤسسات والدواوين والمؤلفات والتعليم في المدارس وخلافها.

وإذا ما قمنا بمقابلة النشاط اللغوي اليوناني أمام نظيره اللاتيني في ليبيا. فسنجد بأن الأخير أكثر حيوية من الأول. وذلك على الرغم من نشاط حركة المخطوطات اليونانية Greek Manuscripts كما تؤكد إحدى الباحثات؛ في سوريا وفلسطين ومصر (Rossetto, 2019, P 17) فواقع الأمر أن اللغة اليونانية كانت مستعملة فقط في مدائن شرقي ليبيا. وسنرى بأن منطقة المدن الخمس قد أخرجت واحدا من أفضل كتّاب الرسائل الليبيين من ذوي الأصل اليوناني، وهو Synésios De Cyrène الذي كلفته مقاطعته/البيضا بوليس بترأس سفارة إلى القسطنطينية لتقديم طلب بالحصول على إعفاء ضريبي خلال سنوات 397-400م. إلى جانب بروز شخصية معاصره/ومواطنه الشاعر الليبي الطموح Theotimus (Petkas, 2018, P 132) إلا أن أغلب المؤلفات في ليبيا وسائر شمال أفريقيا، لم تكن تكتب في ذلك العصر سوى باللاتينية. بل وسادت اللاتينية بفعل الحضارة الرومانية في العصر القديم، وتحت أثر نشر اللاهوت المسيحي بالخط اللاتيني في غربي أوروبا، وفي بقية البلدان والأقاليم التي انتشرت فيها الثقافة اللاتينية، خصوصا وسط شعوب وقبائل لم تكن تملك حروفا للكتابة الوطنية. فبالنظر مثلا إلى المؤرخ الأسباني هيداتيوس Hydatius المولود في Lemica سنة 400م والمتوفي بغاليسيا Galicia سنة 470م. وهو صاحب الحولية، فعلى الرغم من إسبانيته وإعجابه بالإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius الأول، الذي كان من أصل إسباني مثله، خصوصا وأنه قد افتتح حوليته ابتداء من عهده/عهد ثيودوسيوس Theodosius الأول، عام 379م (Limicus, N.D, P 69)

وخلال الحرب الماورية البيزنطية Moorish-Byzantine Wars بالقرن 6م كان ماكيوس Maccus وهو من محلبو إفريقية/ضواحي قرطاج؛ ملما باللسان اللاتيني إلى جانب لسانه الموري أو البربري، وكان شخصيا هو الوسيط في الاتصالات الأولى بين يوحنا Iohannes وأنتالاس Antalas في منطقة Byzacio بيزاسيو (Corippi, 1820, P 17)

وسنلاحظ بأن الناقد النحوي والشاعر القرطاجي البونيقي/الإفريقي: فلافيوس كريسكونيوس كوريپوس Flavius Cresconius Corippus والذي عاصر الحرب البيزنطية - الماورية، خلال القرن 6م يُسمى في المصادر اللاتينية باسم Poeta Africanus (Corippi, 1581: Lxxxix) أي الشاعر الإفريقي. وفي مصادر أخرى يسمى Corippi Africani Grammatici (Corippi, 1970, P 3) أي: كوريبي النحوي الإفريقي، وذلك دلالة على كونه من سكان المدن البحرية، بونيقية الهوية لاتينية الثقافة.

ومن المفيد في هذا الشأن أن أذكر، بأنه حتى القرن السادس للميلاد، كان لا يزال عدد من سكان المدن الساحلية العتيقة يدين بالولاء للإمبراطورية البيزنطية، إذ يطلعنا بروكوبيوس القيصري Procopius Caesarensis بصفته واحد من أشهر مؤرخي القرن السادس، وقد حضر بصفة مستشار مع الجنرال بيلزاريوس Belisarius إلى ليبيا سنة 533م وكان شاهد عيان على كثير من أحداث العصر. بالقول: " بعد هزيمة المخربين Vandals الفاندال؛ خطط جوستينيان في الطريقة التي يمكن من خلالها تعزيز قبضته على البلاد، بصرف النظر عن حفاظه على مصالح أولئك الذين كانوا موالين له/رعاياه " (Procopius, 2018, P 79) ويضيف بروكوب بأن أن حاكم طرابلس وهو رجل طرابلسي/إفريقي من وجهاء المدينة، قد تعاون مع البيزنطيين ضد الوندال في ليبيا، وسلم طرابلس للقيادة البيزنطية، وهو نفسه من تعاون معهم أيضا ضد قبائل المور/البربر بزعامة لواتة، قائلا: " وجاء المور الذين يدعون لواته، إلى سرجيوس بجيش عظيم في مدينة لبدة العظمى، وأذاعوا أن سبب قدومهم هو أن يعطيهم الهدايا وشعارات المناصب

المعتادة، حتى يسود الأمن والسلام. ولكن سرجيوس، مقتنعا برأي بودنتيوس، وهو رجل طرابلس الذي ذكرت فيما سبق؛ أنه أعان الإمبراطور جوستينيان ضد الوندال في بداية الحرب الوندالية " (بروكوبيوس، 1975، ص 144).

وكان إعجاب الناس بأعمال ومنجزات بعض الأباطرة أو القادة العسكريين أو الفلاسفة والمفكرين وخلافهم؛ يدفعهم إلى تبني أسمائهم بإطلاقها على أسماء مواليدهم. وهذا ما حصل بين سكان المدن الليبية، الذين استعملوا اسم جوستينيان عقب انتصاراته في ليبيا وكامل شمال أفريقيا. منذ أن فرض Flavius Petrus Sabbatius Justinianus فلافيوس بيتروس ساباتيوس جوستينيانوس Φλάβιος Πέτρος Σαββάτιος Ιουστινιανός سيادته ومشاريعه وإصلاحاته في ليبيا. حتى زاد إعجاب الناس به، مما دعا إلى انتشار اسمه: جوستينيانوس Justinianus بين الليبيين المسيحيين، وعموم سكان المدن الساحلية مختلطة السكان. وقد أتى ذلك تعبيرا عن امتنان سكان المدن البحرية بالذات، لقيادة هذا الإمبراطور البيزنطي، ونجاحه في استعادة النظام والأمن والحضارة والنشاط، في الأماكن التي عانت حوالي قرنين ونصف من الفوضى والعنف والغزو والتخريب والاضطراب والنهب وقطع الطريق والغارات. وكما يشير بروكوبيوس: " أصبح الإمبراطور جوستينيان Justinian سيدا لليبيا عن طريق الفتح العسكري By Conquest أقام التحصينات وتمركزت هناك قوة كافية من الحاميات العسكرية، مما أعطى السكان ضمانا للأمان وتمكينهم من ازدياد جميع الأعداء. لهذا السبب هم يستعملون الآن اسم جوستينيان Justinian وبالتالي هم يعبرون عن إخلاصهم وامتنانهم للإمبراطور لمجرد تبني الاسم!". " (Procopius,1971, P 385)

#### 4.5. الكتابة البربرية المستعملة بعد الإسلام

في اطار التمايز الإثني واللغوي من الثابت أن للسكان المحليين لهجاتهم المتباينة، والتي سميت بالبربرية، وسموها هم كذلك بالبربرية، وقدّموا أنفسهم في مؤلفاتهم على أنهم بربر. وسنلاحظ بأنه نادرا جدا ما استعمل الكتّاب المحليون في بلادنا وعلى طول بلاد المغرب، لفظ مازيغ أو أمازيغ، كما إنهم لم يستعملوا بتاتا مصطلح لبي أو ليبيا أو لبييين، وهذا يؤكد ما أشدد عليه دائما وهو أن اسم ليبيا Libyae أو Libycus هو مصطلح أجنبي أشاعه الإغريق وركب الرومان ركبهم، وبقية الشعوب الأخرى كالوندال والبيزنطيين، وبالتالي فإن هذا الاسم الأجنبي لم يكن السكان المحليون على وعي به، ولم يطلقوه على أنفسهم، ولم يستعملوه فيما بينهم، ولا بعيدا عن جمعهم. لذلك نجد أن الكتّاب المحليين ممن كتبوا بعد الإسلام، ومن أول طبقة فيهم إلى آخرهم؛ لم يستعملوا أبدا هذا اللفظ ليبيا أو لبي أو لبيية، ولم يستخدموا اسم مازيغ إلا مرتين أو ثلاث. فالأمازيغ هذه الكلمة الشائعة اليوم، لم تكن في تلك العصور قد شاعت بعد. وفي المقابل نجد بأن أعلام الأهالي/البربر، قد استعملوا وبشكل متواصل لفظ البربر، انطلاقا من ذلك شاع تاريخيا لفظ بربر بصفته نسب حقيقي ذكره ابن خلدون. وهو ما يخولني استعماله أكثر من استعماله للفظ مازيغ. ويمكن أن نلاحظ في مؤلفات أقدم مؤرخي الفترة الإسلامية في بلاد أطرابلس وبنطابلس، وأحدهم هو: لؤاب بن سلام المزاتي [ت 273هـ/886م] والذي أجد بأنه يقدم نفسه وشعبه على أنهم بربر، وقد وضع فصلا خاصا سماه بـ"فضائل البربر" (ابن سلام، 1986، ص 123) ولم يقل فضائل الشعب الأمازيغي أو حتى فضائل بني مازيغ. كذلك فعل الكتّاب المحليون الآخرون: عمروس المساكني، والبغطوري والدرجيني، والشماخي، وابن بطوطة، والمراكشي، والمؤلف المغربي المجهول صاحب كتاب مفاخر البربر، وغيرهم كثير. وهذا يصب في اطار أن "بربر" هو نسب صحيح كما يؤكد ابن خلدون! فقد ذكر ابن خلدون مستندا على روايات محلية متواترة وأقوال سائدة: "إن البربر من ولد حام،

بن نوح بن بربر بن تملأ، بن مازيغ بن كنعان بن حام " (ابن خلدون، 2001، ص 123) وبالمناسبة فإن لفظ مازيغ - وإن كانت عدد مرات رصده قليلة وفي جميع المؤلفات هي أقل من عدد أصابع اليد - لكنها تبقى الكلمة الأصوب مصدرها وليس أمازيغ. وكان بنو مازيغ أنفسهم مؤرخون وشيوخ وكتّاب وعامة الناس؛ ممن درجوا على استخدام اسم "بربر" سواء في العصر الروماني، أم في العصر الوسيط الإسلامي، فلم يقوموا برفضه أو استعجابه أو تصحيحه، أو تصويبه بكتابة الاسم الصحيح له وهو مازيغ، هذا إن كانت تسمية بربر خاطئة.. مما يؤكد بأن بربر Berber هو نسب لجد مازيغي كما يقول ابن خلدون، وليست Barbariem كصفة بمعنى أجنبي في عهد اليونان، والتي أصبحت Barbaricasque أو كما في اليونانية Varvarótita Βαρβαρότητα بمعنى همج في عهد الرومان. عليه من الجيد التفريق بين البربر كجنس مغاربي، وبين البربرية كصفة بشرية عامة.

منذ القرن الثالث للهجرة، من العصر الوسيط/الإسلامي، كان ثمة لغة بربرية، عربية الحرف، بربرية اللفظ، إسلامية التوجه، أباضية النبرة، وفي هذا الجو الثيوقراطي المثير، أنجز أكثر من كاتب محلي، عشرات المؤلفات المحلية المنسوجة على هذا النسق. فبعد الإسلام ونتيجة للحماس الديني؛ تأثر النخبة من المسلمين المحليين بالحروف العربية. وكانت هذه الأخيرة قد كُتبت بما القرآن الكريم. فلقيت بالتالي قبولا وتجاوبا من بعض نخب الكتّاب الفقهاء، ممن كتبوا بالبربرية ذات الحرف القرآني. وسط هذا الضوء الساطع، ظهر عمرو بن سلام، وعمروس بن فتح المساكيني، والبغطوري والدرجيني، وغيرهم من أئمة الأباضية في بلاد طرابلس الغرب (لافيتسكي، 2006، ص 8) وكانوا كتّابا باللغة العربية، كما كتبوا بالبربرية ذات الحرف القرآني، وهي اللغة التي كتبت الفصح والمعجم والدارج بالحرف العربي، على الطريقة الإسلامية الفارسية الإيرانية والبلوشية في بلوشستان، والكردية في كردستان، والسندية والأردية في باكستان، والأفغانية والهندية المغولية والعثمانية، فضلا عن استعمال الحرف العربي من طرف بعض

الشعوب التركية الداغستانية والتتارية والشركسية في آسيا ممن لا تزال وتحت وطأة الإسلام تستعمل العربية ولو بشكل طفيف في حياتها اليومية، إلى جانب لغاتها الوطنية، وسنضيف أيضا لغة الهاوسا في النيجر، والكشميرية في كشمير، والبنجابية في إقليم البنجاب، والطاجيكية في طاجكستان، والجاوية في إندونيسيا وماليزيا، والتوسوكية في الفلبين، والأذرية في أذربيجان، وغيرها من اللغات الشرقية مع ملاحظة أن بعضها يستعمل أيضا لغات محلية/وطنية ولاتينية أو صينية أو روسية إلى جانب العربية. كل هذه الشعوب الإسلامية استعملت الحروف العربية تحت دوافع الإيمان بالإسلام، والرغبة/المحبة، في فهم العقيدة والمذهب والصلاة والقراءة والتلاوة لكتاب الله الحكيم. ومن يطالع مخطوط «القصور والطرق لمن يريد جبل نفوسه من طرابلس» (الشماسي، 2005، ص 7) للشيخ إبراهيم الشماخي، سيجد في هذا المخطوط وغيره من المخطوطات المحلية نمط اللغة البربرية التي كتب بها الجبالية، كلغة أستنبطت من الأحرف القرآنية خلال العصر الإسلامي، بهذه اللغة ذات الحروف العربية المنبثقة بدورها عن اللغة النبطية والسريانية، كان محرّك اللغة البربرية هو الدافع الديني/الأباضي، إذ وضع أكثر من كاتب مزاتي ونفوسي ولواتي في التاريخ الوسيط، عشرات المؤلفات المحلية، منهم اللغوي «إبراهيم بن إسماعيل الاجدابي اللواتي» صاحب سبع مؤلفات بعضها بالبربرية وأغلبها مكتوبة بالعربية. إلى جانب القاضي النفوسي «عمروس بن فتح المساكني» صاحب كتاب الدينونة الصافية. والشيخ «مقرين البغطوري» صاحب مؤلف مرويات أشياخ جبل نفوسه (البغطوري، 2014، ص 118) وهذه الكتابة لازالت مستمرة طبعا إلى نهار اليوم، ويكتب بها البعض حتى على منصات التواصل الاجتماعي إلى جانب حروف توارق فزان: التيفيناغ. ويجدر التنويه في هذا الحقل بأن البربرية كمجموعة لهجات غير مكتوبة في مؤلفات ودواوين، لم يتم العمل على إيجاد لغة فصحي لها، تجمع لهجاتها المختلفة في لغة واحدة؛ إلا في الستينيات من القرن العشرين،

عام 1966 عندما اختار قوميو تامزغا الجزائر بالمهجر في فرنسا: "حروف التيفيناغ" لتجميع لغة مكتوبة موحدة اللهجات البربرية المختلفة، تم تسميتها بالأمازيغية.

لقد وثق المؤرخ الفرنسي Henri De Mathuisieulx أونري دو ماثيزيو، وهو في الجبل النفوسي، بعض ما لاحظته من هذه الكتابات باللغة البربرية ذات الحرف العربي، وحاول أخذ نماذج منها بكافة السبل، إلا أن وعي السكان بأهميتها كموروث ثقافي، كان قد وقف حائلا دون نيته. يقول دو ماثيزيو: " توجد كتابات باللغة العربية، لكنها بحروف بربرية، مثل التي وجدتھا لدى الطوارق، مازال يحتفظ بها القضاة في المساجد، ويؤلونها عناية كبيرة. لقد حاولت عبثا أن آخذ هذه الكتب النفيسة مقابل دفع مبلغ يساوي ثروة هذه البلاد. لكنني لم أفلح في إقناع حتى مواطن واحد، في أن يرتكب مثل هذه الفعلة " (دو ماثيزيو، 2002، ص 56) ويؤكد ماريو كورسي Mario Corsi مشاهدته لكتابات بربرية بحروف عربية في مقاطعة فساطو بالجبل الغربي أيضا، و" هي محفوظة بغيره في المساجد، من طرف القضاة " (كورسي، 2013، ص 87) فيما لاحظ المؤرخ James O. Richardson (ريتشاردسون، 1993، ص 171) بأنه من الطريف أن من بين جميع اللهجات النوميديّة لا يوجد سوى شعب الطوارق ممن يمتلك حروفا هجائية خاصة به! إذ تحول الآخرون إلى استعمال الحروف العربية في كتاباتهم .. " إن اللهجات البربرية التي يتحدث بها Ghadamsee الغدامسيون و Touarghee التوارق، والقبائليون Kabylee و Shou-Weeah الشاوية و Shelouk الشلوح؛ على الرغم من ارتباطها الوثيق تقريبا، باعتبارها متشابهة جدا في العديد من الكلمات والتعابير. لكنها فروع شقيقة لأصلية واحدة، وهذا يتطلب تخفيضها إلى الاتساق والانسجام على يد لغوي بارع .. ومن ثم يمكن تشكيل لغة غزيرة وقوية للغاية .. هناك تفرد في Language Of Ghadames لغة غدامس، وهناك اختلافات لغوية كما يتحدث بها فصيلان من The Weleet و The Wezeet وهما من سكان مقاطعات البلد .. وتعتبر اللغة العربية العدو المشترك لهم،

وهي من تشق طريقهم يوميا. فمن بين جميع هذه اللهجات النوميديّة Numidian Dialects هناك طرف واحد فقط ممن يمتلك بينهم أبجدية أصلية والبقية يستخدمون الأحرف العربية. هؤلاء الناس هم Touaricks التوارق. ومن الجدير بالملاحظة أنه من بين جميع القبائل الأفريقية في وسط أفريقيا، لا، بل في كل جزء من إفريقيا، باستثناء المسيحيين الأقباط والأحباش لا يمكن العثور على أبجدية واحدة! ولا تتوفر لدى أي من القبائل الأخرى أي ملامح/أدوات وطنية للكتابة .. إن لغة غدامس يتحدث بها سكان مختلفون مختلطون في الدماء ومتنوعون للغاية. بعضهم من عرب السهول القريبة، وآخرون من عرب الجبال والبعض الآخر من قبائل البربر والبعض الآخر من المور القاطنين بالساحل، وليس قليلا هو عدد المتحدرين من نسل الأمهات الزنجيات، ومن كل صنف من الأعراق/الأجناس الزنجية يمكن العثور عليه في الداخل. " (Richardson, 1846, P 128)

وفي متناولنا معلومات مستقاة من البارون الألماني Heinrich Von Maltzan هينريخ فون مالتزان؛ والذي نوّه إلى أنه " نادرا ما تُكتب الآن اللهجة البربرية، وإذا ما كُتبت، تستعمل في ذلك الحروف العربية، لأن اللغة العربية أصبحت لغة الدين والعلم، ولغة التعامل لدى البربر، فيما تراجعت لهجتهم الخاصة إلى داخل الأوساط الأسرية " (مالتزان، 2008، ص 135) ومن ينظر في النسخ الأصلية غير المحققة، لمخطوطات الشيخ مقرين البغطوري، الذي أتم كتابه سنة 599 هجرية، سيجد أنها كتبت بلغة دارجة لا تزال مفهومة لعامة أهله أنداك، وهي خليط ما بين الألفاظ البربرية التي يستعملها أهل الجبل، وبين المفردات العربية، وقد لاحظت أن الشيخ البغطوري قد كتب بها عدة مرات بضع عبارات (البغطوري، 2017، ص 48. 370) وقد كتب البغطوري بالبربرية، شأنه في ذلك شأن عدد من المصادر المحلية المستندة على أحرف عربية، على الطريقة الشرقية التي استمدت هويتها من أحرف القرآن الكريم. وهو ما لاحظته المؤرخ الإسباني لويس ديل مارمول كرفاخال Luis Del Marmol Carvajal قائلا: "

ليس بالغريب إذاً أن يكون الأفارقة الأقدمون قد فقدوا حروفهم! بعدما مرت عليهم عدة قرون تحت نير مختلف الأمم المتباينة الأديان، وأن المتأخرين منهم لم تكن لهم سوى حروف عربية منقوطة غير مشكولة، مع علامات تحل محل الشكل. " (كرفخال، 1984، ص 118) لكن البربر لم تكن لديهم في الواقع لغة مكتوبة في مؤلفات قبل الإسلام. وخلاف هذا الاعتقاد هو مجرد مغالطة مثيرة للدهشة، فحتى بعض النقوش الموجودة في أماكن مختلفة، لا تعبر عن أية آداب أو أفكار أو علوم. على هذا الأساس من غير المنطقي القول بأن البربر قد فقدوا لغتهم المكتوبة ورقياً بسبب تفوق اللغة العربية. والصواب هو أن عدداً كبيراً منهم كان قد فقد لسانه اللغوي، بعد استبداله باللسان العربي، لغة ولكنة. ومن الصعب تاريخياً إطلاق صفة اللغة على المنطوق البربري. لأن البربرية تاريخياً أو الأمازيغية حالياً تتألف من عدة ألسن بربرية ولهجات مغاربية متباينة، وكل منها تصلح لأن تكون لغة مستقلة. ولهذا جرى في عصرنا هذا العمل على توحيد اللسانيات الأمازيغية داخل لغة محلية واحدة، نُقلت عن لغة توارق فزان، والمعروفة بالتفيناغ، سميت باللغة الأمازيغية، مع ملاحظة أيضاً أن بقية توارق بلدان شمال أفريقيا: توارق جنوب الجزائر، وتوارق أزواد شمال مالي، وتوارق شمال النيجر، وشمال بوركينا فاسو، لا يفهمونها، بحيث لكل منهم لسانه المستقل: Tamasheq أو Tamajegh Tamaciq و Tamaheq فضلاً عن اختلافات الفروع، وكل منهم يزعم بأنه أصل الأمة التارقية. ونظراً لأن تفيناغ توارق فزان، هي الأبجدية الكاملة والباقية طوال التاريخ، تم تجميعها في باريس سنة 1966م، وتقديمها كلغة أمازيغية واحدة للجميع، وجرت مساعي لتعليم أطفال المدارس بها داخل المناطق الناطقة بالألسن واللهجات الأمازيغية.

إن تاريخ التأليف في المجال الديني باللغة الأمازيغية لدى النفوسيين قديم قدم تواجد المذهب الإباضي بين ظهرانيتهم، وهذا التأليف يأخذ عدة أشكال منها ما هو مصنف مفرد في موضوعه، وأشهر هذه الأنواع من التصانيف هو كتاب التوحيد، المؤلف في القرن الثاني الهجري، إلا أن الدرجيني يذكر كتاباً

سابقا لهذا، وهو من تأليف [مهدي النفوسي الويغوي] 196 هجرية، ولكنه لا يزال في عداد المفقودين، وهو موسوم بالعنوان التالي: (رد أباطيل نفاث بن نصر) وقد تم وضعه باللسان البربري ووفق الأحرف العربية. (اليفري، 2005، ص 3).

الكتاب المحليين والذين كتبوا بلسانهم المحلي بعد الإسلام، سمو لغتهم بالبربرية، وهي مفردات محلية مكتوبة بحرف قرآني/عربي. ولأن الكتابة بالبربرية في بدايات التاريخ الإسلامي، كانت زاهرة ورائجة خلال القرن 3 وصولا إلى القرن 4 هجري، وهو ذروة النشاط الفقهي في المنطقة، كان دافع الشيوخ المحليين إلى ذلك، تعليم مواطنيهم، انطلاقا من أن البربرية هي اللسان الذي يفهمه عامة السكان. ولتنظير هذه الفكرة، يلزم أن نفهم بأن التعريب اللساني لم ينتشر وبشكل واضح إلا بعد استقرار عربان بني هلال/بني سليم. ناهيكم وأن كلام الأعراب كما يقول ابن عبد ربه: هو أكثر لسان العرب فصاحة وأحسنه ديباجا وأقله كلفة وأوضحه طريقة (ابن عبد ربه، 1983، ص 3) وكان عمر بن عبد العزيز، قد قال: " ما قوم أشبه بالسلف من الأعراب، لولا جفا فيهم " (ابن عبد ربه، 1983، ص 4) وبالاستناد على القليل من المؤلفات، سيكون في وسعنا وفي غاية اليسر ملاحظة أن مقدمة التوحيد، التي أنجزها الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي، قد كانت مكتوبة بالبربرية، وكذلك أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاقي، وترجمها عن البربرية: أبو حفص بن عمرو بن جميع، وبعض المدققين يرونها ليست من تأليفه كما كان يُعتقد، إنما من مراجعته، لأنه يقول: " وجدت هذه النسخة منسوخة بالبربرية " (الشماخي، 2016، ص 7).

وأجد أيضا لدى العلامة النفوسي البغطوري، بعض المفردات البربرية، وهو الذي لا يُعرف بالضبط تاريخ وفاته، إلا أنه أنهى كتابه سنة [599هـ/1203م] وتوفي بعد ذلك. حيث يفرد عبارات بالبربرية، خصوصا حين ينقل أقوال بعض عامة الناس، وعموم كتابه كان قد ألفه بالعربية، لكونه عالما بها، ويعلم

الدين معها. وحسبنا أن نذكر بإيجاز أن من بين العبارات البربرية التي لاحظتها في كتابه، هي الكلمات التالية: " إيكس، أفرد، ايس، تاديطت، يفرد، وايور، لد .. " (البغطوري، 2017، ص 121) وكما يقول الدرجيني [600-670هـ / 1204-1272م] " وإنما وضعها واضعها باللسان البربري ليتناقلها البربر " (الدرجيني، 1974، ص 314) أي لكي يفهمها عامة البربر باعتبارها مكتوبة بلسانهم وإن في هيئة حروف عربية، إلا أن نطق الفقهاء لها وباللفظ البربري، أمر كان من شأنه تذليل الصعاب أم عامة الناس من الأهالي ممن كان استعراجم لغويا لم يكتمل بعد. وبحسب ما ينقل لنا الشماخي، فإن أحد العرب ممن عاش كمولى بين ظهراي جماعة الدعوة الأباضية من البربر، واشتغل بصفة ترجمان للإمام أفلح (ابن الصغير، د.ت، ص 15) كان قد كتب لهم عدد 12 كتاب في أصول الدعوة وفق اللسان البربري. ومن المفترض أن الرجل قد كتب بلسان بربري ولكن بحرف عربي. لكونه عربي ويفهم اللسان البربري. (الشماخي، 1987، ص 244) وتؤكد هذه الشواهد عدم دراية عامة البربر بشؤون اللغة العربية، عدا بعض أعلامهم سواء أكانوا مشاركة أم مغاربة درسوا في مدارس المشرق. عليه كان لزاما على بعض نفر من أعلام البربر تعليم جماعتهم شؤون دينهم وفق النطق البربري. كما وتفيدنا إخبارية أن المولى العربي سعيد، كان ترجمانا للإمارة الرستمية في عهد أميرها الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب؛ أن الرستميون كانوا وإلى غاية الإمام الثالث فيهم على الأقل، يتواصلون مع البربر وبقية الأباضية المنطقة بمساعدة مترجمين عرب أو غيرهم ممن يتقن اللسانين العربي والبربري.

بالنتيجة؛ لم تكن العربية خارج بلاد العرب/الحجاز بعد الإسلام، وطوال النصف الأول من العصر الوسيط؛ سوى لغة النخبة الحاكمة من الأقلية المشرقية، وبعض الأئمة وفقهاء المذاهب، كالمذهبين المالكي والأباضي في المغرب الكبير، بل ومع ذلك كتب الأباضية المغاربة باللغة البربرية ذات الحرف العربي/الإسلامي. وعلينا تفهم أن بقاء اللغة في الخطابة والمراسلات والمؤسسات والمتاجرة وخلافها، مرتبطٌ

في عصور الاحتكار الثقافي ببقاء الدولة القطرية التي تفرض لغة واحدة دون غيرها في دواوينها، ولن تكون طبعا سوى لغة الطبقة الحاكمة، خصوصا وان كانت متفاعلة مع الدين، وهو ما حصل مع اللغة العربية التي ترسخت في سواحل البلاد الطرابلسية - البرقاوية، قبل دواخلها، وطردت بالتالي بقايا اللغات القديمة البونيقية والإغريقية واللاتينية. أما اللسان الأمازيغي على الساحل فقد اختفى بدوره تدريجيا منذ اتخاذ العربية لغة الدواوين، ثم وبشكل فوري وقوى منذ وصول المغازي الهلالية.

وجميع هذه الشهادات تفيدنا بأن اللغة العربية لم تنتشر خلال العقود الأولى، بل وحتى خلال القرون الأولى بين عامة الأهالي المسلمين في بلد طرابلس برقة، باستثناء انتشارها ما بين النخبة المتعلمة، لأن انتشارها الحقيقي قد تم خلال القرون الأخيرة من العصر الوسيط/الإسلامي، أي بعد التعريب الذي حصل عقب التسلط السوسيولوجي والسلوكي الذي مارسه عربان بنو هلال - بنو سليم، في المنطقة منذ القرن 5 هـ/11م.

وفي سياق الموضوع، أرى بأن اختفاء اللغات الكلاسيكية السائدة قبل العهد الإسلامي، من لغات بونيقية إغريقية لاتينية وغيرها، لا يعني بالضرورة أنها لغات الحاكم فقط، ولم تكن مستعملة بين الناس، بل العكس من ذلك صحيح، ويمكن أن نلتمسه في الأسماء والألقاب والنشاطات وحتى بعض المؤلفات، فضلا عن الألسنة السائدة في التخاطب العام. ولكن الناس أنفسهم كان جلدتهم قد تبدل، والبقية فيهم في المدن التي نراها آثار اليوم، قد زالوا واختفوا وهلكوا وغادروا تحت ظروف مختلفة. وعليه وبالمقارنة مع اللهجات المازيغية التي حافظت على وجودها إلى اليوم، فمن المهم الوعي بأن الأمازيغية كاللهجات مناطقية حافظت على وجودها واستمراريتها في زوارة، وفي بعض نواحي مدن الجبل الغربي، وفي مناطق الواحات في سوكنة، وفي غدامس وغات. قياسا بأن هذه الأنحاء باستثناء زوارة هي داخلية، أي بعيدة عن الساحل المتعرض دوما لتبدلات العصر، خصوصا إذا ما كانت اللغة الوافدة ذات تأثير ديني، كما هو الشأن مع

العربية. عكس الدواخل الأكثر قدرة على الاحتفاظ بتقاليد سكانها، مع استثناء لحالة خاصة وفريدة وهي لهجة زوارة المدينة الساحلية والتي أعتبرها الوحيدة على الساحل كبقعة سكانية وعمرانية حافظت على خصوصيتها اللغوية في وجه جميع ظروف العصر. والسبب ليس غامضا، بل لكونها المدينة الوحيدة على الساحل التي داومت على أباضيتها! ففضلا عن كونها لم تقع تحت سيطرة قبائل عرب بني هلال، فإنها لم تتخلى عن أباضيتها التي عززت من عزلتها أمام بقية المكونات المحيطة ممن اختلفت عنها مذهبيا ثم لسانيا. وعلى هذا الأساس فان اختفاء اللغات الكلاسيكية من على الساحل له ما يبرره في اطار قوة قبضة الغزوات المتلاحقة، ونجد ذلك واضحا بالمقارنة ما بين اختفاء اللغات الكلاسيكية من اللسان المحلي، بالنسبة لمختلف السكان على الساحل. وبين اختفاء لهجات محليو القرى الساحلية الصغيرة نفسها. والتي نرها مدنا مأهولة اليوم.

## 5.5. اللغة العربية كتابةً ومؤسسات

### 1.5.5. المؤسسات وجدلية التلقن والتعليم

حاولت البحث بكل قدر متاح من الكفاءة، عن مواقع ولو صغيرة تم تمصيرها في أطرابلس وأنطابلس وقران، بالفترة الإسلامية المبكرة، ودراستها من الجوانب: المؤسساتية الدينية والفكرية/الثقافية واللغوية، ولكني لم أجد شيء يُذكر، على عكس ما نجد في تونس ومصر، فليبيا كما أنوّه وألاحظ لم تلق اهتمام الفاتحين في أي جانب فكري، تعليمي، تلقيني، مؤسساتي، خدمي الخ. لذلك فإن ليبيا تدخل القرن السابع وكل حساباتها تشير بإصرار إلى أن الإهمال المؤسساتي والتمصيري في البلد من جانب العرب الفاتحين ومن تولى الأمر بعدهم طوال الفترة الأموية، يبدو واضحا!

على الرغم من أن الباحثين السابقين لم يتقدموا لفحص هذه الملاحظة/الظاهرة، بعين جريئة وثاقبة. فمسائل مؤسساتية من هذا النوع لا تثر بالأصل انتباه الجميع. وإذا ما حاول أحدهم الخوض في هذا

الجانِب، فإننا سنجدُه يطرح معلومَات عامة عن اللغة العربية وعن السماع والحفظ والتلقين وخلافه، خلال الفتح الإسلامي والعهد الأموي، من دون الاستناد إلى مصادر فعلية، ومن دون الوقوف على حالة الثقافة ومؤسساتها، ومدى تجاوب النخبة أو العامة معها بتلك الأزمنة، مثل ما هو الشأن في كتاب تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا (الشيباني، 2001، ص 97) وحتى بالنظر في ما كتبه بعض أساتذتنا في التاريخ، عبر كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية في ليبيا. وأحد أهم الموضوعات كان تحت عنوان: "أهم المدن العربية الإسلامية في ليبيا" (مجموعة أساتذة، 2008، ص 141) الفقرة للدكتور حامد، إلا أنه وبتعقب دراسته، لم أجد أي مدينة عربية قد تم تصيرها في ليبيا خلال الفترة الإسلامية! وبخلاف ذلك، أرى بأنه يكتب عن طرابلس، ويبدأ من تاريخها الفينيقي ويستمر إلى آخر العهد الإسلامي، بل وأن حديثه عن المنازل والفنادق والأسواق وغيرها وحتى معظم الجوامع، هي مؤسسات أنشئت في الفترة العثمانية. يستمر الحديث عن مدينة سرت، وعن مدينة أجدايا، ضمن عنوان المدن العربية في ليبيا، والواقع أن سرت قائمة بسكانها القدامى وهم على الأرجح بونيفيون ومزاتيون، منذ قبل الإسلام، ثم استمر سكانها في الوجود بداخلها حتى لاحظ البكري أنهم ليسوا بعرب ولا بربر ولا قبط ولا عجم، بل قوم آخرون يتراطون بلسان غير معلوم. كما ويتطرق الأستاذ حامد إلى مدينة أجدايا كذلك، واعتبرها من المدن العربية الممصرة في ليبيا، غير أن الحقيقة ليست كذلك، بل أن أجدايا كانت مركزا رومانيا تحت اسم Cornichelam وكانت من فتوح عمرو بن العاص، عام 22 للهجرة، 642 بعد الميلاد، (الرومي، 1977، ص 100) ثم برزت وبشكل لافت خلال الفترة الفاطمية (الهدار وبالخير، 1987، ص 44) ومع ذلك، نجد بأن الدولة الفاطمية هي أكثر من تركت لمساتها في بلاد طرابلس وبرقة، حيث نجد آثارها/منشآتها واضحة، وحتى بقاياها النصية/الكتابية الجدارية، لا تزال محفوظة - على ما يذكر أحد الباحثين - بمتحفي

البيضاء وطمیثة (عبده، 2002، ص 127) ولعل المهندس الإيطالي ميسانانا؛ قد وقف عند هذه الملاحظة المتعلقة بالمنجزات الفاطمية في البلد (ميسانانا، 1998، ص 51).

أما في موضوع (دور المباني الدينية في نشر التعليم في ليبيا) فنجد أن الكتابات والزوايا الدينية التي وردت في كتاب الأساتذة الجامعيين الليبيين، المشار إليهم آنفاً، ككتاب جامع محمود خازندار، وكتاب الشيخ المشاط، وغيرها (مجموعة أساتذة، 2008، ص 247) هي كتابات إسلامية أنشئت بالفترة الإسلامية المتأخرة، أي على عهد العثمانيين، وليس قبلهم!

إن ابن سلامّ المزاني [ت 273هـ/886م] وهو واحد من أقدم مؤرخي البلد بالعهد الإسلامي، وبعد ينقل بدوره شهادة أبو صالح النفوسي، بتوزر، قبل سنة 240 هجرية، يمدنا بنص نفهم منه وبوضوح أن البلاد كانت حتى القرن الهجري 2 لا تزال خالية من أية منشآت تعليمية بما فيها تلك المتصلة بالمساجد والجوامع والزوايا وحلقات الدرس وخلافها. وأن أول من تعلم فيها، كان قد تلقى علومه اللغوية من المسافرين في الطرقات. (ابن سلام، 1985، ص 149) ويضيف ابن سلام عبارته التالية: " في أول الإسلام قلّ المعلمون في البلدان " (ابن سلام، 1985، ص 150) وهي نص صريح من شاهد عيان على العصر.

وقياسا بتلميحات الجغرافي البكري [404-487هـ/1014-1094م] حيال تقديس قبائل هوارا حتى القرن 5 هجري؛ لصنم قائم على ربوه يسمونه كرزا! (البكري، د.ت، ص 12) وأن بطون وارسيفان/ورشفانه البربرية تتبرك بريح يسمونها الشماريخ، لا يعرفون ذكر اسم الله على طعامهم ومتاعهم، بل يذكرون اسم الشماريخ لوحدها! (البكري، 2002، ص 378) تدعو كظاهرة إلى إثارة التساؤل، وتبعث على الاعتقاد بمدى ضعف انتشار الإسلام أو فهمه الفهم الصحيح بالأحرى، بين القبائل المحلية، التي ظلت رغم إسلامها العام، على معتقداتها الوثنية.

أما في موضوع المساجد، فإنني أجد أن بأول دور العبادة الإسلامية قد أنشئت بجبل نفوسة على شكل خلوة دينية، وكانت أقدم دار عبادة بالجبل، وهي خلوة وليست مسجد في معناه الرسمي. فالمؤرخ المراكشي والذي كتب خلال القرن 6 هـ/12م يقول بأن جبل نفوسة " ليس فيها جامع ولا فيمن حولها من القرى، وفي نظرها أزيد من 300 قرية .. " (المراكشي، د.ت، ص 144) وبالتالي أرى بأن أقدم مسجد قد جرى تشييده في جبل نفوسة؛ قد تم خلال القرنين الهجريين 4-5. ويؤكد هذا ما كشفت النتائج عنه على صعيد علم التحريات الأثرية، على يد عالم الآثار البريطاني الشهير: Philip Kenrick الذي أكد بأن أقدم مسجد بالجبل الغربي لا يتخط عمره 10 قرون من اليوم. وبوسعي دعم هذا الكشف بما شهد به العلامة النفوسي الشماخي؛ والذي يذكر أن أول وجود لدور العبادة في الجبل، قد تجلّى في صفة مصلى ومصليات وخلوات (الشماخي، 1987، ص 235).

وأرى في ذات السياق، بأن أقدم مسجد يرد ذكره في المصادر الإسلامية، هو (المسجد الجامع الوحيد بأجدابيا)، الذي تم رفعه كما يبدو خلال القرن 2 هجري، حيث كان الإمام سحنون بن سعيد التنوخي، قد نزل به سنة 191 هـ قادمًا من الشام، وكان الجامع تحت هيمنة مشايخ الصفرية والأباضية، فأقام الإمام سحنون به حلقات ودروس للمالكية، (التميمي، د.ت، ص 101) والجغرافي البكري [ت487هـ/1094م] يصف أجدابيا بالمدينة الكبيرة المشتملة على المرافق والخدمات كالجامع والفنادق والحمامات والأسواق (البكري، د.ت، ص 5) وفي النسخة التركية يرد ذكر المؤرخ الجيوغرافي: اليعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] بأن: " مدينة أجدابية Ecdâbiya Şehri وهي مدينة يحوطها حصن Kalesi/Hisin وفيها مسجد جامع Cuma Mescidi وأسواق مشغولة Çarşısı İşlek (Ya`Kūbî, 2021, P 161) " وأهلها قوم من البربر، من زنارة، وواهلة، ومسوسة، وسوة، وتحلالة وغيرهم، وجدانة وهم الغالبون عليها .. " (اليعقوبي، 2002، ص 181).

وعلى الرغم من أن العلامة الطاهر الزاوي، يذكر في معجمه/معجم البلدان اللببية؛ بأن (مسجد الشعاب) بطرابلس، قد تم بنائه وعلى نفقة الشيخ العابد الصوفي الزاهد: عبدالله الشعاب، المتوفي سنة 243هـ/857م، (الزاوي، 1968، ص 313) وقد ذكر ذلك الرحالة التيجاني في رحلته عام 706هـ/1306م (التيجاني، 1981، ص 247) غير أنني لا أجد لذلك ذكرا في مصادر العصر الإسلامي المبكرة، وقد وجدت ذكرا مقتضيا لهذا المسجد عند الجغرافي البكري [404-487هـ/1014-1094م] والذي يقول: " وبأطرابلس مسجد يُعرف بمسجد الشعاب. " (البكري، 2002، ص 179) ونفهم من نص البكري عدم وجود جوامع واضحة أو حتى مساجد صغيرة في كامل مقاطعة طرابلس حتى القرن 5 هجري، لذا تواجدت مقامات وأضرحة مرابطين، صلى الناس عندها، وأخذت شكل دور العبادة الصغيرة. (البكري، 2002، ص 179).

وقد تحدث المالكي، عن تشييد أبي السرح لمسجد للعرب المقيمين والمسلمين عند باب عبدالله بالقيروان، وعُرف باسمه (المالكي، 1994، ص 67) ولكنه لم يذكر نهائيا أن أبا السرح قد شيد مسجدا قبل ذلك في أوجلة أو بأي بقعة من بلاد فزان أو أطرابلس أو بنطابلس. أما (محراب عمرو بن العاص) في طرابلس، ومسجد بن العاص في أطرابلس، فيبدو وبعد تحقيقي من المصادر أنها تأويلات شعبية لا صحة لها، ولا أجد مصدرا واحد يشير إلى أن القائد الشهير عمرو بن العاص؛ قد شيد مسجدا بل سورا واحدا في طرابلس!.. والظاهرة نفسها تخص تسمية منطقة العمروس والتي يقول الكثيرون خطأ بأنها تُنسب إلى عمرو بن العاص، والواقع أيضا أن العمروس اسم ومنزل، لا وجود له قبل 6 قرون من اليوم!.. فالثابت أن أهالي العمروس هم من بربر غرناطة، وهم يهود، وأن عمروس لفظ مغاربي كان مستعملا في جبل نفوسة بحسب ما نلاحظ من سير المؤرخ المحلي: لؤاب بن سلام التوزري المزاتي [ت 283هـ/887م] (ابن

سلام، 1985، ص 155) وهؤلاء أي بني عمروس؛ هم أقدم من سكن واحة سوق الجمعة، وهم من أدخل عشرات الحرف والصناعات الجديدة لطرابلس وضواحيها. (Todd, 1912, P 129)

وعلى الرغم من أن الدكتور البلوشي قد عنون فقرته في الكتاب الجامعي باسم (المساجد والمباني الدينية للفترات المبكرة) ورغم تحدته بعنفوان وحماس عن سرعة انتشار مظاهر العمران وقيام الصروح! منذ دخول الجيوش العربية الإسلامية أرض ليبيا وفتحها (مجموعة أساتذة، 2008، ص 237) إلا أن حديثه يظهر بشكل عاطفي، لا علمي، ولا سند مصدري له. ولا يسند أخباره بأي سند مصدري ثابت وواضح. إن ابن سلام المزاني [ت 273هـ/886م] وبصفته أحد أقدم مؤرخي الفترة الإسلامية في بلاد أطرابلس، يحدثنا عن أن: عمر بن يمكن، الذي عاش في القرن الهجري الثاني، قد تعلم الحروف والكلمات العربية بما فيها سور من القرآن الكريم، على طريق عامة يمر بها الناس في مدينة مغمداس، التي كانت تقع على سيف البحر في خليج سرت. (ابن سلام، 1985، ص 149) وهذه الإخبارية الصريحة والتي يغفل عنها معظم أو جميع الباحثين، تعطينا فكرة واضحة وصريحة لشكل التعليم في بلادنا حتى القرن الهجري الثاني.

### 2.5.5. خلفيات الكتابة العربية

كانت اللغة السريانية وخطوطها؛ هي لغة الترجمة والخط والنحو والشعر والأدب والدين والتجارة والسياسة، طيلة القرون الميلادية الأولى بالشرق الأوسط. حتى بدأت اللغة العربية بمزاحمتها في أواخر المائة السابعة بعد الميلاد، (برصوم، 1943، ص 15) ويخبرنا ابن النديم، بأن هناك اختلافات حول أصول القلم العربي، وسئل أهل الحيرة من أين أخذتم العربي؟ فقالوا من أهل الأنبار " (ابن النديم، د.ت، ص 7) ويضيف ابن النديم رأيا آخر لا يختلف كثيرا عن سابقه، يفيد فيه بأن " نفرا من أهل الأنبار من إياد القديمة، وضعوا حروف ألف ب ت ث، وعنه أخذت العرب " (ابن النديم، د.ت، ص 7).

وحتى بعد مرور بضعة قرون من العصر الوسيط/الإسلامي، كانت لغة العرب في الحجاز لا تزال مختلفة تماما عن لغة أهل اليمن المضرية والحميرية، وهو ما يؤكد العلامة ابن خلدون؛ بقوله: " إن لغة العرب لهذا العهد مستقلة، مغايرة للغة مضر وحمير " (ابن خلدون، 1996، ص 344) لذلك اصطلح فقهاء اللسان العربي على تسمية ما عُرف بأسماء: الخط الحيري، والخط الأنباري، قبيل الإسلام، وما سُمي بالخط المدني والمكي والكوبي والبصري بعد الإسلام. (نخبة من الأساتذة، 1976، ص 385) وقد تأكد علماء اللسانيات مما يرد في المصادر الإسلامية، وذلك بعد اكتشاف النقوش النبطية في مدين وما يجاورها من الأنحاء الشمالية للبلاد العربية، وبعد الدراسة والمقارنة؛ تبين أن هذه النقوش النبطية هي الأصل الذي تفرع منه الخط العربي الإسلامي. (نامي، 1935، ص 6) كما استعار العرب أيضا الترتيب النبطي للحروف (نامي، 1935، ص 107) وعلى الطريقة السريانية، وهذا ما يؤكد الفهرستي البغدادي: ابن النديم، الذي كتب فهرسه سنة 377هـ، (ابن النديم، د.ت، ص 6). وكان الخط الأسطرنجيلي الذي استنبطه بولس ابن عرقا الرهاوي، بصفته من أجود الخطوط السريانية؛ هو الأصل للخط الكوفي العربي (برصوم، 1943، ص 26) ويضيف الفهرستي ابن النديم، بأن اللسان " النبطي الذي يتكلم به أهل القرى، فهو سرياني مكسور وغير مستقيم اللفظ. وقيل أن اللسان الذي يُستعمل في الكتب والقراءة وهو الفصيح؛ فلسان أهل سوريا وحران، والخط السرياني استخرجه العلماء واصطلحوا عليه، وكذلك سائر الكتابات " (ابن النديم، د.ت، ص 18).

كان من الضروري بذل جهود في جمع مفردات العربية وتنظيم قواعدها .. وكان أول من وضع أسس النحو العربي؛ هو الشاعر النحوي العربي الكناني: [أبو الأسود الدؤلي، ت 69 هـ] وكما يؤكد الأصفهاني: هو الأصل في بناء النحو وعقد أصوله. (الأصفهاني، 2008، ص 215) وكان ذلك في البصرة التي اعتمدت القياس، ثم تبعها الكوفة التي اعتمدت الرواية والسماع، وقد بذل علماء اللغة وكثير منهم من

غير العرب؛ جهودا كبيرة في وضع القواعد التي تُعلّم الناس صحة الكلام. (نخبة من الأساتذة، 1976، ص 384) في حين كان أول من رتب الألفاظ على حروف الهجاء، هو الشاعر الأديب النحوي والموسيقي الأزدي/العُماني: [الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت 170هـ] وهو مؤسس علم العروض أيضا، فسمى معجمه بحرف العين، ثم توالى وضع المعاجم في القرن الرابع خاصة (نخبة من الأساتذة، 1976، ص 383).

ويمدنا الأصفهاني بحقيقة أن اللغة العربية قد ظهرت بشكل رسمي ومستقل على عهد صانعها أبو الأسود الدؤلي، لأنها كانت لسان، ولم تكن تحوي على قواعد ونحويات ونقاط. كما أن مخالطة العرب بعد الإسلام للشعوب السامية الأخرى والتي استعربت فيما بعد؛ كالعناصر الكلدانية والبابلية والأشورية في العراق، والنبطية والسريانية والفينيقية في الشام؛ قد أدى إلى اختلاط لسان العرب بغيرهم ممن كانوا يسمونهم بالأعاجم أو الأنباط. وهذا ما كان دافعا لأبي الأسود في صناعة قواعد اللغة العربية. (الأصفهاني، 2008، ص 216) ويضيف الفلقشندي بالقول: " كانت حروف الكلام العربي التي رُقم بها القرآن الكريم ثمانية وعشرون حرفا في اللفظ ... وتسمى حروف الهجاء وحروف التهجي، يسميها سببويه والخليل؛ حروف العربية، أي حروف اللغة العربية. " (الفلقشندي، 1914، ص 20) وسمي سببويه كنية تعني ربح التفاح بالفارسية، وهو فارسي من شيراز، [ت 180هـ/796م] درس في حلقة حماد بن سلمة بالبصرة في العراق .. واختلف معه في نطق بعض الكلام، الأمر الذي دعاه إلى اختراع النحو. (الشريشي، 1992، ص 298) فكما يقترح ابن خلدون " إن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة أو الجيل الغالبين عليها، أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب بهذا العهد؛ عربية " (ابن خلدون، 1994، ص 206) ثم أعانتها خصائصها ونظامها اللساني الدقيق، وغناها في المفردات والاشتقاق، على أن تصبح بسرعة؛ اللغة الأولى للمعرفة والثقافة والخطابة والتجارة والسياسة في العالم الإسلامي.

### 3.5.5. الفاتحين والمعلمين العرب في المنطقة/ المجال والدور والزمان

جاءت اللغة العربية مع المغازي العربية، ووجدت أمامها عدد من اللغات القائمة في ليبيا أو ببلاد أنطابلس وأطرابلس، وهذه اللغات والألسن هي اللهجات البربرية، في الدواخل، والبونيقية واللاتينية واليونانية في المدن الساحلية. وقد دخلت اللغة العربية تدريجيا في صراع مع هذه اللغات جميعها، وكان معظم الحكام ومن سار في غبارهم قد غادروا البلاد بعد استتباب أمر المسلمين، وتركوا المجال للفاتحين ولغتهم، وبذلك خلا الميدان للغتين العربية والبربرية، وسارا في صراع طويل ماتزال آثاره باقية حتى وقتنا الحاضر (عمر، 1971، ص 60).

وقد حرص العرب على تعليم البربر شؤون الدين والإسلام، غير أن اهتمامهم بذلك لم تكن جلوية أو ملموسة في برقة وطرابلس وفزان، بقدر ما كانت عليه في إفريقية والمغرب. حيث اختط عقبة بن نافع نواة مدينة القيروان، سنة 55 هـ/ 675م، ثم بنى أبو المهاجر دينار خلال سنوات ولايته 55 - 62 هـ مدينة تكروان، التي تقع على بعد ميلين شمالي القيروان، ووجه اهتمامه لنشر الدين الإسلامي، ولتعليم الأهالي. كما ترك عقبة بن نافع صاحبه شاكرا بالمغرب الأقصى، يعلم البربر القرآن، وذلك بعد حملته الثانية 62-63 هـ. كما خلف موسى بن نصير مولاه طارقا على طنجة وما جاورها، وأمر العرب أيضا بتعليم البربر القرآن وذلك بعد توليته أمور إفريقية سنة 83 هـ/ 702م (شعبان، 2015، ص 50) فيما اهتم حسان بن النعمان خلال سنوات 74-85 هـ/ 693-704م، فضلا عن تمصير مدينة تونس، بتعليم البربر اللغة العربية فجعلها لسان البلد الرسمية، تحرر بها الرسائل للعمال، ويكتب بها في الدواوين ويخطب بواسطتها في الجمع والأعياد، فأقبل بربر إفريقية يتعلمون اللغة العربية شيئا فشيئا. وعلاوة على هذا، كان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز؛ قد أرسل البعثة المتكونة من عشرة من التابعين إلى بلاد المغرب، بهدف تركيز الإسلام في أفئدة المؤمنين، ويمكن اعتبار هذه البعثة نواة لمدرسة المغرب (شعبان، 2015، ص 55) وهم عشرة معلمين

توزعوا في مدن إفريقية بجانب القيروان، ينشرون ما يعرفون، ويرفعون بين الناس تلاوات القرآن، ويحثوهم على فهم السنة النبوية، فأقبل البربر تدريجيا على الإسلام. (المالكي، 1994، ص 99).

في ختام هذا التعقب؛ ألاحظ شخصا بأن الباحثين في شؤون دور المؤسسات، يبدؤون دائما في دراستهم من قلب المغرب الأدنى/إفريقية/تونس، ثم ينساحون بالدراسة غربا نحو بقية بلدان المغرب الكبير (بوخالفة، 1986، ص 269) أي أنهم لا يبدأون من ليبيا! ولا يشيرون إلى وجود شيء تمصيري/عمراني/مؤسسي بأي ركن من طرابلس وبرقة وفزان! لا يبدو أيضا أن هذا العزوف يحدث من باب الصدفة! بل لأن الباحثين بوعي منهم أو دون وعي! لا يجدون أساسا أية مؤسسات تعليمية أو دينية أو تربوية أنشئها الفاتحون وبقية العرب بالعهد الأموي في برقة أو أطرابلس!. لم تلق أقطار البلد الثلاث اهتمام الفاتحين ليس بإقامة الجوامع الكبرى وملحقاتها التعليمية في شؤون الدين واللغة العربية فحسب، بل وإهمالا عاما شمل جميع المناحي/الجوانب، المؤسساتية والمدنية والخدمية. ولا أدل على ذلك من الإطاحة بأسوار المدن الليبية في فترة حملات عمرو بن العاص، وهو ما حصل مع مدينتي طلميثة وصبراتة مثلا، أو كمدينة أطرابلس؛ والتي لم يرتفع لها سورا - ورغم كل أهميتها - إلا في عهد هارون الرشيد. كما يؤكد الجغرافيين البكري، والحميري (الحميري، د.ت، ص 600) وذلك على الرغم من أهمية النظر في أمر الحصون والجسور والثغور والمساجد وغيرها كما يقول الطرسوسي (الطرسوسي، 1992، ص 107) كما أن أبي الربيع، يشير إلى أن قضية إنشاء المدن الإسلامية، أمر يتطلب ستة شروط؛ هي سعة المياه العذبة، وفرة الطعام، اعتدال المكان وجودة الهواء، القرب من المراعي، تحصين المنازل من الأعداء، وأن تحيط بالمدينة الممصرة مزارع وقرى أهلة. فضلا عن الحراس والجند لحراسة الناس. (بن أبي الربيع، 1994، ص 106).

إن النمط البدوي والقروي والبدائي في ليبيا كان سائدا وموجودا منذ العصور القديمة، وأجد أن المؤرخ Ἡρόδοτος كان قد أشار خلال منتصف الألف الأولى ق.م إلى هذه الظاهرة، ولاحظ أن السكان في ليبيا هم من البدو، وأن النمط الحضري والمستقر من السكان، والذين يقيمون في منازل، يظهر ابتداء من غربي Lake Tritonis (Hērōdōt, 1806, P 235) والمثيرة للملاحظة أن الوضع القروي والبدوي، اكتنف حياة الساكنة الليبية طيلة العصور، فبعد هيرودوتس بنحو 2500 سنة، أجد أن الرحالة التونسي محمد الحشائشي، قد دوّن ملاحظته هو الآخر سنة 1895م متحدثا باسم سكان طرابلس، والتي كانت خلال العصر الحديث تعني سكان العاصمة وكامل البلد، هم أقرب إلى أن يكونوا بدوا من أن يكونوا حضرا! (الحشائشي، 1988، ص 203) وعلى هذا الأساس نجد أن بلاد تونس القديمة/إفريقية، قد لاقت اهتمام جميع الشعوب الوافدة من الفينيقيين إلى العرب ومن جاء بعدهم من مؤسسي الدول والإمارات المستقلة القائمة في الفترة الإسلامية. وعلى العكس من ذلك لا نجد إمارة محلية واحدة، قد قامت ونهضت لتحكم باستثناء فقط الأباضية التي حكمت كامل البلاد الطرابلسية مع بلد إفريقية سنة 140هـ/758م تحت زعامة المولى اليميني: أبي الخطاب المعافري، وبجهود نفوسه ومزاته، كما قال: عبد الرحمن بن رستم، والذي بويع بالإمارة سنة [160هـ/777م] (المساكني، 1999، ص 13).

تعربت بلاد طرابلس برقة بشكل واضح بعد استقرار عربان بنو هلال وبنو سليم بعد القرن 5هـ/11م. وقد وُجدت شواهد كتابية عربية كوفية بطرابلس وبرقة وإن كانت قليلة؛ مثل شاهد قبر لرجل متوفي بالقرن 3 هجري، يدعى بيان بن الهيثم، توفي سنة 248 هـ، وعُثر على شاهده بمحطة القطار الرئيسية بطرابلس في 20 أغسطس 1915م. (حامد، 1978، ص 139) وسنلاحظ أن الكتابة الإسلامية في بلادنا قد ظهرت قليلا خلال القرن 2 الهجري، ثم القرن 3 الهجري، فكتب بالتالي مؤرخون وفقهاء بالعربية، وكتب آخرون بالبربرية ذات الحرف القرآني العربي. وكما يقول الشيخ النفوسي الدرجيني [600-

670هـ / 1204-1272م] " وإنما وضعها واضعها باللسان البربري ليتناقلها البربر " (الدرجيني، 1974، ص 314).

بشكل عام، يظهر لي، أن أول متعلم للعربية وأصول وعلوم الدين في بلادنا، هو المحدث « عبد الرحمن بن زياد المعافري » والذي وُلد ببرقه سنة [ 74 هـ / 694 م ] وكان من أول المولدين بها. (أمانة الإعلام، 1977، ص 192) هذا العلم، لم يكن ليتعلم شيئاً من دون أن يرتحل ليدرس في مدارس الشرق أيضاً. حيث تعلم العربية والشريعة هناك، وسمع عن عدد من التابعين. فعاد البلد، ويبدو بأنه لم يجد فيها ما يشجعه على البقاء. على هذا الأساس حزم المعافري حقايبه واتجه نحو حاضرة العرب في المغرب، وهي القيروان، وتوفي بها سنة [ 161 هـ / 778 م ]. ويظهر لدي وعلى الصعيد المالكي أيضاً « أبو سليمان محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي » من أصحاب الإمام مالك، وسمع عنه موطأه. وثبت القاضي عياض نسبه الطرابلسي. (القاضي عياض، 1983، ص 323) وإلى جانبه سنلحظ الإمام « زياد الطرابلسي العجمي » والذي تلقى العلم عن شيخه في الشرق: سفيان الثوري، المتوفي بالعراق سنة [ 161 هـ / 777 م ]. (مجموعة أساتذة، 2008، ص 304) وكان أول من أدخل (موطأ ابن مالك) في الفقه المالكي، ثم توفي سنة [ 183 هـ / 799 م ]. وهذه الشواهد تفيد بخلو البلاد الليبية من أية مدارس/أو مؤسسات، أو مساجد لتعليم حتى القراءة والقرآن! ناهيك عن اللغة والفقه والشريعة والنحو، في طرابلس وبرقة وفزان. الأمر الذي كان يُلزم كل طالب علم للسفر إلى الشرق. وإلا ما كانت النخب الأولى مضطرة لشد الرحال نحو مدارس المشرق بالكوفة والبصرة والمدينة لتعلم القراءة والقرآن والفقه!.

أما في المجال الأباضي، وبحسب ما أستطلع من إخباريات وسير الفقيه النفوسي: أحمد بن سعيد الشماخي، فإن أول حملة العلم من مشايخ/أعلام البلد، هم: « عاصم السدراقي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبلي النفزاوي » ويتعين التنبيه بأن هؤلاء هم أول العلماء الأهليين في المذهب

الأباضي، بمعنى أن الفقهاء النفوسيون كانوا يستنون الفقهاء المالكيون في طرابلس وسرت وأجدابيا وبرقة وغيرها من مراكز الساحل من التذكير والحصر في قائمة أهل العلم. ويضيف الشماخي بأن هؤلاء معاصرين وأصحاب لعبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى (الشماخي، 1987، ص 113) الذي أسس الدولة الرستمية في المغرب وكانت منطقة جبل نفوسا تابعة لها، بل وداعم مؤسس لها، وكان ابن رستم قد بويع له بالإمامة سنة 160هـ وقيل 162هـ.

وما يهمني هو التدقيق في الاطار الزمني لظهور أول حملة العلم في بلاد أطرابلس وبرقة وفزان، بالفترة الإسلامية. حيث نجد بأن ظهور أول طبقة من هؤلاء النخبة لا العامة، سواء من الفئة المالكية أو الأباضية؛ قد تلقفوا العلم وتفقهوا في القرآن والإسلام، وتعلموا العربية جيدا خلال أواسط القرن 2 الهجري! أي أن خلال هذا القرن ظهر أول 3 علماء وطنيين وفي سلك الأباضية. وسبقهم بضع آخرون 3 أو 5 في المالكية. مما يعني بالنتيجة أن العقود التي سبقت هذا التاريخ، كانت قد خلت من وجود معلم أو عالم واحد. ومع ذلك، لم يظهر هؤلاء العلماء، إلا بعد ارتحالهم كطلاب علم إلى مدارس المشرق. وعندما ذكر مؤرخنا لؤاب بن سلام التوزري المزاتي [ت 273هـ/886م] المعلمين والفقهاء الذين تلق عنهم العلم، هو وأصحابه المتقدمين في تأليف كتابه. لم يذكر وجود معلم واحد في بلادنا!. بل ذكر معلمين وفقهاء ينتمون إلى الأصقاع التالية: من أهل البصرة والكوفة، ومن أهل اليمن، وأهل المدينة وفقهاء مكة، وعُمان وحضرموت وخراسان. (ابن سلام، 1985، ص 129) وجميع هذه الملاحظات تفيد بأن بلادنا كانت خالية خلال القرنين الأولين على الأقل، من ولو مدرسة تعليمية واحدة. لذلك كان كل طالب علم، مضطر للسفر إلى مدارس المدينة ومكة والبصرة والكوفة وحتى إلى عُمان وخراسان.

وإمدنا الشماخي، بأسماء أخرى من حملة العلم الأهلين، ممن يمكن تصنيفهم أيضا في عداد الطبقة الأولى، بعد حملة العلم الأوائل ممن تعلموا في مدارس الشرق. مع الأخذ في الاعتبار أن العلماء الذين

رتّبهم الشماخي وصنفهم، هم أباضيين فقط، بمعنى أنه أهمل ذكر العلماء المالكيين في البلد. وهؤلاء الأهلين الأباضيين الذين ذكرهم الشماخي، هم: «مامد بن يانس الدركلي النفوسي» الذي تعلم الفقه والأحكام في الإسلام على يد «أبو درار الغدامسي». ومن الواضح أن أبا درار، والذي تعلم في مدارس البصرة والكوفة، قد رجع وقام بتعليم بعض طلاب العلم في البلد، فبرز منهم من برز. ولدينا أيضا «عبد الأحد بن تلاميذ المزاقي». ثم «عمر بن يمكتن» الذي ساد أهل زمنه علما وعملا خيرا. وهو صاحب لواء لواته في عهد أبي الخطاب المعافري 140-144هـ أمير أطرابلس والجبل وإفريقية، وقد قُتل معه خلال صدهم لحملة الخليفة المنصور العباسي سنة 144 هجرية. (الشماخي، 1987، ص 127).

### 6.5. الكتاب والمؤلفين الوطنيين في الفترات الإسلامية المبكرة

يتوجب التنويه أولا بأن المحليون في بلادنا، كانوا قد انتهجوا جوانب نافعة من عملية التعليم، بعد انحراطهم مبكرا في سلك الكتابة والتأليف، منذ أوائل العصر الوسيط/الإسلامي، وأعني به منذ القرن الهجري الثاني وما بعد. فخلال القرن الهجري الأول لم يكن المحليون قد تعلموا العربية بعد، ولا توجد لهم مؤلفات قبل ذلك. فخلال بداية العصر الوسيط، وطوال العصر القديم، لم يكن لدينا كتاب محلي واحد. ونجد أن المؤرخ المغربي الحسن الوزان، يقول خلال مناقشته لتدني ثقافة وفكر وحضارة سكان شمال أفريقيا في العصور القديمة، بالقول: " كانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة، بحيث لم تترك وراءها أي كتاب! " (الوزان، 1983، ص 39) وكان محقا في ذلك، فمن اللافت لدي دائما، عدم إنتاج السكان المحليين وقبل الفترة الإسلامية لكتاب محلي واحد! فأول الكتب المحلية ظهرت بعد العصر الوسيط الإسلامي، معظمها بالخط العربي، بعضها الآخر باللغة البربرية الإسلامية التي كُتبت كمفردات وألفاظ وأفعال وأسماء بربرية بحروف عربية، وكان الفقه الأباضي هو محركها. فالسكان في الدواخل عاشوا حياة بدائية ضمن تنظيمات قبلية، أو حياة قروية في مدن صغيرة وعادية، أي غير مكتملة الخدمات، كمدن

غدامس ومغمداس وسرت وودان وأوجيلا وقصور فزان، أي تلك المدن التي ذُكرت خلال بداية الفتح الإسلامي، مما يعني بأنها كانت مدنا قائمة ومعروفة بين سكانها منذ أوائل العصر الوسيط على الأقل. أما الليبيين المتمدنين فعلا، فهم من اندمجوا بالمستوطنات الفينيقية، وسكنوا المدن البونيقية التي صارت رومانية الثقافة منذ القرن الميلادي الأول.

لو بدأنا بالتشديد على أهمية القراءة والتعليم، والدفع بهما، سنجد أن المؤرخ السياسي الحضرمي [ت 489هـ/1096م] يقول في هذا الصدد: " في الحض على القراءة والتعليم، أقول: إن الأحياء الناطقين، والحكماء المتقدمين، فرقوا بين الجماد والحيوان بالحياة، وفرقوا بين البهيمة والإنسان بالعقل، وفرقوا بين الشريف والخسيس بالعلم، فالعقل الطبيعي أصل للعقل الكسبي الذي يستفاد بالعلم، ويعلم بالدرس والتأمل، وهو فائدة الحياة، وروح العيش، وبه يفرق بين اليقظة والنوم، وبه تظهر الحقائق والطرق، وبه تُبصر الأشياء كما تبصر بالسُرِّج، وبه تُعرف المنافع من المضار، وبه يفرق بين الإنسان والحمارة!". (الحضرمي، 2003، ص 19) وكان العلامة النفوسي الجيطالي، قد وضع أبوابا في فضل العلم والحث عليه، مبينا للأهالي في عهده أهمية التعليم بالقرآن الكريم والسنة النبوية (الجيطالي، 2001، ص 40) وقد نُهج نخبة من العلماء والكتّاب الأهليين في بلادنا، نُهج العلم وسلكوا دروب الدراية والمعرفة، ووضعوا كتباً، لا يعلم الكثير من الناس عنها شيئا. ولست بصدد رصد جميع مؤلفات وأسماء الكتّاب المسلمين الطرابلسيين والفزانين والبرقاويين، ممن مثلوا صفوة القوم بالبلاد طيلة الفترة الإسلامية، فلدينا العديد من هؤلاء، وإنما سأعرض فقط الشخصيات التي برزت خلال القرون الإسلامية الأولى، وتميزت بانتهاجها لنهج الكتابة والتأليف. وبعض هذه المناشط كانت في النحو، فكما قال العمري: " وأما علماء النحاة بالمغرب فذو عدد، وأولو مدد، وأصحاب لسان فيه وتد! " (ابن العمري، 2010، ص 197) ومع ذلك، أود التنويه بأن بلادنا وباعتبارها مشتتة جغرافيا، كانت قد عانت أيضا من غياب وجود المؤسسات سواء التعليمية أم

الثقافية أم الدينية وحتى السياسية والعسكرية. إن البحث عن أية إجابة وعلى قدر من الحذر والدقة؛ ممكن. فهذا الغياب أعزوه في تقديري إلى فراغ البلد سياسيا، وبساطته مجتمعيًا، وتشتته جيوسياسيا وترايبا، بحيث ظلت فيه منطقة طرابلس تُدار من إفريقية/تونس، ومنطقة برقة تُحكم من مصر، بينما كانت فزان أرض مشاع. وهذا بدوره ناتج عن غياب ظهور دولة/إمارة/مملكة، واحدة حقيقية وواسعة تمد سلطاتها على كافة البلاد. ومن دون وجود نظام حكم محلي مستقر وثابت؛ من الصعب أن ينتج علماء وأدباء البلد شيء، في بلد تتجاذبه العقلية القبلية والبدوية وتقسمه الجهوية المناطقية، الغطاء النباتي فيه بسيط ومحدود، ومعظم أرجاءه مقفرة جافة قليلة الماء، والأرض في معظم فترات طاردة للنخب المدنية والحضرية المتعلمة، وجاذبة للجماعات المخربة أو تلك التي تقطع الطرق على الناس. وبعض هذه الظواهر لا تزال مع الأسف مستمرة حتى يومنا هذا، وقد لا يتاح لنا سبل الخروج منها إلا بعد جهد جهيد. ففي إطار فرضية الارتباط الممكن بين ما تناله الأم يناله الجنين. وما يناله المجتمع يناله الفرد أو يتأثر به!. فإن هذا المنظور سنلحظ من خلاله بأن علماء ليبيا خلال الفترة الإسلامية المبكرة - وأقصد بالمبكرة هي الفترة قيد الدراسة - قلما نجد فيهم من عاد بلده، ونشر ما تعلمه بين أهله!. طبعا كل عالم/عارف، بأطرابلس وبرقة وفزان، ما كان ليتعلم منهم أحد شيء من أصول الدين والشريعة، والعربية وملحقاتها، من دون أن يسافر إلى بلدان الشرق الأوسط. وبالنتيجة، وبعضهم استقر به المقام هناك، وبعضهم الآخر في مصر، والبعض الآخر في القيروان. لأنهم وجدوا مناخهم العلمي في هذه الأمصار حيث المدارس والمؤسسات والنخب والحكومات.

بالنتيجة سنرى بأن الاستقرار السياسي للإمارة الأباضية بنفوسة وأطرابلس وسرت، ثم تيهرت خلال الفترة الرستمية، وامتدادها من جبال تلمسان غربا، إلى إقليم طرابلس وجبل نفوسة شرقا. قد خلق طبقات من العلماء والكتّاب والمشايخ والعارفين. والأمر مماثل مع مدينة القيروان رغم حداثة سنهها، والتي باتت

حاضرة العلماء والقضاة والكتّاب المالكيين. بينما خلت مدن المقاطعات الطرابلسية والبرقاوية والفرزانية، من وجود حواضر ثقافية تُسهم في بروز العلماء محليا ومن الداخل، ومن دون الحاجة إلى تلقي العلم في الخارج، وتسهم في الوقت ذاته في جذب النخب واستقراهم والاستفادة بالتالي من نتاجهم ومعارفهم. ونتيجة أيضا، لغياب دول محلية تنهض من الداخل، أصبحت أقطار البلد موزعة ما بين دول وممالك الجيران، مصر شرقا وإفريقية/تونس غربا. وسبب هذا أيضا في حتمية اعتبار الأرض الليبية مسرحا لعبور الجيوش والغزاة والولاة، ومنطقة لامتداد النفوذ. وسط صيغة من هذا النوع، لم تكن جميع هذه العوامل والظروف، لتتلاءم مع حاجة العلماء الباحثين بالطبيعة عن وسائل الجذب الثقافي والاستقرار الاجتماعي والتمركز السياسي والسخاء السلطاني، بل كانت تلك الظواهر والإشكاليات مناخا طاردا للنخب والعلماء، بخلاف الاستثناءات التي ذكرت، والتي أفرزت نخبة من العلماء خلال فترة الاستقرار الأباضي، ككيان سياسي وديني، امتد في فترته الأولى على الأقل، من ساحل وداخل خليج سرت شرقا إلى القيروان غربا. وهو الكيان الذي كان من شأنه أن يدفع بظهور أول طبقة مستقرة من علماء البلد. وأقصد بالمستقرة؛ تلك التي نشطت في مناطق أطرابلس أو نفوسه أو سرت أو أنطابلس أو فزان، وبها اشتهرت وفيها توفيت. على اعتبار أن هناك من برز ونشط من المتعلمين، غير أنه لم يؤثر البقاء في مسقط رأسه أو بأي ركن كان. وإنما اضطرته الظروف وقتذاك للاستقرار في أماكن أخرى، ممن تتوفر بها الحواضر الثقافية الملائمة للبحث والعلم والاستفادة والاستزادة والتحري والجدل والنقاش. ولأجل تحديد مسار أبحاث كثير من المؤلفين المسلمين في بلادنا، بالعهد الإسلامي المبكرة، فهم بحسب بحثي وحسب تسلسلهم الزمني، كالتالي:

المحدّث « عبدالرحمن بن زياد المعافري » ولد ببرقه سنة [ 74 هـ / 694 م ] يعتبر من الأجيال الأولى للمولودين بأفريقية في العصر الإسلامي، سمع عن عدد من التابعين، وروى عنه سفيان الثوري، وعبدالله بن

وهب، وغيرهم (أمانة الإعلام، 1977، ص 192) وقد وُلِّي قضاء القيروان كأول حاضرة للمسلمين بإفريقية والمغرب، وكان عادلاً، استقدمه البلاط العباسي في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ثم عاد القيروان وتوفي بها سنة [161 هـ/778 م] وهو صاحب كتاب (مسند في الحديث) (أمانة الإعلام، 1977، ص 192).

الإمام الفقيه «علي بن زياد العجمي» مؤلف كتاب (خير من زنته) واحد من علماء القرن الثاني الهجري، من مواليد أطرابلس المدينة، لم تحدد المصادر تاريخ مولده ووفاته بالضبط. حيث تظهر حيال تاريخ وفاته بالذات، بضع افتراضات مختلفة وإن كانت قريبة من بعضها، وأكثرها دقة وصحة بحسب الدكتور جبران؛ هو أنه توفي بتونس سنة [183هـ/799م] (جبران، 2010، ص 110) وقد كان من تلاميذ الإمام «الإمام مالك بن أنس» [93 – 179هـ] في المدينة المنورة بالقرن 2 هـ. ويُنسب إلى مسقط رأسه أطرابلس، غير أنه مختلف حول نسبه، فثمة آراء تذهب في تنسيبه إلى بلاد العجم، أي أنه فارسي أو قزويني على أرجح التقديرات، وأخرى تقول بأنه عربي. يقول المؤرخ أحمد بك النائب، أنه عجمي الأصل (النائب، 1961، ص 397) وهذا ما يؤكد أيضاً سحنون بن سعيد. وكونه فارسياً أم عربياً، أمر كلاهما وارد، كما هو وارد غيره، نظراً لوجود العنصر الفارسي في البلاد اللوية إلى جانب العنصر العربي منذ المغازي العربية الأولى، وهو ما يشير إلى وجوده المؤرخ الجيوغرافي البغدادي: أحمد يعقوبي، الذي أنهى كتابه خلال سنة [258هـ/872م] قائلاً خلال وصفه لسكان مدينة زويلة الفزانية: "خليط Karışık من أهل خراسان Horasan ومن البصرة Basra و Kûfe الكوفة." (Ya`Kûbî, 2021, P 163) ويعد الإمام الفقيه: علي بن زياد الطرابلسي؛ أول من أدخل موطأ مالك بن أنس، في الفقه المالكي، وسمع عنه البهلول بن راشد، وأسد بن الفرات، والإمام سحنون وجماعته. وكان الإمام علي العجمي؛ قد تلقى العلم عن شيخه في الشرق: سفيان الثوري، المتوفى بالعراق سنة [161هـ/777م]. (مجموعة أساتذة، 2008، ص 304) مما جعله رفيع القدر بعلمه وفقهه بين معاصريه، ومن تتلمذ بعدهم. ثم توفي سنة [183هـ/799م].

العابد الزاهد « عبد الوهاب القيسي » الشيخ العابد الورع الزاهد، يُحكى أن صاحب كرامات ومنامات دينية تتراى له بالمنام. لا توجد بيانات محددة حول تاريخ مولده ومنشأه ووفاته، إلا أن المؤرخ أحمد بك النائب، يؤكد بأنه توفي بطرابلس في حدود المائة الثانية للهجرة (النائب، 1961، ص 51) وقد ذكره الرحالة العالم المغربي التيجاني في رحلته عبر البلاد الطرابلسية. ووقف عند قبره المقام بظاهر مسجده الشهير في باب البحر بطرابلس القديمة. وقد اختط التجاني في كتابه بعض من منامات الشيخ عبد الوهاب، صاحب (كتاب المنامات) وهو مجموعة مدونات للمنامات الدينية " مكتوبا عنده بتواريخه " (التيجاني، 1981، ص 259).

المحدّث « محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم البرقي » لا معلومات حول تاريخ مولده ومكان نشأته، غير أن تاريخ وفاته هو في سنة [249 هـ / 863م] (النائب، 1961، ص 364) وقد طلب العلم بالأزهر في مصر، فاستقر هناك، وكتب في الفقه والحديث والتاريخ والتراجم؛ المؤلفات التالية:

1- (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم)

2- (كتاب الضعفاء)

3- (كتاب في التاريخ)

4- (كتاب في رجال الموطأ)

5- (كتاب في الطبقات)

6- (كتاب في غريب الموطأ)

7- (مختصر ابن عبد الحكم الصغير). (باشا البغدادي، 1955، ص 15).

المحدّث المؤرخ: « أحمد بن عبدالله بن عبدالرحيم البرقي » حدّث في المغازي عن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، لا معلومات محددة أوردها المؤرخ النائب عن تاريخ ولادته ونشأته ووفاته. إلا أن

الأخير ذكر بأن الأول هو من أهل القرن الثالث الهجري، " وله تاريخ " (النائب، 1961، ص 380) أما المؤرخ البغدادي في هدية العارفين، فيكتب عنه بوضوح أكثر، ويقول بأنه صنّف ( كتاب معرفة الصحابة ) وتوفي سنة [270 هـ] (باشا البغدادي، 1955، ص 50). وبذلك يكون مؤلفنا هذا، مؤرخا ومحدثا في الوقت ذاته.

دالمؤرخ « لؤاب بن سلام بن عمر بن تمطين التوزري المزاتي » من علماء القرن الثالث الهجري، توفي سنة [273هـ/886م] وهو كغيره من أوائل علماء بني مازيغ، ممن برزوا خلال القرون الأولى للعصر الإسلامي الوسيط، وهو مؤلف كتاب ( الإسلام وشرائع الدين ) المعروف أيضا بـ( تاريخ ابن سلام ) (ابن سلام، 1986، ص 5) وأعتقد بأنه ينحدر من إحدى قرى ساحل سرت، وهو المكان الذي تنتشر فيه بطون مزاته وهي القبيلة البربرية التي ينتمي لها ابن سلام. غير أن الباحثون يعتقدون بأنه ينحدر من بلدة اغريفصان قرب مدينة جادو بجبل نفوسه، ويقول الباحثون هو المصدر الذي استند عليه المؤرخ الشماخي في إعداد مصدر ( السير ) (مجموعة أساتذة، 2008، ص 295) وفعلا نجد أن الشماخي يقول ذلك في بعض معلوماته التي يجربنا بأنه نقلها عن ابن سلام شخصيا (الشماخي، 1987، ص 113) وإذا كان الباحثون يتحدثون عن المؤرخ الذي نقل عنه الشماخي، فإن الأخير يذكره من علماء لواتة! أي أنه ليس نفوسي، ولواته هي من بطون البربر في برقة، وتجاورها مزاتة التي أرى شخصيا أن ابن سلام ينتمي لها ونسبه المزاتي واضحا في نهاية اسمه. مع ملاحظة أن المؤلف الذي يذكره الشماخي فيقول بأنه كان عاملا للأمير الرستمي عبد الوهاب بن رستم، على سرت ونواحيها. (الشماخي، 1987، ص 175) مما يعني بأنه من أهل القرن الهجري الثاني لا الثالث الذي عاش فيه فعليا ابن سلام!.

يدور في الواقع جدل حول شخصية « ابن سلام بن عمر » مع شخصية « سلام بن عمرو » والذي يذكره الفقيه الشماخي وفي موضع آخر على رأس قائمة مشايخ لواته: وينوّه بأنه عامل لعبد الوهاب،

على بلد سرت ونواحيها. (الشمأخي، 1987، ص 233) أي أنه من أهل القرن 2 هجري. إذ أن هناك من يعتبر أن الشخصيتين هما شخصية واحدة! وهناك من يعتبرهم شخصيتين مختلفتين! الأول من مزاته والثاني من لواتة والبعض يراه من نفوسة. ورغم أن الرأي الأكثر ترجيحاً بين الباحثين هو اعتبارها شخصية واحدة. إلا أنني ألاحظ بأن ثمة فوارق/اختلافات بينهما! فمؤرخنا « لوّاب بن سلام بن عمر » عاش بالقرن 3 هجري [ت 273هـ/886م] بينما « سلام بن عمرو » وبناء على شهادة الشمأخي شخصياً، فهو عامل الإمام عبد الوهاب، على سرت ونواحيها، وبالتالي هو رجل عاش خلال القرن 2 للهجرة. فابن رستم كان قد تولى الإمارة الأباضية سنة 160 هجرية. وبالتالي فإن سلام بن عمرو، هو شخصية مختلفة عاشت في القرن 2 هجري وتختلف عن شخصية المؤلف لوّاب بن سلام؛ والذي عاش بالقرن 3 هجري. ولعل نقطة الربط الوحيدة بينهما هو محاولة الافتراض بأن سلام بن عمرو، هو والد: لوّاب بن سلام بن عمر. والذي أسقط الواو من اسم والده عمرو!. ومع ذلك يبدو هذا الاحتمال ضعيفاً جداً. لأن سلام بن عمرو، والذي عايش نشوء واستقلال الإمارة الأباضية، كان معاصراً لجد المؤرخ لوّاب بن سلام! والذي كان من رجالات ابن الخطاب المعافري مؤسس الإمارة الأباضية في 140 هجرية. وأكثر من ذلك لم يذكر المؤرخ لوّاب بن سلام، وجود والده ضمن رجالات المعافري، أو أنه من عماله في مغمداس بطريق سرت، بل ذكر جده عمر بن تمطين، ونشاطه هذا كان في أواسط القرن 2 هجري. لأن عمر بن تمطين، وأخوه أبو حميد بن تمطين، ويحيى بن عمر بن تمطين، وموسى بن عبد الله بن تمكين (بمكتن) وإبراهيم بن عبد الله بن تمكين (بمكتن) وغيرهم ممن ذكرهم ابن سلام (ابن سلام، 1985، ص 5) كانوا جميعاً من قادة البربر في البلاد الليبية، ومن رجالات دولة أبي الخطاب المعافري التي قامت من نواحي سرت إلى القيروان عام 140هـ/758م. وكانوا جميعهم من الشخصيات التي قاتلت الجند العباسي في مدينة مغمداس على ساحل سرت.

توجد نسختين منشورتين من كتاب ابن سلام، تُعرف إحداها ب: بدء الإسلام وشرائع الدين. والأخرى محققة باسم: الإسلام وتاريخه من وجهة نظر أباضية. وتشتهر النسختين باسم تاريخ ابن سلام. ويبدو لي أن كتاب تاريخ ابن سلام، قد وضعه مجموعة علماء أهليين متقدمين، ولم يكن مؤلف الكتاب ابن سلام لوحده. أستشف هذا من قول ابن سلام بنفسه وفي مقدمة كتابه بأنه من تأليف بعض أصحابنا المتقدمين. (ابن سلام، 1986، ص 65).

القاضي « عمرو بن فتح المساكني النفوسي » [ت 283هـ/896م] من علماء الأباضية بجبل نفوسه، من أهل القرن الهجري الثالث، درس في بلدة قطرس، مسقط رأسه، ويصفه الشيخ الشماخي، بأنه " بحر العلم الزاخر، بل حاز كل المفاخر " (الشماخي، 1987، ص 192) وكان له شغف بجمع الكتب ونسخ بعضها، وتوجد له نسخة واحدة، سلمت من محن الزمن وأزمات الدهر. وبالنظر في النسخة الباقية وهي (الدينونة الصافية) (المساكني، 1999، ص 7) أجد بعد المتابعة أن للمساكني فيها فتاوى واجتهادات، ومنجزات في القضاء، وشروح في فرائض الإسلام وشرائع الدين، في العقيدة وفي العلاقة مع أهل الذمة، وأبواب في الصلاة والطهارة والزكاة والصوم والحج والعمرة والمعاملات، وفي القصاص وفي الأخطاء، وفي الصدقات والمواريث، وباب في النساء، وباب في مسائل مختلفة. وقد كتب في الفقه كتابين:

#### 1- (الدينونة الصافية)

2- (كتاب في الرد على الناكثة). وتوفي قتيلا في وقعة " مانو " بين قابس وطرابلس، ضد قوات

بني الأغلب سنة [سنة 283هـ/896م] (البغطوري، 2014، ص 118).

الفقيه « عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحيم البرقي » من أهل القرن الثالث الهجري (الزاوي،

2004، ص 244) أخبرنا عنه المؤرخ أحمد بك النائب، نقلا عن الإمام فرحون في كتابه الديباج، وقد كتب

مؤلفين:

1- ( اختلاف فقهاء الأمصار في مختصر ابن عبد الحكم )

2- ( مختصر مذهب الإمام مالك ) ( النائب، 1963، ص 364).

3- ( المختصر الصغير الفقه للإمام ابن عبد الحكم ) ( البرقي، 2010، ص 5).

وهو ابن المحدث محمد البرقي، المتقدم ذكره، وابن أخي عبدالرحيم وأحمد البرقي، الشاعر اللغوي

والمؤرخ. وقد توفي بمصر سنة [291 هـ] (النائب، 1963، ص 375).

القاضي « موسى بن عبدالرحمن بن حبيب القطن » وهو من موالي بني أمية، ولد سنة [232

هـ/846م] سمع من الإمام محمد بن سحنون وغيره من علماء المالكية، تولى قضاء طرابلس ثم عُزل، ثم

أُطلق سراحه، وهاجر إلى مصر وتوفي سنة [306 هـ / 919م] وهو صاحب كتاب بعنوان: ( أحكام

القرآن ) ( النائب، 1963، ص 75).

اللغوي النحوي: « عبدالله بن محمود المكفوف » إمام النحاة في كامل المغرب، كما يصفه ابن فضل

العمري. من أهل القرن الثالث الهجري، نشأ بمدينة سرت، واشتهر بلقب النحوي القيرواني، لأنه حصل

تعليمه في القيروان، وبها اشتغل وانشهر. كان من أعلم أهل عهده باللغة والشعر، (العمري، 2010، ص

197).

وقد كتب في اللغة والعروض كتابين:

1- ( شرح وصف أبي زيد الطائي للأسد )

2- ( كتاب العروض ) وتوفي سنة [308 هجرية] (أمانة الإعلام، 1977، ص 233).

الفقيه المحدث « عليّ بن أحمد بن زكريا الخصيب بن زكرون » من سكان طرابلس في القرن الرابع

الهجري، وعُرف بكثرة أسفاره طالبا العلم من شيوخ مكة ومحدثيها، وعند عودته مكث بمصر، فأستزاد من

علمائها (امهلهل، 2019، ص 206) ثم عاد فانتفع به أهل طرابلس وتعلموا منه الفقه والحديث والنسك

وكتب في جوانب ( الفقه والحديث والتراجم والشروط والفرائض ) وله أيضا كما يقول المؤرخ النائب الأنصاري: " تواليف كثيرة " (النائب، 1963، ص 365) وقد عاش في مسجد، وتوفي سنة [370هـ/980م] (الزاوي، 2004، ص 256).

الفقيه « يحيى بن جرناز النفوسي » من علماء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، موطنه مدينة نالوت. اشتهر بقيامه مع مجموعة من العلماء بالاجتماع في غار اسمه مجماج، ألفوا كتباً في فروع الفقه بقسميه العبادات والمعاملات، وسموه " الديوان ". وعُرف فيما بعد بـ( ديوان المشايخ ) توجد نسخ كاملة منه في جربة، حيث انتسب إلى جمعية علماء الجزيرة. وقد كتب في مجالات الفقه:

1- ( ديوان المشايخ الأباضية )

2- ( أحكام الديوان ) مخطوط بدار الكتب المصرية. (أمانة الإعلام، 1977، ص 498).

الفقيه « أحمد بن نصر الداودي الأسدي الإفريقي » من أئمة المالكية بالمغرب في القرن الرابع الهجري، كان بأطرابلس، وبها أملى كتابه في ( شرح الموطأ ). قال العلامة ابن فرحون في الديباج المذهب: كان فقيها فاضلا عالما متفننا، مؤلفا مجيدا، له حظ في اللسان والحديث والنظر. توفي بتلمسان حين انتقل إليها من طرابلس سنة [402هـ] وقد كتب بضع تواليف لم يرد ذكرها، باستثناء مؤلفين محفوظين في المصادر هما:

1- (كتاب النامي في شرح الموطأ )

2- (الإيضاح في الرد على الفكرية )

3- ( مؤلفات أخرى لم تُذكر ) (النائب، 1963، ص 408).

الفلكي « عليّ بن محمد بن النمر الطرابلسي » ولد بطرابلس سنة [348هـ/959م] وتوفي سنة [432هـ/1040م] (المصراي، 1986، ص 27) حفظ القرآن، وأخذ علوم الحديث والمبادئ والنحو

الحساب على علماء المدينة وزوارها من المسافرين والحجاج، من علماء المغرب والأندلس، الذين أفاد منهم كثيرا طلبه وأهل أطرابلس وبرقة ونواحيهما. أصبح عليّ بن محمد بن النمر، من العلماء البارزين في الحديث والفقه والنحو والأصول والفرائض والهيئة والميقات والفلك، ولما ظهر مذهب الشيعة العبيديين مع قيام الدولة الفاطمية في إفريقية والمغرب، ناهض دعوتهم وأفتى ببطلان مذهبهم. فانتهمى منفيًا إلى منطقة غنيمة غربي لبدة، على يد حكام بنو خزرون سنة [382 هـ]. فأقام أبو الحسن عليّ، بها حتى وافته المنية سنة [432 هـ / 1040م] وقد أنجز مؤلفين هما:

1- ( الحصار في علم الحساب )

2- ( الكافي في الفرائض. ) ( ابن غلبون، 2004، ص 249).

ولعل المؤرخ « عليّ بن مخلوف الطرابلسي » أول من كتب في التاريخ المحلي/الوطني. فقد صنف لطرابلس تاريخًا. كمل يطلعنا الأستاذ علي المصراطي، وهذا ما ذكره الجغرافي ياقوت الحموي، مشيرًا إلى أنه رجل عالم بفنون شتى. كما أشار المؤرخ السلفي إلى أنه قد انتقى منه ما استغربه عن تاريخ بلده. قائلًا: " وصنف لطرابلس تاريخًا وقفت عليه، وانتخبت منه ما استغربته، وحدثني به .. " (المصراطي، 1977، ص 13).

ثمة شخوص من العلماء الطرابلسيين والبرقاويين والفزانيين، ممن اشتغلوا بنشر المعرفة والعلوم، غير أن معظمهم كان مهتمًا بالعلوم الدينية على نحو خاص، باعتبار أن الدين الإسلامي، هو الجانب الذي لاقى الاهتمام شبه الحصري والكامل، ولكن هؤلاء لم ينهجوا نهج الكتابة والتأليف، بل كان علمهم متناقل شفهيًا. من هؤلاء العلماء والعارفين المبكرين:

« أبو سليمان محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي » والذي لا يوجد ذكر لمولده أو وفاته. وإنما ثمة ذكر بكونه من أصحاب الإمام « مالك بن أنس » [93 - 179هـ] وسمع عنه موطأه، والذي تم تصنيفه

بطلب الخليفة المنصور، فتم إعداده وجرى نشره سنة 158 هجرية. وقد ثبت القاضي عياض، نسب عالمنا أبو سليمان، بالطرابلسي. (القاضي عياض، 1983، ص 323).

« عمر بن يمكتن » برز اسمه في عام [140هـ/757م]، وكان أول من علّم القرآن بجبل نفوسا، وقد أخذ علومه قبل ذلك، نقلا عن العابرين العرب والمشاركة والمتجهين إلى المغرب أو الأندلس من طريق مدينة مغمداس (ابن سلام، 1985، ص 149) الواقعة غربي مدينة سرت. كما كان حامل لواء لواته في تجمع مناطق الجبل وأطرابلس وبحر سرت، وهو التجمع الذي يمكن أن نسميه بانتفاضة نفوسه وهوارة ومزاته ولواته، ضد الحكم العباسي، فلقى مصرعه مع إمام الإباضية: أبي الخطاب المعافري سنة 144هـ/761م.

« إسماعيل أبودرار الغدامسي » وهو واحد من حملة العلم الأباضي، الخمسة الأوائل في ببلادنا، ممن تعلموا بالبصرة على يد أستاذه: أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. ويشار إلى أنه عُيّن قاضيا بالمغرب، وأنه اعتزل القضاء بعد مقتل زميله وصديقه وأحد حملة العلم الأباضي الخمسة معه في ليبيا؛ وهو العارف: « عاصم السدراتي » سنة [144هـ/761م] والذي يقول العلامة الشماخي بأنه قُتل مسموما في القيروان (الشماخي، 1987، ص 117).

« محمد عبد الحميد مغطير النفوسي الجناوني » ويشار إلى أنه أول من جمع القرآن الكريم كله في جبل نفوسه. توفي بعد سنة [160هـ/776م]. وقد ذكره الشماخي في سيره (الشماخي، 1987، ص 128).

« سعيد بن عباس السرتي » هو من أهل سرت، لكنه أقام بتونس حيث جامع القيروان وحيث الحلقة والدرس والنقاش، وقد اشتغل برواية الحديث، وتوفي ببغداد سنة [200هـ/815م].

عموما ثمة لدينا عدد جيد من المتعلمين المحليين أو العارفين بالدين، أو المشايخ. ولكن ليس في وسعي سرد سير جميع هؤلاء العلماء المالكيين والإباضيين، ممن تفضل البعض بسرد سير عدد منهم (الشريف، 1999، ص 81) خصوصا وأني قمت فقط بالتركيز، على المؤلفين الكتاب منهم، وخلال الفترات الإسلامية المبكرة، فأثر هؤلاء يعد أكبر فائدة وأكثر نعمة، لأنهم تركوا علما مكتوبا ورائهم، تنتفع به الأجيال اللاحقة من بعدهم. وبناء على كل ما فات، يمكنني التأكيد على أن تاريخ التدوين المحلي في بلادنا، وبأقلام أهلية/وطنية؛ قد ظهر منذ القرن الهجري الثاني من العصر الوسيط الإسلامي، وكان من أهم محركاته، هو قضايا الكتابة في شؤون الدين الإسلامي من فقه وعبادات وأحكام وخلاف وسواها. وقد قمت برصد الكتاب الأوائل في القرون الهجرية الأولى فقط. لأنها فترة مبكرة وجديرة بالدراسة في جانبها الفكري واللغوي والعقلي، ولم تسلط أغلب المراجع السابقة الضوء عليها بالشكل المناسب.

### نتائج الفصل الخامس

أستنتج من وراء هذا الفصل استمرار اللغة البونيقية *Punica Lingua* حتى القرن 6م، مما يدفني للاعتقاد بتداولها حتى مع مجي الإسلام بالقرن 7م أي أنها استمرت مع بضع لغات أخرى لاتينية وغيرها بضع عقود بعد الإسلام، حتى تلاشيها نهائيا مع زوال مجتمعاتها التي صارت جاليات صغيرة. تظهر اللغة الليبية *Lingua Libyssae* بصفة حروف متقطعة، ربما استمرت حتى العهد الإسلامي نفسه، لكن نشاطها كان ضئيلا ومتقطعا نتيجة لكونها أثرية منقوشة وليست لغة تعليم وكتابة مؤسساتية. فيما يظهر أن انتشار اللغة اللاتينية كان قويا خصوصا في السواحل. وظلت اللهجات البربرية *Berber Dialects* نشطة ومتداولة في الدواخل، إلا أنه ومع اعتناق القبائل المحلية للإسلام، تبدل لسان معظمهم تدريجيا إلى العربية. ومع ذلك لم يتقن الجميع اللسان العربي على وجه السرعة، بل تطلب الأمر عقودا بل ونحو 4 قرون كاملة.

وعلى عكس واقع النشاط العربي في إفريقية/تونس، ومصر وسوريا/الشام، والعراق وخراسان وغيرها من البلدان، حيث دعم العرب عمليات تمصير المدائن هناك، مستندين على دراية ونبوغ شعوب هذه الأمصار نفسها. فإن القيادات العربية كانت ترى في تقديري بأن مناطق أطرابلس وأنطابلس وفزان، هي بلد عبور، وأنها ليست بلد مركز، بل هي في الواقع بلاد أطراف، كل طرف يتبع إداريا ما جاوره شرقا وهو مصر وغربا وهي إفريقية. وبناء على كل هذه الأسباب، كان العزوف القيادي واضحا في غياب تمصير حاضرة واحدة داخل مناطق الأطراف الثلاث.

وسنلاحظ أن الكتابة الإسلامية في ليبيا قد ظهرت خلال القرنين الثاني والثالث الهجري، وما بعد، حيث بداية النشاط الفقهي، فظهر المحدث [ عبدالرحمن بن زياد المعافري ] ولد ببرقه سنة ( 74 هـ / 694 م ) وتوفي بالقيروان سنة ( 161 هـ / 778 م ) وقد كتب في مجال الفقه والحديث، وهو صاحب كتاب ( مسند في الحديث ). وهناك الإمام الفقيه [ عليّ بن زياد العجمي الأطرابلسي ] مؤلف كتاب ( خيرٌ من زنته ) وتوفي سنة [ 183 هـ / 799 م ] واعتبر أن لؤاب بن سلامّ المزاتي ( ت سنة 283 هـ / 887 م )، بمثابة أول مؤرخ في التاريخ الإسلامي بليبيا الحالية وعلى طول المغرب الإسلامي.

## خاتمة الأطروحة ونتائجها

ألفت ظاهرة اضمحلال السلطة والحضارة الرومانية، بظلالها على الأوضاع العامة بليبيا، خصوصا مع انسحاب آخر الحاميات العسكرية الرومانية، وأهما فيلق أوغستا الثالث Augustae Tertium Corps منذ عام 253م. فانتشرت الإضرابات وغارات القبائل تجاه سكان المدن البحرية. تعطل النمو الطبوغرافي/العمراني خصوصا مع حدوث زلزال كريت البحري والذي ضرب السواحل الليبية خلال القرن 4 للميلاد، والذي أدى إلى تقدم البحر في اتجاه مدن لبتي Lepti وأويا Oea وغيرها.

سيطر الفاندال Vandali على ليبيا منذ سنة 455م. وانحصر نفوذهم في سواحل المقاطعة الطرابلسية. ظهر تأثيرهم بسيطا هنا مقارنة ببقية أنحاء شمال أفريقيا. أول الأمر تعاون البربر مع الوندال، ثم اصطدموا بهم بقيادة كاباون Cabaun سنة 523م. ورغم تحقيق النصر إلا أن النفوذ الوندالي ظل موجودا بالمنطقة. ومنذ صعود الإمبراطور البيزنطي جوستينيانوس Iustinianus للحكم؛ تم وضع مشروع استعادة المدن الساحلية في ليبيا، على لائحة الأعمال. وجرى منذ سنة 531م استغلال تعاون الطرابلسيين مع المشروع البيزنطي، بإعلان الثورة في طرابلس. فتم ذلك، وامتدت الخطوات اللاحقة إلى قرطاجنة وبقية سواحل شمال أفريقيا.

مع نجاح الرومان الشرقيين أو البيزنطيين، في إسقاط المملكة الفاندالية Vandalorum Regnum اعترف زعماء Maurorum بالسيادة البيزنطية، وطلبوا الشارات والرموز والأموال التي تُمنح لهم لقاء ذلك. فتحصلوا عليها، غير أن تمدد سكان المدن الطرابلسية باتجاه فيافي وحقول مشارف الجبل، قد أدى إلى الصدام مع القبائل. فأشعلت بدورها فتيل الحروب الماورية - البيزنطية Moorish-Byzantine Wars طيلة سنوات [538-539-544-546-548م] انتهت مرارة الحرب تحت قيادة Iohannes Troglita يوحنا تروجليتا، وعرفت خلالها دمارا واسعا، وتشنتا للقبائل المنهزمة، وتبدلا لعدد من القادة والزعماء من كلا

الجانبيين. ثم حل الاستقرار طيلة بقية أحقاب القرن السادس وبدايات القرن السابع للميلاد، استغلها البيزنطيون في ترسيم الإدارة والقوانين وإنجاز المشاريع العمرانية المدنية والعسكرية.

مع عشرينيات القرن السابع للميلاد، هيمن العرب تحت قيادة عمرو بن العاص؛ على منطقة بينطابوليس Pentapolis التي دعاها العرب باسم أنطابلس سنة 22 هـ/ 642م، واستمر خط العمليات في التقدم حتى خليج سرت، سرت ومغمداس حيث نزل عقبة إلى الداخل، واستمر جيش عمرو بن العاص في التوجه نحو إلى بقية ساحل Tripolitanae تريبوليتانيّ أو Tripoleos تريبوليس التي دعاها العرب باسم أطرابلس. لم يواجه العرب صعوبة تذكر في عملية الفتح، وذلك كما أفترض قياسا بعمليات الحروب التي عرفتھا البلد خلال القرن 6م، مما أدى إلى إضعاف قدرة القبائل على المواجهة. وبالتالي قبل البربر بالسيادة العربية والدخول في كنف الدولة الإسلامية صلحا. إلا أن الأهالي كانوا قد رفضوا أيديهم من التبعية للدولة العربية الإسلامية، وهو الأمر الذي عاجله عقبة بن نافع؛ بإعادة السيطرة مجددا على الدواخل منذ سنة 46 هجرية. أما على الساحل، فلم يكن ثمة ردة فعل من طرف ما تبقى من سكان المدن من اليونانيون والأفارق والروم، حيث دخل هؤلاء تلقائيا للانخراط في الحياة على هامش السلطة العربية ومجتمعها الإسلامي. فضلا عن أن عددا من المدن الساحلية كان قد تضاءل، اختفت مدن بأكملها مثل صبراتة ولبتيس الكبرى وجرمة ولم يعد يرد لها أي ذكر.

على المستوى الديني، عرفت المجتمعات السكانية في ليبيا عقائد مختلفة، بداية من الوثنية التي استمرت بين القبائل مع استمرار المسيحية حتى مجي الإسلام. وكانت المسيحية ومنذ القرون 1-4م كاثوليكية غربا وأرثوذكسية شرقا في المدن البحرية فقط، ومع سيادة الوندال دخلت العقيدة الأريوسية رسميا في القرن 5م، وهي العقيدة التي كان منظرها القديس أريوس، وهو من مفكري المدن الخمس في شرقي ليبيا. ثم جرى منع تداول الأريوسية مع مجي البيزنطيين في القرن 6م. ومع مجي العرب وصل

الإسلام في القرن 7م واعتنق بعض الأهالي الدين الجديد، وظل جماعات أخرى على معتقداتها الوثنية مع شرط تقديمها الجزية. تدريجياً اعتنق الغالبية الإسلام، ومع ذلك ظلت بعض الطقوس الوثنية القديمة متسربة/مستمرة بين القبائل، كظاهرة الأصنام التي تتبرك بها قبائل هواره، أو غدامس، أو ربح شماريخ التي تقدها قبيلة ورشفانه.

لغويا استمرت اللغة البونيقية *Punica Lingua* بشهادات شهود عيان حتى القرن السادس للميلاد، مما يرجح استمرارها حتى بدايات العهد الإسلامي. أما اللغة الليبية *Lingua Libyssae* والتي كانت مختلفة الاستعمالات، فلا يبدو أنها كانت متصلة، رغم وجود اعتقاد باستمرارها حتى العهد الإسلامي نفسه. في حين كانت انتشار اللاتينية *Lingua Latina* قويا خصوصا في السواحل. بينما ظلت اللهجات البربرية *Berber Dialects* متداولة وبشكل طبيعي في الدواخل، غير أن اعتناق الدين الجديد، كان قد دفع الأهالي قرن بعد قرن إلى إتقان اللسان العربي، فأخذ الأخير بدوره يزاحم اللسان البربري في المنطقة. ومع ذلك لم يتقن الجميع العربية منذ أول وهلة، بل كان إتقان اللغة العربية منحصرا في مجموعة من متعلمي مدارس الشرق الكوفة والبصرة وخراسان والمدينة ومكة وعمان. في بلد لم تذكر المصادر أن العرب قد شيدوا فيه أية مساجد أو مدارس تعليمية ملحقة بالجوامع وخلافها من وسائل التعليم. وهذا العزوف يبدو لي ناتجا عن ملاحظة العرب لمدى ضعف النزعة المدنية والعمرانية بين السكان ممن صاروا معظمهم أهل قبائل وبادية، بعد مغادرة من تبق أو نجا من مجتمعات سكان المدن البحرية. كما يبدو لي أيضا؛ أن القيادات العربية كانت ترى وبوضوح بأن مناطق أطرابلس وأنطابلس وفزان، هي بلد عبور، وأنها ليست بلد مركز، بل هي في الواقع بلاد أطراف، كل طرف يتبع إداريا ما جاوره شرقا وهو مصر وغربا وهي إفريقية. وبناء على كل هذه الأسباب، كان العزوف القيادي واضحا في غياب تمصير حاضرة واحدة داخل مناطق الأطراف الثلاث.

على صعيد التأليف، ظهر المحدث [ عبدالرحمن بن زياد المعافري ] ولد ببرقه سنة ( 74 هـ / 694 م ) وتوفي بالقيروان سنة ( 161 هـ / 778 م ) وقد كتب في مجال الفقه والحديث، وهو صاحب كتاب ( مسند في الحديث ). وهناك الإمام الفقيه [ عليّ بن زياد العجمي الأطرابلسي ] وُلد بأطرابلس في تاريخ غير محدد وتوفي بتونس سنة [ 183 هـ / 799 م ] وهو مؤلف كتاب ( خيرٌ من زنته ). وثمة أيضا المؤرخ لَوّاب بن سلامّ المزاني، وُلد في تقديري بسرت أو نواحيها حيث تنتشر بطون مزاتة الأمازيغية، وتوفي ( سنة 283 هـ / 887 م )، والذي كتب بالعربية وبعض المفردات البربرية، وكان أول من كتب في فضائل البربر. ووضع كتابه باسم ( الإسلام وشرائع الدين ) والمعروف بتاريخ ابن سلام .. والذي كان من المفقودات رغم استناد الشماخي في سيره عليه قبل قرون .. حتى تم اكتشافه في مخطوطات جربة سنة 1964 وتم تحقيقه وتنقيحه وتقديمه الى القراء في كل مكان. وسنلاحظ أن الكتابة الإسلامية في ليبيا قد ظهرت خلال القرن الثالث الهجري، وما بعد، حيث ذروة النشاط الأباضي، ويمكن اعتبار ابن سلام؛ أول كاتب في التاريخ الإسلامي بليبيا وعلى طول المغرب الإسلامي.

على صعيد التاريخ الطبيعي والأثروبولوجي والمادي والإثنوغرافي، عرفت البلاد أنماط مجتمعية مختلفة، مدن متوسطة الثقافة، كاملة المرافق والخدمات على الساحل. وحواضر أهلية في الدواخل. قبائل من البدو الرحّل، والجمّالون وهم من ارتبطت حركة معيشتهم بالإبل. وعاشت المرأة من خلالهم على هامش المجتمع، مع استثناء شواهد لمكانة المرأة كزعيمة دينية خلال الفترة الوثنية. وأخرى رائدة لبعض النسوة النفوسيات إبان الفترة الإسلامية المبكرة. ويظهر النشاط الزراعي والاقتصادي ضعيف ومتقطع، والألبسة تسودها العباءة الفضفاضة المصنوعة من الصوف الخشن، وهي التي تطورت تقليعتها مع الوقت في شكل لباس الجرد، اقتداء بنمط لباس التوغا Togae وهي عباءة الأباطرة وأعضاء مجلس الشيوخ البيزنطي.

أما على صعيد الأسماء، فاسم *λιβύη Livýi Libya* ليبيا، ورغم أن المؤرخين والقادة والجنود الرومان البيزنطيين كانوا لا زالوا يستعملونه حتى بدايات القرن 7م، إلا أن ونتيجة للهوة التي أوكد وجودها بين سكان المدن الساحلية، وبين زعماء الدواخل، كان اسم ليبيا بالنتيجة مجهولا لدى أهل القبائل، وهذا يؤكد وبلا شك أن اسم ليبيا أطلقه الآخر وأعني بهم الإغريق اليونانيون وجرى الرومان والبيزنطيون جريهم. أما المحليين في الدواخل فلم يكن لهم علاقة بإطلاق الاسم ولا حتى تداوله!. وهذا هو سبب اندثار اسم ليبيا واختفائه من ذهنيات السكان منذ دخول المسلمين للمنطقة، خصوصا مع هلاك آخر الأجيال من سكان المدن البحرية أو هروبهم باتجاه جزر البحر. نفس الأمر يطابق أسماء القبائل القديمة التي ورد ذكرها في مصادر الفترات القروسطية السابقة للإسلام، هي أسماء أطلقها البيزنطيون والرومان والإغريق. والدليل أننا ومع دخول الفترة الإسلامية نجد في مصادرنا المحلية، أسماء جديدة لقبائل محلية؛ لا تطابق الأسماء التي نجدتها في مصادر الرومان والبيزنطيين حتى قبل قرن واحد من دخول العرب!. والأمر ذاته يتعلق بأسماء المدن البحرية والأقاليم الجغرافية، التي أصابها التحريف بطبيعة الحال بعد الإسلام. فصارت مثلا بينطابوليس *Pentapolis* اليونانية تسمى أنطابولس في العربية. وتريبوليس *Tripolis* أو *Tripoleos* غدت أطرابلس، وفزانيا *Phazania* باتت فزان، وسرتس *Syrtes* أضحت سرت. فضلا عن أسماء المدن، مثل لبتيماانيا *Leptimagnae* وقد صارت لبددة. أويا *Oea* تحرفت إلى أياس. سبراتينوم *Sabratenum* صارت سبرت. وبركاي *Barcae* أصبحت تسمى برقة. وبرنيكي *Berenice* هي برنيق بعد الإسلام، وهكذا. علاوة على اندثار أسماء مواقع مدن أخرى غيرها، كان بعضها لا يزال مذكورا حتى القرن 6م أي قبل وصول العرب بقرن واحد. وجميع هذه الملاحظات يمكن التماسها بعد انتهاج نهج المقارنة والمقاربة في دراسة التاريخ الليبي الوسيط، وهو المرحلة التي تميزت بحدوث تحولات جذرية في الدين/المعتقد واللغة والثقافة والكتابة، فضلا عن التبدلات المجتمعية والتغيرات السياسية التي غيرت من وجه التاريخ الليبي.

## المصادر والمراجع

- المصادر والمراجع المكتوبة بالعربية:
- إبراهيم، إبراهيم. (1996) دراسات في تاريخ مصر البيزنطية. دار المعرفة الجامعية. السويس. مصر.
- ابن أبي الربيع، شهاب الدين. 1994. سلوك المالك في تدبير الممالك. تحقيق: عارف عبد الغني. دار كنان. دمشق. سوريا.
- ابن أبي سفيان، معاوية. (1996) ديوان معاوية. جمع وتحقيق: فاروق بن أحمد. دار صادر. بيروت. لبنان.
- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. (1987) الكامل في التاريخ. ج 2 . ج 4. تحقيق: محمد الدقاق. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- ابن الأزرق، شمس الدين الغرناطي. (د.ت) بدائع السلك في طبائع الملك. ج 1. طبعة المكتبة الشاملة. موقع الوراق. <http://www.alwarraq.com>
- ابن الجوزية، شمس الدين بن القيم. (د.ت) أحكام أهل الذمة. منشورات مكتبة المصطفى الإسلامية. [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)
- ابن الصغير، (د.ت) أخبار الأئمة الرستمين. تحقيق: محمد ناصر وآخرون. دار الغرب الإسلامي. د.م.
- ابن المقفع، الأنبا ساويروس. (د.ت) تاريخ البطارقة. تحقيق: الأنبا صموئيل. مكتبة السيدة العذراء. دار النعام للطباعة والنشر. د . م.
- ابن النديم، محمد إسحاق. (د.ت) الفهرست. دار المعرفة. بيروت. لبنان.

- ابن الوردي، سراج الدين عمر. (2008) خريدة العجائب وفريدة الغرائب. تحقيق: أنور زناطي. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. مصر.
- ابن حوقل، أبي القاسم محمد. (1992) صورة الأرض. مكتبة الحياة. بيروت. لبنان.
- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله. (1889) المسالك والممالك. مطبعة بريل. ليدن. هولندا.
- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله. (د.ت) نسخة مكتبة المثنى. بغداد. العراق.
- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله. المسالك والممالك. مكتبة المصطفى الإلكترونية. To PDF: <http://www.al-mostafa.com>
- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. (1996) المقدمة. دار الهلال. بيروت. لبنان.
- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. (2001) ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ج 2 ، 3 ، 6 ، 7. تحقيق وضبط، خليل شحاذة وسهيل زكار. دار الفكر. بيروت. لبنان.
- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. (د.ت) المقدمة. نسخة إلكترونية من مطبوعات مكتبة المصطفى الإسلامية. Source: <http://saaid.net>, To Pdf: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)
- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. (د.ت) تاريخ ابن خلدون. نسخة دار المصطفى الإسلامية. To pdf: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)
- ابن خلفون، يوسف المزاتي. (1974) أجوبة ابن خلفون. تحقيق: عمرو النامي. دار الفتح. بيروت. لبنان.
- ابن خياط، خليفة العصفري. (د.ت) تاريخ خليفة بن خياط. مكتبة المصطفى الإسلامية الإلكترونية. . to pdf: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)

- ابن رسته، أحمد بن عمر. (1982) الأعلاق النفيسة. ج 7. مطبعة بريل. ليدن. هولندا.
- ابن سعيد، علي بن موسى. (1970) كتاب الجغرافيا. تحقيق: إسماعيل العربي. منشورات المكتبة التجارية للطباعة. بيروت. لبنان.
- ابن سلام، أبي عبيد القاسم. (1989) كتاب الأموال. تحقيق: محمد عمارة. دار الشروق. بيروت. لبنان.
- ابن سلام، لؤاب المزاتي. (1985) تاريخ ابن سلام. تحقيق: شفارتز وسالم بن يعقوب. دار اقرأ. بيروت. لبنان.
- ابن سلام، لؤاب المزاتي. (1986) بدء الإسلام وشرائع الدين. تحقيق: فيرنر شفارتز وسالم بن يعقوب. منشورات فرانز شتايز على نفقة وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجية الألمانية. قيسبادن. ألمانيا.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (د.ت) الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ج 3. تحقيق: علي البجاوي. نهضة مصر للطباعة. القاهرة. مصر.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن عبد الله. (1930) فتوح مصر وأخبارها. مطبعة بريل. ليدن. هولندا.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن عبد الله. (1964) فتوح إفريقية والأندلس. تحقيق: عبدالله الطباع. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن عبد الله. (د.ت) فتوح مصر والمغرب. تحقيق: عبد المنعم عامر. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة. مصر.
- ابن عبد ربه، أحمد. (1983) العقد الفريد. ج 4. تحقيق: عبد المجيد الترحيني. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

- ابن عذارى، أحمد بن محمد. (1828) البيان المغرب في أخبار المغرب. تحقيق: رينحرت دزي. مطبعة بريل. ليدن. هولندا.
- ابن عذارى، أحمد بن محمد. (د.ت) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق: كولان وبروفنسال. دار الثقافة. بيروت. لبنان.
- ابن عذارى، أحمد بن محمد. (د.ت) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. كتاب إلكتروني.  
PDF من إنشاء مكتبة المصطفى الإسلامية [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com) to PDF:
- ابن غلبون، محمد خليل المسراي. (2004) التذكار فيمن ملك طرابلس وما بها من الأخيار. تحقيق: الطاهر الزاوي. المدار الإسلامي. بيروت. لبنان.
- ابن قدامة، قدامة بن جعفر. (1981) الخراج وصناعة الكتابة. تحقيق: محمد الزبيدي. دار الرشيد. بغداد. العراق.
- ابن ممتي، الأسعد بن مينا. (1991) قوانين الدواوين. تحقيق: عزيز سوريال. مكتبة مدبولي. القاهرة. مصر.
- أبو الجدايل، عائشة. (1995) الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادي/الأول الهجري. دار المفردات للنشر. الرياض. السعودية.
- أبو زعينين، أنور. (2009) صدى الأفكار الروحانية والعقائد الدينية في معزوفات الأثار الليبية. دار الكتب الوطنية. بنغازي. ليبيا.
- أبو صوة، محمود وآخرون. (2005) ندوة الهجرات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق وشمال أفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره. المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر. الرباط. المغرب.

- أبو صوة، محمود. (2000) دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط. منشورات دار ELGA . فالتا. مالطا.
- أبو صوة، محمود. (2004) دراسات في تاريخ ليبيا الوسيط. منشورات ELGA . فالتا. مالطا.
- أبو صوة، محمود. (2012) جدلية المجال والهوية - مدخل لتاريخ ليبيا العام. دار الرواد. طرابلس. ليبيا.
- أبو فارس، حمزة. (د.ت) الصحابة الذين ثبت دخولهم البلاد الليبية في الفتوحات الإسلامية. ندوة: الصحابة الكرام في التراث المغربي الأندلسي. الرابطة المحمدية لعلماء المغرب. طنجة. المغرب.
- أبوليوس، لوكيوس. (2004) الحمار الذهبي. ط 3. أول رواية في تاريخ الإنسانية. ترجمة: أبو العيد دودو. الدار العربية للعلوم. بيروت. لبنان.
- أبوليوس، لوكيوس. (د.ت) دفاع صبراته. ترجمة: علي فهمي خشيم. الشركة العامة للنشر. طرابلس. ليبيا.
- أبي دينار، محمد القيرواني. (1870) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. مطبعة الدولة التونسية. تونس. تونس.
- أبي دينار، محمد القيرواني. (1993) المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. ط 3. دار المسيرة. بيروت. لبنان.
- الاجدابي، إبراهيم اللواتي. (2006) الأزمنة والأنواء. ط 2. تحقيق: عزة حسن. منشورات وزارة الأوقاف. الرباط. المغرب.
- الاجدابي، إبراهيم اللواتي. (د.ت) كفاية المتحفظ في اللغة. تحقيق: السائح حسين. جمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ليبيا.

- الإدريسي، محمد الشريف. (1989) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ج 1. عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- الأرنأؤوطي، إسماعيل كمال. (1997) سكان طرابلس الغرب. ترجمة: حسن يونس. مركز جهاد الليبيين. طرابلس. ليبيا.
- الأرنأؤوطي، محمود ناجي. (1995) تاريخ طرابلس الغرب. ترجمة: عبدالسلام أدهم - محمد الأسطى. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- إسكندر، فايز. (2003) الحياة الاقتصادية في الشمال الإفريقي في عهد الوندال. د.ن. القاهرة، مصر.
- إسكندر، فايز. (2007) الشمال الإفريقي في عهد الوندال في مصنف المؤرخ المعاصر فيكتور دي فيتنس 429-484م. حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس. مصر العربية للنشر. القاهرة. المجلد الخامس.
- الإشبيلي، إيزيدور. (1995) تاريخ الوندال. ترجمة: محمد اللبار. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الأول. المغرب.
- الأصبخري، إبراهيم محمد. (د.ت) المسالك والممالك. مكتبة المصطفى الإسلامية، To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)
- الأصفهاني، علي بن الحسين. (2008) كتاب الأغاني. ط 3. ج 12. تحقيق: إحسان عباس وآخرون. دار صادر. بيروت. لبنان.
- الأصفهاني، علي بن الحسين. (د.ت) خريدة القصر وجريدة العصر. موقع الوراق. <http://www.alwarraq.com>

- اعبيليكة، عياد. (2011) تاريخ برفه السياسي والاقتصادي من زمن الإمبراطور قسطنطين إلى قبيل الفتح الإسلامي 306-642م. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية. طرابلس. ليبيا.
- اعبيليكة، عياد. (2012) ثورة القبائل الليبية في مدينة لبد الكبرى وامتدادها ضد الوجود البيزنطي في زمن الإمبراطور جستينيان 527-565م. مجلة البحوث التاريخية. ليبيا. العدد 2.
- أمانة الإعلام والثقافة. (1977) دليل المؤلفين العرب الليبيين منذ الفتح الإسلامي لليبييا. دار الكتب. طرابلس. ليبيا.
- امهلهل، صالح. (2019) إسهامات علماء طرابلس في النشاط الفكري والثقافي بولاية إفريقية ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين. مجلة أبحاث، جامعة سرت. كلية الآداب. العدد 13.
- الأندلسي، علي بن حزم. (د.ت) جمهرة أنساب العرب. [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com) To pdf:
- أورويسوس، بولوس. (د.ت) تاريخ العالم. تقديم عبدالرحمن بدوي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان.
- أوغسطينوس، أوريليوس. (1991) الاعترافات. ط 4. ترجمة: الخوري الحلو. دار المشرق. بيروت. لبنان.
- أوغسطينوس، أوريليوس. (2006) مدينة الله. ط 2. ترجمة: الخور يوحنا الحلو. دار المشرق. بيروت. لبنان.
- أوغسطينوس، أوريليوس. (2017) عظة الجبل. ترجمة: الخور الحلو. دار المشرق. بيروت. لبنان.
- بازامه، محمد. (د.ت) تاريخ ليبيا. ج 8. مؤسسة ناصر للثقافة. د.م.
- بازامه، محمد. (د.ت) ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية. ط 2. مكتبة قورينا. بنغازي. ليبيا.

- باشو، جان ريمون. (1999) رواية رحلة إلى مارماريكا وسيريناياكا وواحي أوجلة ومراده. ترجمة: مفتاح المسوري. دار الجيل - دار الرواد. بيروت. طرابلس الغرب. ليبيا.
- البرازي، محمد. (2018) محاضرات في الحقوق الرومانية. مؤسسة هنداوي. المملكة المتحدة.
- البرسوي، إسماعيل حقي. (2006) أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك. تحقيق: المهدي الرواضية. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
- برصوم، أغناطيوس. (1943) اللؤلؤ المنتور في تاريخ العلوم والآداب السريانية. مطبعة السلامة. حمص. سوريا.
- البرغوثي، عبد اللطيف. (1971) التاريخ الليبي القديم. منشورات الجامعة الليبية. دار صادر. بيروت. لبنان.
- البرقي، عبد الله بن محمد. (2010) المختصر الصغير في الفقه. تحقيق: علي المرر وآخرون. مؤسسة بينونة للنشر. الإمارات العربية المتحدة.
- بروكوبيوس، القيصري. (1975) كتاب الحروب. ط 2. ترجمة: علي فهمي خشيم. دار الفكر. طرابلس. ليبيا.
- بروكوبيوس، القيصري. (1975) كتاب العمائر، في نصوص ليبية. ط 2. ترجمة: علي فهمي خشيم. دار الفكر. طرابلس. ليبيا.
- بروكوبيوس، القيصري. (2001) التاريخ السري. ترجمة: صبري سليم. عين للدراسات. القاهرة. مصر.
- بروكوبيوس، القيصري. (د.ت) الحروب القوطية. ج 1. ترجمة: عفاف صبره. دار الكتاب الجامعي. القاهرة. مصر.

- بطوليموس، كلاوديوس. (2004) الدليل الجغرافي. ترجمة: محمد الدويب. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. ليبيا.
- بعيو، مصطفى. (1953) دراسات في التاريخ اللوي. مطابع عابدين. إسكندرية. مصر.
- البغدادى، إسماعيل باشا. (1955) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. ج 1 . 2. وكالة المعارف. إستانبول. تركيا.
- البغدادى، صفى الدين. (1955) مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. تحقيق علي البجاوي. دار المعرفة. بيروت. لبنان.
- البغطوري، مقرين بن محمد. (2014) سيرة مشايخ نفوسة. تحقيق: توفيق الشقروني. منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية. د.م.
- البغطوري، مقرين بن محمد. (2017) روايات الأشياخ - أشياخ جبل نفوسه. تحقيق: عمر بن لقمان. منشورات خزائن الآثار. سلطنة عمان.
- البكري، أبو عبيد عبد الله. (1945) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق: مصطفى السقا. عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- البكري، أبو عبيد عبد الله. (2002) المسالك والممالك. ج 2. تحقيق: جمال طلبة. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- البكري، أبو عبيد عبد الله. (د.ت) المسالك والممالك. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة. مصر.
- البلاذري، أحمد بن يحيى. (1987) فتوح البلدان. تحقيق: عبدالله الطباع. مؤسسة المعارف. بيروت. لبنان.

- البلاذري، أحمد بن يحيى. (د.ت) فتوح البلدان. طبعة مكتبة مشكاة الإسلامية الإلكترونية. مكتبة إلكترونية. Source: [www.almeshkat.net](http://www.almeshkat.net).
- البلخي، أحمد بن سهل. (1997) البدء والتواريخ. ج 1. تحقيق: خليل المنصور. دار الكتب العلمية. بيروت.
- بلعباس، زليخة. (2015) آثار اللغة البونية في اللهجة الجزائرية. مجلة عود الند. مجلة ثقافية فصلية. الناشر: د. عدلي الهواري. العدد 75.
- بليني الأكبر. (1975) التاريخ الطبيعي. ط 2. ترجمة: علي فهمي خشيم. دار الفكر. طرابلس. ليبيا.
- بليني الأكبر. (2019) الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي. وصف أفريقيا ومصر وغرب آسيا. ط 2. ترجمة: محمد الدويب. منشورات مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم. طرابلس. ليبيا.
- بوبة، مجاني. (1997) دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من القرن 3-6هـ إلى القرن 9-12م قراءة أولية لمخطوط آباضي من القرن 6هـ/12م. أعمال ندوة: تاريخ النساء المغاربيات: الإقصاء وردات الفعل. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة. المغرب. 1997.
- بوخالفة، نور الهدى. (1986) الإسلام والتعريب في الشمال الإفريقي في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية. عمان. الأردن.
- بوزيان، جمال الدين وآخرون. (2015) ثورات البربر في المغرب ضد خلافة المشرق 90-132هـ/709-750م. ماستر في التاريخ الإسلامي الوسيط. جامعة محمد بوضياف. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. قسم التاريخ. المسيلة.

- بيك، آز. (2013) مذكرات السيدة فرانسجي فان بروجيل. ست سنوات في طرابلس على الساحل البربري. ط 2. ترجمة: إيمان فتحي. تحت عنوان: ست سنوات في طرابلس على الساحل المغاربي. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- بيل، ألفرد. (1981) الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم. ط 2. ترجمة: عبدالرحمن بدوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- التاجوري، مفتاح. (2009) التاريخ السياسي والاقتصادي لشمال أفريقيا أثناء حكم الإمبراطور جستنيان. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية. طرابلس. ليبيا.
- التازي، عبد الهادي. (1963) شمال أفريقيا والوندال 439-534م. المجلة التاريخية المصرية. العدد 11. مصر.
- تاكيتوس، كورنيليوس. (1959) الشعوب الجرمانية. ترجمة: إبراهيم طرخان. دار الضياء. القاهرة. مصر.
- التجاني، عبد الله بن محمد. (1981) رحلة التجاني. تقديم: حسن عبدالوهاب. الدار العربية للكتاب. ليبيا - تونس.
- التلمحري، ديونسيوس. (2008) تاريخ الأزمان. ترجمة: شادية حافظ. المركز القومي للترجمة. القاهرة. مصر.
- التميمي، أبو العرب. (د.ت) طبقات علماء أفريقية. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان.
- تيري، جاك. (2004) تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى. ترجمة جاد الله الطلحي. الدار الجماهيرية للنشر. مصراته. ليبيا.
- الجاحظ، عمرو بن بحر. (د.ت) مجموعة رسائل. مطبعة التقدم. القاهرة. مصر.

- جبران، محمد. (2010) علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني الهجري. جمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ليبيا.
- جرار، عبد الرؤوف. (2016) الديانة المسيحية في بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. جامعة بابل. العدد 30.
- جستنيان، فلافيوس. (2005) مدونة جستنيان في الفقه الروماني. ترجمة: عبد العزيز فهمي. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة. مصر.
- الجندي، علي. (د.ت) البربر في إفريقيا العصر الأموي 40-132هـ. رسالة ماجستير. كلية اللغة العربية. جامعة الأزهر. القاهرة. مصر.
- جوليان، شارل. (1983) تاريخ أفريقيا الشمالية. ط 4. ترجمة: محمد مزالي وآخرون. الدار التونسية للنشر. تونس.
- جوليان، شارل. (2011) ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة. مؤسسة توالث الثقافية. د.م.
- الجيطالي، إسماعيل بن موسى. (2001) ج 1. قناطر الخيرات. تحقيق: سيد حسن وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- حامد، سعيد. (1978) المعالم الإسلامية بالمتحف الإسلامي بمدينة طرابلس. الإدارة العامة للبحوث الأثرية. طرابلس. ليبيا.
- حسن، محمد. (2010) جستنيان ورجال عصره. مجلة بحوث الشرق الأوسط. جامعة عين شمس. العدد 26.
- الحشائشي، محمد بن عثمان. (1988) الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق. تحقيق: محمد المرزوقي. الدار التونسية. تونس. تونس.

- الحضرمي، أبي بكر محمد. (2003) السياسة والإشارة في تدبير الإمارة. تحقيق: محمد إسماعيل وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
  - حمداوي، جميل. (د.ت) الديانة عند الأمازيغيين. شبكة الألوكة. د.م.
  - الحميري، عبد الملك بن هشام. (1984) سيرة ابن هشام. ط 5. اختصار: محمد الزعي. دار النفائس. بيروت. لبنان.
  - الحميري، محمد بن عبد المنعم. (1984) الروض المعطار في خبر الأقطار. ط 2. تحقيق: إحسان عباس. مطابع هيدلبرغ. بيروت. لبنان.
  - الحميري، محمد بن عبد المنعم. (د.ت) الروض المعطار في خبر الأقطار. مكتبة المصطفى الإسلامية.
- To PDF: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)
- الخطيب، آمال. (2013) غزو الوندال روما عام 455م، مجلة الخليج للتاريخ والآثار. مجلس التعاون لدول الخليج العربية. جمعية التاريخ والآثار. العدد 8.
  - دانيال، روبين. (2018) أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا. الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. د.م.
  - دبوز، محمد. (2010) تاريخ المغرب الكبير. ج 1. ج 5. مؤسسة تاوالت الثقافية. د.م.
  - الدرجيني، أحمد بن سعيد. (1974) طبقات المشايخ بالمغرب. ج 1 . 2. تحقيق: إبراهيم طلاي. البليدة. الجزائر.
  - دريسي، سليم. (2007) البيزنطيون في شمال إفريقيا، الاحتلال والعمارة الدفاعية. أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر. معهد الآثار. الجزائر.
  - دو ماثيزيو، أونري. (2002) إقليم المدن الثلاث في الماضي والمستقبل. ترجمة: جمعة المحفوظي. تحت عنوان: رحلة إلى طرابلس وبرقه. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. ليبيا.

- دي فيتري، جاك. (2005) رسائل جاك دي فيتري. نقلها عن اللاتينية: عبد اللطيف السيد. المكتب الجامعي. د.م.
- ديلا تشيلا، باولو. (1968) أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقه. ترجمة: الهادي أبو لقمة. دار الفكر. طرابلس. ليبيا.
- الذهبي، محمد بن أحمد. (1927) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام. تحقيق: حسام الدين القدسي. جامعة دمشق. دمشق. سوريا.
- رايت، جون. (1993) تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور. ط 2. ترجمة: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- الربيع، عولمي. (د.ت) الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين 311م 411م. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية. جامعة باتنة. العدد 13.
- رمضان، عبد العزيز. (2021م) التناول الأبوكاليفي للفتح الإسلامي: نبوءة ميثوديوس المجهول أنموذجا. المورد. مجلة تراثية فصلية محكمة. تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة/ وزارة الثقافة. العدد الأول. المجلد الثامن والأربعون.
- رنسيمان، ستيفين. (2002) الحضارة البيزنطية. ترجمة: عبد العزيز جاويد. الهيئة المصرية العامة للترجمة. القاهرة. مصر.
- روبيناتشي، روبرتو. (د.ت) العزابة حلقة الشيخ محمد أبي بكر. وثيقة قديمة عن حياة نساك الصوامع في الإسلام. ترجمة: لميس الشجني. منشورات مؤسسة تاوالت. د.م.
- رومغنز، براين. (1994) تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالي. ترجمة: عبد الحفيظ الميار. جامعة طرابلس. طرابلس. ليبيا.

- الرومي، ياقوت الحموي. (1977) معجم البلدان. ج 1، 2، 3، 5. دار صادر. بيروت. لبنان.
- الرياني، رمضان. (2014) أشهر أعلام ليبيا من القرن الثاني الهجري حتى سقوط دولة الموحدين 99-668هـ/717-1268م. مجلة كلية الآداب. جامعة طرابلس. العدد 25. طرابلس. ليبيا.
- ريتشاردسون، جيمس. (1993) ترحال في الصحراء. ترجمة: الهادي أبو لقمة. جامعة قاريونس. بنغازي. ليبيا.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (1968) معجم البلدان الليبية. مكتبة النور. طرابلس. ليبيا.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (2004) أعلام ليبيا. ط 3. دار المدار الإسلامي. بيروت. لبنان.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (2004) تاريخ الفتح العربي في ليبيا. ط 4. دار المدار الإسلامي. بيروت. لبنان.
- الزاوي، الطاهر أحمد. (2018) معجم البلدان الليبية. ط 2. المدار الإسلامي. طرابلس. ليبيا.
- سالوستيوس، كايوس كريسيبوس. (1978) حروب يوغرطا. ترجمة: محمد التازي. المعهد الجامعي للبحث العلمي. الرباط. المغرب.
- سالوستيوس، كايوس كريسيبوس. (2007) الحرب اليوغرطية. ترجمة محمد الدويب. منشورات جامعة بنغازي. بنغازي. لبنان.
- السبتي، القاضي عياض بن موسى. (1983) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. ج 3. تحقيق: سعيد عراب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية. الرباط. المغرب.
- سترابون. (1975) جغرافية سترابون. ط 2. ترجمة: علي فهمي خشيم. دار الفكر. طرابلس. ليبيا.
- سترابون. (2003) جغرافية سترابون. الكتاب السابع عشر. ترجمة: محمد الدويب. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. ليبيا.

- سلوشز، ناحوم. (2015) أسفار في شمال أفريقيا. ترجمة: الطيب الطيب. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- سميو، علي. (د.ت) عناصر السكان في إقليمي برقة وطرابلس (ق 5 هـ - 7 هـ) مجلة البحوث الأكاديمية.
- السيوطي، جلال الدين. (2003) تاريخ الخلفاء. دار ابن حزم. بيروت. لبنان.
- الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن. (1992) شرح مقامات الحريري. ج 3. تحقيق: محمد إبراهيم. المكتبة العصرية. صيدا - بيروت. لبنان.
- الشريف، ناصر الدين. (1999) الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية. دار البيارق. عمان. الأردن.
- الشطيبي، محمد بن علي بن محمد. (2019) مخطوطة الجمان في مختصر أخبار الزمان. مكتبة محمد بن تركي. ليدن. هولندا.
- شعبان، إيمان. (2015) الفتح الإسلامي لبلاد المغرب وأثره الحضاري. رسالة ماجستير. جامعة الجزائر. 2 كلية العلوم الإنسانية. الجزائر.
- شفيق، محمد. (د.ت) ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين. مؤسسة تاوالت الثقافية. د.م.
- الشماخي، إبراهيم سليمان. (2005) القصور والطرق لمن يريد جبل نفوسه من طرابلس. ترجمة: أحمد الفساطوي. منشورات مركز جهاد الليبيين. طرابلس. ليبيا.
- الشماخي، أحمد بن سعيد. (1987) السير، ج1. ج2. تحقيق: أحمد السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

- الشماخي، أحمد بن سعيد. (2016) مقدمة التوحيد وشروحها. ترجمها عن اللسان البربري: أبو حفص بن عمرو. دار الحكمة. مسقط. عمان.
- شنعة، خديجة. (2012) اعتناق البربر للإسلام. رسالة ماجستير. جامعة وهران. وهران.
- الشيباني، عمر. (2001) تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا. مطبوعات جامعة الفاتح. طرابلس. ليبيا.
- الشيخ، محمد. (1994) تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. دار المعرفة الجامعية. إسكندرية. مصر.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر. (1981) نهاية الرتبة في طلب الحسبة. ط 2. تحقيق: السيد العربي. دار الثقافة. بيروت. لبنان.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر. (2003) النهج المسلوك في سياسة الملوك. تحقيق: محمد إسماعيل وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- شينيه، جان كلود. (2008) تاريخ بيزنطة. ترجمة جورج زيناتي. دار الكتاب الجديد. بيروت. لبنان.
- الصالح، العود. (2010) التحولات الحضارية في شمال أفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م. رسالة ماجستير. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر.
- الصفدي، صلاح الدين أيلك. (2000) الوافي بالوفيات. ج 14. تحقيق: أحمد الأرنؤوط. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- الصلابي، علي. (1998) تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي. دار البيارق. عمان. الأردن.
- صليب، كميل. (د.ت) النشاط الاقتصادي في طرابلس الغرب خلال العصر البيزنطي. د.م.
- الطبري، ابن جرير. (د.ت) تاريخ الطبري. مكتبة مشكاة الإسلامية الإلكترونية. Source:

- الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم. (1992) تحفة التُّرك فيما يجب أن يُعمل في المللك. تحقيق: رضوان السيد. دار الطليعة. بيروت. لبنان.
- طويل، عماد. (2013) سياسة جوستينيان في شمال إفريقيا 533-565م. مذكرة ماجستير. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة الجزائر 2. الجزائر.
- طويل، عماد. (2018) الوندال من شمال أوروبا إلى شمال إفريقيا. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع. عدد 15.
- عباس، إحسان. (1967) تاريخ ليبيا من الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري. دار ليبيا للنشر. بنغازي. ليبيا.
- عبد الحفيظ، سعيد. (2018) المرأة والمجتمع البيزنطي من خلال كتابات المؤرخين ورجال الكنيسة والقانون بالإمبراطورية البيزنطية. كلية التاريخ والحضارة. جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية. المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية. العدد الأول.
- عبد القادر، أم العز. (2013) الحياة الاجتماعية في إقليم فزان منذ الفتح العربي حتى نهاية القرن السادس الهجري. مجلة البحث العلمي في الآداب. جامعة عين شمس - كلية البنات للآداب والعلوم والتربية. عدد 14. ج3.
- عبد الله، محمد. (2015) مصادر تاريخ العصور الوسطى/التاريخ البيزنطي. مصر العربية للنشر. القاهرة. مصر.
- عبد ربه، مفتاح. (2014) تطور ميناء أبولونيا من العصر الإغريقي إلى البيزنطي. مجلة العلوم والدراسات الإنسانية - المرج. جامعة بنغازي. مجلة علمية إلكترونية محكمة. العدد الرابع.
- عبده، عبد الله. (2001) مدينة برقة وآثارها الإسلامية. دار الآفاق العربية. القاهرة. مصر.

- عبده، عبد الله. (2002) دراسات في الحضارة والآثار الإسلامية في ليبيا. دار الأفاق العربية. القاهرة. مصر.
- عبيش، يوسف. (2007) الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي. أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر.
- عبيش، يوسف. (د.ت) مجتمع بلاد المغرب في نهاية التاريخ القديم. جامعة سطيف 2. مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية. الجزائر. العدد 16.
- العربي، السيد. (د.ت) الدولة البيزنطية. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.
- عكاشة، ثروت. (2013) موسوعة تاريخ الفن. الفن البيزنطي. ط 2. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر.
- عمر، أحمد. (1971) النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي وحتى بداية العصر التركي. منشورات الجامعة الليبية. ليبيا.
- عمران، عبد الحميد. (د.ت) القديس أوغسطين وصراعه مع الدوناتييين. مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية. مجلة دورية دولية محكمة. جامعة المسيلة. الجزائر. العدد 11.
- عمران، محمود. (1985) مملكة الوندال في شمال أفريقيا. دار المعارف. د.م.
- عمران، هاجر. (2011) نماذج من الزوايا في ليبيا ودورها التاريخي. مجلة البحث العلمي في الآداب. العدد الحادي عشر.
- العمري، شهاب الدين أحمد. (2010) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. ج 4 . ج 7. تحقيق: كامل الجبوري. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

- غراتسيوزي، باولو. (2008) دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية. ترجمة: إبراهيم المهدي. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. ليبيا.
- غريدة، سعيد. (2020) المسيحية والصراع المذهبي المسيحي بإقليم برقة في العصر الوسيط. المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية. جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية. العدد 5.
- غوتيه، إميل فيليكس. (2010) ماضي شمال أفريقيا. ترجمة: هاشم الحسيني. مؤسسة تاولت الثقافية. د.م.
- غيبون، إدوارد. (1969) اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية. ج 3.2.1. ترجمة: محمد سالم. د.ن. د.م.
- فازيليف، ألكساندر. (د.ت) العرب والروم. ترجمة: محمد أبوشعيرة. دار الفكر العربي. د.م.
- فرحان، نادية. (د.ت) حروب الإمبراطور جوستينيان الأول 527-565م في المصادر والمراجع العربية والبيزنطية. حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات. الإسكندرية. مصر. المجلد 3. العدد 33.
- الفقيه، حسين. (2015) انتقال إقليم كيرينايا من السيطرة البيزنطية إلى الحكم الإسلامي. دورية كان التاريخية. العدد 29. السنة الثامنة.
- فنطر، محمد. (2004) معطيات حول الواقع اللغوي في تونس، من قرطاج إلى القيروان. نشأة الكتابة في البلاد المغاربية. مؤسسة الملك عبد العزيز. الدار البيضاء. المغرب.
- فيرميرش وروسلر. (2009) أصول السكان في ليبيا. ج 2. ترجمة: مصطفى الهنقاري وعماد الدين غانم. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية. طرابلس. ليبيا.
- فيرون، ريمون. (1963) الصحراء الكبرى. ترجمة: جمال الدين الدناصوري. مؤسسة سجل العرب. القاهرة. مصر.

- قائد، أبو بكر. (2020) تاريخ إقليم فزان. الإنسان والمجال من 22 هـ إلى 939 هـ. دار ابن كثير. بيروت. لبنان.
- القرطوبي، معمر. (2010) دور ميناء طرابلس الغرب الاستراتيجي في العصر الإسلامي. مجلة البحوث التاريخية. ليبيا. العدد 2.
- قريو، محمد. (1975) ترجمة الصحابة المشهورين في الشمال الأفريقي. كتاب الشهر. د.م.
- القزويني، زكريا بن محمد. (د.ت) آثار البلاد وأخبار العباد. مكتبة مشكاة الإسلامية. مكتبة إلكترونية. Source: [www.almeshkat.net](http://www.almeshkat.net)
- قزبل، ستيفان. (2007) تاريخ شمال أفريقيا القديم. ترجمة: محمد التازي. الرباط. المغرب.
- قسطنطين السابع، بورفوجنيتوس. (1980) إدارة الإمبراطورية البيزنطية. ترجمة: محمود عمران. النهضة العربية. بيروت. لبنان.
- القطعاني، أحمد. (1998) الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة. مكتبة النجاح. طرابلس. ليبيا.
- القلقشندي، شهاب الدين أحمد. (1914) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. دار الكتب الخديوية. المطبعة الأميرية. القاهرة. مصر.
- القوريني، سينييسيوس. (2016) الرسائل. ترجمة. فضل محمد. دار الصالح. القاهرة. مصر.
- القيرواني، إبراهيم بن الرقيق. (1990) تاريخ إفريقية والمغرب. تحقيق: عبدالله الزيدان وعز الدين موسى. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- القيرواني، إبراهيم بن الرقيق. (1994) تاريخ إفريقية والمغرب. تحقيق: محمد عزب. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.

- كامب، غابرييل. (2005) البربر - الذاكرة والهوية. ج 1. ترجمة: جاد الله الطلحي. منشورات مركز جهاد الليبيين. طرابلس. ليبيا.
- كتاب الله. القرآن الكريم. روايتي قالون وحفص.
- الكتي، محمد بن شاكرو. (1974) فوات الوفيات. ج 2. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت. لبنان.
- كربوش، مصطفى. (2016م) الإنتاج الفكري الأباضي بالمغرب الإسلامي خلال القرنين 2-4هـ/8-10م. جامعة أبو بكر بلقايد. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. تلمسان. الجزائر.
- كرفاخال، لويس ديل مارمول. (1984) إفريقيا. ج 1. 3. ترجمة: عمار حجي وآخرون. مكتبة المعارف. الرباط. المغرب.
- كوبر، هنري. (د.ت) مرتفع الآهات الجمال. ترجمة: أنيس حسن. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- كوردي، محمود. (د.ت) الحياة العلمية في جبل نفوسة. مؤسسة تاوالت الثقافية. د.م.
- كورو، فرانثيسكو. (2015) آثار المستعمرات الزراعية الرومانية في جبل نفوسة. ترجمة: عبد الوهاب الداب. مؤسسة تاوالت الثقافية. سلسلة الأركيولوجيا. د.م.
- كوريبوس، فلافيوس. (1988) اليوحانية، أو ملحمة الجنرال جون تروغليتا. ترجمة: محمد الجراري. تحت عنوان: ملحمة الحرب الليبية الرومانية. مركز جهاد الليبيين. طرابلس. ليبيا.
- كونستانتيوس، جوليان يوليوس. (2015) رسالة ضد الجليليين. تجميع: محمد عبدالله. مصادر تاريخ العصور الوسطى/التاريخ البيزنطي. مصر العربية للنشر. القاهرة. مصر.
- كونستانتيوس، جوليان يوليوس. (2015) مجموعة حكم. تجميع: محمد عبدالله. مصادر تاريخ العصور الوسطى/التاريخ البيزنطي. مصر العربية للنشر. القاهرة. مصر.

- كينريك، فيليب. (2015) دليل المواقع الأثرية في ليبيا إقليم المدن الثلاث. إنتاج سيلفيوم بوكس. منشورات جمعية الدراسات الليبية. طرابلس. ليبيا.
- اللبار، محمد. (1995) ترجمة تاريخ الوندال لإيزيدور الإشبيلي. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الأول. العدد 5. المغرب.
- اللبار، محمد. (2000) الموقف الموري من الزخف الوندالي سنة 429م. مجلة المصباحية - سلسلة العلوم الإنسانية. جامعة سيدى محمد بن عبدالله - كلية الآداب والعلوم الإنسانية. العدد: ع 4.
- اللبار، محمد. (2002) الوندال بين التاريخ والوندالية. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة ابن طفيل بالقنيطرة. المغرب. العدد 3.
- اللبار، محمد. (د.ت) الحوافر الاقتصادية لدخول الوندال إلى أرض المغرب سنة 429م. مجلة المصباحية. سلسلة العلوم الإنسانية. كلية الآداب. سايس - فاس. المغرب. العدد 10.
- عربي، بلال. (2018) انتشار اللغة العربية في المغرب الإسلامي منذ الفتح حتى استقرار بني هلال. أطروحة دكتوراه. المدرسة العليا. الجزائر.
- لواتي، فاطمة. (2016) الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية في المنطوق اللهجي العربي/سوريا ولبنان وتونس والجزائر. أطروحة دكتوراه. جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان. الجزائر.
- ليفيتسكي، تادايوش. (2006) تسمية شيوخ جبل نفوسه وقراهم. ترجمة: عبد الله زارو. منشورات مؤسسة تاوالت. الولايات المتحدة الأمريكية.
- ليفيتسكي، تادايوش. (2008) دراسات شمال أفريقية. ترجمة: أحمد بومزقو. مكتبة الضامري. مسقط. سلطنة عمان.

- ليفيتسكي، تادايوش. (2013) تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم. ترجمة: عبد الله زارو. مؤسسة تاوالت الثقافية. جبل نفوسة.
- ليفيتسكي، تادايوش. (د.ت) المؤرخون الأباضيون في أفريقيا الشمالية. ترجمة: ماهر وربما جرار. منشورات مؤسسة تاوالت. د.م.
- ليون، جورج فرنسيس. (1993) سرد رحلات الشمال الإفريقي. ترجمة: الهادي أبو لقمة. تحت عنوان: مدخل إلى الصحراء. منشورات جامعة قاربيونس. بنغازي. ليبيا.
- ماركيلىنيوس، أميانوس. (د.ت) مصر في القرن الرابع. ترجمة: وهيب كامل. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة. مصر.
- المالكي، أبو بكر عبد الله. (1994) رياض النفوس. ط 2. ج 1. تحقيق: بشير البكوش. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- الماوردي، علي بن محمد. (1989) الأحكام السلطانية والولايات الدينية. تحقيق: أحمد البغدادي. دار ابن قتيبة. الكويت.
- مجهول، جندي مجهول. (1994) حرب أفريقية. ترجمة: محمد حارش. دار هومه للنشر. الجزائر.
- مجهول، مؤرخ مراكشي. (د.ت) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار. تحقيق: سعد زغلول. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. العراق.
- مجهول، مؤرخ مغربي. (2005) مفاخر البربر. تحقيق: عبد القادر بوبايا. دار أبي قراق. الرباط. المغرب.
- مجهول، مؤلف سوري. (2008) تاريخ ملوك القسطنطينية. تحقيق: طارق منصور. مصر العربية للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر.

- مجهول، مؤلف قسطنطيني. (2008) تاريخ ملوك القسطنطينية. تحقيق: طارق منصور. دار الكتب المصرية. القاهرة. مصر.
- محاوثة، فضيلة ومسعودة زغدود. (2018) مجهودات القديس أوغسطين في نشر وتطوير الديانة المسيحية في بلاد المغرب 354-430. رسالة ماجستير. جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي. الجزائر.
- المحجوب، عبد المنعم. (2016) رحلة حنون والطواف حول الأرجاء الليبية راء أعمدة هرقل. ط 2. مجلة لسان العرب. منشورات دار تانيت. د.م.
- المراكشي، عبد الواحد بن علي. (د.ت) المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق: محمد عزب. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- مزهودي، مسعود. (2003) جبل نفوسه منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب. تاوالت الثقافية. د.م.
- المساكني، عمروس بن فتح النفوسي. (1999) أصول الدينونة الصافية. تحقيق: أحمد بن حمو. وزارة التراث القومي والثقافة. مسقط. عمان.
- المسعودي، علي بن الحسين. (1988) مروج الذهب ومعادن الجوهر. تقديم: قاسم وهب. منشورات وزارة الثقافة. دمشق. سوريا.
- المصراتي، علي. (1977) مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم. الشركة العامة للنشر. طرابلس. ليبيا.
- المقدسي، محمد بن أحمد. (د.ت) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ترتيب وتنسيق ريان الأندلسي. مكتبة إلكترونية.
- المقطوف، نجلاء. (2018) ظاهرة الخطوط والأشكال بالفن البدائي في رسوم جبال أكاكوس وتاسيلي. مجلة كلية الفنون والإعلام - جامعة مصراته. السنة الثالثة. العدد السادس. مصراته. ليبيا.

- مكاحلة، نهي. (1999) الضرائب في المغرب الإسلامي في العصر الأموي. أطروحة دكتوراه. كلية الدراسات العليا. الجامعة الأردنية. عمان. الأردن.
- الملطي، غريغوريس. (2001) تاريخ مختصر الدول. دار الأفاق العربية. القاهرة. مصر.
- مناصر، كريم. (د.ت) الحملة البيزنطية على مملكة الوندال بشمال أفريقيا 533-534م. جامعة لونيبي. البليدة. مجلة الدراسات التاريخية. العدد 22.
- الميار، عبد الحفيظ. (2001) الحضارة الفينيقية في ليبيا. منشورات مركز جهاد الليبيين. طرابلس. ليبيا.
- ميخائيل الكبير، ميخائيل السرياني. (1996) تاريخ مار ميخائيل السرياني. ج 2. ترجمه عن السريانية: مارغريغوريوس شمعون. دار التراث السرياني. متروبوليت حلب. سوريا.
- ميستانا، غاسبري. (1998) المعمار الإسلامي في ليبيا. ترجمة علي حسنين. دار الرواد. طرابلس. ليبيا.
- ناختيغال، جوستاف. (2007) الصحراء وبلاد السودان - طرابلس وفزان. ترجمة: عبدالقادر المحيشي. عماد الدين غانم. منشورات مركز جهاد الليبيين. طرابلس. ليبيا.
- الناصري، أحمد بن خالد. (1997) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ج 1. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري. دار الكتاب. الدار البيضاء. المغرب.
- نامو، عبد الكريم. (2018) الحياة الدينية في ليبيا قديما إلى نهاية السيطرة البيزنطية. مجلة القلعة. جامعة المرقب. كلية العلوم والآداب مسلاتة. العدد 9.
- نامي، خليل. (1935) أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام. مطبعة بول باربيه. القاهرة. مصر.
- النائب، أحمد بك. (1961) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. تحقيق: الطاهر الزاوي. دار الفرجاني. طرابلس الغرب. ليبيا.

- النائب، أحمد بك. (1963) نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان. تحقيق: علي مصطفى المصراتي. المكتب التجاري. بيروت. لبنان.
- النائب، أحمد بك. (2015) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- النائب، أحمد بك. (د.ت) نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان. تقديم، محمد عزب. دار الفرجاني. طرابلس. ليبيا.
- نخبة من أساتذة الجامعات العربية. (1977) تاريخنا. ج 3. إشراف: الصادق النهوم. در التراث. جنيف. سويسرا.
- نخبة من الأساتذة والباحثين. (1989) موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا. منشورات مصلحة الآثار وجمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ليبيا.
- نخبة من الأساتذة والباحثين. (2008) معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا. جامعة طرابلس. اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم. د.ن. القاهرة. مصر.
- نخبة من كبار أساتذة الجامعات العالمية. (1976) بهجة المعرفة مسيرة الحضارة. مج 2 ج 3. ترجمة: ماجد فخري. إشراف: الصادق النهوم. الشركة العامة للنشر والتوزيع. د.م.
- النقيوسي، يوحنا. (2003) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي - رؤية قبطية للفتح الإسلامي لمصر. ترجمة: عمر عبد الجليل. عين للدراسات. القاهرة. مصر.
- النقيوسي، يوحنا. (د.ت). تاريخ العالم. ترجمة: القمص بيشوى عبدالمسيح. وكيل مطرانية دمياط. مصر.
- النمس، وأبو حامد. (1977) دليل متحف الآثار بالسراي الحمراء بطرابلس. مصلحة الآثار. طرابلس. ليبيا.

- النويري، شهاب الدين أحمد. (2004) نهاية الأرب في فنون الأدب. ج 19. تحقيق: عبد المجيد ترحيني وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- الهدار، خالد ومنى بالخير. (1987) القصر الفاطمي في اجدايبيا. مجلة الثقافة العربية. العدد 2. السنة 14.
- الهدار، خالد. (د.ت) فسيفساء بيزنطية من مدينة توكرة الأثرية. دراسات في آثار الوطن العربي. العدد 12.
- الهمداني، أحمد بن محمد. (1996) كتاب البلدان. تحقيق: يوسف الهادي. عالم الكتب. بيروت. لبنان.
- هيروودوتس، ليكسيس هاليكارناسوس. (2001) تمحيص وإثبات الأخبار تاريخ هيروودوتس. ترجمة: عبد الإله الملاح. المجمع الثقافي. أبوظبي. الإمارات.
- هيروودوتس، ليكسيس هاليكارناسوس. (2003) تاريخ هيروودوتس. ترجمة: محمد المبروك الدويب. منشورات جامعة قاريونس. بنغازي. لبنان.
- الوارجلاني، يحيى بن أبي بكر. (1982م) سير الأئمة وأخبارهم. ط 2. تحقيق: إسماعيل العربي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- الورفلي، محمد. (د.ت) بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا. مؤسسة تالوت الثقافية. د.م.
- الوزان، الحسن بن محمد. (1983) وصف إفريقيا. ترجمة: محمد حجي وآخرون. منشورات الجمعية المغربية للترجمة. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.
- الوزان، الحسن بن محمد. (د.ت) وصف إفريقيا. ترجمة: عبدالرحمن حميدة. جامعة الإمام محمد بن سعود. الرياض. السعودية.

- ولفنسون، إسرائيل. (1914) تاريخ اللغات السامية. لجنة التأليف والترجمة. مطبعة الاعتماد. القاهرة. مصر.
- اليافعي، عفيف الدين عبد الله. (د.ت) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان. ج 1. موقع الوراق، <http://www.alwarraq.com>
- اليعقوبي، أحمد بن واضح. (1988) كتاب البلدان. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان.
- اليعقوبي، أحمد بن واضح. (2002) كتاب البلدان. وضع حواشيه: محمد صناوي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- اليعقوبي، أحمد بن واضح. (2010) تاريخ اليعقوبي. ج 1. ج 2. تحقيق: عبد الأمير مهنا. الأعلمي للمطبوعات. بيروت.
- اليفرني. أبو زكريا يحيى. (2005) المفردات الأمازيغية القديمة. دراسة في المصطلحات الدينية الأمازيغية في مدونة ابن غانم. تحقيق: أ. بوسوترو. ترجمة وتقديم: موحمد ومادي. مؤسسة تاوالت الثقافية. كندا.

#### المصادر والمراجع الأجنبية:

- Africananus, Jean Leon. (1898) Description De L'afrique Tierce Partie Du Monde. Premier Volumi, Troisieme Volume. Ernest Leroux. Paris.
- Ağari, Murat. (2003) Ya'kubi'nin Kitabı'l-Buldan'ı. Ekev Akademi Dercisi. Yıl: 7 Sayı: 17.
- Ağari, Murat. (2006) İslam Coğrafyaelığı Ve Mıshlıtları Coğrafyaelar - Doğuşu Gelişimi Ve Temsilcileri-Kitabevi Yayınları. Marife. Yıl. 6. Sayı. 1. İstanbul.
- Ağari, Murat. (2015) İstahrı Ve Mesâlikü'l-Memâlik'i. Tarih Kültür Ve Sanat Araştırmaları Dergisi. Journal Of History Culture and Art Research Vol. 4. No. 1. Karabuk University.

- Agathiae, Myrrinaei. (1594) *Naei De Bello Gothorum. Libri V. Per Christophorum.* Book From the Collections of National Central Library of Rome.
- Alexandrinus, Appianus. (1964) *Roman History. Iii,* Translated by Horace White. Harvard University Press. London.
- Apuleius, Lucius. (1851) *The Metamorphoses of Apuleius; Romance of The Second Century.* Translated From the Latin. By Sir George Head. Longman. London. Uk.
- Apuleius, Lucius. (1918) *The Short Stories of Apuleius.* University Of Minnesota. Norwood. Chicago. U.S.A.
- Apuleius, Lucius. (1922) *The Golden Ass.* Cambridge London. Putnam's Sons, MCMXXII. New York.
- Aretini, Leonardi. (1576) *De Bello Italico Adversus Gothos.* In *Ll Bros De Bello Italico.* Publisher Ex Officina Petri Perna, Book from The Collections Of National Library Of Naples.
- Augustini, Aurelius. (1648) *Veterum Eiusdem Discipulorum. Pelagianos Et Eorum Reliquias. Tomus Secundus. L O V A N I I.* Sub Vihdi Crace I Anno.
- Augustini, Aurelius. (N.D) *Confessions.* Tr: William Watts. William Heinemann. London.
- Augustini, Aurelius. (N.D) *Select Letters.* Tr: James Houston Baxter. William Heinemann Ltd. London.
- Barnes, T. D. (1986) *Synesius in Constantinople.* The University of Toronto.
- Bates, Oric. (1914) *The Eastern Libyans.* Macmillan And Others. London.
- Bigelow, Poultney. (1918) *Genseric King of The Vandals and First Prussian Kaiser.* Ube Ikniceferbocfeer Press. New York And London.
- Brogan, Olwen. (1984) *Ghirza.* The Department of Antiquities. Tripoli.
- Brubaker, Leslie. & Haldon, John. (2011) *Byzantium in The Iconoclast Era C. 680-850* Cambridge University Press. United Kingdom.
- Byzantii, Stephani. (2014) *Ethnica. Volumen Iii. Series Berolinensis.* Berlin/Boston. Printed In Germany.
- Cameron, Averil. (2006) *The Byzantines,* Blackwell Publishing, Uk.

- Candidus, Hugh. (N.D) *The Chronicle of Hugh Candidus*. Edited, W.T. Mellows. Oxford University Press. London.
- Codoñer, Juan Signes. (2015) *Theophanes at The Time of Leo Vi*. Paris.
- Constantius, Julian. (1913) *The Works of The Emperor Julian*. With An English Translation by Wilmer Cave Wright. The Macmillan. London.
- Corippi, Flavii. (1581) *De Laudibus Iustini Augusti*. Ex Officina Chriftophori Plantini. M. D. Lxxxii. Romae.
- Corippi, Flavii. (1820) *Iohannidos. Sev De Bellis Libycis*. Ex Codice Mediolanensi Mvsei Trivvltii. Mediolani.
- Cosmas, Indicopleustes. (1909) *The Christian Topography*. By E. O. Winstedt. Cambridge University Press. Oxford.
- Cowper, Henry. (1897) *The Hill of The Graces. Arcord Of Investigation Among the Trilithons and Megalithic Sites of Tripoli*. Methuen. London. Uk.
- Crispus, Sallustius. (1920) *The War with Catiline - The War with Jugurtha*. William Heinemann. London. New York.
- Cyprii, Georgii. (1870) *Descriptio Orbis Romani 600-610*. Lipsiae.
- Dahn, Felix. (1891) *The Last of The Vandals*. The Minerva Publishing Company. New York.
- De Cyrène, Synésios. (1870) *Un Évêque De Ptolémaïs Cyrénaïque*. Lettres De Synésios. J. Joubert. Librairie Académique. Paris.
- De Cyrène, Synésios. (1901) *The Hellene*. By W. S. Crawford. Co Vent Garden. London.
- De Mathuisieulx, Henri. (1903) *A Travers La Tripolitaine. Chargé De Mission Par Le Ministre De Finstruction Publique*. Bertrand. Boulevard Saint-Germain. Paris.
- De Vitensis, Victoris. (1881) *Historia Persecutionis Africanae Provinciae*. Ex Recensione Michaelis Petschenig. Vindobonae.
- De Vitensis, Victoris. (2006) *Historia Persecutionis Africanana Provinciae*. History Of the Vandal Persecution. Liverpool University Press. Liverpool.
- De Vitry, Jacques. (2005) *Letters of Jacques De Vitry*. Translated From Latin: Abdel Latif El-Sayed. University Office. N.P.

- Debié, Muriel. (2015) *Theophanes Oriental Source*. Studies In the Ophanes. Rue Du Cardinal-Lemoine. Paris.
- Decret, François. (2002) *L'afrique Chrétienne, De L'invasion Vandale Au Maghreb Musulman*. Professeur Honoraire Des Universitésancien. Université Du Latran. Rome.
- Della Cella, Paolo. (1912) *Viaggio Da Tripoli Di Barberia Alle Frontiere Occidentali Dell'egitto*. Terza Ristampa Condotta Sulla Prima Edizione Del 1819. Citta Di Castello.
- Diehl, Charles. (1896) *L'afrique Byzantine Histoire De La Domination Byzantine En Afrique (533 - 709)* Ernest Leroux. Paris.
- Diehl, Charles. (1957) *Byzantium Greatness and Decline*. Translated By Naomi Walford. Rutgers University Press. New Brunswick New Jersey. United States of America.
- Dio Cocceianus, Lucius. (1965) *Roman History*. With An English Translation by Earnest Cary. William Heinemann Ltd. London.
- Dmitriev, Sviatoslav. (2018) *John Lydus' Knowledge of Latin and Language Politics in Sixth-Century Constantinople*. Ball State University Authenticated. Usa.
- Ermatinger, James. (2004) *The Decline and Fall of The Roman Empire*. Greenwood Press. The United States of America.
- Eusebius Of Caesarea. (2006) *The Earliest Church Histories*. Documenta Chatolica. Index.Htm.
- Evagrius. (N.D) *The Ecclesiastical. History Of the Church, From 431-594 A.D.* Six Books. Samuel Bagster Axd Sons. London.
- Forrest, Stephanie. (2015) *Theophanes' Byzantine Source for The Late Seventh and Early Eighth Centuries*. Rue Du Cardinal-Lemoine. Paris.
- Garland, Lynda. (2002) *Byzantine Empresses Women and Power in Byzantium, Ad 527–1204*. This Edition Published in The Taylor & Francis E-Library. London And New York.
- Gibbon, Edward. (1788) *History of The Decline and Fall of The Roman Empire*. Printed For A. Strahan. London.
- Gillett, Andrew. (N.D) *Telling Off Justinian: Theudebert I. The Epistolae Austrasicae. Merovingian–Byzantine Relations*.

- Gregory's, Timothy. (2010) A History of Byzantium. Second Edition. Blackwell Publishing Ltd. United Kingdom.
- Grotel, Hvgonis. (1655) Prolego Mena. John Adams Library. Boston Public Library. Boston.
- Gsell, Stéphane. (1927) Histoire Ancienne De L'afrique Du Nord. Tome Vi. Librairie Hachette. Paris.
- Halicarnassus, Hēródotos. (1806) Historia. Vol. Iii. Translated From the Greek, With Notes, By William Beloe. Printed By Luke Hansard. London.
- Hazawi, Intisar, (2016) Synesius of Cyrene Philosopher and Bishop. University Of Benghazi. Journal Of Science and Human Studies. Al-Marj, Issue Fourteen.
- İbn Hurdazbih. (2008) Yollar Ve Ülkeler Kitabı. Çeviren: Murat Ağari. Kitabevi. Kültür Ve Turizm Bakanlığı. İstanbul.
- Isidori, Beati. (1655) Archiepiscopi Hispalensis. Gothorum Vandalorum Etsveorum In Hispania Chronicon. John Adams Library. Boston Public Library. Boston.
- İstahri, (2020) Ülkelerin Yolları. Değerlendirme - Metin, Çeviren: Murat Ağari. Ayışığıkitapları. Kültür Ve Turizm Bakanlığı. İstanbul.
- Italicus, Silius. (1961) Punica. Ii. With An English Translation by J. D. Duff Ria. Harvard University Press. London.
- Jordanes. (1915) The Gothic History of Jordanes. In English Version with An Introduction and A Commentary by Charles Mierow. Oxford University Press. London.
- Justinian. (N.D) Code of Justinian (529-534) Primary Source 1.3 The Institutes of Justinian 527-567 A.D.
- Kaldellis, Anthony. (2008) Hellenism in Byzantium. The Transformations of Greek Identity and the Reception of the Classical Tradition. Cambridge University Press. New York.
- KAZVINÎ, Zakaria. (2019) Âsâru'l-Bilâd ve Ahbâru'l-İbâd'ı. İnceleme ve Değerlendirme, çeviren: Murat AĞARI. Ayışığıkitapları. Kültür ve Turizm Bakanlığı. İSTANBUL.
- Kosiński, Rafał. (2010) The Emperor Zeno Religion and Politics. Historia Iagellonica. Towarzystwo Wydawnicze. Gołębia.

- Lhote, Henri. (1999) *The Search for The Tassili Frescoes the Story of The Prehistoric Rock Painting of The Sahara*. Hutchinson. London.
- Lornandes, De Reb Geticis. (1655) *Gothorum Origine*. John Adams Library. Boston Public Library. Boston.
- Malalas, John. (1986) *The Chronicle of John Malalas*. Michael Jeffreys And Roger Scott. Melbourne.
- Marcellinus, Ammianus. (1894) *The Roman History. During The Reigns of The Emperors Constantius, Julian, Jovianus, Valentinian, And Valens*. George Bell & Sons. London
- Marcollihus Comes. (1995) *The Chronicles of Marcellinus. A Translation and Commentary* Brian Croke. Australian Association for Byzantine Studies. University Of Sydney. Sydney.
- Mattingly, D. J. (2005) *Tripolitania*. Batsford Limited. Taylor & Francis Library. London.
- Maurice. (1984) *Maurice's Strategikon. Handbook Of Byzantine Military Strategy*. University Of Pennsylvania Press. Philadelphia.
- Menander, The Guardsman. (1985) *The History of Menander the Guardsman*. Francis Cairns. Wiltshire. Great Britain.
- Merobaudes, Regiae Borussicae. (1736) *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*. Academiae Litterarum Regiae Borussicae Merobaudes. Bonnae.
- Merrills, Andy. & Miles, Richard. (2010) *The Vandals*. A John Wiley & Sons. Ltd. Publication. Printed In Malaysia.
- Mitylene, Zachariah. (1899) *The Syriac Chronicle. Known As That of Zachariah of Mitylene*. M.A. Methuen & Co. Essex Street. London.
- Morgan, Giles. (2007) *Byzantium*, Typeset by Avocet Typeset. Chilton. Aylesbury. Bucks Pocket Essentials. Spain.
- Moss, Vladimir. (2018) *The Rise and Fall of Christian Rome*. © Copyright. All Rights Reserved. Vladimir Moss.
- Nachtigal, Gustav. (1869) *Tripolis, Fezzän, Tibesti Und Bornü, Sahara Und Sudan. Ergebnisse Sechsjähriger Reisen in Afrika*. Wiegandt, Iikmpke & Parev. Berlin.

- Nicephoro,' Episcopo. (1990) Nikephoros, Patriarch of Constantinople, Short History. Dumbarton Oaks. Washington.
- Nicol, J. C. (1887) Synesius of Cyrene, His Life and Writings. E. Johnson. Trinity. Eambtibgz.
- Nonnos Of Panopolis. (1940) Dionysiaca. Cambridge, Massachusetts. Harvard University Press. London.
- Orosius, Paulus. (1981) The Seven Books of History Against the Pagans. Second Printing. The Catholic University of America. Washington.
- Paschale. (2007) Chronicon Paschale 284–628 Ad, Translated with Introduction and Notes by Michael Whitby and Mary Whitby. Liverpool University Press. Liverpool.
- Photius Saint. (1920) The Library of Photius. General Editors. The Macmillan Company. London
- Plinius Secundus, Gaius. (1961) Natural History. II. Harvard, University Press. William Heinemann Ltd. London.
- Procopius Gazaeus. (1537) Aedificiis Libri. Ex Officina Christiani Wecheli. The Collections of National Central Library of Rome. Rome.
- Procopius Gazaeus. (1594) De Bello Vandilico. Publisher Apud Franciscum Le Preux. Book From the Collections of National Central Library of Rome. Rome.
- Procopius Gazaeus. (1623) Arcana Historia. Bibliopola Romani. Carfar. Majest. Regis Christianif & Archid. Flandriar.
- Procopius Of Caesarea. (1888) Buildings of Justinian. Aubrey Stewart. Adam Street. Adelphi. London.
- Procopius Of Caesarea. (1962) History of The Wars, The Gothic War. William Heinemann Ltd. Harvard University Press. London.
- Procopius Of Caesarea. (1971) Buildings. Cambridge. Massachusetts Harvard University Press. London.
- Procopius Of Caesarea. (2018) The Secret History of Procopius. New Translated from The Greek with An Introduction by Richard Atwater. ©Globalgrey.
- Ptolemaeus, Claudius. (1545) Geographia, Quorum Primus Noua Translatione Pirckhcimheri. Basileae Per Henrichvm. Basileae.

- Riedel, Meredith L.D. (2012) *Syriac Sources for Byzantinists: An Introduction and Overview*. Trinity Term. Duke University. Oxford.
- Rossetto, Giulia. (2019) *Adaptation, Restoration, And Innovation In the Late Antique and Byzantine World*. The Oxford University Byzantine Society. Austrian Academy of Sciences. Vienna.
- Ruzkowska, Monika. (2007) *The Mausoleum at Ptolemais in Travellers Accounts*. *Eum At Ptolemais*. *Archeologia Lviii*. P1 Issn 0066-605x.
- Sarris, Peter. (2006) *Economy and Society in The Age of Justinian*. Cambridge University Press, The Edinburgh Building, Cambridge. Uk.
- Shepard, Jonathan. (2008) *History of The Byzantine Empire C. 500–1492*. Cambridge University Press. Uk.
- Siculus, Diodorus. (1963) *Bibliotheca Historica*. Xix. Cambridge, Massachusetts. Harvard University Press. London.
- Siculus, Diodorus. (1967) *History Libray*. Books Ii. William Heinemann Ltd. Harvard University Press. London.
- Slouschz, Nahum. (1909) *Un Voyage D'études Juives En Afrique*. Imprimerie Nationale. Librairie G. Klincksieck. Paris.
- Slouschz, Nahum. (1927) *Travels in North Africa*. The Jewish Publication Society of America. Philadelphia.
- Socrates, Surnamed Scholasticus. (1892) *Or the Advocate, The Ecclesiastical History, History of The Church*. Georgk Beli & Sons. York St, Covent Garden. New York.
- Socrates, Surnamed Scholasticus. (N.D) *Historia Ecclesiastica, The Ecclesiastical History*. A. C. Zenos, D.D. Hartford.
- Sozomenus, Salaminius Hermias. (1999) *Ecclesiastical Library. History Of the Church. From A. D. 324 To A. D. 440*. The Library of College Torojhto. The Leonard Library. Wycliffe College. Torojhto.
- Spartiani, Aelii. (1993) *The Scriptoros Historiae Augustae the Loeb Classical Library*. Harvard University Press. Uk.
- Stewart, Michael. (2012) *The Soldier's Life: Martial Virtues and Hegemonic Masculinity in The Early Byzantine Empire*. School Of History. Philosophy, Religion, And Classics. The University of Queensland.

- Straabon. (1967) *The Geography of Strabo. Viii, With an English Translation by Horace Leonard Jones.* Harvard University Press. London.
- Syncelll, Georgii. (1652) *Chronographia. E, Typographia Regia. Rformauc Sandi Ludouici. P A R I S.*
- Tacitus, Cornelius. (1861) *Germania and Agricola.* George Bell. Fleet Street. London.
- Teofilact Simocata. (1985) *Istorie Bizantină. Ahca Și N.Ș. Tanașoca. Academl Ae Reipublicae Socjalis Romaniae. Romaniae.*
- Teofilact Simocata. (1997) *The History of Theophylact Simocatta. An English Translation with Introduction and Notes Michael and Mary Whitby.* Oxford University Press Inc. New York.
- Theophanes Confessor. (1997) *The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and Near Eastern History Ad 284-813. C L A R E N D O N Press • Oxford. New York.*
- Todd, Mabel. (1912) *Tripoli the Mysterious.* Small Maynard. Boston.
- Treadgold, Warren. (2007) *The Byzantine World Histories of John Malalas and Eustathius of Epiphania. Source: The International History Review. Published By: Taylor & Francis, Ltd.Stable.*
- Treadgold, Warren. (2011) *Orientalia Lovaniensia Bibel, Byzanz Und Christlicher Orient. A. Toepel Uitgeverij Peeters En Departement Oosterse Studies. Paris.*
- Tumiatl, Domenico. (1905) *Tripolitania. Fratelli Treves. Milano.*
- U n e s c o. (1995) *International Scientific Committee for The Drafting of a General History of Africa. General History of Africa. Unesco. California.*
- Vasiliev, Alexander A. (1980) *History of The Byzantine Empire 324-1453. Volume I, The University of Wisconsin Press. London.*
- Vus, Oleh. (2016) *Imperial Title for The Barbarian King: Gaiseric the Autokrator. Proceedings Of The 23rd International Congress of Byzantine Studies Belgrade. Belgrade*
- Warnefridi, Pavli. (1655) *Langobardi Filii. Gestis Langobardorvm. John Adams Library. Boston Public Library. Boston.*

- Ya'kūbî, Ahmed Al-Katib. (2021) Ülkeler Kitabı, Kitâbü'l-Buldân. Çeviren: Murat Ağari. Ayışığıkitaplari. Kültür Ve Turizm Bakanlığı. İstanbul.
- Zosimus, Comitis. (1576) Zosimi Histor. Publisher Ex Officina Petri Pernaie. Book From the Collections of National Library of Naples. Naples.
- Zosimus, Comitis. (1814) The History of Count Zosimus. Printed For J. Davis. Essex-Street. Strand.
- Zuqnin. (1996) Pseudo-Dionysius of Tel-Mahre, Chronicle, Known Also as The Chronicle of Zuqnin. Liverpool University Press. Liverpool.
- Zuqnin. (1999) The Chronicle of Zuqnin A.D.488-775, The Syriac Chronicle of Zuqnm. Parts Iii And iv. Translated From Syriac with Notes and Introduction by Amir Harrak. Pontifical Institute of Mediaeval Studies. Toronto, Ontario Canada.

## الملاحق والصور والأشكال والخرائط

أولاً: النماذج اللغوية:

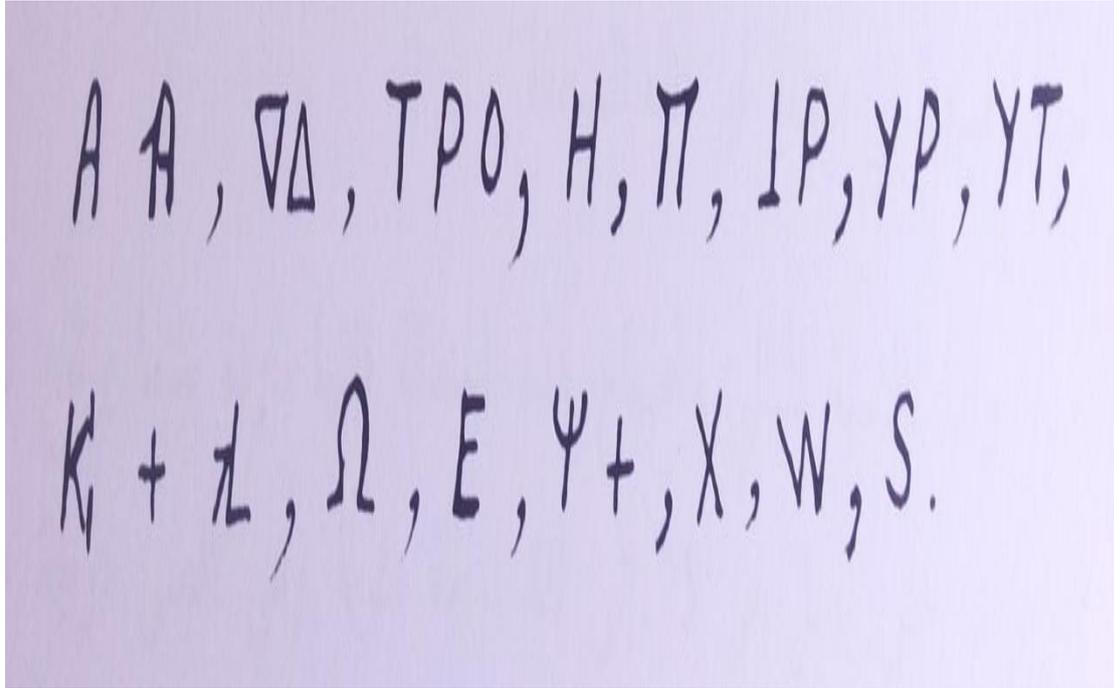
Libyan,	Phoenician,	Values.
∟, 1	1	G
Z	ⲉ	I
∩	Ⲅ	M
		N
W, ξ	Ⲅ, Ⲅ	S
X, †	X	T

حروف ليبية - وفينيقية، وما يقابلها بالإنجليزية. نقلا عن: Bates, The Eastern Libyans

LANGUAGE AND WRITING				
Tifinagh,	Value.	Libyan.	Value	Punic.
∩	d	∩, ∩, ∩	d	9
0, 0	r	0, 0	r	
	l	, =	l	
∩	m	∩, ∩	m	Ⲅ
	n	, -	n	
⋮	غ	⋮, ÷ or   , ≡	غ	
:	u, w	=,	u, w	

كتابة ليبية شرقية قديمة، مع التيفيناغ والبونيقية، تُظهر التقارب بين الليبية والتيفيناغ، فالأخيرة اشتقاق من

سابقتهما، وكليهما ناتج عن تأثير الحرف الفينيقي. نقلا عن: Bates, The Eastern Libyans



نقوش لحروف تبدو مزيجاً ما بين حروف لبية وفينيقية والأخيرة لاتينية، وقد عثر عليها الرحالة البريطاني:

جيمس هاملتون James Hamilton في جنوب شرقي قرنادة وأماكن أخرى ببرقة سنة 1852م. نقلا عن:

جيمس هاملتون، جولات في شمال أفريقيا، ص 118، 119.

W	P	ك	M	⊕	E	⌘	A
ش S	ف P	م M	م M	⊕	ه E	⌘	أ A
X	ل L	ن N	ن N	I, J	و F	ب B	ب B
ت T	ق Q	ن N	ن N	ي I, J	ف F	ب B	ب B
	ق Q	⊕	⊕	K	ز Z	C, G	ج G
	ق Q	⊕	⊕	ك K	ز Z	ج G	ج G
English	R	⊕	⊕	L	H	H	D
عربي	ر R	⊕	⊕	ل L	ح H	ح H	د D
עברית	ר R	⊕	⊕	ל L	ח H	ח H	ד D
Ελληνική	ρ R	⊕	⊕	λ L	η H	η H	δ D

من الأسفل: الأحرف الآرامية ثم السريانية ثم العربية ثم الإنجليزية. والرابط في هذا، أن الأبجدية العربية، هي

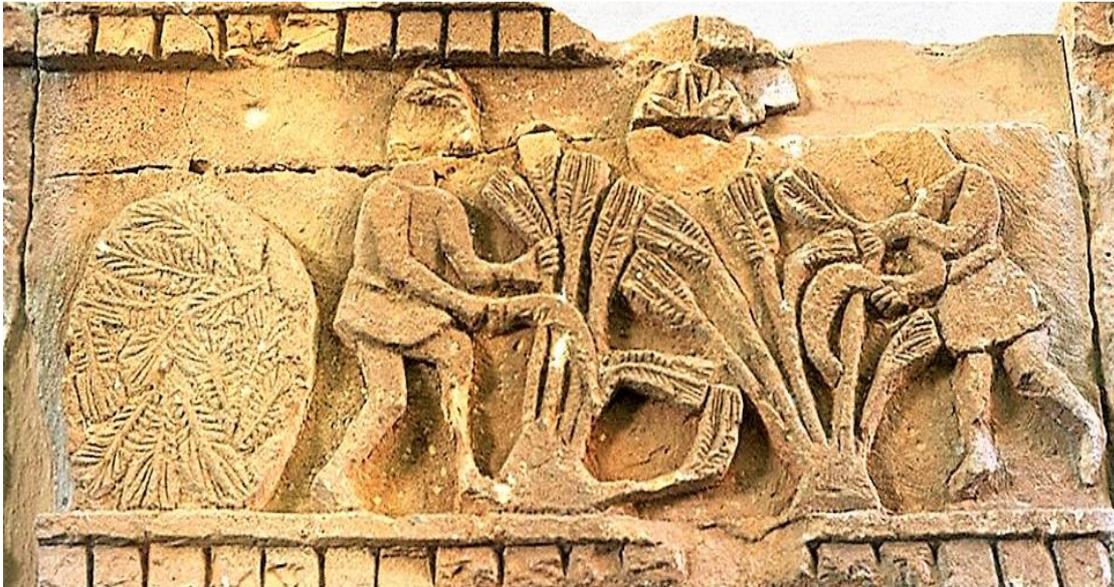
تطور واشتقاق من الأحرف النبطية والسريانية، المعدتان فرعاً من اللغة الآرامية.

ثانيا: الصور والأشكال:-

### مدينة قرزة



نماذج من الأبنية الباقية والمميزة في مدينة قرزة Girza والتي خلت من سكانها ونشاطها مع مطلع العصر الوسيط.



أعمال الزراعة الرائجة في قرزة، ممن تم تجسيدها في نحوت فنية، يمثل النحت هنا نشاط حصاد القمح أو الشعير، ويعود إلى ما بين القرنين 2-4م.

## مدينة جرمة



أطلال مدينة جرمة Garama وهي من الحواضر التي ظلت نشطة خلال بدايات العصر الوسيط.



مقابر الجرمنت Garamantidos وهي التي تسمى أحيانا بأهرامات الجرمنت.

## العهد البيزنطي



البوابة البيزنطية في مدينة لبتيس العظمى Leptis Magna



معالم من الفن البيزنطي بكنيسة سبرات Saprata. حيث تشرف فسيفساء الكنيسة الجستنيانية 533م على

الصالة كأرضية لها، وقد جمعت هذه القطع من الموقع عام 1934م.



مدينة Ptolemaidis طولميديا: الكنيسة أو البازيليكا، وهي كنيسة بيزنطية بنيت في القرن 5م. الصورتين في الأسفل بتقنية 3d توضح كيف كان الشكل الكامل للكنيسة الغربية في مدينة بطليموس أو طلميثة الأثرية.



أبولونيا Apolloniam سوسة حاليا: أعمدة الكنيسة الوسطى، المشيدة في القرن 5 الميلادي.



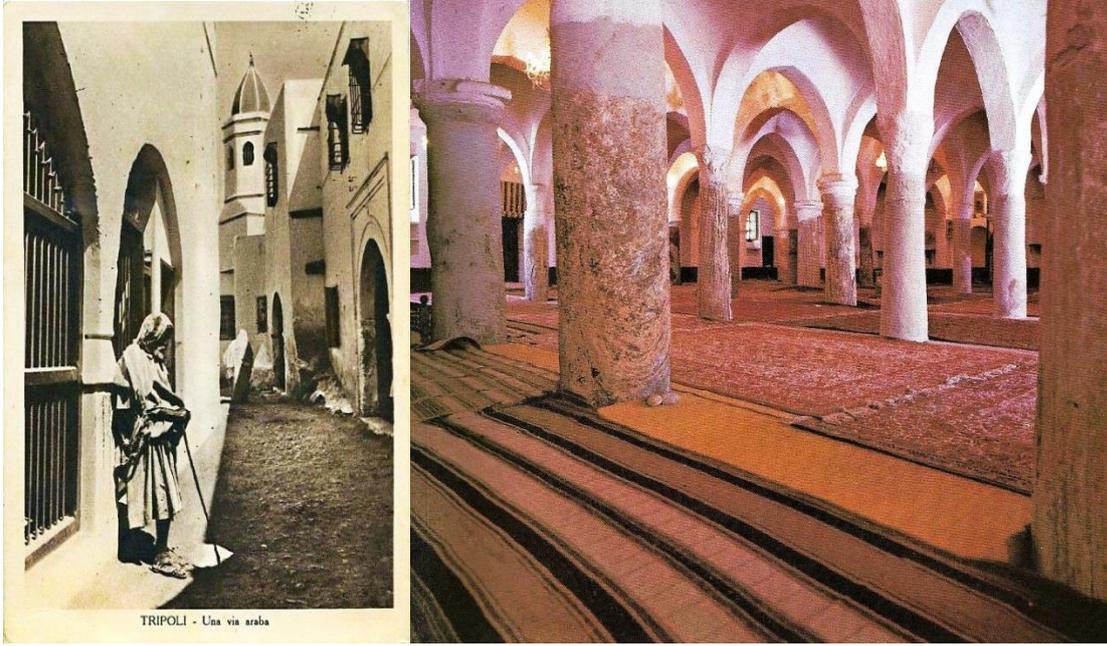
فسيفساء بيزنطية عثر عليها في الكنيسة الشرقية بمنطقة (ثيودورياس Theodorias - أولبيا Olbia)، ويعود تاريخها أيضا إلى حقبة الإمبراطور جوستينيان (527-565م) تجسد صور امرأتين ترتديان عباءة ولحاف نسائيا، ويبد إحداهن مبخرة وهي تقف بين شجرتين.



نماذج من الفسيفسائيات البيزنطية الموجودة في هذه المنطقة (ثيودورياس Theodorias – أولبيا Olbia)،

وهي كثيرة، لذلك حاولت اختيار بعضها/أفضلها، لتمثيل فقط لا الحصر.

## الفترة الإسلامية



جامع الناقة علي اليسار، وإلى الأمام الزاوية القادرية، وعلي اليمين الفينيدقة. وقد سمي جامع الناقة رغم بساطة حجمه بالجامع الأعظم، قياسا بكونه أضخم مسجد بالبلد وقتذاك، وظل كذلك حتى مطلع العصر الحديث، عندما دخل النمط المعماري العثماني الضخم للمساجد، وهو النمط المثلث القباب السائد في الفترة العثمانية.



الباب الخشبي العتيق، واللوحة الرخامية لجامع الناقة. من تصوير الباحث.



تحدث الجغرافي المغاربي: ابن سعيد المغربي [ت685هـ/1286م] عن قصور مسراته. فيما تحدث الجغرافي الأندلسي: أبو عبيد الله البكري [ت487هـ/1094م] عن الأبنية والشواهد التي سماها بالمرثيات في طريق بلد هواره، وخصوصا عند قصر ابن ميمون، ويقع هذا الأخير في برية مسراته عند ربوة وادٍ يعرفه الأهالي اليوم باسم وادي ميمون.



قصور حسان الواقعة بين سرت ومصراتة وتبعد حوالي 60 كم غرب سرت. وهي عبارة عن مبان سكنية مجاورة محصنة ومحاطة بأسوار صلبة وضخمة في طابق واحد. وكان حسان بن النعمان قد استوطنها في الأعوام 76-82 هـ، وحملت اسمه.



المسجد العتيق بأوجلة، وينسبه الأهالي إلى عبد الله بن أبي السرح، ويسمونه جامع سيدي عبد الله. مع ملاحظة أن المصادر الإسلامية؛ ذكرت أن أبي السرح قد شيد مسجده في باب القيروان، وليس في أوجلة.



زويله، الجامع الأبيض أو مسجد الفتح كما يسميه الأهالي ويطلق عليه الجامع العتيق. نفس الملاحظة أيضا، والمتعلقة بالاعتقادات الشعبية الشفهية، وغير الواردة/مؤكدة مصدريا. حيث أن المصادر المبكرة لم

تشر إلى وجود مسجد بزويلة، أو أن العرب قد شيّدوا بها أي مسجدًا!. مما يضع الأمر في خانة الاعتقادات الشعبية. كذلك الحال مع مسجد أوجلة العتيق، ومسجد ورنوغن بغدامس، وأن المسجد قد جرى تشييده بعد نحو 3 أو 4 قرون.



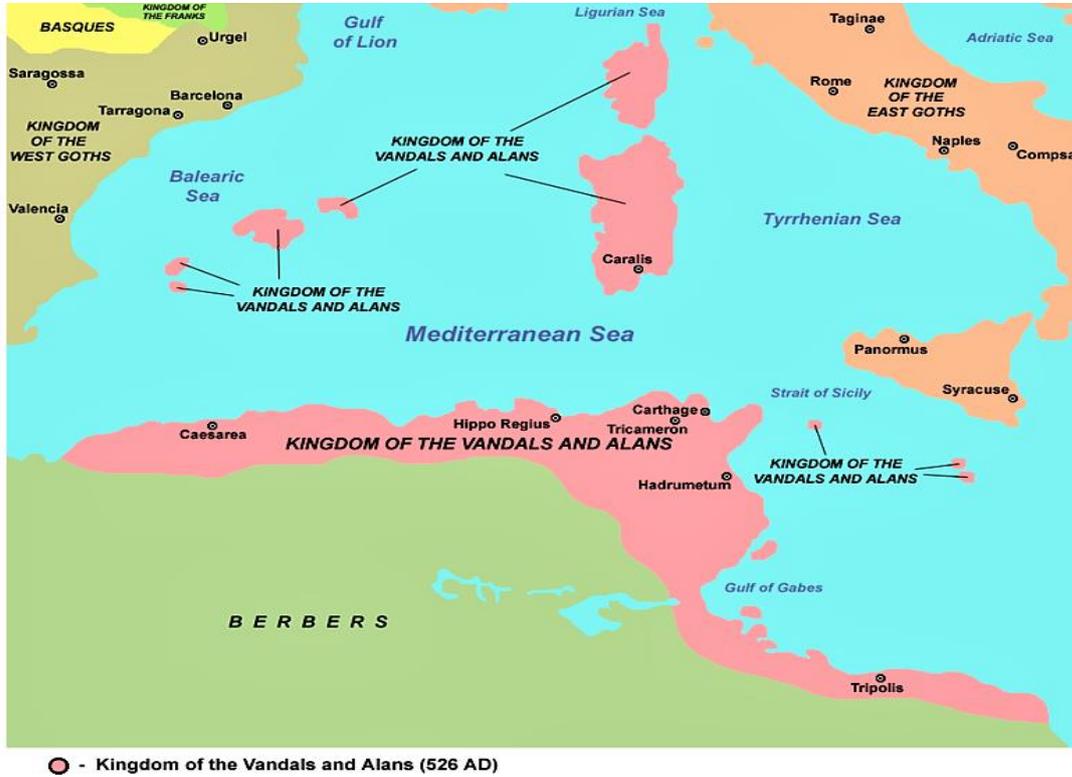
شاهد قبر إسلامي عثر عليه في منطقة شليظيمة قرب وادي الكوف، ويعود لشخص اسمه كما يبدو: (سهل الرعيلي)، توفي سنة 374 هجري كما هو مكتوب على الشاهد ويوافق سنة 989 ميلادي، وهو من مقتنيات متحف شحات الأثري، وقد كُتِبَ بخط كوفي بسيط غير منقط. وهذا يدل على أن النحو والتقيط الذي ابتكره الشاعر الكناني أبو الأسود الدولي، والعلامة سيبويه الفارسي؛ لم يكن قد انتشر بين

عامّة الناس بعد، وظلت الكتابة بالحرف النبطي غير المنقط، وهي أصل الحرف العربي، هي السائدة حتى وقتذاك.

قراءة الشاهد:

" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا قبر سهل ابن علي، توفي الاثنين أول شهر صفر سنة تسعة وسبعين وثلاثمئة رحمه الله، ومغفرة ورحمة عليه، وعلى من ترحم عليه. عليه رحمة الله وعلى سائر موتى المسلمين، أمين "

ثالثا: الخرائط :-



مملكة الوندال وأقصى امتداد لها سنة 526م، ويهيمن فيها حجم التمدد الوندالي في إقليم طرابلس، والذي بلغ نهايته في منطقة توباكتس/مصراته حاليا.



خارطة تبين العمليات العسكرية البيزنطية ضد المملكة الوندالية أعوام 533-534. وتظهر منطقة طرابلس

بمثابة أول بؤرة اشتعال لهذه الحرب، إلى جانب التمرد الأهلي الذي حصل ضد الفاندال في سردينيا.



The Eastern Roman Empire: approximate provincial boundaries in the early sixth century.

الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو البيزنطية: الحدود الإدارية التقريبية للمقاطعات في أوائل القرن السادس. وحيث يظهر أن الجزء الممتد ما بين قوس فيليني، مروراً بإقليم تريبوليس/طرابلس، ووصولاً إلى مقاطعة إفريقية القرطاجية؛ يشكل وحدة واحدة باسم بلاد إفريقية Africa. بينما تقع ليبيا العليا Libya Superior في المنطقة ما بين قوس فيليني، وصولاً إلى منطقة درنة الحالية. في حين تبدأ مقاطعة ليبيا الدنيا Libya Inferor فيما بين دارنيس/درنة، إلى الحدود الغربية الطبيعية لوادي النيل. حيث تبدأ بعد ذلك الإسكندرية ومصر بأقسامها، ثم فلسطين بقسميها، وعربية، وفينيقيا وسوريا بقسميها، وآسية الصغرى بأقسامها المتعددة. نقلاً عن المعلم السرياني يوحنا:

JOHN MALALAS, The Chronicle of John Malalas, Tr: Jeffreys, Melbourne, 1986, P  
312

وهذه التقسيمات الإدارية ظلت خلال القرن اللاحق وهو السابع للميلاد، مستعملة أيضا لدى العرب والمشاركة المسلمون عند دخولهم ليبيا، وإن في شكل محدد ومتصل بالإسكندرية، حيث نجد أن لويبة قد صارت لديهم تعني: كورة من كور مصر الغربية.



خارطة طبوغرافية من إعداد الباحث؛ للمدن الحية والمأهولة، والرئيسية في ليبيا خلال القرنين 5-6م



الخارطة الطبوغرافية للمدن الحية والمأهولة، والرئيسية خلال القرون الهجرية الثلاث الأولى بعد الإسلام. من

إعداد الباحث.



الخارطة البشرية للسكان خلال القرنين 5-6م بحسب المصادر. من إعداد الباحث.



الخارطة البشرية للسكان خلال قرون الهجرة الثلاث الأولى بعد الإسلام، من إعداد الباحث، قياساً بما ما ورد في المصادر الإسلامية المبكرة.



خارطة بالألوان لخط سير المغازي العربية في برقة فزان طرابلس

بحسب المصادر المبكرة: ابن عبد الحكم والبلاذري واليعقوبي وغيرهم. الخارطة من إعداد الباحث.  
وتبين خط عمرو بن العاص، في أنطابلس حيث تم فتح برقة سنة 22 هجرية، مروراً باتجاه الخط الساحلي، حيث تمت الهيمنة على المناطق التي تم السير فيها كمدينة مغمداس وهي من أرض سرت، وصولاً إلى طرابلس المحصنة، حيث تم حصارها. مع إرسال كوكبة من الجند لمباغنة سكان سيره/صبراتة. ثم جرى تسيير حملة لدخول الجبل تحت قيادة بسر بن أرطأة.

من برقة بعث عمرو ببسر إلى ودان. فيما واصل عقبة بن نافع سيره حتى بلغ زويلة سنة 23 هجرية. ثم توقف الفتح خصوصاً بإقليم طرابلس والتي كانت طرفاً لإقليم إفريقية، وصارت المنطقة ما بين برقة وزويلة تحت سلطة العرب.

خلال الحملة الثانية، وعقب ارتداد الأهالي، خرج عقبة بن نافع سنة 46 هجرية. ومن أرض سرت حيث ترك عقبة قسماً من جيشه في مدينة مغمداس، نزل شخصياً باتجاه مملكتي ودان وجرمة، ففتحهما وسيطرت قواته على الصحراء، فمضى إلى قصور فزان فافتتحها قصرًا قصرًا، ثم نزل إلى خاوار وهي في الحزام الصحراوي ووجدتها محصنة، ثم رجع وكان مسيره من دون أن يدري في اتجاه الشمال الغربي، فوصل مكان سموه بماء الفرس. ثم عاد إلى خاوار، ففتحها عنوة، ثم رجع شمالاً إلى زويلة، ثم مضى إلى أرض مزاته، ومن هناك وصلت أنباء كما يبدو تفيد بوجود مدينة جبلية تدعى غدامس، فمضى إليها، ومن غدامس انطلق إلى قفصة، ودخل عمق الولاية الإفريقية/التونسية حالياً. وجميع هذه الخطوات تمت خلال عملية الفتح الثاني الذي تم سنة 46 هجرية.

## السيرة الذاتية

أكمل الباحث تعليمه الابتدائي والثانوي والجامعي في مصراته، أصبح معيدا بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة مصراته سنة 2006 ثم درس الماجستير في التاريخ الوسيط بجامعة طرابلس منذ سنة 2007 وتحصل على شهادة التخرج في 2013. بدأ في ممارسة وظيفته كعضو هيئة تدريس بكلية الآداب مصراته بنفس السنة. في السنة ذاتها 2013 مُنح قرار إيفاد لإكمال الدكتوراه بالخارج، وفي سنة 2018 تقرر إرساله إلى جمهورية تركيا لإكمال برنامج الدكتوراه.

صدر للباحث:

- هيستوغرافيا المدن الكلاسيكية في ليبيا: النشوء الازدهار التعايش العنف التبدل الاضمحلال الاندثار، منشورات دار ومكتبة الشعب، مصراته، 2019.
- إشكالية اللسان والهوية، ظواهر التأثير الفكري والإثني والثقافي بالتاريخ الليبي، منشورات سوتيميديا، تونس، 2023.
- جدلية العرق والجنس والهوية، دراسة في الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا والجنينالوجيا الليبية، منشورات سوتيميديا، تونس، 2023.
- في تراث المدينة، التاريخ - السيسولوجيا - الفلكلور - الذوق - التراث والتقاليد، دراسة ليبية تاريخية بحثية تراثية مصورة. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، قيد النشر.



**ORTA ÇAĞ'IN BAŞLARINDA LİBYA TARİHİ (M.  
S. 5.-7. YÜZYIL)**

**2023  
DOKTORA TEZİ  
TARİH**

**Ossama Abdulhameed Mustafa OWRAYETH**

**Tez Danışmanı  
Prof. Dr. Murat AĞARI**